

المسمى

الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم

للإمام العلامة الشيخ المفسر
نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الشافعي الكازروني
المتوفى سنة ٩٢٣هـ

تحقيق ودراسة
الأستاذ الشريف
أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشبراوي







رقم الإيداع
٢٠١٧/٢٣١٩٢

الترقيم الدولي
٩٧٨-٩٧٧-٦١٨٠-٣١-٤

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



دار الرسالة للنشر والتوزيع
القاهرة

٢ شارع أحمد حامد أبو الحسايب (الصناعة سابقا)
متفرع من عباس العقاد- ناصية مستشفى التوفيقية
تليفاكس: ٠٢٢٣٦٠٥٦٢٥
محمول: ٠١٢٢٣١٢٠٦٤٣
البريد الألكتروني: Daralresala @yahoo.com



❁ مقدمة التحقيق ❁

الحمْدُ للهِ الذي أنزل القرآن للعَالمين نذيرا، والصَّلَاة والسَّلام على سيدنَا محمّدٍ أرسلَهُ اللهُ مُنذرًا وبشيرا، وعلى آلِهِ وصحبه والتّابعينَ لهم بإحسَانٍ فَضْلًا منه كبيرًا. وبَعْدُ:

فما فتِئَ علماءُ الأُمّة يخدمون كتابَ الله- تَعالى- قراءَةً وتلاوةً وبيانًا وتفسيرا، ذلكَ أنّ الله حفظ كتابَهُ الكريم دون سائرِ الكُتب تفضُّلًا منه على هذهِ الأُمّة.

وقَدْ تعدّدَت كتب تفسير القرآن الكريم حتى نافَت على العشرة آلَافِ أو تزيد، كُلُّ كتابٍ لَا يغني عَن الآخرِ ولا يخلو من فائدة أو عَائِدة.

وتنوعَت مَناهجُ المفسِّرين تبعًا لمشَاربهم ومَسَاربهم ومناهجهم، فمن مُحدِّثٍ حافظٍ كابن أبي حَاتم، والطبريّ، وابن مردويه، والثعلبيّ، ومن لغويّ ضليع كالواحديّ، وأبي حيّان، وابن عطيّة، ومِنْ باحثٍ متكلم نظّار، كالفخر الرازي، والبيضَاوي، وجَار اللهِ الزمخشريّ، ومن جامع لهؤلاء كالآلوسيّ، وابن عاشور.

ولمّا كانت كتب التفاسير كثيرة عديدة، وكَان مِن واجب المسلم معرفَة المعاني والمرادفات للقرآن الكريم، رأينَا أن البسَاطة والاختصَار توصل للمعنى من أقرب طريق.

وكان كتاب «الصّراط المستقيم في تبيَان القرآن الكريم» المعروف اختصَارًا بـ«تفسير الكازروني»، أو «تفسير الأخوين»، أو «طوالع الأنوار» من هذه المدرسة البسيطة السهلة، أحببنا نشر هذا الكتاب المفيد الموجز الذي جمع بين دفتيه- على إيجازه- تفسير القرآن الكريم كلِّه، معَ الإشَارة إلى العلوم القرآنيّة الأخرى كالمناسبات، وأسباب النزول، والمبهمات، وغير ذلك بما يظهر بالتأمل والقراءَة.

● «معنى التفسير والتأويل»، وموضوع التفسير وأول من صنف فيه:

* **التَّفْسِيرُ**: هو علم يُبحَثُ فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث إنه يدل على المراد بحسب الطاقة البشرية(١).

* وقال أَثِيْرُ الدين أبو حَيَّان: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك(٢).

وَيَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ:

* تفسير: وهو ما لا يُدْرَكُ إلا بالنقل أو السماع أو بمشاهدة النزول وأسبابه، كأسباب نزول الآيات والقصص، فهو ما يتعلق بالرواية(٣).

* وتأويل: وهُو مَا يُمكِنُ إدْرَاكُهُ بقواعد العربية، فهو ما يتعلق بالدراية(٤).

* ومَوضُوْعُ عِلْم التفسير: كَلَامُ اللهِ العَزِيْز من حيث إنه يدل على المراد، وإنَّمَا قُيِّدَ بهذه الحيثية؛ ليكون ممتازاً عن موضوع العلم الآخر(٥).

وهو أشرف العلوم على الإطلاق؛ لأن موضوعه أساس علوم الإسلام ومدار الأحكام(٦).

* واختلف في أَوَّلِ مَنْ أَلَّفَ فيه، فقيل: ابن جريج، وقيل: مَالكُ بن أنس بالإسناد على طريقة «الموطأ» ثم تبعه الأئمة الحفاظ، فَقَلَّ حَافِظ إلَّا وَلُه تَفْسِيرُ مُسْنَدْ(٧).

ثم تتابع الأئمة والعلماء في التآليف المفيدة كل يدلي بدلوه في هذا العلم، واضعًا الإفادة نصب عينيه، متخذًا رضا الله غايته.

---

(١) التيسير – للكافيجي (١٥٠).
(٢) البحر المحيط (١/ ١٣).
(٣) البرهان (٢/ ١٥٠)، الإتقان (٤/ ١٦٨).
(٤) التيسير – للكافيجي (١٥٠).
(٥) السابق (١٥٨).
(٦) السابق (١٥٨).
(٧) الوسائل – للسيوطي (١٢٥).

❁ ترجمة المصنف ❁

* أولاً: عصره:

عاش المؤلف- رحمه الله- في ظل دولة المماليك الجراكسة[١]، وهي التي تبدأ من ولاية الملك الظاهر «ألطنبغا الألفي» المشهور بـ«برقوق»[٢] وتنتهي بـ«طومان باى» هذه الدولة التي كانت تحكم مصر والشام والحجاز وأطراف من أرمينية والعراق وجنوب تركيا.

وقد شجع سلاطين المماليك العلم والعلماء فبنوا الكثير من المدارس والمساجد والخوانق والزوايا.... إلخ.

كما قربوا العلماء وأغدقوا عليهم الصلات ورفعوا من شأنهم، بل نبغ منهم غير واحدٍ: «برسباي، وجقمق العلائي، وقايتباي».

ومن أشهر علماء تلك الفترة: «ابن الهائم، ابن حجر، المقريزي، ابن ناصر الدين، البوصيري، سبط ابن العجمي، الديري، العيني، السخاوي، السيوطي» رحمهُم الله.

* ثانيًا: التعريف به:

للأسف لم يصلنا عن المؤلف في كتب التاريخ والتراجم الشيء الكثير، وإنما المذكور عنه نَزْرٌ يسير، فاسمه: نور الدين أحمد بن محمد بن خضر الكازروني الشافعي العمري[٣] نزيل مكة المكرمة[٤]،كان حيًّا سنة ٩٢٣هـ[٥] - وهي السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني- رحمه الله- مصر.

وهو منسوب إلى «كازرون»[٦] وهي مدينة عظيمة من الثالث من كُوْرة سابور، في

---

(١) وهي الثانية المعروفة بالبرجية.

(٢) لجحوظ في عينيه.

(٣) معجم المؤلفين (١/ ٢٦٢).

(٤) كشف الظنون (٢/ ١٠٧٧).

(٥) معجم المؤلفين (١/ ٢٦٢).

(٦) تقويم البلدان (٣٢٤)، المسالك والممالك - لابن خرداذبه (٤٥)، أحسن التقاسيم (٤٣٣)، معجم ما استعجم (٢/ ١١٠٩).

إيران حالياً ومنسوب إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي المشهور.

وأما العمري فلم أقف على تعيين ذلك، إلا أن يكون نسبة إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه-.

وقد اشتهرت هذه النسبة في «مكة المكرمة» على مر العصور ونبغ منهم - يعني ممن انتسبوا إليها - طائفة من العلماء والخطباء، منهم: يحيى بن محمد بن جعفر بن سعد الله العمري الشافعي[1] وكان خطيبًا للمسجد الحرام توفي سنة ١٢٦٠هـ بمكة[2] - فقد يكون حفيدًا للمؤلف.

ولعل الله- تعالى- يوفق فيما بقي من الزمان للتعرف أكثر على شخصية ذاك العلم الهمام- إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❁❁❁

---

(١) وسام الكرم (٤٣١).

(٢) له: «مشكاة مصباح الدليل في عجائب مخلوقات الملك الجليل» وقد فرغت من تحقيقه على أصل نفيس.

❁ التعريف بالكتاب ❁

* اسمه: اتفق كل من ترجم للمؤلف أن اسم الكتاب هو: «**الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم**» وهو الاسم الذي ذكره المؤلف نفسه في ديباجه[١].

وهو الذي ذكره حاجي حليفة - في كشف الظنون[٢] - فقال: «الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم» للإمام الشيخ نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري الشافعي الكازروني نزيل مكة المكرمة، وهو تفسير مختصر ممزوج كالجلالين، وأوّله التَعَوُّذ وتفسير الفاتحة- إجمالاً- ثم الديباجة، ذكر فيها أنه تفسير وجيز وسيط في التبيان، بسيط[٣] في الفوائد، متضمن لزهاء عشرين ألفاً في فرائد الفوائد، اعتمد فيه على حديث حسن أو صحيح- قال: وسماه بعض الأبرار بـ«طوالع الأنوار».

* **قلت- أبو الحسن-**: وهذا التفسير يعرف أيضًا **«تفسير الأخوين»**[٤]، و**«طوالع الأنوار»**[٥] ولعل المؤلف رحمة الله سماه أولًا **«تفسير الأخوين»** مُشَاكَهَة لـ**«تفسير الجلالين»** ثم سماه بعض من وقف عليه «طوالع الأنوار»، واستقر اسمه آخرًا «الصراط المستقيم».

❁ ❁ ❁

---

(١) (١/ ظ – نسخة حيدر أباد).

(٢) (٢/ ١٠٧٧).

(٣) يعني مبسوط، فهو فعيل بمعنى «مفعول».

(٤) كشف الظنون (١/ ٤٤١). وكما هو واردٌ في أول النُسخة (س).

(٥) السابق (٢/ ١١١٦).

❁ منهج الكازروني في تفسيره ❁

امتاز منهج الإمام العلامة الكازروني بما يلي:

١- السهولة في تفسير الآيات والحروف.

٢- المزج بين المتن القرآني والتفسير مزجًا صحيحًا.

٣- امتاز تفسير الكازروني عن تفسير الجلالين بوحدة الموضوع والوضوح والبعد عن الإسرائيليات.

٤- أورد الكازروني مقدمة في صدر تفسيره تحدث فيها بإيجاز عن التفسير ومعناه ومراده[١].

٥- الكلام على الإعراب الراجح لبعض الآيات[٢].

٦- الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والبعد عن النزعات الاعتزالية أو النزعات القدرية، فالمؤلف ﷀ أشعري المعتقد، صوفي المنزع والمشرب.

٧- الاهتمام بأسباب النزول في كثير من المواضع (٢١/ ظ - حيدرأباد).

٨- الاهتمام باللغة والاشتقاق[٣].

٩- تفصيل ما ينبغي تفصيله، كالكلام على أنواع السحر وأحكامه[٤].

١٠- إيراده لبعض الأحاديث والآثار.

١١- الاهتمام بعلم المناسبات القرآنية، وللبقاعي مصنف حافل[٥] فيه.

❁❁❁

---

(١) (١/ ظ - نسخة حيدرأباد).

(٢) (٥/ و - حيدرأباد).

(٣) (١٩/ و - حيدرأباد)، (٤٢/ و - حيدرأباد).

(٤) ١٣/ ظ - نسخة حيدرأباد).

(٥) اسمه «نظم الدرر» طبع بالهند ناقصًا، ثم في بيروت ناقصًا أيضًا.

❁ أهمية تفسير الكازروني ❁

تفسير العلامة الكازروني مهم جدًّا؛ لما يلي:

١- صغر حجمه ودقة جرمه، مما يجعله سهل الاقتناء.

٢- يأتي في سلسلة منيرة مشرقة لجهود علماء الإسلام في تفسير القرآن.

٣- الوقوف على معنى الآية بسهولة ويسر.

٤- جمع بين دفتيه كثيرًا من المعاني وخلاصة أقوال المفسرين.

٥- فيه من الفوائد والنكات ما لا يوجد في غيره.



❁ النسخ التي اعتمدت عليها ❁

وفقني الله - تبارك وتعالى - فحصلت على خمس نسخٍ خطيّة لهذا الكتاب المبارك، وبيانها كالتالي:

١- النسخة الأولى: - وتحتفظ بها مكتبة حيد رأباد بالهند، وهي (٢٨٢) ورقة، ومسطرتها (٢٥) سطراً في جميع صفحاتها، وخطها نسخي واضح وبها نظام التعقيبة، وهي نسخة ناقصة مليئة بالتصحيف والتحريف والسقط.

٢- النسخة الثانية: وهي نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة وتقع في (٣٠٩) ورقة، وخطها جميل جدًّا، وميزت الآيات القرآنية في بعض صفحاتها بالحمرة، وعلى غلافها تملكات منها تملك للسيد عبد الله المعمري، وللإمام عبد الرؤف المناوي الحدادي الشافعي، وللشيخ العلامة حسن البيطار - ومسطرتها مختلفة ما بين (٢٣) و (٢٤) و (٢٥) وكلماتها أكبر من سابقتها.

وبهامش النسخة تقييدات بخط فارسي[١] رائع ذكرت فيها بعض الأحاديث مما له تعلق بالآيات .

٣- النسخة الثالثة: وهي نُسخة مكتبة الإسكوريال الإسبانية المرموز لها بحرف (س) ورقمها (١٤٣٠) وهي نسخة تامة، تقع في (٣٢٦/ ق)، كلُّ ورقة فيها (٢١/ س)، وخطها نسخي واضح، كتبت فيها العناوين بخطٍ كبير وبها نظام التعقيبة، وناسخها واحد، لكن لم يبين اسمه، إلّا أنه فرغ من نسخها في (١٥/ صفر/ ١٠٨٩هـ) وقد انفردت هذه النسخة بعنوان «تفسير الأخوين» وهو أحدُ أسماءِ تفسير الكازروني- رحمه الله تعالى-.

٤- النسخة الرابعة: وهي نسخة مكتبة نور عثمانية التركية المرموز لها بحرف (ع) وهي نسخة تامة، وناسخها ليس واحدًا فقط بدأها ناسخ وكملها ناسخٌ آخرُ، اسمه محمد الركبي، وفرغ من نسخها في أوائل شهر رجب المرجّب «المعظم» الذي

---

(١) وبعضها بالرقعة والنسخ.

هو من شهور سنة ١٠١٧هـ وخطها نسخي جميل مشكول، وقد كتب الناسخ بالهامش بعض النقول من فتوح ابن عربي، والكبريت الأحمر، وتفسير علي القاري بخط فارسي دقيق في جميع الكتاب، وهي في (٢٨٠/ ق)، كل ورقة (٢٥/ س).

٥- النسخة الخامسة: من نفس المكتبة السابقة، لكن رمزها هنا هو (ن)، وهي تامة في (٣٢٢/ ق)، وناسخها واحدٌ، وقد فرغ منها في أواسط ربيع الأول سنة١٠٠٦هـ وبها نظام التعقيبة، وفي كل صفحة منها (٢٥/ س) وخطها نسخي واضح، كتبت الآيات فيها بالحمرة، والعناوين بالأزرق، وبها التعقيبة.

والله أسأل أن ينفع به وأن يثقل به ميزاننا، وأن يثيب ناشره الجنة والفردوس الأعلى - آمين.

✍ الأستاذ الشريف

أبي الحسن

عبد الله بن عبد العزيز بن أمين الشبراوي

عفا الله عنه آمين

❁ ❁ ❁

وصف نسخ المخطوطات



الورقة الأولى من النسخة (ح)

الورقة الثانية من نسخة (ع)

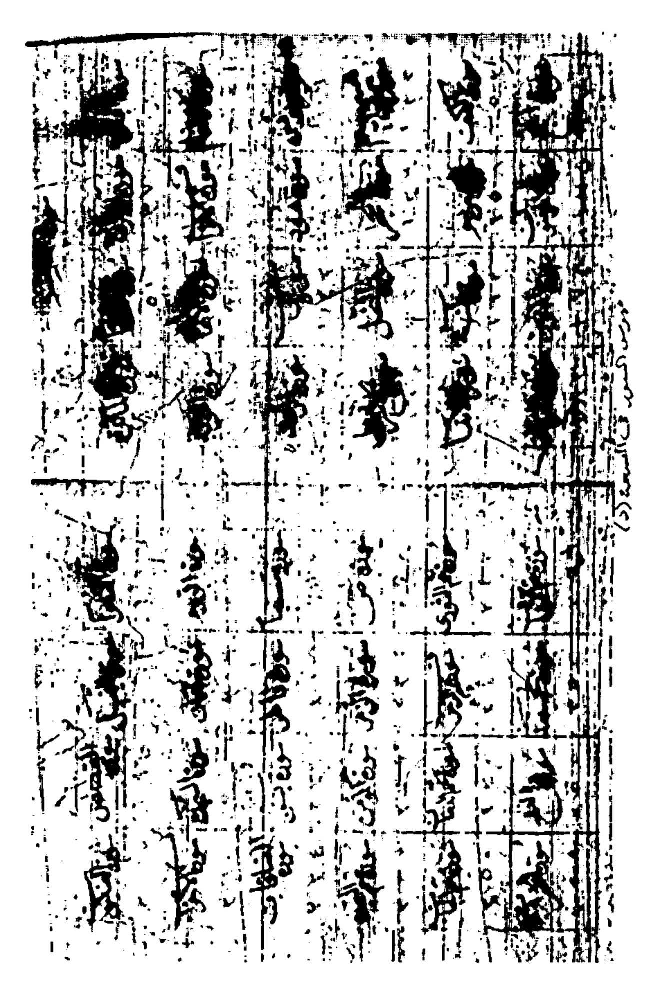
الورقة الثانية من النسخة (ح)

الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ط)

الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ح)

الورقة الأخيرة من النسخة (ح)

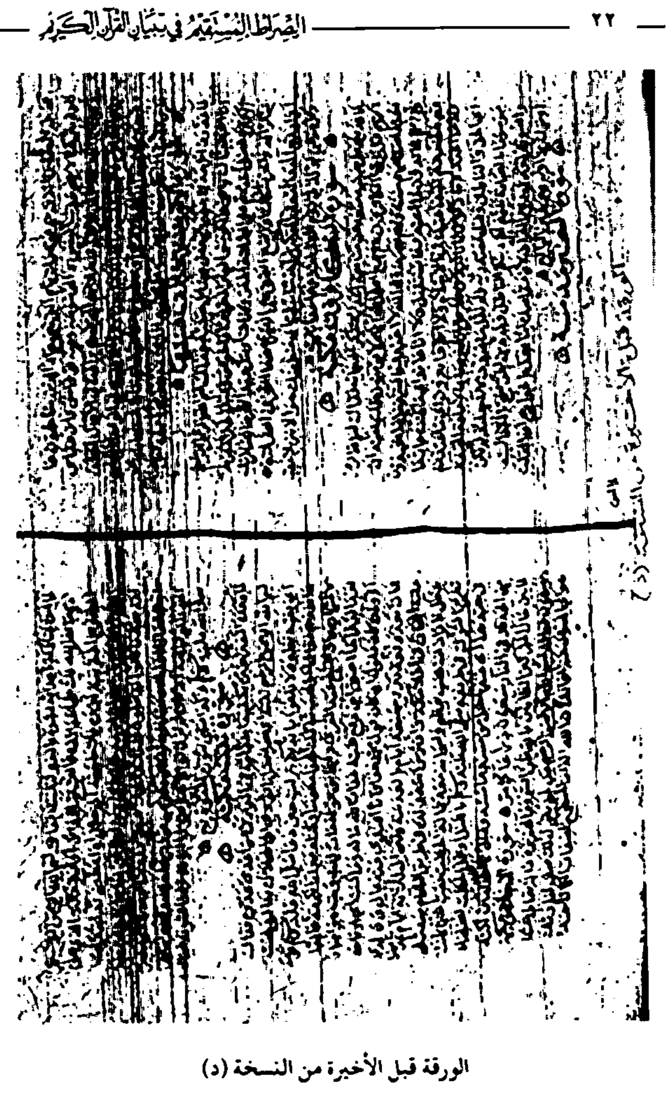
صفحة المخطوط الأولى من النسخة (د)



فهرس السور من النسخة (د)

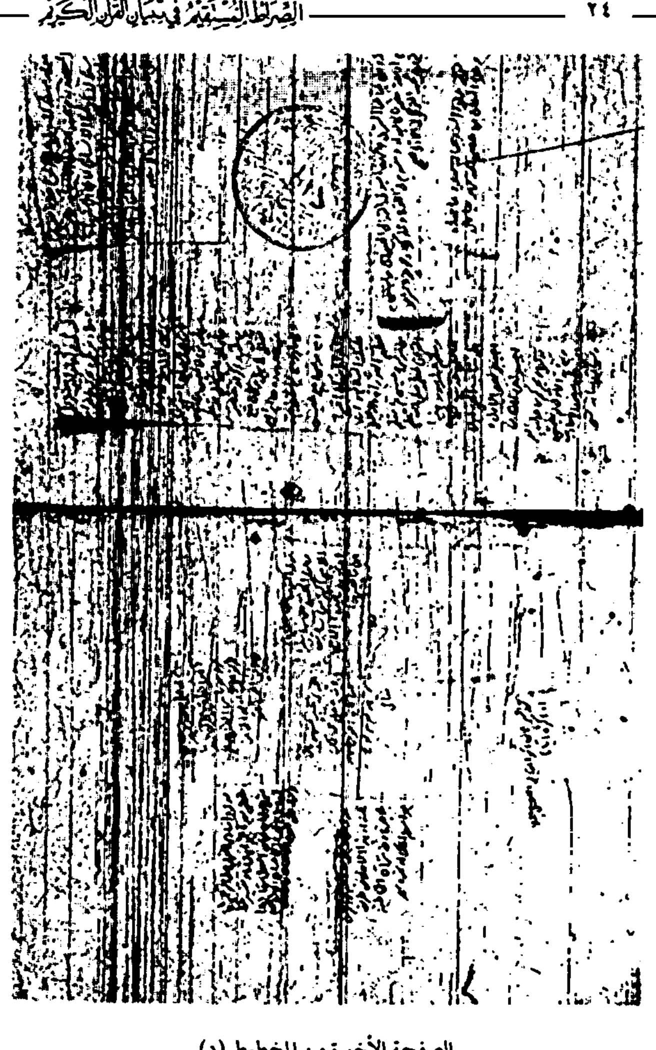
صفحة العنوان من النسخة (د)

الورقة الأولى من النسخة (د)



الورقة قبل الأخيرة من النسخة (د)

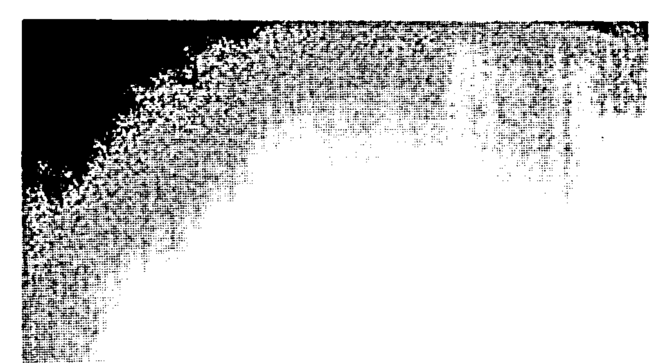
الورقة الأخيرة من النسخة (د)



الصفحة الأخيرة من المخطوط (د)



الصفحة الأولى من المخطوط (س)



1430

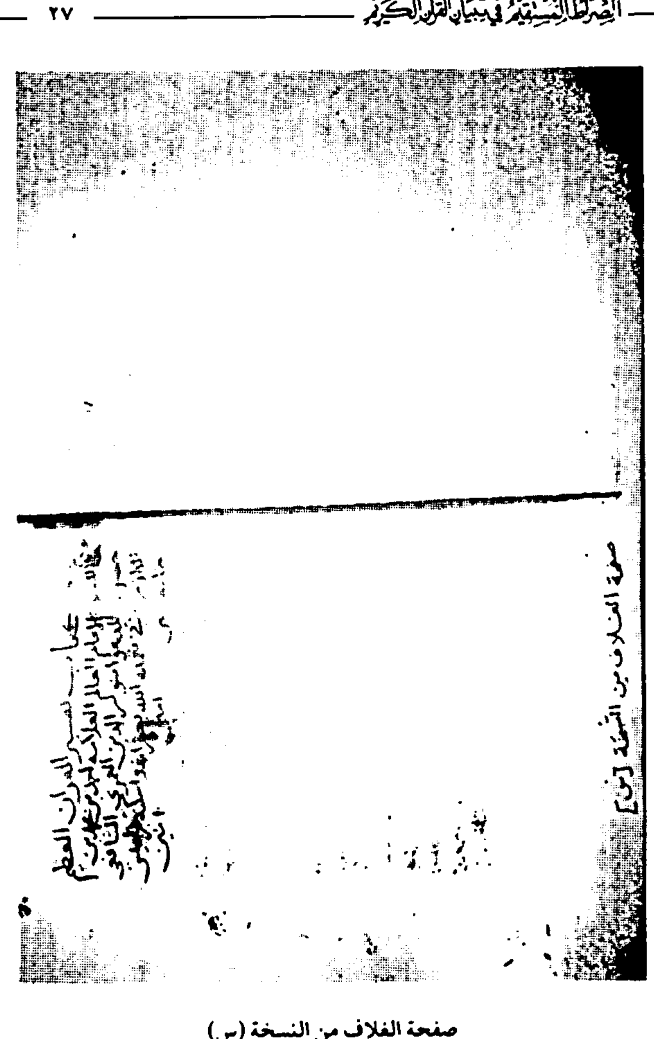
Exemplaire complet de la glose ... Ahmad **b. Muhammad** b. Ḫiḍr al-'Umari ... sur le commentaire du Coran d'al-Baiḍawi ... 1303 et **1342. Le** texte commenté est à l'encre rouge. Copie datée **de 989/1581.**

CASIRI 1425; DERENBOURG 1430

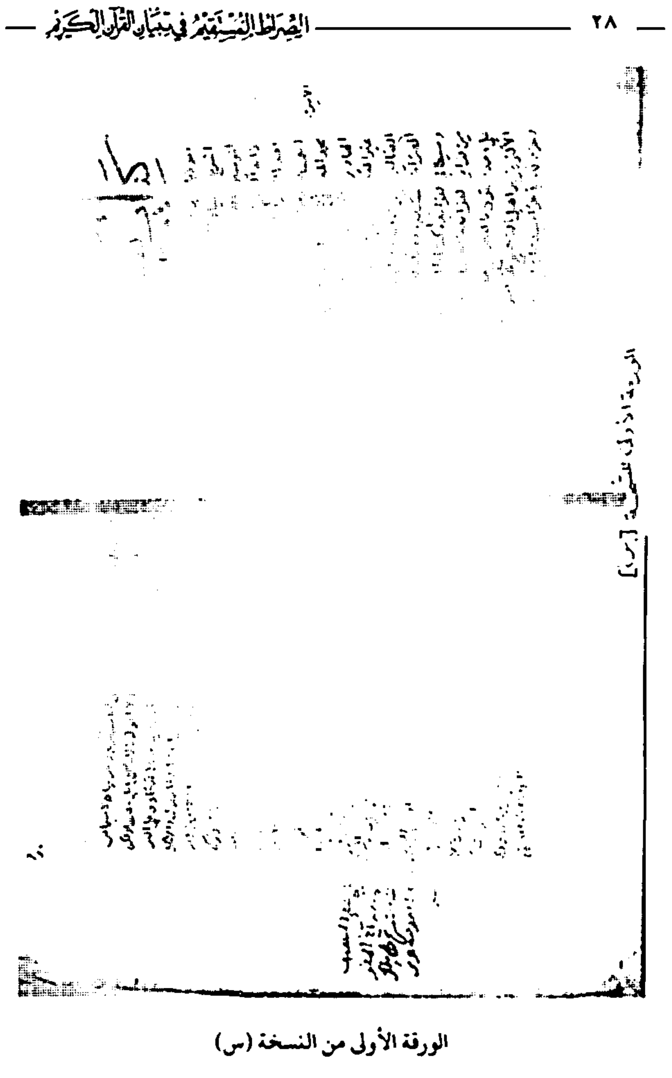
226 folios



الصفحة الثانية من المخطوط (س)



صفحة الغلاف من النسخة (س)



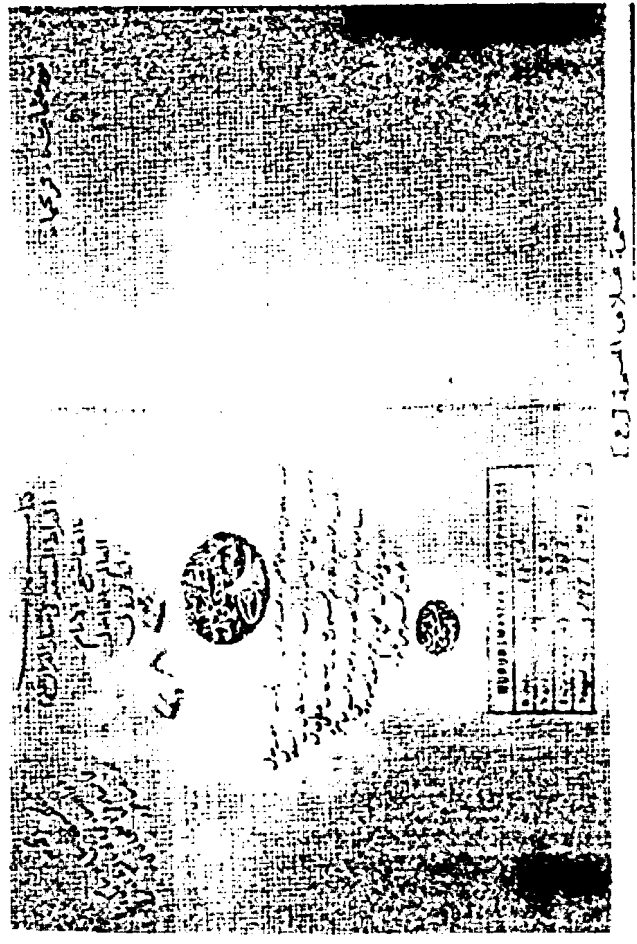
الورقة الأولى من النسخة (س)

الورقة الثانية من النسخة (س)

الورقة قبل الأخيرة من النسخة (س)

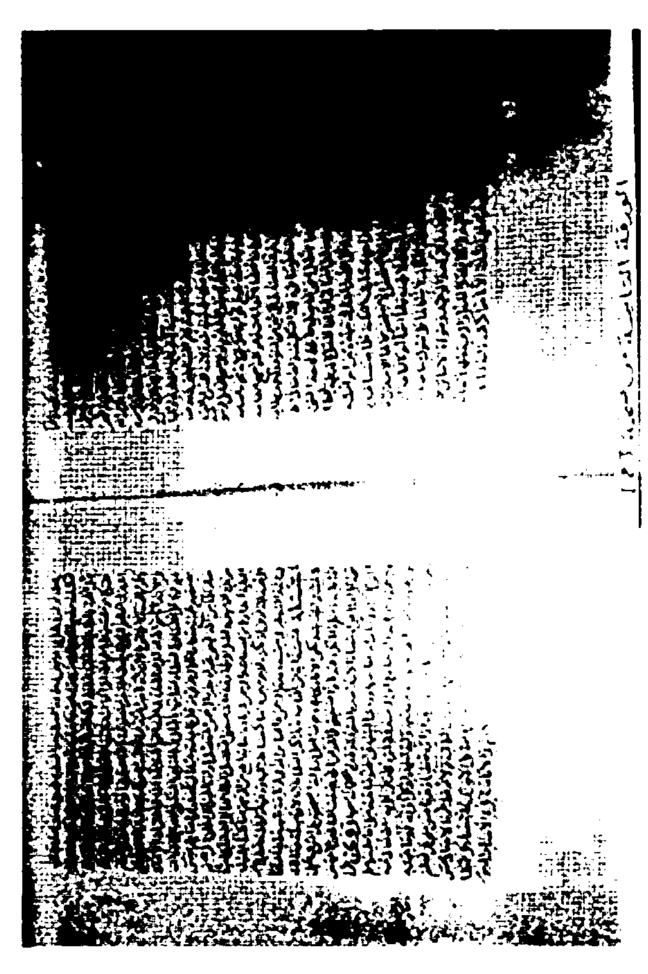
الورقة الأخيرة من النسخة (س)

الورقة الأولى من المخطوط (ع)

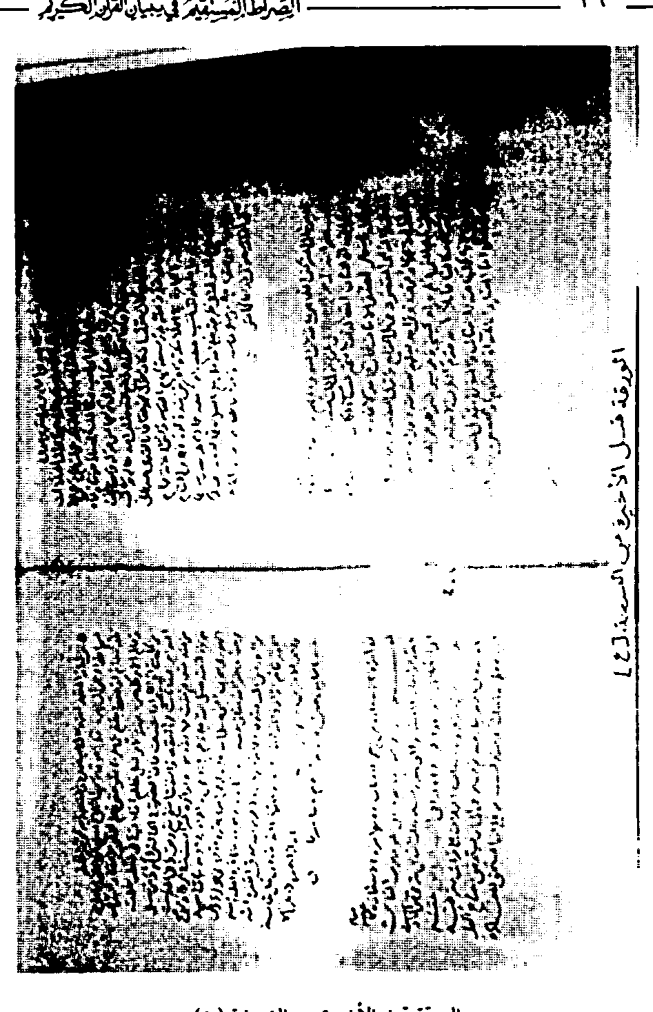


صفحة غلاف النسخة (ع)

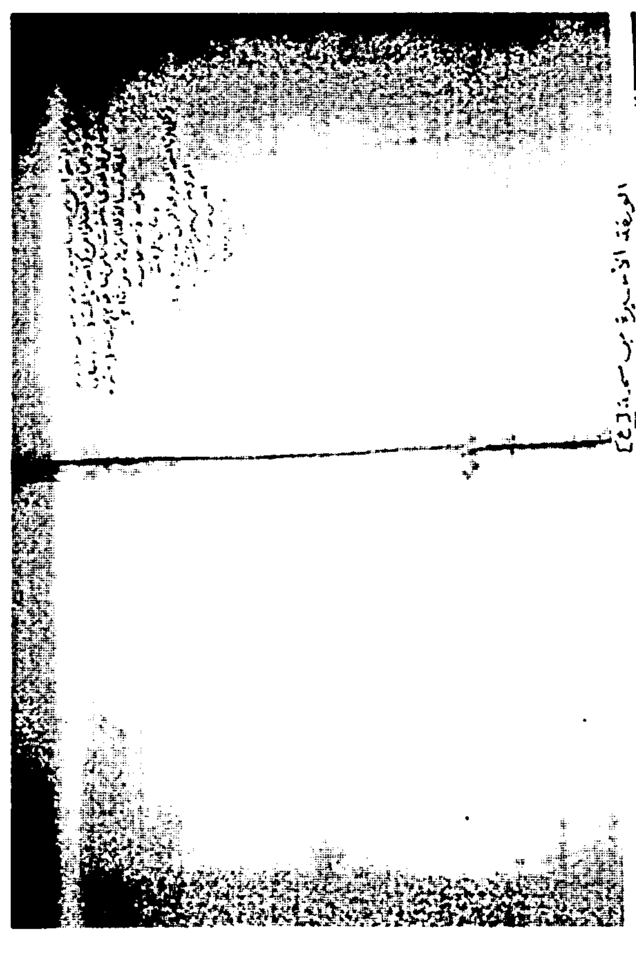
الورقة الأولى من النسخة (ع)



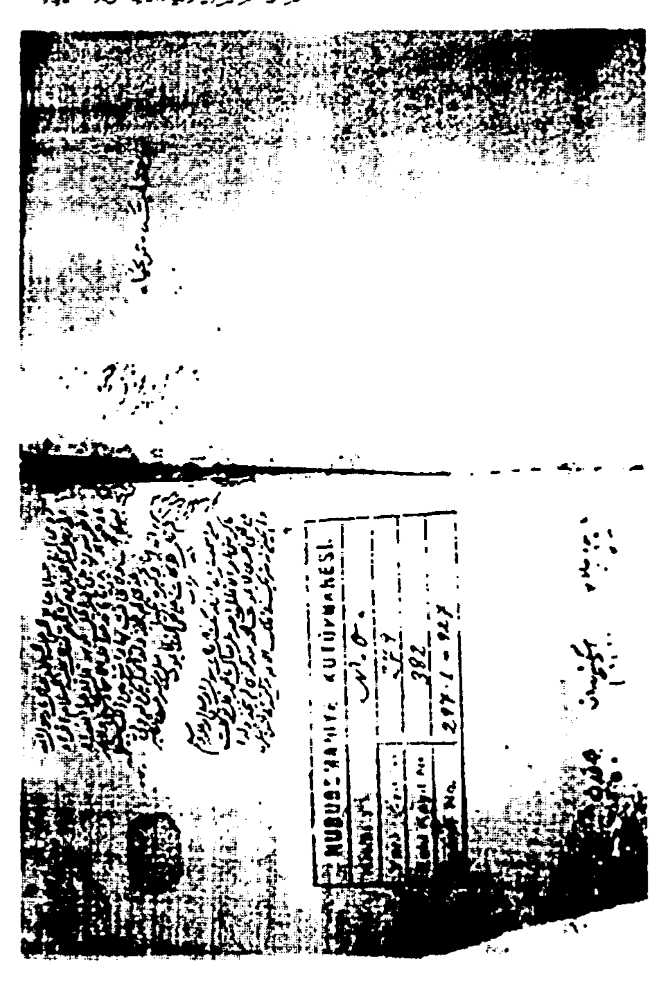
الورقة الثانية من النسخة (ع)



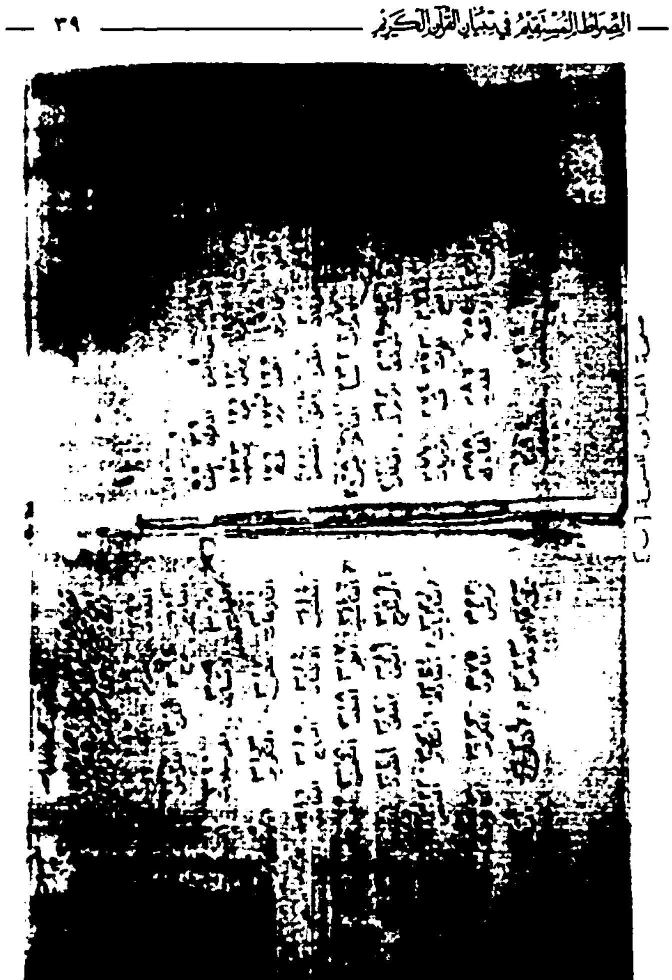
الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ع)



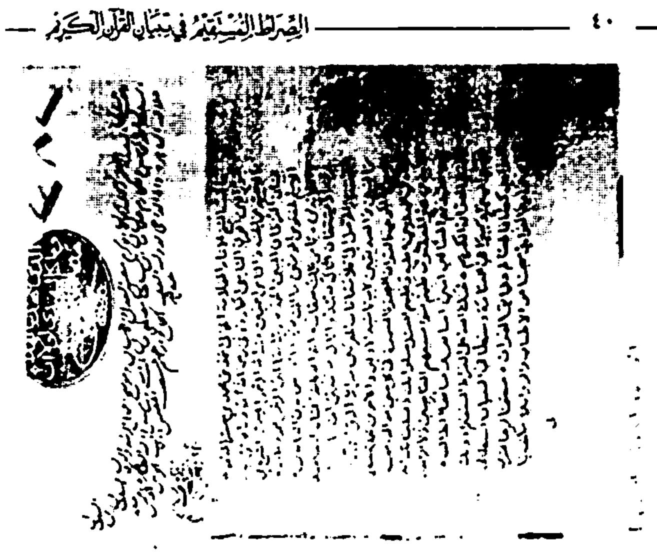
الورقة الأخيرة من النسخة (ع)



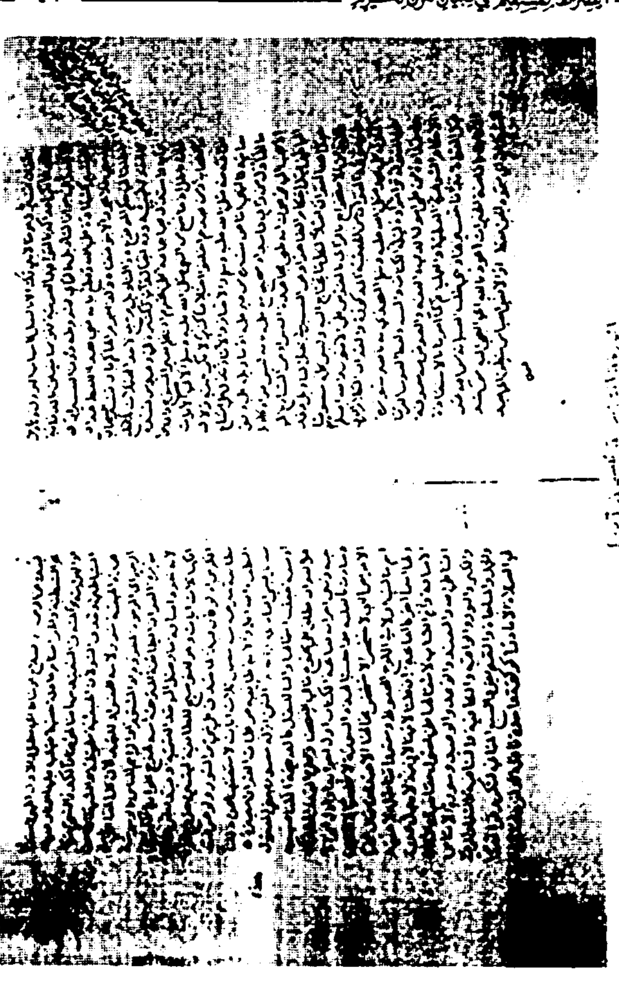
الصفحة الأولى من المخطوط النسخة (ن)



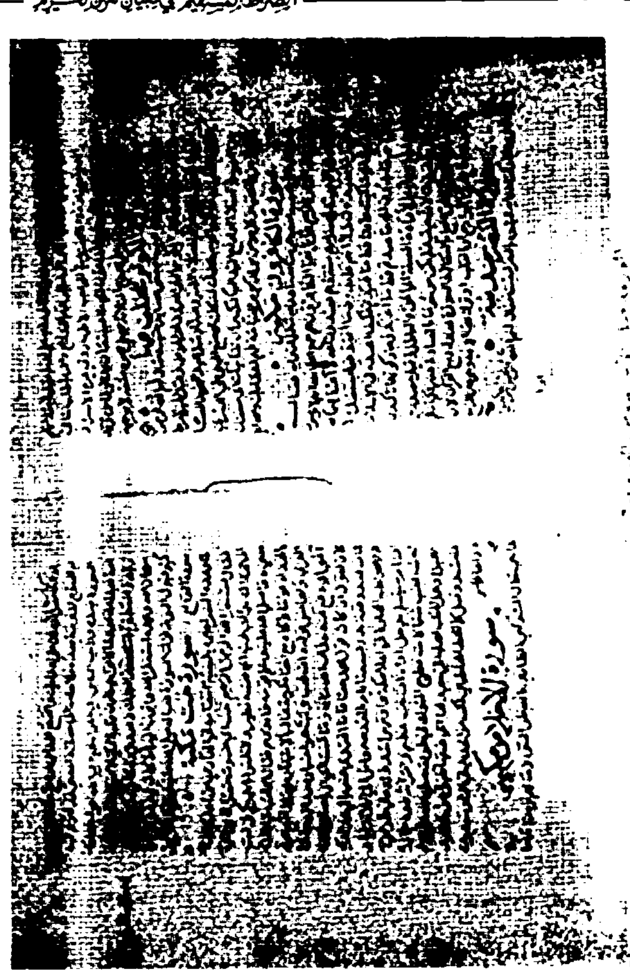
صفحة غلاف النسخة (ن)



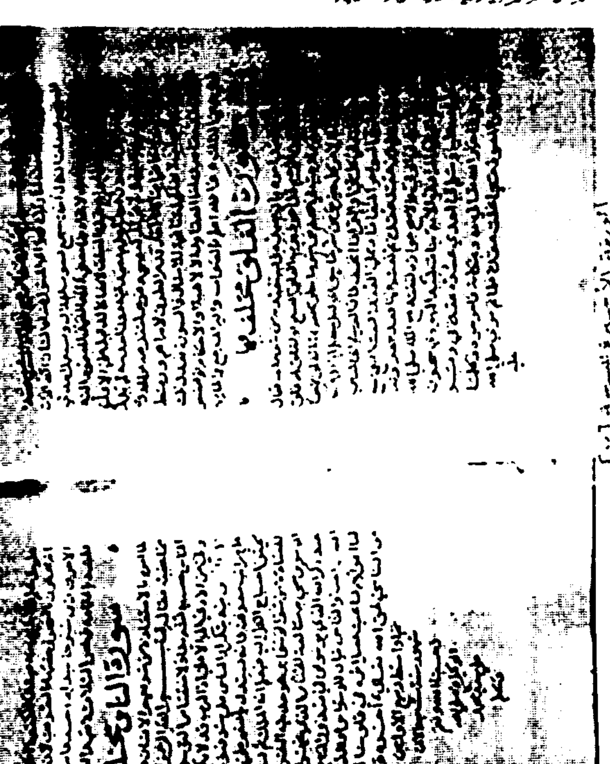
الورقة الأولى من النسخة (ن)



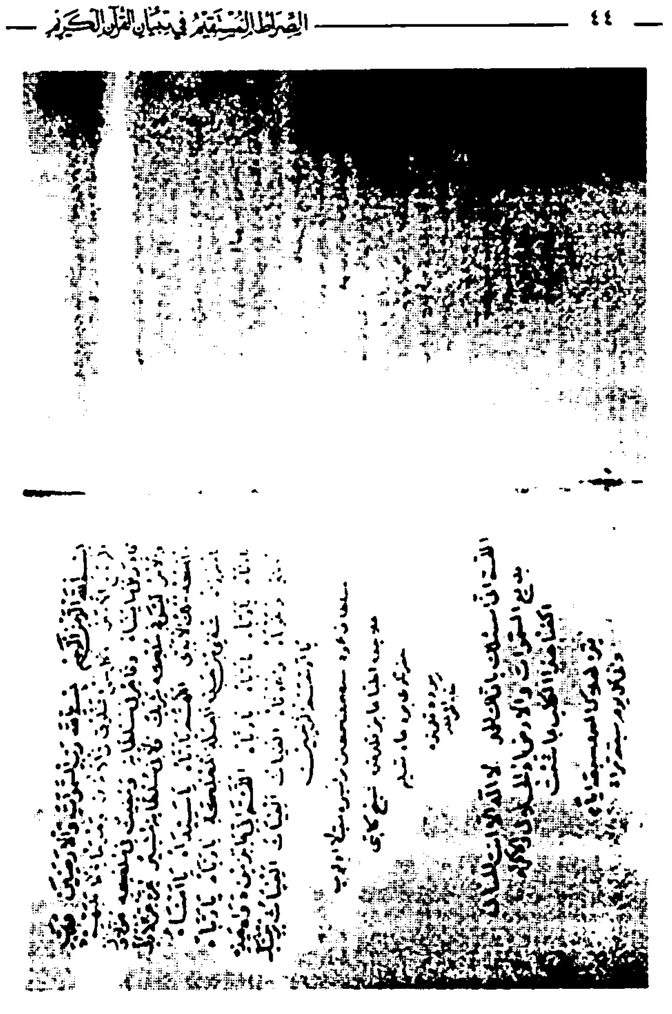
الورقة الثانية من النسخة (ن)



الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ن)



الورقة الأخيرة من النسخة (ن)



الصفحة الأخيرة من المخطوط النسخة (ن)

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي [(١)]

قال المولى الإمام أحمد العُمريُّ الشافعي الكازرونـيُّ [(٢)] - تغمده الله برحمته - آمين [(٣)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من الجنة والناس أجمعين



أشرع [(٤)] في تبيان [(٥)] الفرقان [(٦)] المبين:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ﴾ لعموم خلقه ﴿الرَّحِيمِ﴾ لخصوص [(٧)] المؤمنين [(٨)] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ حين يدين العابدين والمعاندين.

يا من تلك صفات ذاته العظيم الشأن [(٩)]، كَيْفَ يُعبد غيرك أو يستعان ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الموصل إلى أعلى [(١٠)] مقامات المقربين

---

(١) كذا في نسخة (د) وهي ليست في (ح).

(٢) وفي (ن): قال الشيخ الإمام العلّامة المولى أحمد بن محمد بن خضر المدعُو بـ«نور الدين» العمريّ الشافعي الكازروني- رحمه الله-.

(٣) كذا في (د) وهي ليست في (ح).

(٤) أشرع: أبدأ، والشروع في الشيء - البدء به والمشي فيه.

(٥) تبيان: تفسير وتوضيح.

(٦) في (د) القرآن.

(٧) في (د) بخصوص.

(٨) بنى المصنف- رحمه الله- هذا على أصل أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٩) في (د): الشأن العظيم.

(١٠) في (ن): أعْلَا.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ من النبيين والصديقين(١) لا سيما سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى الأمين، المؤيد بالقرآن المعجزة المستمرة في كل حين، وآله وصحبه الهادين المهديين، عليه وعليهم أفضل صلواتك وتسليماتك أبد الآبدين ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بسوء صنيعهم العاصين ﴿وَلَا﴾ الزائغين بسوء عقيدتهم ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ (٢) آمين.

أما بعد:

فيا أيها الطالب لتفسير القرآن الكريم، ثبتك الله على الصراط المستقيم دونك(٣) تفسيرًا يسيرًا وجيزًا في العبارة وسيطًا، في التبيان بسيطًا(٤) في الفوائد كَشَّافًا لمعالم دقائق القرآن، متضمنًا لزِهاء(٥) عشرين ألفًا من فرائد الفوائد، متجنبًا عن الإطناب(٦) والزوائد، مكتفيًا في الغالب على وجه مقترن [١/ ظ] بالتصحيح، معتمدًا على حديث حسن أو صحيح (٧)، أو على كلام الأكثرين من أهل الترجيح، هذا مع فوائد زوائد، كخفايا وجوه ربط الآي(٨)، ونحو ذلك في حواشيه مما يرفع عن خُبِيَّةِ غواشيه، مسمىً بـ«الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم» وسماه بعض الأبرار بـ «طوالع الأنوار»،

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء/ ٦٩).

(٢) الصواب أن المراد بـ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾. اليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النصارى.

(٣) «دونك» اسم فعل أمر بمعنى «خذ» والكاف فيه عند البعض كالكاف في ذلك.وهي في الأصل من الظروف، وقد جعل هنا اسمًا للفعل؛ لأن الظروف تنوب مناب أفعال وتغني غناءها، فجعلت من أسمائها. قراضة الذهب ص١٤٣.

(٤) بسيطًا - يعني: مبسوطًا، فعيل بمعنى مفعول - يعنى أن فوائده كثيرة على وجازة ألفاظه.

(٥) قرابة.

(٦) الإطناب: التطويل.

(٧) كذا قال - رحمه الله - وفيه أيضًا ما دون ذلك كما سأبينه في موضعه بإذن الله - تعالى.

(٨) يعني وجوه المناسبة بين الآيات والسور، وهو فن جليل من علوم القرآن، ألف فيه الإمام البقاعي كتابًا كاملًا متضمنًا لتفسير القرآن الكريم سماه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» طبع في عشرين مجلدة - وللسيوطي كتاب صغير في ذلك - مطبوع.

ولعمري إنه لعجالة[١] نافعة، وعلالة رائعة[٢]، تروي غليل[٣] طالبي التفسير بأوجز بيان، لا سيما[٤] لمن يُرِيْدُ تلاوة القرآن، متأملًا في المعاني ولا أقول ذلك تبُجحًا[٥]، بل تَنصُّحًا ولكن السهو والنسيان من لوازم الإنسان[٦]، فإن رأيت خللًا[٧] فتعاون على البر وسُدّه[٨]، بل في عداد كتب القوم لا تعده إذ فرق بين القائل والمتَقَوّل[٩]، والأكحَل والمتكَحّلْ، ولولا توالي الإلهام في بيت الله الحرام بالتصدي لهذا المقام، لَمَا كَانَ لي إليه إقْدَام؛ لِقِلّة البضاعَه، وقصور الباع في تلك الصناعه، وترك المطالعة للاشتغال بضروريات الطاعه.

وأنا العبد المفتقر نزيل بلد الله الأمين أحمد بن محمد بن خضر المدعو بـ «نور الدين العمري الشافعي الكازروني، أغرقه الله - تعالى - في تيار[١٠] بحار عطائه، وَمَنْ أَمَّنَ بدُعَائِه متقرب به إلى مالك الملك والملكوت متضرع إليه بالرغبوت[١١]

---

(١) العجالة: المختصر.

(٢) العلالة- بضم العين المهملة-: الشربة من الماء.

(٣) الغليل: العطش.

(٤) «لا سيما» كلمة «لا» لنفي الجنس، و«السيء»: المثل أصله سوى و«السيو» بكسر السين وسكون الواو أو الياء فجعلت الواو ياء، لسبق أحدهما ساكنة ثم أدغمت فصارت «سيء» وهي مبنية على الفتح منصوبة المحل على أنها اسم «لا» عند الجمهور، وما يجوز أن تكون زائدة. * قراضة الذهب ص٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) تبجحًا: فخرًا.

(٦) كما قيل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه *** ولا القلب إلا أنه يتقلب

(٧) الخلل: العيب.

(٨) كما قيل:

إن تجد عيبًا فسد الخللا *** جل من لا عيب فيه وعلا

(٩) في (د): القائل والمتَقول.

(١٠) التيار: الموج، وقيل: شدة الجريان، وهو فيعال أصله: تيوار فاجتمعت الواو والياء فأدغم بعد القلب، وبعضهم يجعله من «تير» فهو فعال. * المصباح المنير (١/ ٩٧/ نور).

(١١) شدة الرغبة.

والرهبوت[1]، سائلًا منه أن ينفعني به والطالبين، وصَلّى الله وسَلّم على محمد وآله وصحبه والتابعين.

❁❁❁

(١) شدة الرهبة.

[ولْنَبْدَأْ الكتاب بمقدمة ينتفع بها الطلاب][1]

۞ مقدمة ۞

يَنْبغي للشَّارِع في كل علم قبل الشروع فيه معرفة ماهيته وموضوعه ليكون على بصيرة، والغرض منه؛ لَئلاَّ يُعْدَّ سَعْيُهُ عَبَثًا[2]، ودليله واستمداده؛ ليعينه على تحصيله - فنقول:

أَصْلُ التفسير: الكَشْفُ والإبانة[3]، وأصل التأويل: الرجوع والكشف[4] وعلم التفسير: علم يُبْحَثُ فيه عن أحوال القرآن المجيد، مِنْ حَيْثُ دَلَالتهُ على مراده بحسب الطاقة البشرية، ثم[5] هو قسمان:

* تفسير - وهو ما لا يُدْرَكُ إلَّا بالنَّقْلِ، كأسباب النزول.
* وتأويل - وهو ما يمكن إدراكه بالقواعد العربية فهو[6] ممَّا يتعلق بالدراية.

والسر في جواز التأويل بالرأي بشروطه دون التفسير: أنّ التفسيرَ كشَهَادَةٍ على الله وقَطْعٌ بأنه عنى بهذا اللفظ هذا المعنى، فلا يجوز إلا بتوقيف، ولذا جزم الحاكم[7] بأن تفسير الصحابي مطلقًا في حكم المرفوع[8]، والتأويلُ: تَرْجِيْح لأَحَد المُحْتملات بِلَا قطع فاغتفر.

---

(١) كذا في (ن)، وفي (د): وقدَّمْتُ الكتاب... إلخ.

(٢) في (د) عنتا.

(٣) واشتقاقه من «الفسر» بفتح الفاء وسكون السين المهملة، وهو إظهار المعنى المعقول.
* الكليات (٣/ ٣٣)، التوقيف (٥٥٧).

(٤) التأويل: رد الشيء إلى الغاية.

(٥) كذا في (د)، و(ن).

(٦) في (د): مما.

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك المتوفى سنة ٤٠٥هـ.

(٨) معرفة علوم الحديث - للحاكم (١٤٩) - ذكر النوع الخامس.
- قلت: وهذا ليس على إطلاقه، وقد غَلَّطَ المحدِّثون أبا عبد الله الحاكم في ذلك.
* وانظر: فتح المغيث (١/ ١٤٣)، تدريب الراوي (١/ ١٩٣).

*** تنبيه:**

وردت(١) أخبارٌ كثيرة في وعيد من فسره برأيه، واسْتَدلَّ بِهَا جَماعَةٌ على تحريم التكلُّم بغير المسموع، وإطلاقُ ذلك(٢) باطل؛ إذْ مَا سُمِعَ من النبيّ - ﷺ - إلا في بعض الآيات، والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافًا كثيرًا لا يمكن جمعه ولا سماعه منه(٣) - ﷺ - والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه، فالنهي إما عن تفسيره من غير علم(٤) أو تأويله على وَفْق ما للمؤول من رأي فاسد(٥) أو صحيح مع علمه بأنه ليس بمراد كتأويل: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] بمجاهدة النفس(٦)، أو عن التسارع إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، أو عن التفسير في محَلِّ التأويل(٧)، وقد جعل الله القرآن أصلًا لكل ما يُحْتاجُ إليه، ولَيْسَ كله منصوصًا فلابد من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول والله - تعالى - أعلم.

---

(١) في (ن)، ،(د): ورد أخبار وآثار.

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) بل هذا ممكن ولذا قسم العلماء التفسير إلى تفسير بالمأثور وبالرأى.... إلخ.

(٤) وهو الراجح. وفي (ن): علمه.

(٥) وردت أحاديث عن النبي - ﷺ - في ذلك، ومنها:

* «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي (٥/ ٢٩٥٠)، وأحمد (١/ ٢٣٣)، والنسائي (٥/ ٨٠٨٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢٣٩٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١١٧). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٧)، والمشكاة (٢٣٤).

* و«من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». رواه أبو داود (٣/ ٣٦٥٢)، والترمذي (٥/ ٢٩٥٢)، والنسائي (٥/ ٨٠٨٦)، والبغوي (١/ ١٢٠). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٦)، والمشكاة (٢٣٥).

قلت: لكن يدخل التحريم في عموم آية: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

قال الصديق - ﷺ -: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي».

أخرجه الطبري (١/ ٧٨)، وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٦٤) إلى غير ذلك من الآثار والأخبار.

(٦) وهذا من التفاسير المنحرفة للقرآن الكريم.

(٧) التفسير في العرف: كشف معاني القرآن وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن أعم، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية.

وأما التأويل: فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه؛ ليكون ذلك موافقًا للأصول.

التيسير في قواعد علم التفسير - للكافيجي (١٢٤، ١٢٥)، البرهان (٢/ ١٤٩)، الإتقان (٤/ ١٦٨).

❁ موضوعُ علم التّفسِيْر ❁

ومَوضوعه: القرآنُ مِنَ الحَيْثِيَّةِ[١] المَذْكُورَةِ، والقرآن[٢]: الكَلَامُ العَرَبيُّ المنزل على محمد - ﷺ - المُتحَدَّى به بأقصر سورة منه، المنقول تواترًا[٣].

❁ ودليله: الكتاب والسنة، ولفظ العرب العرباء.

❁ واستمداده: من علمي أصول الدين والفقه.

❁ والغرض منه: معرفة الأحكام الشرعية العلمية والعملية.

ثم لما أمرنا بالاستعاذة قبل القراءة بدأنا بتفسيرها، وهي طلب الصيانة من الله عن الآفات بإفاضة الخيرات: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ أي: ألتجئ إليه ﴿مِنَ﴾ شر ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: متمرد الجن فقط، أو الإنس أيضًا، مِنْ شَطَنَ، أي: بَعُدَ؛ لبعده عن الرحمة أو الصَّلَاح، أو شاط[٤] أي: بطل، والأول أظهر؛ لاستعمال نحو الشيطنة.

والجنُّ: أجْسَامٌ عاقلة خفية، تغلب[٥] عليها النارية أو الهوائية، وهي إما مشرقة سعيدة، وهم صالحوهم، أو كدرة شقية[٦] وهم الشياطين[٧] وحذف الشر؛ لأن الحيثية ملحوظة، والشيطان من هذه الحيثية شر، ولامه للجنس أو للعهد؛ لأنَّ كُلَّ المَعَاصي بأمره.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ أي: المرجوم المطرود، أو المشتوم[٨]، أو الراجم للناس بالوسوسة[٩].

---

(١) قال الكافيجي: وإنما قيده بهذه الحيثية؛ ليكون ممتازًا عن موضوع العلم الآخر، فإن الكتاب داخل - إن لم يقيد بها - تحت موضوع علم الأصول من حيث إنه يستفاد منه الأحكام إجمالًا.
❁ التيسير (١٥٧، ١٥٨).

(٢) القرآن لغة: وزنة «فعلان» كالرجحان والغفران، وهو في اللغة: الجمع، قال الجوهري: تقول: قرأت الشئ قرآنًا، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقال أبو عبيدة: سمى القرآن قرآنًا؛ لأنه يجمع السور ويضمها وكذا يشتمل على الشرائع والحكم وعلى العلوم الكثيرة، وعلى أنواع البلاغة، وعلى غير ذلك، وقيل: إنه مأخوذ من قرنت الشيء بالشيء. ❁ التيسير (١٦٠)، الإتقان (١/ ١٤٦).

(٣) التيسير (١٦١)، بصائر ذوي التميز (١/ ٨٤).

(٤) أي احترق.

(٥) في (د): يغلب.

(٦) في (ن): والمشرقُ السعيدُ منها: صالحوها. والكدرُ الشقيُّ منها: الشياطين.

(٧) في (د): المشرق: السعيد منها صالحوها، والمكدر: الشقي منها الشياطين.

(٨) في (د): المشئوم.

(٩) أو المرجوم حقيقة كما في مناسك الحج.



سورة فاتحة الكتاب

❁ تعريفُ السورة ❁

«سورة» سُوْرَةُ القُرْآن: الطائفة المترجمة منه [1]، فخرج نَحْو آية الكُرْسيّ؛ لأنه مجرد إضافة ما وصل إلى حَدِّ التَّسْمِيَة، وقيَّدَ بَعْض بأنّ السورة أقلها ثلاث آيات، وهو للتوضيح للطائفة ليبين خروج نحو آية الكرسي؛ إذْ لَوْ كان قَيْدًا؛ لَمَا صَدَقَ على شيء من السُّور، ولو عُرِّفَتْ بـ«طائفةٍ مترجمة منه تتضمن ثلاث آيات؛ لاستغنينا عن ذلك التكلف»- والله أعلم.

❁ تعريف الآية ❁

والآية: طائفة [٢ظ] من كلمات القرآن متميزة بفَصْل تُسَمَّى الفاصلة.

«فاتحة» فاتحة الشيء أَوَّلُهُ، مصدرٌ بمعنى المفعول، أو صِفَةٌ جُعلَتِ اسمًا لها، والتاء للنقل كالذبيحة.

«الكتاب» هو القرآن، يطلق على مجموع ما في المُصْحَف، وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزائه، ففاتحة الكتاب أول أجزائه أو أول أفراده، وصارت بالغلبة علمًا جنسيًّا لهذه السورة، لا شخصيًّا؛ لأنها من الأعراض التى لا تتشخَّصُ إلَّا بتشَخُّص محالها إلا عند من قال: هي اسم ما كُتِبَ أَوَّلًا في اللَّوْح. ومقرُوْءًا اتنا مثله، لا عينه.

❁ أسماءُ الفَاتِحةِ ❁

ولها أسْمَاءُ أُخَرُ، «كالفاتحة» إنْ قُلْنَا لَا مُهَا لازِمَة لا بدلٌ عن الإضافة، «وأُمُّ الكتاب» لاشتمالها على أصول مقاصده الثلاثة: الثَّنَاءُ على الله، والتَّعَبُّدُ، والوعدُ والوعيد، وسورة الأساس، والكنز، والنور، والوافية، والشافية، والواقية والكافية، والشفاء، والرقية، والحمد، والمناجاة، والتفويض والسبع المثاني؛ لتكرر قراءتها في

---

(١) السورة من القرآن القطعة المفتتحه بالبسملة المختمة بخاتمتها، سميت بذلك؛ لأنها محيطة إحاطة السور بالمدينة. وقيل: سميت بذلك؛ لرفعتها. والسورة: المنزلة الرفيعة.* عمدة الحفاظ (٢/ ٢٣٢).

الصلاة إلا نادرًا كركعة واحدة نافلة، أو لنزولها في الحَرَمَيْن، وسورة الصلوات، والصلاة لِحَدِيث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ»[١].

* وهي مكية أو مدنية. أو نزلت مرتين، أو نصفها بها ونصفها[٢] بها والأَصَحُّ أَنَّ المكية ما نزلت[٣] قبل الهجرة، والمدنية ما [نزلت][٤] بعدها: ولو بمكَّة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ﴾ الباء للاستعانة أو المصاحبة[٥]، ففحواه متبركًا أو مستعينًا، باسم الله أقرأ أو أبتدى، والأول[٦] من التقديرين أولى؛ إذ في التبرك تعظيم ليس في جعله آلة غير مقصودة بالذات، وفي ﴿ ٱقْرَأْ ﴾[٧]، رعاية لمقتضى المقام[٨] وعموم للجميع ولا يختص بالابتداء وتأخير التقدير للاختصاص وتقديم الباء والاسم لا يقدح في الابتداء باسم الله، إذ المراد ما صَدَقَ عَلَيْه اسم الله، والباء آلة وبهذا بان تَرْجِيْحُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على «بالله» مع قطع النظر عن الفرق بين اليمين والتيمن، وأَنَّ التَيَمُّنَ باسمه- تعالى- لا بذاته، ثم[٩] التبرك بالألفاظ إجراؤها على اللسان وَإِحْضَارُ معانيها بالبال وبالمعاني بالعكس.

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لعبدي ونصفها لي...» الحديث. رواه أحمد (٢/ ٢٤١، ٤٥٧، ٤٧٨)، ومسلم (٣٩٥) وأبو داود (٨٢١)، و النسائي (٢/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) قال قتادة: هي مكية، قال ابن حجر في الفتح (٨/ ١٥٩): وهو قول الجمهور، خلافًا لمجاهد قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد؛ لأن العلماء على خلاف قوله.

* وانظر: النكت والعيون- للماوردي (١/ ٤٥).

(٣) في (ن): نزل.

(٤) مني للتوضيح.

(٥) انظر: رسالة البسملة – للعلامة الخادمي – ص ٨، ٩.

(٦) في (ن): والأولان.

(٧) يعني في سورة العلق ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾.

(٨) يعني ولم يقل: باسم ربك اقرأ.

(٩) في (ن): والتبرك.

﴿ٱللَّهِ﴾ أي: الذات المُسْتَجْمع لجميع صفات الكمال، عربيٌّ مرتجل جامد[1]، وعند الزمخشري أنه اسم جنس صار عَلَمًا من أَلَهَ بمعنى: تَحَيَّر أو غيره[2].

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: المتفضل بإرادة الخير لكل الخلق.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: مُرِيْدُهُ للمؤمنين، وأصل الرحمة: رِقَّةُ قَلْبٍ تقتضي التَّفَضُّل، وإطلاقها على الله- تعالى- باعتبار الغاية كنظائرها من الصفات و«الرحمن»؛ لزيادة بنائه[3] أبلغ من الرحيم [٣و] إما كَمًّا بشُمُوْل الرحمة للدارين، أو بكثرة المرحومين، وإما كيفًا، بجلالتها ورقتها وإرادته- تعالى- الخَيْرَ لذَاتِهِ والشر لخير في ضمنه، وقَدَّمَ «الرَّحْمن» والقياس الترقي؛ لزيادة شبهه بالله اختصاصًا[4].

* **مسألة:** التسمية آيةٌ من الفاتحة[5] عند أكثر العلماء، خلافًا لأبي حنيفة[6] ومالك، كما ثبت في الحديث، ويكتفى بالأحادِي في وجوب العملي ورواية الصحيحين عن أنس- أنه- ﷺ - وأبا[7] بكر وعمر كانوا يستفتحون القرآن بالحمد لله رب العالمين[8] لا تنهَضُ حُجَّةً على الشافعي، إذ معناه الابتداء بهذه السورة وهذه الكلمات اسمها، وروي عن أنس ثلاث روايات أُخَر تعارضها[9].

وروى البيهقي[10] الجهر بها عنه- ﷺ- وعن عُمَرَ وابن عمر وابن عباس وابن

---

(١) وقيل: هو مشتق. وانظر: رسالة البسملة للخادمي (١٧) ومقدمات مصنفات العصور المتأخرة.

(٢) الكشاف (١/ ٦) قال: وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: أله، إذا تحير، ومن أخواته: دله وعله، ينظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن.

(٣) لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٤) لأنه لا يطلق إلا على الله – تعالى.

(٥) انظر في هذه المسألة: الإنصاف – لابن عبد البر (٥)، ومسألة التسمية – لابن طاهر المقدسي (٣)، والبسملة لأبي شامة المقدسي (١٨) ومختصره للذهبي (١١).

(٦) في (د): للحنفية.

(٧) كذا، وهو جائز.

(٨) رواه البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٥٢/ ٣٩٩).

(٩) الصحيح الإسرار بالبسملة في افتتاح قراءة الفاتحة والجهر بها منسوخ – والله أعلم.

(١٠) سنن البيهقي (٢/ ٤٢) و (٢/ ٤٩). وانظر خلافيات البيهقي – لابن فرح (٢/ ٥٣).

الزبير، وتواتر ذلك عن علي - رضي الله عنه - طول عمره، وأيضًا رواية الجهر ثبوتية فيُقَدَّم[١] رواية. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: أي: كُلّ أفراده أو ماهيته وحقيقته، وهُوَ[٢] لغة: الوَصْفُ عَلَى الجميل الاختياري هو أو أثره تعظيمًا[٣].

وعرفًا: فعل يُنْبِئُ[٤] عن تعظيم المنعم؛ لإنعامه، [وأما الحمد العرفي والشكر العرفي[٥]: صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما أعطاه لأجله كما فَصَّلَهُ الشارع[٦]][٧].

واصطلاحًا: إظهارُ الصِّفَات الكمالية قولًا أو فعلًا أو حالًا، [منه: حمده- تعالى - ذاته بإيجاد كل موجود][٨].

﴿لِلَّهِ﴾ أي: مختصٌ[٩] به، أَمَّا عَلَى الأول؛ فلأنه لا اختيار لغيره- تعالى- وأَمّا على الأخيرين فلاستناد كل الممكنات إليه- تعالى- ابتداء، إذ المذامّ[١٠] لا ترجع إليه، إذ لا ذمّ في الإفاضة بل في الاتصاف بالمذموم، على أنه إنما خلقه لخير في ضمنه كَمَا مَرّ.

﴿رَبِّ﴾ [أصله[١١] بمعنى التربية و][١٢] هو لغة: تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا أطلق عليه- تعالى- للمبالغة.

---

(١) يعني العمل بها.

(٢) أي: الحمد.

(٣) المفردات (١٨٦)، والكليات (٢/ ١٩٨)، والتوقيف (٢٩٥) والتعريفات (٩٨) وتعريفات ابن الكمال (٨٣).

(٤) يشعر.

(٥) الكليات (٣/ ٧٤)، التوقيف (٤٣٥).

(٦) وأما الشكر اللغوي فهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان. * التوقيف (٤٣٥).

(٧) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د).

(٨) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن).

(٩) فاللام أفادت الاختصاص.

(١٠) جمع: مذمة.

(١١) ولا يقال مطلقًا إلا للباري – تعالى -.

(١٢) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د). * عمدة الحفاظ (٢/ ٦٠/ ريب).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالم(١)، وَهُوَ كُلُّ ما يعلم به الصانع، وهو كل ما سواه، وأفادَ بجَمْعِهِ شُمُوْله لكل جنس تحتَهُ، وباللام استغراقه لكُلِّ جنس، وأفراده، أو المراد الإنسان؛ لأنه عالم أصغر(٢) بل أعظَمُ فإنه مختصر الحَضْرة الإلهية وجودًا وحياةً وعلمًا وقدرةً وإرادةً وسمعًا وبصرًا وكلامًا، ومُخْتصر العالم فإنه في الطبائع كالعناصر وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتوهم والتخيل والتلذذ والتألم كالحيوان، وبالجرأة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع الحكم فيه كاللَّوح وبثبوت صور الأشياء في القلوب بكلياته كالقلم الأعلى ولهذَا سوَّى بَيْنهُمَا في آيةِ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وإنما جمع العقلاء تغليبًا لهم [٣ظ] أو لأنهم المقصودون وترتب الحمد عليه ظاهر وَلَو على إيجاد الشر؛ لتَضَمُّنِهِ الخير كَمَا مَرَّ(٣).

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تَأْكِيْد لاستحقاقه الحمد، أو الأول لتسكين هيبة اسم الله، والثاني لترجية بالمخوفين بيوم الدين، هذا إذا وجبت التسمية كما مر.

﴿مَٰلِكِ﴾ من المِلْك- بالكسر(٤)- المتصرف في الأعيان المملوكة و«مَلِك» من المُلْك- بالضم(٥): المتصرف بالأمر والنهي في كل المأمورين، والثَّاني المختار(٦)؛ لتُوافق الفاتحة الخاتمة وللزوم التكرار بـ«مالك» لأن الرب بمعناه، ولأنه أعم حياطة

---

(١) بفتح اللام وهو لغة: ما يعلم به الشيء. وعرفًا: كل ما سوى الله من الموجودات.
* التعريفات (١٤٩)، التوقيف (٤٩٦).

(٢) يشير إلى قول المتكلمين: العالم عالمان: كبير، وهو الفلك وما حواه من جوهر وعرض، وصغير وهو الإنسان؛ لأنه مخلوق على هيئة العالم، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير. * التوقيف (٤٩٦).

(٣) سبق بيانه.

(٤) الملك - بكسر الميم - في اصطلاح المتكلمين: حالة تعرض للشيء بسبب ما يحيط به وينتقل بانتقاله كالتعميم والتقميص، فإن كلا منهما حالة لشئ بسبب إحاطة العمامة برأسه والقميص ببدنه وفي اصطلاح الفقهاء: اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقًا لتصرفه وعاجزًا عن تصرف غيره فيه. * التوقيف (٦٧٤، ٦٧٥).

(٥) الملك- بالضم-: التصرف بالأمر والنهي في الأمور، وذلك يختص بسياسة الناطقين. * التوقيف (٦٧٥).

(٦) يعني: بضم الميم.

وأقدر، لا لأنه قراءة أهل الحرمين[1] وهم أعرف بلغتهم؛ لأن السبعة كلها متواترة وهم ما قرؤا إلَّا مَا سَمِعُوا.

إلَّا أنْ يُقَال: كل الروايات وصلت إليهم وهم ما اختاروا للرواية إلا ما كان أفصح[2]- والله أعلم.

﴿يَوْمِ﴾ أي: وَقْت.

﴿الدِّينِ﴾ أي: الجزاء، أي: هو مالكه مستمرًا، ولا يرد عدم استمرار يوم الدين؛ لأنه مالك الأشياء أَزَلًا وأبدًا، ولا يتغير بوجودها إلَّا تعلق ملكه. والإضافة لتعظيم المضاف إليه أو المضاف، وَلظُهُوْر تفرده بنفوذ الأمر فيه، وآثر الأسماء الخمسة[*]؛ لأن العبادة تقتضي الإلهيّة[3] والاستعانة للربوبية، والاستهداء للرحمانية، والاستغاثة للرحيمية والإنعام للمالكية عند الاستعانة كالغضب عند الإخلال بها، ثُمَّ لمَّا تَميَّز عنده بهذه الصفات فكأنه صار مُشَاهدًا، وقال: يَا مَنْ هَذِه صفاته:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نَخُصُّكَ بالعبادة أي: أقصى غاية التذلل تعظيمًا وبوسيلتها.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أى: نَخُصُّك[4] بطلب المعونة في أداء العبادات أو كل المهمات، ويبين الأول أو الفرد الأعظم من الثاني في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

---

(١) قال الإمام الواحدي: ويقرأ هذا الحرف بوجهين «مالك» و «ملك».
فمن قرأ «ملك» قال: الملك أشمل وأتم؛ لأنه يكون مالك ولا ملك له، ولا يكون ملك إلا وله ملك، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا ويقوى هذه القراءة قوله- تعالى-: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طه/ ١١٤)، وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر/ ٢٣)، وقوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر/ ١٦)، ولم يقل المالك.
ومن قرأ «مالك» فلأنه أجمع وأوسع؛ لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، إنما يقال: ملك الناس، ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: ملك العرب والعجم.
الوسيط (١/ ٦٧)، النكت والعيون - للماوردى (١/ ٥٥)، السبعة - لابن مجاهد (١٠٤).

(*) يعني: «الله، رَب، الرحمن، الرحيم، مَالِكِ».

(٢) القراءات أكثر من سبعةٍ.

(٣) كذا في (د)، و(ن).

(٤) يعنى قدم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾؛ لإفادة الاختصاص.

الغير المعوج(١)، أي: الإسلام(٢)، أي: ثبتنا عليه، أو زدنا الهداية، والهداية(٣): دلالة بلطف(٤)، وتستعمل في الشر تَهكُّمًا(٥)، وأجناسها خمسة مترتبة: وهي إضافة قُوىً يتمكن بها من الاهتداء، ونصب الدلائل وإرسال الرسل والكشف والتوفيق، والأخير هو الممنوع عن نحو الظالمين أينما وقع في القرآن. ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: النبيين وأقرانهم، والإنعام: إيصال النعمة(٦) إلى أولي النطق، والنعمة: ما يستلذ به دنيوية أو أخروية، والدنيوية مَوْهبية وكسبية، والمَوْهبية: روحانية وجسمانية والكسبية: تزكية النفس أو تزيين البدن [٤و] والأخروية رضوانه- تعالى- والمراد هو وما يكون وصلة إليه(٧).

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بإرادة انتقامهم كاليهود أو الفُسَّاق.

والغضب: ثوران النفس لإرادة الانتقام فالمراد غايته.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ المائلين عن الحق كالنصارى أو الكفرة.

* والضَّلَالُ: سُلُوكُ طَرِيقٍ لا تُوصِّلُ إلى المطلوب(٨)، وهو كثير، والصواب واحد، إذ الصواب من الشيء يجري مجرى القرطاس من المرمى.

ويستحب لقارئها بعد سكتة قول: «آمين» أي: استجب أو(٩) افعل.

---

(١) أو هو الطريق الواضح ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ ﴾ (الأعراف/ ٨٦).
* النكت والعيون (١/ ٥٨).

(٢) أو هو القرآن أو الطريق الهادي إلى دين الله -تعالى- أو هو رسول الله -ﷺ- وأخيار أهل بيته وأصحابه قال ابن كثير (١/ ٢٨): وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فكل من اتبع النبي -ﷺ- واقتدى باللذين من بعده -أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا ولله الحمد.

(٣) الوسيط (١/ ٦٨).

(٤) إلى ما يوصل إلى المطلوب - التعريفات (٢٧٧)، المفردات (٧٨٤)، الكليات (١/ ٣٨٥).

(٥) كقوله- تعالى-: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

(٦) في (ن): النعماء.

(٧) في (د)، و(ن).

(٨) أو هو فقد ما يوصل إلى المطلوب.
وقال الراغب: الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمدًا أو سهوا قليلًا أو كثيرًا. * التوقيف (٤٧٤).

(٩) فهو اسم فعل أمر.

سورة البقرة[١] - مدنية[٢]

لما ختم السورةَ التي هيَ أُمّ القُرْآن المشتملة على مطالبه[٣] مُجْمَلًا، أخذ في تفصيلها مبينًا أن ذلك الكتاب الذي عرفته مجملًا لا ريب فيه أَصْلًا[٤] فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ هذا وأمثالُهُ سِرٌّ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ حبيبه، أو استأثره الله بعلمه، وتكليفنا بالتكلم بما لا نفهمه كتكليفنا بعَمَلٍ لا نعرف حكمته اختيارًا لانقيادنا.

* وعَنْ ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها إشارة إلى: أنا الله أعلم[٥].

وهكذا قالوا في ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنا الله أَعْلَمُ وأفصل و﴿الٓر﴾ أنا الله أرى، و﴿الٓمٓر﴾ أنا الله أعلم وأرى، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كَافٍ هَادٍ رَحِيمٌ عَلِيمٌ صَادِقٌ و﴿طه﴾ طاهرٌ هادٍ، و﴿طسٓمٓ﴾ طَوْلُهُ[٦] وسناؤه[٧] وملكه و﴿صٓ﴾ صمد، و﴿حمٓ﴾ حكيم ملك، و﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ حلمه مجده، علمه، سناؤه وقدرته و﴿قٓ﴾ قدير، و﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾

---

(١) في هامش (د): سورة البقرة مدنية آياتها مائتان وثمانون وست آيات، وعند البصريين سبع غير آية: «﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ ثم نزلت الأنفال كلماتها (٦١٣١) وحروفها (٢٥٥٠٠).

وقد درج المؤلف - رحمه الله - على هذا النهج، إلا في النصف الأخير.

وانظر: عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه - لأبي القاسم ابن عبد الكافي ص ١٩٥.

(٢) باتفاق ونزلت بعد سورة النحل ونزل بعدها سورة آل عمران.

* فضائل القرآن - لابن الضريس (٣٤)، الناسخ والمنسوخ - للنحاس (٢/ ٣١٦)، البيان - للداني (١٣٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧).

(٣) يعني على مطالب القرآن.

(٤) هذا من علم المناسبات بين السور، وقد التزم المصنف - رحمه الله - هذا المنهج في كتابه هذا كله.

* وانظر: نظم الدرر - للبقاعي (١/ ٨٦).

(٥) تفسير الواحدي (١/ ٧٦) وهو الوسيط، تفسير ابن عباس (٩) والأثر: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٧)، وابن جرير في تفسيره (١/ ٨٨)، وسنده ضعيف جدًا.

* وانظر الوجيز - للواحدي (١/ ٩٠)، البحر المحيط (١/ ٣٤)، تفسير الفخر الرازي (٢/ ٦).

(٦) نعمته.

(٧) نوره وعلوه.

و﴿نٓ﴾ إشارة إلى الرحمن[١].

ولعلهم عنوا به أنها منبع الأسماء ومبادئ الخطاب، ومثلوها بأمثلة حسنة.

[وكذا ورد عنهم غير هذا أيضًا][٢].

* ومن عجائب ما رُوْعِيَ فيها أنَّها كُلّها نِصْفَ الحروف المعجمة[٣] مشتملًا على أنصاف جميع أنواع الحروف[٤]، وما لم يكن له نصف صحيح أتي بالنصف الأقل منهما فيما هو قليل الاستعمال وبالأكثر منهما فيما هو كثير الاستعمال كما بُيِّنَ في المطولات[٥].

[ونبَّه بذكرها مفردة[٦] وثنائية[٧] وثلاثية[٨] ورباعية[٩] وخماسية[١٠] على أن أصول الكتاب كأصول كلامهم كذلك[١١]، وبذكر ثلاث مفردات في ثَلَاثِ صُوَرٍ على وُجُوْدِها في الأقسام الثلاثَة للكلمة، وبِذِكْرِ أربع ثنائيات عَلَى كَوْنها أربعَة أقسامٍ بلا حذف في الحرف، وبه في الفعل، وبه وبدونه في الاسم وبتخصيصها بتسع صُوَرٍ على وقوعها في أقسام الكلمة على ثلاثة أوجه كمن، إن، ذو[١٢]، ....

---

(١) لا يعلم معاني هذه الحروف إلا الله – تعالى – وهذه الحروف سر الله – تعالى – في القرآن.

* الوسيط (١/ ٧٥) أقول: ومن فسرها فقد جازف.

(٢) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٣) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٦٤).

(٤) وحروف المعجم كلها (٢٨) حرفًا ونصفها (١٤) وهذا صحيح، فمجموع الحروف المقطعة في القرآن في قولك: «نص حكيم قاطع له سر»: (١٤).

(٥) أنوار التنزيل للعلامة البيضاوي (٦).

(٦) يعني كما في (ص، ق، ن).

(٧) كما في (حم).

(٨) كما في (الر، ألم).

(٩) كما في (المر، المص).

(١٠) كما في (كهيعص، حمعسق).

(١١) قال البيضاوي في أنوار التنزيل (٦): إيذانًا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة مركبة من حرفين فصاعدا إلى الخمسة... إلخ.

قلت – أبو الحسن -: وهذا تمحل لا دليل عليه – والله المستعان.

(١٢) في الأسماء.

وقل، بع[1]، وإن، من، مذ الجارة[2]، وبذكر ثلاث ثلاثيات على وقوعها في الأقسام الثلاثة، وتخصيصها بثلاث عشرة سورة على[3] أن أصول أبنية الثلاثي ثلاثة عشر، عشرة للاسم، وثلاث للفعل، وبذكر رباعيين وخماسيين على أن لكل منهما أصلًا[4] وملحقًا[5]- والله أعلم][6].

﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن المكتوب، ويجوز اتحاد المشار إليه وبه، إذا لوحظ ضمنًا مثل ذلك، وقد مر له معنى آخر أي: في بيان ربط السورتين منه ﴿لَا رَيْبَ﴾ أي: لا شك ﴿فِيهِ﴾ أي: في أنه من الله لو تأمل فيه عاقل ﴿هُدًى﴾ دلالة عظيمة إلى الحق ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى، وهي: فرط الصيانة، وشرعًا: وقاية النفس عما يضرها في الآخرة[7].

ومراتبها ثلاث: التوقي عن العذاب المخلد، ثُمَّ عَنْ كُلِّ مأثم ثم عما يشغل السر عن الحق.

ومن الأولى: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ومن الثانية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ...﴾ الآية ومن الثالثة: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾.

وخَصَّهم؛ لأنهم المنتفعون به، بل غيرهم يَضِلُّ به [٤ظ] كغذاء صالح يزيد صحة الصحيح وسُقْم السقيم، كما أفادتْهُ آية[8]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾.

---

(١) في الأفعال.

(٢) في الحروف.

(٣) في البيضاوي (٦): تنبيهًا على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر، عشرة للأسماء وثلاثة للأفعال ورباعيتين وخماسيتين.

(٤) كجعفر وسفرجل.

(٥) كقردد وجحنفل. وفي (ن): مخلصًا.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح) وهو في (د).

(٧) التقوى: تجنب القبيح خوفًا من الله، وأصلها: الوقاية.
وهي أيضًا: التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة.
* تعريفات الجرجاني (٦٨)، الكليات (٢/ ٨٠)، التوقيف (١٩٩).

(٨) كذا في (د)، و(ن).

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الغائب عن الحواس إجمالًا.

«تنبيه»: الإيمان: التصديق بما علم ضرورة أنه من دينه- ﷺ- إجمالًا فيما علم إجمالًا، وتفصيلًا فيما علم تفصيلًا.

وعند المحدثين والسلف: اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[1]. فالإخلال بالاعتقاد نفاق وبالإقرار كفر وبالعمل فسق.

* [والعمل ليس جزءًا من حقيقته[2] حتى يلزم من عدمه عدمه كما هو مذهب المعتزلة من إثبات المنزلة بين المنزلتين لمرتكب كبيرة، ومذهب الخوارج من إثبات الكفر لمن أذنب بَلْ هُوَ جُزْءٌ عرفي له كالظفر والشعر واليد لِزَيْد وكالأغصان للشجرة والإيمان هو القدر المشترك بينَهُ وَبيْنَ التصديق، وبينه وبين الأعمال، فيطلق على التصديق وعلى المجموع حقيقة كإطلاق الشجر على ساق أو على مجموع الساق والأغصان والشعب والأوراق، فما بقي الساق لا يقال بانعدامه، وسيأتي تحقيق الإسلام في الحجرات- والله أعلم][3].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعدلون أركانها[4] أو يواظبون عليها[5] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: في الخير، خَصَّ الثلاث لمزيد فضلهم ومنع بـ ﴿مِن﴾ عن السرف[6]. والرزق: ما يسوقه الله إلى الحيوان مما ينتفع[7] به، وهو أربعة: مضمون كالغذاء، ومقسوم في اللوح. ومملوك، وموعود بشرط التقوى، ويجب التوكل في الأول[8].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عَبَّر بالماضي، تغليبًا للموجود ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من

---

(١) وهو الصحيح.

(٢) بل الإيمان قول وعمل، واعتقاد.

(٣) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٤) ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، ومن: أقام العود إذا قومه. * البيضاوي (٨).

(٥) من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة. * البيضاوي (٨).

(٦) وهو مجاوزة الحد في النفقة.

(٧) التوقيف (٣٦٢)، التعريفات – للجرجاني (١١٥)، الكليات (٢/ ٣٨٠).

(٨) بل في كلِّ الأمور.

الكتب، والإيمانُ بهما جُمْلَةً فَرْضُ عَيْن، وبالأول تفصيلًا. مِنْ حَيْثُ إنّا مُتعبَّدُوْنَ بتفاصيله فرض كفاية.

*** تنبيه:**

الإنزال: النقل[١] من أعلى إلى أسفل، وهو في المعاني يتوسط الذوات الحاملة لها ونزول القرآن بحفظ الملك إياه من اللوح إلى السماء الدنيا ثم أمرهُ السَّفَرَة بانتساخه ثم تنزيله بحسب المصالح- كذا قاله الأكثرون.

وفي ابتداء الوحي، هل هو بنقل ملك آخر إلى جبريل أنه مأمور بالإنزال أو بخلق علم ضروري في جبريل[٢] به؟ خلاف، واعْلَمْ أنهم اختلفوا في خلقه؛ لتعارض قياسين هما: كلام الله صفة وكل ما هو صفة قديم، فهو قديم، وكلام الله مؤلف من حروف متعاقبة في الوجود، وَكُلُّ مَا هُوَ كَذلكَ حادث فهو حادث، والحق الأول؛ لحديث: «**القرآن كلام الله غير مخلوق**[٣]» وكيفية، ولأن مبدأ الكلام فينا صفة يتمكن بها من نظم الكلمات على وجه ينطبق على المقصود، وهي ضد الخرس وغير العلم، فإنا نعلم كلامًا هو لغيرنا وكلام كل أحد ما رتبه في خياله، وكلماته- تعالى- ما رتبه في علمه الأزلي بصفته الأزلية التى هي مبدأ تأليفها وترتيبها، وهذه الصفة قديمة، وكذا المرتب بحسب وجوده العلمي ولا تعاقب فيه فلا حدوث[٤]، وإنما تعاقبه بحسب

---

(١) أو الإهواء بالأمر من علو إلى سفل.

* الكليات (١/ ٣٢٨)، المفردات (٧٤٤)، التوقيف (٩٨)، تعريفات ابن الكمال (٢٥).

(٢) هذه من ترهات علم الكلام التى يجب تركها والقرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل فعلمه جبريل لنبينا - ﷺ -: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

(٣) لا يصح في هذا الباب شيء - رواه الخطيب في تاريخه (٢/ ٣٨٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢٠١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٠٦، ١٠٩). وانظر: اللآلى المصنوعة (١/ ٤، ١٠)، تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ١٣٤، ١٣٦)، الفوائد المجموعة (٣١٣) ترتيب الموضوعات للذهبي (٢).

(٤) القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق والله تعالى يتكلم، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وقال: «﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ فلا حاجة إلى التفلسف لإثبات صفات الله فالفلسفة ضلال وخزي وهزيمة.

وجوده الخارجي، وهو[١] بحسبه كلام لفظي فإنكار كون ما بين الدفتين كلام الله، كإنكار شعر الفلاني كلامه، إذْ مَعْنَى كَوْنه [٥و] كلامه- تعالى- أنه ذلك الكلام موجودًا بالوجود اللفظي، تأمل هذا التحقيق تخرج من كل مضيق والله- تعالى- أعلم. ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إيقانًا ينبغي، واليقين[٢]: إيقان العلم[٣] بنفي الشبهة عنه استدلالًا، فلا يوصف به علمه- تعالى- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوْصُوْفُوْنَ مستقرون. ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ هدية من إله عَظيم عظيمة ممنوحة ﴿مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الكاملون في الفلاح أي: الظفر على المطالب[٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي لهب وأَضْرَابه[٥]، والكُفْرُ: إنكار ما عُلِمَ ضَرُوْرةً أنه من دين محمد- ﷺ- أو فعل يدل عليه [والكفر[٦] عَدَمُ الإيمان عما من شأنه الإيمان، والكافر إن أظهر الإيمان فمنافق، أو سبقه إيمان فمرتد، وإن آل مُعْتقده إلى تعدد الآلهةِ فمُشْرِكٌ، أو يدِيْنُ بكتاب سماوي فكتابي، أو اعتقد إسناد الحوادث إلى الزَّمَان فدهري، أو نفى الصَّانع فمعطل، أو أبطن عقائد هي كفر وفاقًا

---

(١) في (ن): وهذا بحسب كلام.

(٢) غلب على المؤلف – رحمه الله – التعريفات على طريقة المتكلمين وقد تأثر في ذلك بشيخه الجلال الدواني المتوفى سنة ٩١١هـ.

(٣) في (ن): إتقانُ العلم. واليقين لغة: العلم الذي لا شك معه واصطلاحًا: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال.
* التعريفات – للجرجاني (٢٨٠)، المفردات (٨٤٨)، الكليات (١/ ٨٩)، التوقيف (٧٥٠).

(٤) الفلاح: الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادة التي تطيب بها حياتها، والأخروي على أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل.
* الكليات (١/ ٣٥٦)، والتوقيف (٥٦٣).

(٥) كذا قال المؤلف – رحمه الله – وعن الضحاك قال: نزلت في أبي جهل، وخمسة من أهل بيته، وقال الكلبي: يعني اليهود. * تفسير الطبري (١/ ٢٥١)، أسباب النزول للواحدى (١٣)، الوسيط – له (١/ ٨٣)، العجاب – لابن حجر (١/ ٢٢٩، ٢٣٢)، غرائب القرآن (١/ ١٤١)
وقال الماوردى في النكت والعيون (١/ ٧٢): واختلف فيمن أريد بذلك، على ثلاثة أوجه:
أحدها: أنهم اليهود الذين حول المدينة – وبه قال ابن عباس، وكان يسميهم بأعيانهم.
والثاني: أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم – وهو اختيار الطبري.
والثالث: أنها نزلت في قادة الأحزاب – وبه قال الربيع بن أنس.

(٦) في (ن): فالكفر.

فزنديق- والله أعلم][(١)] ﴿سَوَآءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أي: إنذارك ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: عدم إنذارك، فالهمزة و ﴿أَمْ﴾ لمجرد الاستواء بلا استفهام يؤكدان معناه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد للجملة، [ودلَّت على جواز التكليف بما لا يطاق إذ لو آمنوا لَزِمَ الكذب، والتكليف بالممتنع لذاته جائز عقلًا غير واقع للاستقراء[(٢)]، وأما الممتنع لغيره كما علم الله- تعالى- عدم وقوعه أو أخبر أو أراد فواقع كالمخبر عنه في الآية، وحينئذ علم أنَّ][(٣)] حِكْمَةَ الإنذار إقامَة الحجة وعموم الإرسال وإثابة الرسول، ولذَا لَمْ يَقُلْ: سَوَاءٌ عَلَيْكَ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ استوثق بضرب الخاتم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا يعرفون الحق، ﴿وَعَلَىٰ﴾ مواضع ﴿سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعونه ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ غطاء عظيم، فلا يبصرونه استعارة عن إحداث ما يمرنهم على حُبِّ الكفر، ووحد السمع لوحدة المسموع وهو الصوت دونهما، أو للمصدرية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ هو إيصال الألم إلى حي هوانا ﴿عَظِيمٌ﴾ صد الحقير ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ مبتدأ، أي: بعضهم[(٤)] وهم جماعة حيوان ذي فكر ورويَّة ﴿مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ من الحشر إلى ما لا ينتهي ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ حقيقة، دَلَّ عَلَى كُفْر من[(٥)] خالف قَلْبُهُ لسانه ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، والخَدْعُ[(٦)]: إيهَامُكَ خلاف ما تخفيه من الشر، وهو مع الله مُحَالٌ، فالمُرَادُ: مُخَادَعَة خليقته ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ذواتهم، أي: ضَرَرُ خَدْعِهم يَحِيقُ بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يَحُسُّونَه؛ لغفلتهم ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كالنفاق، والمرض: ما يعرض للبدن فيخرجه عن اعتداله، وهو مجاز في الأعراض

---

(١) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٢) قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾.

(٣) ساقط من (ح) وهو في (د)، و(ن).

(٤) الناس: لفظ وضع للجمع كالقوم والرهط والجيش، وواحده: إنسان لا من لفظه.
* الوسيط – للواحدي (١/ ٨٦).

(٥) في (ن): ما خالف.

(٦) الخدع: إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر، وقيل: هو إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه. * المفردات (٢٠٦)، والتوقيف (٣٠٩).

النفسانية المُخِلَّة بكمالها والآية تحتملهما[(١)] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ كلما نزلت آيةٌ ﴿ٱزْدَادُوا كُفْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم، اسم مفعول أسند مبالغة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بكذبهم أو تكذيبهم الرسل، دل على حُرْمَة كُلِّ كَذِبٍ، وَهُوَ الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به، وحَدِيثُ: «إِنَّ إِبرَاهِيمَ كذب[(٢)]» بمعنى التعريض، وهو أن يشير بالكلام إلى جانب ويريد منه جانبًا آخر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا [٥ظ] فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بنحو[(٣)] الكفر وإفشاء سر المسلمين في الكفار ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ نداري المؤمنين والكفار إصلاحًا بينهما، والفساد: الخروج عن الاعتدال[(٤)]، والصلاح ضده، ويعمان كُلَّ ضُرٍّ ونَفع ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ الصَّحَابةُ، دَلَّ على قبول توبة الزنديق، وَهُوَ مُظْهِرُ الإِسْلَام مبطن الكفر ﴿قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الناس، والسَّفَهُ: خِفَّةُ الرَّأْي[(٥)]، ويقابله الحلم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ خَصَّهُ بالعلم؛ لاحتياج الفرق بين الحق والباطل إلى مزيد نظر بخلاف قبح النفاق فإنه يُعْرَفُ بأدنى شعور ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ انفردوا ﴿إِلَىٰ﴾ مَعَ ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ .من أصحابهم ﴿قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ لاعبون بالمؤمنين، والجملتان قصة واحدة لبيان نفاقهم فلا تكرار ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أراد غايته كَمَا مَرَّ أو جَزَاءَهُ[(٦)]، وأشار

---

(١) يعني الأمراض العضويّة، والنفسانية.

(٢) حديث «إن إبراهيم كذب» يريد حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاثًا.... الحديث». رواه البخاري في صحيحه (٣٣٥٧) و (٣٣٥٨) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ و (٥٠٨٤) كتاب النكاح - باب: اتخاذ السراري، ومسلم في صحيحه (٢٣٧١) كتاب الفضائل - باب: من فضائل إبراهيم الخليل - ﷺ -.

(٣) في (ن): بنحوى.

(٤) قليلًا كان الخروج أو كثيرًا.

* الكليات (٣/ ٣٤٨)، المفردات (٥٧١)، معجم التوقيف - للمناوي (٥٥٥).

(٥) هو خفة النفس لنقصان العقل وهو خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب العقل. * المفردات (٤٠٧)، التعريفات (١٢٥).

(٦) يعنى من باب المقابلة. * عمدة الحفاظ (٤/ ٢٥٠).

بالمضارع إلى تجدده، ومنه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ[١] فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ غلوهم في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون، العمهُ: عدم الدراية بسلوك الطريق[٢]، والمعتزلة [بمنعهم إسناد القبيح إليه- تعالى-][٣] يؤلون الآية [ونظائرها بمَجَازاتٍ بعيدةٍ، جاهلين بأن لا قبيح بالنسبة إليه- تعالى- فلا يتصور في أفعاله ظلم[٤] إذ له التصرف في ملكه كيف يشاء، وإنما يوصف به وبأمثاله أفعالنا باعتبار كسبنا وقيامها[٥] بنا فقط- كما سيأتي- ولا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلَّا ببُرْهانٍ يمنعه كَمَا بُيِّن في موضعه - والله أعلم].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الفطري أي: اختاروها عليه، وأصله[٦] بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، ثم استعير للإعْرَاض عَمَّا في يده محصلًا به غيره، ثم استعمل لما مَرَّ اتساعًا ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ ما ربحوا فيها ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ إلى طُرُقِهَا، إذ أضاعوا رأس مالهم ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: عجيب حال المنافقين حين أظهروا الإسلام، وأصل المثل: النظير[٧] ثم قيل للقول الفاشي الممثل مضربه بمورده، ثم استعير لكل حال غريب ذي شأن ﴿كَمَثَلِ﴾ الفوج[٨] ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ .وأمنوا من الخوف ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ المقصود بالإيقاد،

---

(١) في (ن): إلى آخره.
(٢) عمدة الحفاظ (٣/ ١٢٦).
(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د).
(٤) الله خالق الخير والشر، لكن من باب الأدب مع الله – تعالى – أن لا ننسب الشر إليه، فلا ندعوا إلا بأسمائه الحسنى، كما قال النبي – ﷺ – : «الخير كله بيديك والشر ليس إليك».
(٥) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).
(٦) يعني: الشراء.
(٧) المثل: هو القول السائر وفق الحال التى ضرب لها، ولابد فيه من غرابة. * العمدة (٤/ ٦٨).
(٨) الفوج – بفتح الفاء وسكون الواو -: الجماعة من الناس وغيرهم، فهو اسم جمع كقوم ورهط، ويجمع على أفواج. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢٥٥).

فبقوا في ظلمة وخوف، وهذا مثل كفرهم بعد الإسلام وعدل عن ضوئهم[1]؛ لئلا يحتمل بقاء قليل من النور [وأيضًا إذا عدم الأصل عدم الفرع والتحقيق أن الضوء فرع من النور يُطْلَقُ على الشُّعَاع المُنْبَسطِ، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالقائم بنفس الشمس، فالضوء[2]- مع فرعيته أبلغ؛ لأنه إنما يبصر بدخليته ولا يكفى فيه النور، إذ النور القائم بالشيء إنما يبصر به نفسه فقط وأما رؤية ما سواه فبتوسيطِ الضوء الفائض منه- والله أعلم][3] ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي والقبر أو القيامة أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات[4] ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن قبول الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن قوله ﴿عُمْيٌ﴾ عن إبصاره[5] لدهشة الظلمة ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى المبيع، فحالهم كما ذكر ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ سَحَاب مطر أو سحاب ﴿مِّنَ﴾ جوانب ﴿السَّمَآءِ﴾، هذا من إجراء التمثيل بإزاء القرآن[6] ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ من تكاثف الغمام

---

(١) يعني لم يقل: بضوئهم، قال السمين الحلبيُّ في عمدة الحفاظ (٤/ ٢٣١): ولم يقل بضيائهم؛ فلم ينف عنهم ما هو أقوى، وجوابه: أنه لا يلزم من نفى الأخص نفي الأعم، إذ لو نفى عنهم الضوء؛ لجاز أن يتوهم بقاء نور، فإذا نفى عنهم النور الذي هو أعم، لزم منه نفي الضوء الذي هو أخص.

(٢) النور في الأصل هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار.

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٤) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٨٠).

(٥) تفسير الوسيط (١/ ٩٤).

(٦) قال الماوردي – رحمه الله تعالى-: وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل:

أحدها: أنه مثل للقرآن، شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل والدعاء إلى الجهاد في العاجل – وهذا المعنى عن ابن عباس.

والثاني: أنه مثل، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل.

والثالث: أنه ضرب الصيب مثلًا بظاهر إيمان المنافق، ومثل ما فيه من الظلمات بضلالته، وما فيه من البرق بنور إيمانه، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه. * النكت والعيون (١/ ٨٢، ٨٣).

والمطر [٦و] والليل، وهذا بإزاء شبه المبطلين ﴿وَرَعْدٌ﴾ صَوْتُ مَلَكِ السَّحَاب[١] وهذا بإزاء وعيدات القرآن ﴿وَبَرْقٌ﴾ نار تطير من فيه عند غضبه، هذا بإزاء ما وُعِدَ في القرآن ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أناملهم ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾. [جمع: صاعقة وهي][٢] شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ هذا بإزاء تصاممهم من الوعيدات، وهذا من التمثيل المفرد، وهو أن تأخذَ أشياء فرادى تُشَبِّهَا بأمثالها [ويمكن جعله تمثيلًا مؤلفًا فهو تشبيه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه حَتَّى صَارَ شَيْئًا واحدًا بأخرى مثلها كقوله- تعالى-: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ... الآية﴾][٣] ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا يفوتونه كالمحاط لا يفوت المحيط[٤] ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾ يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: في ضوئه، هذا بإزاء اهتزازهم بما ظهر لهم من غنيمة تطمح إليها أبصارهم ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ﴾ وقفوا، هذا بإزاء توقفهم عند عروض بلاء وأتى بـ«كلما» مَعَ أضاء وبـ«إذا» مع أظلم؛ لحِرْصِهِمْ عَلَى المَشْي ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصيف الرعد ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ بوميض البرق لشدتهما، ولكنَّ المانعَ عدمُ مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أيّ شي ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه أفعال العباد، والقدير: الفَعَّالُ لِمَا يشاء [والمقتدر يقاربه إذا استعمل فيه- تعالى- والمستعمل فينا بمعنى المكتسب للقدرة][٥]، والقادر: الذي إن شاء فعلًا فعله، وإلا فلا[٦]، والقدرة: التمكن من إيجاد الشيء[٧] [وأصل الشيء: مصدر شاء يشاء، وهنا بمعنى مَشِيء، كما أنه

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٣٤٨/ ٣٣٨٠) وأحمد (٢٤٨٣) وسنده ضعيف، إلا أنه ورد موقوفًا عن عدة.
* وانظر: الهيئة السنية – للجلال السيوطي (٤٨/ بتحقيقي).
(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).
(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٥٦)، تفسير الوسيط (١/ ٩٦).
(٥) ساقطة من (ح) وهي من (د)، و(ن).
(٦) قال الإمام ابن الأثير في النهاية (٤/ ٢٢): في أسماء الله تعالى: (القادر، والمقتدر، والقدير) فالقادر: اسم الفاعل من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ.
(٧) لسان العرب (٥/ ٣٥٤٦).

بمعنى شائي في آية: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:١٩] فيختص بالموجود فيهما، والمعتزلة لما عرفوه[١] بما صَحَّ أنْ يُوجَدَ وَمَا صَحَّ أن يعلم ويخبر عنه، خَصَّصُوهُ بالمُمْكِنِ][٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يشمل الموجودين ومن سيوجد، ولا يمنعه ورود أنه أينما[٣] وقع فمكي كما أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مَدَني ﴿ٱعْبُدُواْ﴾ عَمَّ المُؤْمِنَ والكافر والمنافق؛ لأن زيادة العبادة عبادة، فاشترك الكل فيها ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ما تقدمكم ذاتًا أو زمانًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: اعبدوه راجين دخولكم في المتقين الفائزين بكمال الفلاح أو «لعل» بمعنى كي، علة لخلق، دلت الآية على أنا لا نستحق بعبادته ثوابًا، فإنه جعلها شكرًا لنعمه، هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ بساطًا بإخراج بعضها عن الماء، هذا لا ينافي كُرِّيَّتها الحسية[٤].

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ قُبَّةً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ﴾ جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان لقوله ﴿رِزْقًا﴾ مرزوقا ﴿لَّكُمْ﴾ أو تبعيضية وهو حال ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا في عبادتكم إياها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تماثله بوجه ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد -ﷺ-[٥] ﴿فَأْتُواْ﴾ أمر تعجيز ﴿بِسُورَةٍ﴾ وقد مر معنى السورة، بمقدارها كائنةً ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مثل ما نزلنا في البلاغة والإخبار عن الغيب ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أعوانكم في اختراعها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ غيره وَأَصْلُ «دون» أقرب مكان، ثم استعير للرتب، ثم استعمل اتساعًا في كُلِّ تَجَاوُز حَدٍّ إلى حَدٍّ ﴿إِن كُنتُمْ [٦ظ] صَٰدِقِينَ﴾ أنه كلام بشر ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ أتى بـ«إن» الشَّكِّيَّة تَهَكُّمًا أو على زعمهم ولذا نفاه بقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ أبدًا[٦] للإعجاز[٧] وعبر بالفعل عن الإتيان مِن المكيف

---

(١) في هامش (ب): لعله: خصّوه.
(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د).
(٣) يعني قوله: «يا أيها النّاسُ» ا.هـ.
(٤) فالأرض شبه كروية.
(٥) النكت والعيون – للماوردي (١/ ٨٤)، روح المعاني (١/ ١٩٨).
(٦) نفي التأبيد.
(٧) في هامش (ن): لإعجازه.

إيجازًا ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ ما توقد به ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أصنامكم التي تزعمونها شفعاء، أو الكبريت[١] نزل لازم الجزاء منزلته تقريرًا للمكنى عنه، وتَهْوِيلًا لشأن العناد وتصريحًا بالوعيد مع الإيجاز، وإنَّما عَرَّفَهَا[٢] ونكَّرَهَا[٣] في التحريم لتأخير نزول ذلك ﴿أُعِدَّتْ﴾ النَّارُ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ دلَّ على أنها مَخْلُوقة[٤] ﴿وَبَشِّرِ﴾ أي: أخبر خبرًا سَارًّا، فإنه يظهر السرور في البَشْرَة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بلا رِيَاءٍ، بشَرط الموت عليه، بدليل: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ هي سبع، أعلاها الفِرْدَوْس، ثُم عَدَن، ثُم النعيم، ثمَّ دار الخلد، ثم جَنَّةُ المأوى، ثم دارُ السلام، ثم عِلِّيُّون ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ تَحت غُرَفها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: ماؤها بلا أخدود

---

(١) الدر المنثور (١/ ٣٦)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٦٧)، فتح القدير – للشوكاني (١/ ٥٣).

(٢) يعني: هنا.

(٣) يعني في قوله: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾.

(٤) انظر: صفة النار – للمقدسي.

وقال ابن عادل الحنبلي: هذه الآيات صريحة في أن الجنة والنار مخلوقتان؛ لأنه – تعالى – قال في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٤)، وقال في صفة الجنة في آية أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران / ١٣٣)، وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله قال الشيخ مرعي الكرمي: وإلى القول بأنهما مخلوقتان ذهب جمهور الأمة.

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تخلقا بعد، وبه قال منذر بن سعيد البلوطي واحتجوا بقول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم/ ١١)، وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له في الجنة كذا.

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف الغرس والبناء فائدة.

وأجيب بأنه لا مانع من أن يحدث الله في الجنة أشياء ينعم بها على عباده شيئا بعد شيء وحالًا بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس، كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله – تعالى – فيها ما يشاء من بنيان وغيره.

* والدليل على وجود الجنة الآن ما مر، وقوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة / ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ (النجم / ١٥).

وقوله – ﷺ – في حديث الترمذي وصححه: «لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل – عليه السلام – إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها... الحديث».

قال: وقد أطال العلامة ابن القيم الكلام على ذلك في أول كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: فراجعه.

* الكلمات البينات – للكرمي (٤٨، ٤٩/ ضمن لقاء العشر الأواخر – دار البشائر الإسلامية).

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أي: الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ ابتداء ببيان، والثاني متعلقه ﴿رِّزْقًا﴾ أي: مرزوقًا ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ مِثْل ﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا، وإنَّما جُعِلَتْ من جنس ثمرة الدنيا صُوْرةً؛ لتميل النفس إليها أول ما رأت للإلف، أو في الجنة، كما في الحديث[1] وحينئذ فـ«كلما» عُرْفيٌّ أكثريٌّ فلا يُشْكلُ بالكرة الأولى ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ في الصُّورة التي هيَ مَناطُ الاسم[2] ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ عما يُسْتقْذَرُ ويُذَمُّ خَلقًا وخُلقًا، ولا يرد[3] أنه أيُّ: فَائدةٍ فيهما مع غنائنا عن التغذي وحفظ الفرج ونحوه؟ لأنَّ مَطَاعم الجَنَّة ومَنَاكِحَها لا تشارك نظائرها الدنيوية في تمام حقيقتها، بَلْ إنَّما تُسَمَّى بأسمائها استعارة ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دائمون؛ لأنه - تعالى - يعيد أبدانهم على كيفية تصون[4] من الاستحالة[5]، وأصله ثبات مديد دام أم لا، ولذا يوصف بالأبدية.

ولما قالوا: كيف يضرب الله الأمثال بالصَّيِّبِ والمُسْتَوْقِدِ والعَنْكَبُوْت نزل[6]: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾[7] أي: لا يترك ترك المستحيى، إذِ الحَياءُ: انقباض النفس من القبيح مخافة الذم، وهو - تعالى - مُنزَّه عنه، وأَصْلُهُ التَّهيُّبُ، وآثره على الترك مبالغة أو مماثلة لكلام الكفرة ﴿أَن يَضْرِبَ﴾ يبين ﴿مَثَلًا﴾ شبهًا ﴿مَّا﴾ أي: شبه، وضرب المثل: اعتماله من ضرب الخاتم ﴿بَعُوضَةً﴾ صغير البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ صغرًا أو كبرًا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٣٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ يعني: في الدنيا - قاله ابن مسعود وابن عباس - أيضًا وقتادة ومجاهد وابن زيد، أي: قالوا: هذا الذي رزقنا من ثمرات الجنة مثل الذي كنا رزقناه من ثمار الدنيا، أي: في الصورة والاسم. * الكلمات البينات - للكرمي (٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٣)، تفسير الطبري (١/ ١٣٣، ١٣٤)، الدر المنثور (١/ ٨٣).

(٣) يعني: لا يرد على الذهن والفكر هذا السؤال.

(٤) كذا - والمراد تحفظ وتصان.

(٥) التحول والتغير.

(٦) عن قتادة قال: لما ذكر الله - تبارك وتعالى - العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ - الآية.

رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ٤١)، وابن أبي حاتم (١/ ٩٣/ ٢٧٤)، وابن جرير (١/ ١٣٨) ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٧) في هامش (ن): نصف الحزب.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثـل ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ﴾ أيّ شيء ﴿أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [٧و] حَالٌ أو تَمْييزٌ، وآثره[١] على: فلا يعلمون؛ بيانا لكمال جهلهم كناية، والإرادة نزوع النفس وميلها إلى فعل بحيث يحملها عليه، أو قوة هي مبدأ النزوع، وإرادة الله- تعالى- ترجيح أحد مقدوريه على الآخر في الإيقاع، أو معنى يوجب هذا الترجيح ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ بالمَثَل ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ وكثرتهما بالنسبة إلى أنفسهما، إذ المهْدِيُّونَ قليلون ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان، والفاسقُ شَرْعًا: الخارج عن أمر الله بارتكابه الكبيرة[٢]، وله ثلاث درجات:

* الأولى: التغابي بأن يرتكبها أحيانًا مستقبحًا إياها.

* الثاني: الانهماك فيها بلا مبالاة بها.

* الثالث: الجحود بأن يرتكبها مستصوبا إياها فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ عن الإيمان، كما نحن فيه، وعند المعتزلة: مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن[٣]؛ لأن الإيمان عندهم عبارة عن الأمور الثلاثة كما مَرَّ، والكفر تكذيب الحق، والنصوص تَرُدُّهُمْ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ يبطلون وأصله[٤] فسخ طاقات الحبل ﴿عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٥]، ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أي: توكيده بإرسال الرسل مع الكتب المذكورة

---

(١) يعني: قال ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ﴾ ولم يقل: فلا يعلمون.

(٢) التوقيف (٥٥٧)، الكليات (٣/ ٣٤٨)، المفردات (٥٧٢).

(٣) يعني في منزلة بين المنزلتين، وهذا فاسد وضعًا واعتبارًا.

وانظر في الرد على المعتزلة: منهاج السنة النبوية – لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) يعنى: النقض.

(٥) سورة الأعراف (١٧٢) وقال الواحدي- رحمه الله تعالى-:

وذكر المفسرون في العهد المذكور في هذه الآية قولين:

أحدهما: ما أخذوه على النبيين ومن اتبعهم، أن لا يكفروا بالنبي- ﷺ- وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران / ٨١).

والثاني: أن يكون عهد الله الذي أخذه من بنى آدم يوم الميثاق حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ (الأعراف / ١٧٢). * الوسيط (١/ ١١٠)، البحر المحيط (١/ ١٢٧).

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام ونحوها مِمَّا هُوَ وصلة بيننا وبين الله ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعصية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ والخاسر من خسر أحد ثلاثة: المال والبدن والعقل وَهُمْ من الثَّالثِ.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ بِلا حَيَاةٍ، أي: ترابا، أو نُطَفًا ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ بلا تراخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم؛ لتصلوا إلى الحياة الأبدية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند نفخ الصور، وأما حياة القبر فغير مستقرة[1] ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الحشر، جعل تمكنهم من العلم بالحشر كعلمهم به، وحقيقة الحياة فينا القوة الحساسة، أو ما يقتضيها من القوة التابعة للاعتدال النوعي، وفيه -تعالى- صِحَّة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمين لهذه القوة فينا.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ لانتفاعكم في دنياكم بوسط[2] أو غيره، وفي دينكم استدلالًا ﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ولو سماء ونحوه، فالأصل في كله الإباحة وما يعم كل ما فيها لأنفسها إلا إذا أريد بها جهة السفل ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد بإرادته[3] ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ عدلهن بلا عوج، جمع؛ لأنها في معنى الجمع[4] أو جمع سماة [٧ظ] أو مبهم يفسره ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ فخلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها ودحو الأرض، أي: بسطها بعده كما قاله ابنُ عَبَّاسٍ وغَيرهُ.

فلا يرد استشكال كثير من المفسرين بأن هذا وما في «حم~» السجدة[5] من قوله:

---

(١) لا أدري ما مراده بهذا؟

وقد تظاهرت الأدلة من القرآن والسنة على أن حياة القبر حياة كاملة محسوسة إما نعيم أو عذاب اهـ.

(٢) كذا. ولعلها: بوسيطٍ، أي: سبب وواسطة.

(٣) وهذا معنى الاستواء في اللغة. * وانظر: معاني القرآن – للفراء (١/ ٢٥).

(٤) في هامش (ن): والسماء تكون جمعًا لسماوة في قول الأخفش، وسماه في قول الزجاج، وجمع الجمع: سماوات، أو: سماءات، فجاء: «سَوّاهُنّ» إما على أن السماء جمعٌ، وإما على أنها مفرد اسم جنس وقد تقدم الكلام على السماء في قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ ابن عادل.

(٥) يعنى «فصلت».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[١] ينافي ما في النازعات[٢]، إذ فيها ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[٣].
فأولوه تارة بأن ثُمَّ هُنا للتراخي الرتبي لا الزماني، وتارة بأن «بعد» ليس ظرفًا «لدحاها»[٤]، وأن نصب الأرض بفعل دَلَّ عليه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ﴾؛ لأن خلق ما في الأرض كالجبال والأنهار ونحوها ليس بِدَحْوٍ ولا يستلزمه، فيمكن خلقها قبل دحوها وقبل السماء، وأما دحوها فبعد السماء؛ ليوافق تفسير أكابر الصحابة، والله - تعالى - أعلم.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ تعليمًا للمشاورة وتعظيمًا لآدم وبيانًا؛ لأنَّ الحِكْمة تَقْتضي إيجادَ مَا يَغْلبُ خيرهُ شرَّهُ ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ جمع مَلْأَكَة الذى مخففه ملك، والراجح أنه من الملك لا من الألوكة بمعنى الرسالة[٥]، والمراد مُطْلَقُهم، أَوْ مَلَائكةُ الأرض.

والمَلَكُ: جسم لطيف قادر على التشكل بأشكال مختلفة[٦] [وعند الحكماء[٧] جَوَاهِرُ مُجَرَّدةٌ مخالفة للنفوس الناطقة حقيقة]، قيل: فمنهم المقربون المستغرقون في معرفة الحق، ومِنْهُم السَّمَاوِيُّونَ من يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ومنهم الأرضيون من يدبر أمر الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الله؛ لينفذ أحكامه امتحانا لهم وتهديدا، لَا عجزًا.

والخليفةُ: مَنْ يَخلف ويَنُوبُ غَيْرَهُ، كما أن الخالفة من يستخلفه الرئيس على أهله أو من الجن أو أراد آدم وذريته يخلف بعضهم بعضًا ﴿قَالُوٓاْ﴾ استكشافًا[٨] ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إنما عرفوه بإعلام الله، أو تلقيًا مِنَ اللَّوْحِ

---

(١) سورة فصلت (١٠).
(٢) يعني في سورة النازعات.
(٣) سورة النازعات (٣٠).
(٤) في (ن): لدحيها.
(٥) الوسيط - للواحدي (١/ ١١٢، ١١٣)، التبيان (١/ ٤٦).
(٦) الملائكة مخلوقة من نور كما ثبت في صحيح مسلم.
(٧) يعني: الفلاسفة قبحهم الله.
(٨) النكت والعيون - للماوردي (١/ ٩٦).

أو قياسًا لأحد الثقلين على الآخر.

والسَّفْكُ والسَّبْكُ والسَّفْحُ والشَّنُّ والسَّنُّ أنواع من الصَّبِّ ﴿وَنَحْنُ﴾ بإزاء هاتين الصفتين ﴿نُسَبِّحُ﴾ نُبَعِّدُكَ[1] عن كل نقص ملتبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ تداركوا به ما أوهم إسنادهم التسبيح إلى أنفسهم ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ نطهر نفوسنا عن المعاصي ﴿لَكَ﴾ أو نقدسك عن النقص، فنحن أحق ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصالح، ثم خلقه[2] من أديم الأرض أي: وجهها[3].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ بِخَلْق عِلْمٍ ضَرُوْرِيٍّ فيه، أو ألقاه في رُوْعِهِ.

والتعليم: فعل يترتب عليه العلم غالبًا ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ لفظًا ومعنًى وحقيقةً [٨و] مفردًا ومركبًا كأصول العلوم، فإن الاسم باعتبار الاشتقاق علامة للشيء ودليله الذي يرفعه إلى الذهن ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القَصْعَة والقُصَيْعَة[4] بجميع اللغات[5]، فعرف جميعها، فلما تفرق أَوْلادُهُ تكَلَّمَ كُلُّ قوم بلسان أحبوه وتناسوا غيره، ولا يرد أنا نعلم أن كل زمان بنوه يضعون أسامي لمعان، لإمكان أنه علمها آدم ثم ظهر في بعض الأزمنة من بعض أهله.

أفهمت الآية أن تعلم اللغة خير من التخلي للعبادة، وأن اللغات توقيفية[6]، وأن

---

(١) أي: ننزهك.

(٢) يعني: آدم.

(٣) لحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض والسهل والخبيث والطيب». رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٤٨)، وأحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٨٢، ٤٨٥). وانظر: تفسير ابن عباس (٧)، وتفسير مجاهد (٧٣)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٧٨)، الدر المنثور (١/ ٤٩).

(٥) تفسير الوسيط (١/ ١١٦).

(٦) يعني: بوحي من الله وتعليم منه وهذا هو المذهب الصحيح من مذاهب للعلماء.
انظر في ذلك بالتفصيل: الصاحبي - لابن فارس (٦)، مقدمة تاج العروس (١/ ٥)، فيض نشر الانشراح - لابن الطيب الفاسي (١/ ٢٤٤، ٢٤٥)، المحصول - للفخر الرازي (١/ ٢٤٣، ٢٦٠)، المنخول - للغزالى (٧٠)، الخصائص - لابن جني (١/ ٤٠، ٤١).

علوم الملك وكماله يقبل الزيادة، وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: مسمياتها ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ تبكيتًا لهم[١] ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة حصل علمًا أو غلبة ظن ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنكم أحقاءُ بالخِلَافَة المفهوم ضمنًا، فلا يرد أن الصدق ليس في الاستخبار ﴿قَالُوا۟﴾ معتذرين ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيها لك أن يخفى عليك شيء، وسَيُبَيَّنُ في الإسراء ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فيه تعريض بأنك علمته وما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ لا يخفي عليك شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لمبدعاته ﴿قَالَ﴾ بعد عجزهم ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فقال: أنت جبريل، وأنت ميكائيل حتى وصل الغراب وذكر حكمته التي خُلِقَ لَهَا ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ توبيخًا أو تقريرًا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ﴾ ما غاب في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عن الخلق ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تُظْهِرُونَهُ بألسنتكم نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلى آخره ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرونه من أنكم أحق بالخلافة استفدنا أن تعلم اللغة خير من التخلي للعبادة، وأن اللغة، وأن اللغة توقيفية، وأن علوم المَلَكِ وكماله يقبل الزيادة وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه[٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ وأصل السجدة تذلل مع اطمئنان، وشرعًا: وضع الجبهة عبادة وهو المراد ﴿لِـَٔادَمَ﴾ أي: إليه كالقبلة تعظيمًا له وطاعة لله - عز وجل ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اسم أعجمي أو عربي من الإبلاس، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - هو من الملائكة يتوالدون ويسمون الجن، وعن الحسن أنه أبو الجن، قيل: معنى قوله - تعالى -: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ إنه كان منهم فعلًا، ومن الملائكة نوعا[٣] ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ طلب التكبر وهو أن ترى نفسك خيرًا من آخر، أخره لفظًا لتأخره ظهورًا ﴿وَكَانَ﴾ في عِلْمِ الله - تعالى - [٨ظ] أو صار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أفادت الآية استقباح التكبر والخوض في سره - تعالى - وأن الأمر[٤] للوجوب ﴿وَقُلْنَا﴾ بعد

---

(١) كذا.

(٢) سبق ذكر ذلك.

(٣) لا، بل إبليس - عليه اللعنة - من الجن وليس من الملائكة في شيء، لا نوعًا ولا جنسًا اهـ.

(٤) يعني: الأمر بالسجود.

سجودهم ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي على الكرسي، ولا يرد أنها لا تكليف فيها ولا خروج عنها؛ لأنهما ممتنعان لمن دخلها جزاء ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلًا ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا بلا حجر ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من الجنة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لأكلها، ونهى عن قربها مبالغةً في تحريمها، وهي الكرم[1] عند أكثر أصحابه، والحنطة عند اليهود[2] ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الواضعين للشيء في غير موضعه ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أصدر زلتهما أي: بَعَّدَهُما ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ عن الشجرة أو الجنة، بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾[3] مقالًا أو وسوسة، قيل: إنَّ الحيَّةَ جَعَلَتْهُ بين نابين من أنيابها[4] فأدخلته بعدما طُرِدَ مِنْهَا فَكَلَّمَهُمَا من فيها، ولذا أُمِرْنَا بقتلها مطلقًا[5].

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا إلى الأرض، خاطبهما مع الأولاد، أو مَعَ الشيطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مُتعادين، أي: بين أولادِهما، أو بينَهُم وبَينَ الشيطان

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٧، ٥١٨)، المحرر الوجيز – لابن عطية (١/ ٢٥٢)، الجامع – للقرطبي (١/ ٢٠٩).

(٢) ابن عطية (١/ ١/ ١٨٤، ١٨٥) ترويح أولي الدمانة – للأدكاوي (١/ ٦٢).

(٣) سورة طه (١٢٠).

(٤) هذا ونحوه من الإسرائيليات – تفسير الطبري (١/ ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣٠)، الدر المنثور (١/ ٥٣).

(٥) أحاديث قتل الحية والثعبان كثيرة، منها:

* «اقتلوا الحية والعقرب، وإن كنتم في الصلاة».

رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٣٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٥١).

* «اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب».

رواه أبو داود (١/ ٩٢١)، والترمذي (٢/ ٣٩٠) والحاكم (١/ ٢٥٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٤٧)، المشكاة (١٠٠٤).

* «اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس منا».

رواه أبو داود (٤/ ٥٢٤٩)، والنسائي (١١٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ٢٣٩٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٤٩)، والمشكاة (٤١٤٠).

* «اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل».

رواه البخاري (٦/ ٣٢٩٧)، ومسلم (٤/ ١٢٨، ١٢٩) وأبو داود (٤/ ٥٢٥٤)، والترمذي (٤/ ١٤٨٣)، وابن ماجة (٢/ ٣٥٣٥)، وأحمد (٣/ ٤٥٢).

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى حين الموت أو القيامَة، ولا يعتقد أن آدم اتبع إبليس فيه بل أخطأ في التأويل بعد وسوسته كَحَمْل النهي على التنزيه أو اللام على العهد لا للجنس، ويمكن كونه قبل نُبُوَّته على أنه فعل ناسيًا واعلم أنه خلق للأرض، ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحالة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ تلَقَّنَ ﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ هي: ربنا ظلمنا [أنفسنا[١]] فَدعَا بِهَا ﴿فَتَابَ﴾ رجع ﴿عَلَيْهِ﴾ بالرحمة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة أو الرجَّاع على عباده بالرحمة، وأصل التوبة الرجوع، وهي في العبد الرجوع عن المعصية وفيه- تعالى-[٢] الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المبالغ في الرحمة ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كَرَّرَهُ تأكيدًا، أو الثاني إلى مقام التكليف إذ الهبوط يقال لنقصان المنزلة أيضًا، ودلّ عليه[٣] ﴿فَإِمَّا﴾ ما صلة، أي: إنْ ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ نبى ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ أي: ما جاء به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من الدنيا، والخوف: غَمٌّ على متوقع، والحزن غم على واقع، وأما الخوف المثبت لهم ففي الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ قسيم لمن تبع ﴿كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ المنزلة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.[٩و] «إسرا» معناه: عَبْدٌ وصَفْوة، «إيل» معناه: الله[٤]، أي: أولاد يعقوب، هيجهم باسم أبيهم ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ ولا تنسوا ﴿نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كفلق البحر وغيره[٥]، ونعمة الآباء نعمة الأبناء ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ بالطاعة أو اتباع محمد- [ﷺ] ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالثواب والعفو.

والوفاء: مراعاة العهد، والغدر: تضييعه، كالإنجاز والإخلاف للوعد ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ لا غير، أكد المخصص بتكرير المفعول والفاء الجزائية، والرهب: خوف مع تحرز ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ القُرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ التوراة والإنجيل ﴿وَلَا

(١) سورة الأعراف (٢٣). وفي (ن): إلى آخره.

(٢) يعني في حق الله تعالى.

(٣) في (د)، و(ن): ويؤيده.

(٤) النكت والعيون – للماوردي (١/ ١١٠).

(٥) الوسيط – للواحدي (١/ ١٢٧).

تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ ﴾ فوج ﴿كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ مِنْ أَهْلِ الكِتَاب ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ بالإيمان ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الدنيا ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ كَمَا مَرَّ لا فوات الرياسة ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾ لا تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بزيادة ما شئتم في التوراة ﴿وَ﴾ لَا ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نَعت مُحمَّدٍ فيها ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلاة المسلمين ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ زكاتهم ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ المصلِّينَ المسلمين، ولا ركوع في صلاة اليهود[١] وهذا منع لهم عما كانوا عليه فلا يدل على وجوب الجماعة[٢] ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ كاتباع التوراة التى فيها وجوب اتباع محمد [ﷺ] ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ في التزام البر ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ﴾ تقرؤون أو تتبعون ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة الناهية عن ذلك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قُبحَهُ، وأَصْلُ العقل الحبس، سُمِّيَ به الإدراك الإنساني؛ لأنه يحبسه عَمَّا يقبح، ثم القوة التى بها النفس تدرك ذلك، وفي الآية حَثُّ الواعظ على الاتعاظ، لا منع الفاسق من الوعظ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ فيما شق عليكم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ هُو حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مُقْتَضَى العَقْل والشرع، ويسمى في المصيبة صبرًا، وعن المُشْتهى عَناءً، وفي الحَرْبِ شَجَاعَةً، وفي النوائب رحب الصدر، وفي إمساك الكلام كتمانًا، والمراد هنا الصوم ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الناهية عن الفحشاء والمنكر ﴿وَإِنَّهَا﴾ الاستعانة بهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون[٣] ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟﴾ ثواب ﴿رَبِّهِمْ﴾ على الصبر على تكاليفه ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ بالبعث ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ يعنى إِيَّاكُمْ قبل تحريفهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٩ظ] عالمي زمانكم، فلا ينافي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٤] وافهم تفضيل البشر على الملك[٥] ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ أي: فضائحه ﴿لَّا تَجْزِى﴾ لا تقضي فيه ﴿نَفْسٌ﴾ صالحة ﴿عَن نَّفْسٍ﴾ عاصية ﴿شَيْـًٔا﴾ من الحقوق ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ من الصَّالحة ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ في العاصية ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ من العاصية

---

(١) الدر المنثور (١/ ٦٤)، فتح القدير (١/ ٧٧، ٧٩)، الوسيط (١/ ١٢٩)، التسهيل - لابن جزي (٤٩).

(٢) اختلف الفقهاء في وجوب صلاة الجماعة أو أنها سنة فقط. * انظر: السيل الجرار للشوكاني (١/ ٨٩).

(٣) عمدة الحفاظ - للحلبي (٣/ ١٤)، الأشباه والنظائر (٢٠١).

(٤) سورة آل عمران (١١٠) يعني في حق المسلمين.

(٥) هذا من الكلام المنهي عنه، ولم يتعبدنا الله بشيء من ذلك اهـ.

﴿عَدْلٌ﴾ فداء[1] أو بدل ﴿وَلَا هُمْ﴾ النفس بتأويل الأشخاص ﴿يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُون من العذاب، لا كزعمهم نحن أبناء الأنبياء فيشفعون لنا، استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، ويردهم تواتر أحاديث الشفاعة [2] وأنها نزلت ردًّا لزعم اليهود، ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اسم ملك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام كقول: كسرى وقيصر لملكي الفرس والروم [وفرعون موسى: مُصْعَب[3] بن ريان من بقايا عاد، وفرعون يوسف: رَيَّان، وبينهما أكثر من أربعمائة سنة، وسيأتي تحقيقه في المؤمن][4] ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يبغونكم أو يرسلون عليكم أو يكلفونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أفظعه أو يصرفونكم فيه مرَّة هكذا ومرة هكذا كالسائمة في البرية مِنْ سائمة الإبل في المرعى ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيانٌ لـ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ إلى آخره[5] ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياءً ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لسماعه أنه سَيُوْلد[6] منهم من يذهب بملكك ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو صنيعهم ﴿بَلَاءٌ﴾ نعمةٌ أو محنةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فصلنا مُلْتبسًا ﴿بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ شخصه، أو وفاقًا لما سبق ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ غرقهم ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ بمعنى وَعَدنا أو للمشاركة؛ لأن موسى واعده المجيء وهو - تعالى - واعده إعطاء التوراة بَعْدَ انقضاء ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

---

(١) قال الواحدي: والمراد بـ «العدل» في هذه الآية: الفداء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ (الأنعام / ٧٠) أي: إن تفد كل فداء، وسمي الفداء عدلًا؛ لأنه يعادل المفدى ويماثله.
* الوسيط (١/ ١٣٤).

(٢) بل للبيهقي مصنف فيها.

(٣) كذا، وفي التعريف والإعلام- للسهيلي (٢٤): الوليد بن مصعب يكنى أبا مرة وهو من بنى عمليق بن لاوي بن آدم بن سام بن نوح وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون.
انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٨٣)، المعارف- لابن قتيبة (٤٣)، تاريخ الطبري (١/ ٣٨٦)، المحبر- لابن حبيب (٤٦٦، ٤٦٧)، زاد المسير (١/ ٧٨)، مروج الذهب (١/ ٤٠١)، ترويح أولي الدمائة (١/ ٦٤، ٦٥).

(٤) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن)، وفى «المؤمن»: سورة غافر.

(٥) في (ن): إلخ.

(٦) في (ن): سيلد!!.

ذا القعدة وعشر ذي الحجة[١]؛ لإعطاء التوراة، خصَّ الليالي بالذكر[٢]؛ لأنَّ غُرَرَ[٣] الشهر بالليالي والعرب في أغلب تواريخها لا تذكر إلا الليل، وأيضًا: الليل أصل، وأيضًا كان الصوم عندهم بالليل ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد مضيه ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوۡنَا﴾ مَحَوْنَا الجَرِيمة ﴿عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ لتشكروا ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ فَرْق البَحْر، أو عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل[٤] ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ بِم ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ عابدي العجل ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ معبودًا ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ خالقكم عن عبادة مخلوقكم وأصل تركيب «ب. ر ى» لخلوص شيء عن غيره تقضيًا أو إنشاء ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: من لقيتم تمامًا لتوبتكم فأصابتهم سحابة سوداء لئلا ينظر بعضهم بعضًا فيرحمه فقتل سبعون ألفًا ثم غفر للقاتل والمقتول[٥] ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ من العصيان؛ لأنه طُهْرَةٌ من الشرك ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ يكثر قبول التوبة كما مرَّ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ للتائبين ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ﴾ حِين [١٠و] اختار موسى سبعين لأخذ التوراة، لا للاعتذار من عبادة العجل كما اشتهر ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ﴾ نصدق ﴿لَكَ﴾ بأن ما نسمع هو كلام الله ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ النار أو الصيحة أو الموت[٦] ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ ما أصابكم ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ﴾ بالصاعقة يومًا وليلةً ﴿لَعَلَّكُمۡ

---

(١) وهو قول أبي العالية الرياحي – تفسير الماوردي (١/ ١٢٠).

(٢) في (ن): ذكر اللّيْل.

(٣) أوائل.

(٤) الوسيط (١/ ١٣٨، ١٣٩) وقال ابن عباس: أراد بالفرقان: النصر على الأعداء؛ لأن الله – تعالى – نصر موسى وقومه على عدوهم، وسمى نصره فرقانا؛ لأن في ذلك فرقا بين الحق والباطل.
* تفسير عباس (٩)، غرائب القرآن للنيسابوري (١/ ٢٨٧)، فتح القدير (١/ ٨٥).

(٥) الدر المنثور (١/ ٦٩، ٧٠)، النكت والعيون (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٦) الصحيح أنه الموت. وانظر: الطبري (٢/ ٨٧)، البحر المحيط (١/ ٢١٠)، الدر المنثور (١/ ٧٠)، تفسير الفخر الرازي (٣/ ٨٤).

تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة البعث، ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ في التيه لحفظكم من الشمس (١) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ ﴾ الترنجبين (٢) من الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ نوع من السماني (٣)، قائلين: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ مستلذات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ولا تدخروا، فادخروا فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ بالكفران ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بكفران ذلك وغيره من النعم كنزول عمود من السماء في الليل لإضاءتهم وعدم توسخ ثيابهم ونقائها وغير ذلك ﴿وَإِذْ قُلْنَا ﴾ بعد التيه (٤) ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أريحا (٥) أو بيت المقدس، وهم ما دَخلوه إلَّا زمان يُوْشَع ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ﴾ باب القرية، أو قبة كانوا يُصَلُّونَ إليها ﴿سُجَّدًا ﴾ مُنحنِينَ تواضعًا، أو ساجدين شكرًا ﴿وَقُولُواْ ﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ ﴾ لخطئينا، أو حط حطة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ هذا لعُصَاتِهم ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ثوابًا ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بما أمروا به من الاستغفار ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ من طلب مشتهياتهم أو قالوا: حِنْطَة استهزاء ودخلوا ماشين على أستاههم (٦) رافعي رؤوسهم عنادا ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾

---

(١) في هامش (ن): بلغ.

(٢) الوسيط (١/ ١٤٢) وهو نوع من العسل يقال له: «ترنجبين» بفتح التاء الفوقية المثناة والراء المهملة وسكون النون الفوقية الموحدة بعدها جيم معجمة مفتوحة ثم باء مكسورة ثم ياء ساكنة تحتية مثناة آخرها نون: معرب «ترنكبين» وهذه الكلمة فارسية معناها: عسل الندى.

* قصد السبيل – للمحبي (١/ ٣٣٤)، تذكرة داود (١/ ٨٤).

قلت: وهو المعروف بـ«سُكَّر النبات» الآن، إلا أنهم يقلدونه صناعة، وأما الطبيعي منه فيوجد على الأشجار، ويكثر بالعراق وأفغانستان.

(٣) هو السمان المعروف. * البحر المحيط (١/ ٢١٤)، فتح القدير (١/ ٨٨).

(٤) في أرض سيناء.

(٥) تفسير ابن عباس (٩)، تفسير الطبري (٢/ ١٠٣)، الوسيط (١/ ١٤٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٨)، البحر المحيط (١/ ٢٢٠).

وأريحا: مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة (٣٧) كيلًا شمال شرقي القدس وتنخفض (٢٧٦) مترًا عن سطح البحر. * معجم بلدان فلسطين (١١١).

(٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: «حطة» قال: «بدلوا فقالوا: حبة» رواه البخاري (٣٤٠٣) وعن أبي هريرة قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا: حطة. فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وبدلوا فقالوا: حنطة؛ حبة في شعرة» رواه النسائي (١٠/ ١٠٩٢٢) وسنده صحيح موقوفًا.

أي: عذابا هو طاعونهم من الرجز[١]، داء يصيب الإبل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ فمات به في ساعة سبعون ألفا[٢].

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾[٣] إنما ترك الترتيب بينه وبين قصة دخول القرية لتعديد ما وجد منهم وَألَّا يكون قصة واحدة ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ فأجبنا دُعَاءَه لهم ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ حَجَرٌ طوريٌّ خفيف مُربَّع كانوا يحملونه معهم، أو كان في مخلاته[٤] ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ بضربة بعد انبجاسها[٥] أي: ترشحها ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ كل عين لسبط، وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر اثنا عشر ميلا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ عينهم، قائلين لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ لا تمادوا في الإفساد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فالنهى عن التمادي فيه، أو من قبيل ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا﴾[٦] أو احترز عما [١٠ظ] ظاهره فساد وباطنه صلاح كخرق خَضِرِ السَّفِينة ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ المَنِّ والسَّلْوَى، والوحدة لاستمراره على حالة واحدة، أو لأكلهم إياهما مخلوطين ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ ما لا ساق له من الخضراوات ﴿وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ الحنطة أو

---

(١) كما في الحديث: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل» رواه البخاري (٦/ ٣٤٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٢١٨)، والترمذي (٣/ ١٠٦٤).
الرجز- أصلًا-: تقارب خطو البعير واضطرابه؛ لضعف فيه ومنه سمي بحر الرجز في الشعر؛ لتقارب أجزائه في التقطيع. * عمدة الحفاظ (٢/ ٧١).

(٢) هذا قول الضحاك – رواه الطبري (٢/ ١١٧) ولا يصح.
وانظر: الوسيط (١/ ١٤٥)، تفسير الرازي (٣/ ٩٠)، البحر المحيط (١/ ٢٢٥)، غرائب القرآن (١/ ٢٩٤، ٢٩٥)، تفسير القرطبي (١/ ٤١١).

(٣) في هامش (ن): نصف الحزب.

(٤) الوسيط (١/ ١٤٥).

(٥) لقوله في سورة الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ (الأعراف/ ١٦٠) والأنبجاس: قريب من الانفجار. * عمدة الحفاظ (٢/ ١٦٠).

(٦) سورة آل عمران (١٣٠).

الثوم[١] أو كُلّ حَبٍّ يخبز ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ كانوا فلاحين مغتادين[٢] بها ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ طَعْمًا ونفعا ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فيهما، واعلم أن الخير المطلق هو النافع الحسن المستلذ، وضده الشر المطلق، والخير المقيد المتصف بواحدة منهما فيمكن اتصافه بالشر المقيد ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ من الأمصار[٣] أو مصر[٤] فرعون، والمصر: البلد العظيم[٥]، وأصله الممصور، أي: المضموم بالحدود ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ الهوان كالقبة[٦] المحيطة ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ ولو كانوا كثيري المال ﴿وَبَاءُو﴾ رجعوا أو صاروا أحقاء ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ الضَرْب مع البوء ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المنزلة ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كيحيى[٧] ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عندهم، أو قيده تَشْنيعًا على أنه قد يكون حقا كقصة إسماعيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكُفْر والقتل ﴿بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: جرَّهُم العصيان والاعتداء من حدود الله إليهما، أو الباء بمعنى مع ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حقيقة أو لسانا ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ وأدخلوا في اليهودية، ويهودُ؛ إما من هاد، أي: تاب أو للنسبة إلى جدهم يهودا ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ جَمْع نصراني أُمَّةُ عِيسَى[٨] سُمُّوا بهِ؛ لنصرتهم المسيح[٩]

---

(١) وذلك صريح في قراءة ابن مسعود. * النكت والعيون (١/ ١٢٩).

(٢) يعني يفطرون بها، وفى (ن): مُعتادين، أي: عَادتهم أكلها.

(٣) وذلك؛ لأن مصر ممنوعة من الصرف؛ للعلمية والعجمة.

(٤) هذا على قراءة الحسن والأعمش وابن مسعود وأبي وطلحة وأبان بن تغلب وابن عباس – بعدم الصرف – اتحاف فضلاء البشر (١٣٧)، والبحر المحيط (١/ ٢٣٤)، المحتسب (١/ ١٢٣).
وقال الواحدي: ويجوز أن يكون أراد «مصر» بعينها، وصرفها؛ لخفتها وقلة حروفها مثل: جمل، ودعد، وهند. * الوسيط (١٤٧١).
قال السمين: وليس بصحيح؛ لأنه أعجمي. * عمدة الحفاظ (٤/ ٩٥).

(٥) المصر: اسم كل بلد ممصور أي: محدود، ويقال: مصرت مصرا، أي: بنيته والمصر: الحد. * عمدة الحفاظ (٤/ ٩٥).

(٦) يعني: كما تضرب القبة.

(٧) وزكريا وشعيا. * الكامل (١/ ٢٥٥)، الوسيط (١/ ١٤٨).

(٨) بَلْ عيسى مِنهمُ برئ، وهُمْ أمّة الكُفْر والوثنيّة.

(٩) قلت: وهذا من أبعد المعاني لغة وواقعًا:

أو لنزولهم معه في قرية نصران أو ناصرة[1]، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ الخارجين من الدين، وهم بين اليهود والنصارى والمجوس بلا دين، يُعظِّمُونَ الكواكب، وخص الأربعة؛ لشهرتهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم قلبًا ولسانًا ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بلا رياء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كما مَرَّ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ باتباع التوراة، ﴿وَ﴾ قَدْ ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ ظلله جبريل فوقهم حين أبوا حتى قبلوا[2]، والظاهر أنه إلجاء، فاستحقاقهم الثواب باستدامته، وقيل: بالعمل به، قائلين: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَٱذْكُرُوا۟﴾ ولا تنسوا ﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بنقض الميثاق ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ [١١و] وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوراة ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ المغبونين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ حال ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ من سبت أي: عَظَّمَ السبت، إذ نهوا عن الصيد فيه تعظيمًا له ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ أمر تكويني[3] ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ مطرودين ذليلين، نودوا بذلك فصاروا كذلك، روي أن شبانهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير[4] ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ المسخة ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثله ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لمعاصريهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من بعدهم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا[5] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ لما وُجِدَ فيهم قتيل قتله بنو أخيه طمعًا في ماله، ثُمَّ جاءُوا يُطالبون بدَمِه[6]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾

= أما اللغة فلو كانوا نصروه. لقيل: ناصرون أو ناصرين، وأما الواقع فلا يعلم أمة خذلت نبيها كخذلان النصارى لعيسى وأمه.

(١) هذا هو الصحيح والناصرة: مدينة في فلسطين تقوم فوق رقعة متوسطة الارتفاع داخل الجليل الأدنى وترتفع (٤٠٠) متر عن سطح البحر و (٣٠٠) متر عن مستوى سهل مرج ابن عامر، وأصل النصارى فيها من لبنان. * معجم بلدان فلسطين (٧٠٢).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ١٥٦، ١٥٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥)، الدر المنثور (٣/ ١٠٤)، فتح القدير (١/ ٩٥).

(٣) أي: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم. * الوسيط- للواحدي (١/ ١٥٢).

(٤) الوسيط (١/ ١٥٢) هامش.

(٥) في (ن): واذكر.

(٦) تفسير الطبري (٢/ ١٨٣، ١٨٨)، الوسيط (١/ ١٥٤)، أحكام القرآن- لابن العربي (١/ ٢٢، ٢٣)، البحر المحيط (١/ ٢٤٩).

فتضربوه بِبَعْضِهَا ليحيا ويخبر بقاتله ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ مهزوًّا بنا، وهو المزح ﴿قَالَ﴾ ردًّا لهم على طريقة البرهان: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ حاصِلُ الهزؤ هنا جهل وهو منتف عني ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ ما صِفَتُها مجاز عن أي: شيء وحقيقة عند السكاكي[١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾ هرمة ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ شابة قبل الفحل، وتركيب بكر للأولية[٢] ﴿عَوَانُۢ﴾ وسط ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ المذكور من الفارض والبكر إنما نكره نعتًا لاحتمال كونه عجلًا أو جنينًا ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ خالص الصفرة غاية، وإسناده إلى لونها مَجازًا ﴿تَسُرُّ﴾ تُعْجِبُ ﴿ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ وأصل السرور لذة في القلب عند حُصُوْل نفع أو توقعه وهو والحبور والفرح متقاربة، إلا أن الأولين محمودان ونهي عن الثالث[٣]؛ لأنه فيما يورث بطرا[٤] ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم[٥] عاملة ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ إليها دَلَّ عَلَى انفكاك

---

(١) مفتاح العلوم- للسكاكي (ص١٩٥/ علم البيان).

والسكاكي هو الإمام العلامة اللغوي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكس الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦هـ. * الجواهر المضية (٢٢٥).

(٢) يعني: أصل وضعها في اللغة.

قال السمين الحلبي: البكرة هي أصل كل ما يتصرف منها، والبكرة: هي أول النهار، وقد اشتق منها لفظ الفعل.

فقيل: بكر فلان في حاجته أي: خرج بكرة، والبكورة: الخروج بكرة، والبكور - بالفتح -: المبالغ في البكور، ولتقدمها على سائر أوقات النهار استعمل منها كل متعجل. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٢٠).

(٣) يعني: في أمور الدنيا كقوله- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ أما في أمور الخير والآخرة ونصرة الدين فهذا مأذون فيه، كما في قوله- تعالى-: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ (يونس: ٥٨) وقرأ أبي: (فافرحوا)، وقرأ ابن عامر وأبورجاء وقتادة ورويس: (فلتفرحوا)، ومثله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ (الروم: ٤، ٥)؛ لأنه نصرة لدين الله، وذلك أن الروم غلبت الفرس، والروم أهل كتاب في الجملة، والفرس عبدة نار لاكتاب لهم، فهم أبعد من المؤمنين. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢١٠، ٢١١).

(٤) البطر - بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة: أن يطغى أي: يتكبر عند الحق فلا يقبله، وقال الهروي: البطر: الطغيان عند النعمة. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٠٠).

(٥) في (د): أو.

الأمر عن الإرادة إذ شرطت بعد الأمر، وعِنْدَ المعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة، إذ معناه إن حدث بمشيئة، ورد بأن التعليق باعتبار التعلق[1] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ مُذَلَّلَةٌ للعمل ﴿تُثِيرُ﴾ تقلب ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ﴾ عن العمل أو العيب ﴿لَّا شِيَةَ﴾ لا علامة من لون آخر ﴿فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ بحقيقة وصفها، فحصلوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ لكثرة مراجعتهم أو خوف التغيير أو لأنهم وجدوها بعد أربعين سنة[2] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ أخر أول القصة[3] تقديما لذكر مساوئهم [١١ظ] أو تعديدا لها أو لأنهم أمروا بالذبح قبل القتل ﴿فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ﴾ تَدافعتُم أو اختلفتُم[4] ﴿فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مُظْهِر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القاتل ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي: البقرة[5] ليحيا، فضَربُوه بلسانها فحيى وأخبر ومات بلا مهلة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء به ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن من قدر عليه قدر على الحشر وإنما لم يحيه - الله ابتداء بلا شرط؛ لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم وبيان بركة التوكل والشفقة على الأولاد واستحباب القربة للطالب والمغالاة بثمنها وغير ذلك من الحكم[6]. ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ غلظت ولم تعتبر ﴿قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الآيات ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ صَلابةً ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾ «أو» للتخيير أو للترديد، أي: مَن عَرفَ حالها شَبَّهها بالحِجارة

---

(١) تفسير البيضاوي (١٥).

(٢) هذا بعيد بعد الأرض عن جو السماء، والراجح أنهم من تشديدهم على أنفسهم وتعنتهم شدد الله عليهم فحيرهم وأضلهم- والعياذ بالله.

(٣) يشير الكازروني- طيب الله ثراه- إلى أن الواو في «وإذ» عطف على قوله- تعالى-: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ﴾ والذكر مضمر ها هنا، كأنه قال: واذكروا إذ قتلتم نفسا، وأضاف القتل إليهم -وإن كان القاتل واحدا، على ما جرى من عادة العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون: فعلتم كذا، وإن كان بعضهم فعل ذلك، وهذه الآية هي أول القصة، ولكنها مؤخرة في الكلام، ومعناه التقديم.

* تفسير الوسيط (١/ ١٥٧) بتصرف.

(٤) في (ع): واختلفتم.

(٥) أي: ببعض البقرة.

(٦) تفسير البيضاوي (١٥).

أو به، وسيأتي بيانه في قوله- تعالى-: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1] ثم علّل الأشدية بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وهـذا دون الأول، إذ التفجر التفتح بكثرة فلا تكرار.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ من رأس الجبال[2] ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ انقيادا وهي[3] متعلق الأفعال السابقة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾[4] أيها المُؤمِنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ اليهود ﴿لَكُمْ﴾ لدعوتكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ هم السبعون المختارون للميقات[5] ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ بعد رجوعهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عقابه، فكيف بهؤلاء ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ منافقوهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأنكم على الحق ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى﴾ مع ﴿بَعْضٍ قَالُوا﴾ كُفّارهم لِمُنافقيهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في التوراة[6] من صفة نبيهم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فيقولوا: أكفرتم بما علمتم صدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أليس لكم عقل، ومثل هذه الهمزة للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ وهي لِصَدارتها قُدِّمت، وكذا في الواو وثُمَّ، وقيل عطف على محذوف بعد الهمزة فتقديره: أتقولونه فَلَا تَعْقِلُون ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فالحُجَّةُ على التقديرين قائمة عليهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ مَنْ لَا يَكْتُبُ ولا يقرأ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا﴾ لكن يعلمون ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيب سمعوها من كبرائهم[7]، وأصل الأمنية ما يقدره الإنسان في نفسه ﴿وَإِنْ هُمْ

---

(١) سورة النحل (٧٧). وفى (ع): بل هُوَ أقرب!!!

(٢) في (ع): الجبل.

(٣) يعني شبه الجملة «من خشية الله».

(٤) في هامش (ن): حِزب.

(٥) النكت والعيون – للماوردي (١/ ١٤٧).

(٦) ومعنى: «فتح الله» أي: بما علمكم الله أو بما قضاه الله. * النكت والعيون (١/ ١٤٩).

(٧) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٩، ٥٠). * وانظر الوسيط (١/ ١٦٢).

﴿إِلَّا﴾ قَومٌ ﴿يَظُنُّونَ﴾ يَعتقدون بلَا عِلْم ﴿فَوَيْلٌ﴾ هَلَاكٌ، أو واد في جهنم[1] ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أحْبَارهم [١٢و] الكاتبون من تأويلات زائغة، لإشارات التوراة إلى بعثة محمد- ﷺ- وأكّدَ بالأيدي؛ ليفيد مُباشرتهم بأنفسهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو رياستهم وانتفاعهم من سفلتهم ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من سفلتهم أو من المعاصي ﴿وَقَالُوا۟﴾ اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ المَسُّ: اتِّصالُ الشَّيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسَّةُ به[2]، واللَّمسُ كالطَّلَبِ[3] لَهُ ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ سَبْعَة[4]، أو أَرْبعين[5] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ﴾ تفترون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠ بَلَىٰ﴾ أثبت منفيهم ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ والكسب: استجلاب النفع، علقه[6] بالسيئة[7] تَهكُّمًا ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فلا يبقى لَهُ حَسَنة، وهو الكافر؛ لأنَّهُ إنْ صدق قلبه ما يحرك لسانه لم تُحِطْ بهِ الخطيئة، والفرق أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعِرَضِ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة قائلين لَهُم: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى

---

(١) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره» رواه الترمذي (٥/ ٣٨٣/ ٣٤٣٥/ الرسالة)، وأحمد (٣/ ٧٥) وأبو يعلى (١٣٨٣)، وابن حبان (١٦/ ٥٠٨/ ٧٤٦٧/ إحسان) وسنده ضعيف، إلا أن له شواهد.

(٢) بقصد وبغير قصد.

(٣) يعني لابد فيه من القصد.

(٤) رواه ابن هشام في السيرة (٢/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٢٤٧، ٢٤٨/ ٨١٨)، وابن جرير في الجامع (١/ ٣٠٣)، والواحدي (١٦)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٥٤، ٣٥٥/ ٣٨٠) وسنده ضعيف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٨/ ٨٢٠)، وابن جرير في الجامع (١/ ٣٠٢) وسنده ضعيف جدًا.

(٦) في (ن): عُلِّق.

(٧) في (س): بالنَّسيئة.

النهي ﴿إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ تحسنون ﴿إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فاقد ما يكفيه، وأصله من أسكنه الخلة ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قولًا ﴿حُسْنًا﴾ ذا حسن كالأمر بالمعروف ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضتين في دينكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن الوفاء ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ في التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ لا يَقْتُل بعضكم بعضًا فإنهم كأنفسكم لا تصالهم دِينًا ورَحِمًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ بإجلاء بعضكم بعضا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتموه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم بذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ بعد ذلك يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الناقضون ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾ تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفْدُوهُمْ[1] وَهُوَ﴾ الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالقتل والمظاهرة والإخراج ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ هوانٌ وعذابٌ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كخزي [١٢ظ] قريظة بالسبي والقتل، وبنو[2] النضير بالجلاء والجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ﴾ لا ينقص ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُمْنَعُونَ مِنْ عَذَابِ الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أتبعناه إياهم ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ المُعجِزات ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بروح مقدس، هو اسمٌ كَانَ يُحْيِي به الموتى، أو جبريل إذ كان يسير معه حيث سار، أو القدس والقدوس واحد، أي: روح الله ﴿أَ﴾ كَفَرْتُم ﴿فَكُلَّمَا﴾ مَرَّبَيَانُ نَظِيره ﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ لا تُحبُّهُ ﴿أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ومحمد [ﷺ] ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى، والمضارع لحكاية الماضي، أو لمحاولتهم قتل محمد- ﷺ ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ مُغشَّاة بغلاف خلقي يمنعها عن فهم ما جئت به ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فقلوبهم

---

(١) في هامش (ن): قرأ حفص: (تُفَادُوهم) وكتبها في المتن: (تفدوهُم).

(٢) كذا.

ملعونة بسببه ﴿فَقَلِيلًا مَّا﴾ إيمانًا قليلًا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وهو إيمانهم ببعض الكتاب، أو أرادَ عدمَ إيمانهم ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ القرآن أي: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة، وجواب «لِمَا» محذوف، دَلَّ عليه «لما» الثانية ﴿وَكَانُوا۟﴾ اليهود ﴿مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقولهم: اللهم أيدنا بنبيِّ آخِرِ الزمان المنعوت في التوراة[1] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حَسَدًا ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ فإنهم باعوا ثوابها بالكُفر أو اشتروها حقيقة على زعمهم ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ مَخصوصٌ بالذم[2] ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ حَسَدًا على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الكتاب والنبوة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ بكفرهم بمحمد- ﷺ- بعد كفرهم بعيسى- ﷺ- ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لكنَّ عَذَاب العُصَاة للتطهير ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما سواه ﴿وَهُوَ﴾ ما سواه ﴿ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة فالكفر به[3] كفر بها[4] ﴿قُلْ﴾ إنْ صَدقْتُم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ جاء بالمضارع[5] للزوم الصفة لهم و﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بمضمون ﴿فَلِمَ﴾ الذي هو البحث عن علة الشيء فكأنه قيل: أخبروني من قبل ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة [١٣و] الناهية عنه وفعل آبائهم كفعلهم؛ لرِضَاهُم به.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المُعجزات الوَاضحات ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾

---

(١) سيرة أبي هشام (٢/ ١٩٨، ١٩٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٦/ ٩١١)، جامع البيان (١/ ٣٢٥)، دلائل النبوة – لأبي نعيم (٤٤).

(٢) والفعْلُ: «بِئْسَ».

(٣) بالقرآن.

(٤) بالتوراة.

(٥) والمراد: لم قتلتم؛ لأنه كالصفة اللازمة لهم، كقولك للكذاب: لم تكذب؟ وأنت تريد: لم كذبت؟ ولأن قرينة الحال تصرف اللفظ إلى الماضي وإن كانت الصيغة للاستقبال.

* وضح البرهان (١/ ١٥٢).

إلها ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ مِن بَعْدِ ذهابه ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ عادتكم الظلم ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ قائلينَ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بِجِدٍّ ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ أطيعوا ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ بالآذان ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ بالقُلُوب، واعترفوا بالقبول ولم يفعلوا ﴿وَأُشۡرِبُواْ﴾ أعمق أبدانهم حتى دخل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: حُبّه كدخول الصبغ الثوب ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾ المبطون ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بالتوراة من عبادة العجل وتكذيب مُحمَّدٍ- ﷺ- ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فبئسما[١] أمركم به إيمانكم ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في عِلْمِه ﴿خَالِصَةٗ﴾ خاصَّة بكم ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ الباقين ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ادعوا به على الكاذب منا ومنكم أي: باهلوا[٢] ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ولو تمنوا لما بقي أحد منهم[٣] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ من الذنوب عَبَّر بها[٤] عن النفس؛ لأنها آلة أغلب صنائعها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ متطاولة ﴿وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ خَصَّهُم؛ لإنكارهم البعث ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ﴾ لَوْ: للتمنِّي أي: أن يعمر، وحاصله يقول: ليتني أُعَمَّرُ ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ﴾ أحدهم ﴿بِمُزَحۡزِحِهِۦ﴾ بِمُبْعِد نفسه ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ﴾ تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ «جبر» معناه: عَبْد «إيل» معناه: الله، فما له إنصافٌ[٥] ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من الكتب ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وعذابًا

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) من المباهلة وهي الملاعنة ومنه قوله- تعالى-: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾.

(٣) قال الواحدي- رحمه الله-: وفي هذه الآية أبين دلالة على صدق نبينا محمد- ﷺ-؛ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت – ثم لم يرد – مع حرصهم على تكذيبهم – أن أحدا أتاه وقال: يا محمد ! أنا أشتهي الموت وأتمناه؛ لأنهم علموا أنهم لو تمنوا لم يبق منهم صغير ولا كبير إلا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلا على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صدقه. * والوسيط (١/ ١٧٧).
وانظر: معاني القرآن- للزجاج (١/ ١٥٢)، تفسير الطبري (٢/ ٣٦١)، الدر المنثور (١/ ٨٩).

(٤) باليدين.

(٥) كذا- والمعنى: إن من عادى جبريل لم يُنْصِفْ في المعادَاةِ.

وشدة على الكافرين ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: له، وضع المُظْهَر مَكان المُضْمَر تسجيلًا على كفرهم، وقس عليه نظائره.

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الفِسْقُ إذا اسْتُعْمِل في نوع من المعاصي دَلَّ على أعظمه ﴿أَ﴾ كفروا بآياتنا ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ﴾ طَرَحَهُ مَنْسِيًّا ﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ رَدٌّ لِتَوَهُّم أن الفريق هم الأقلون ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ [١٣ظ] ٱللَّهِ﴾ التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ أي: أعرضوا بجَحْدِهِم ما فيها من صفة محمد- ﷺ- ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ما فيها ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ عطف على «نبذ» ﴿مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ حكاية عن الماضي ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ﴾ عَهْدِ ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: كتاب سِحْرٍ كتَبَهُ الشياطينُ ودفَنُوهُ تحت كُرْسِيِّه واستخرجوه بعد موته، وقالوا: هو مَلَكَ بهذا السحر لا بنبوته، فتعلموه ونفوا نُبُوَّتَهُ ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ ما سحر ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾ عبر عنه بالكفر لغلظه[١] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ بما دفنوه وقالوه[٢].

*** تنبيه:**

السحر[٣]: إتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم، فإذا اقترن بكُفْرٍ فكُفْرٌ، وإلا فكبيرة[٤] عند الشافعي وَكُفْرٌ عند غَيْره، وتعلمه إذا لم يكن ....

---

(١) قال الماوردي: وهم ما نسبوه إلى الكفر، ولكنهم نسبوه إلى السحر، لكن لما كان السحر كفرا صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر. * النكت والعيون (١/ ١٦٤).

(٢) الوسيط- للواحدي (١/ ١٨٣).

(٣) المفردات (٣٣١)، الكليات (٣/ ٥) التوقيف (٣٩٩).

(٤) الذخائر - للسفاريني (١٥٣) وتعلم السحر وتعليمه حرام، قال القرطبي (٢/ ٣٠، ٣١):
قوله- تعالى-: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ تبرئة من الله لسليمان، ولم يتقدم في الآية أن أحدا نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبة إلى السحر، ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر .اهـ.
وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٤٤): وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا =

لِذَبِّ(١) السحرة عند فُشُوِّه(٢) حَرَامٌ عند الأكثرين.

وعِنْدَ الإمام(٣) أنواعه ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين عبدة الكواكب(٤).

الثاني: سحر ذوي الأفهامِ(٥) والنفوس القوية.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية.

الرابع: التخييلات والأخذ بالعيون.

الخامس: أعمال عجيبة ظاهرة من تركيب آلات مركبة كَفَارِسٍ في يده بُوْق كل ساعة يضر به بلا مس(٦) أحد.

السادس: الاستعانة بخَوَاصِّ الأدوية(٧).

السابع: تعليق القلب، كأن هدده بأني أفعل بك كذا وكذا بالاسم الأعظم، فإذا سمعه تعلق قلبه به فتضعف قوته الحساسة فيتمكن من أن يفعل به ما يريد.

الثامن: السعي بالنميمة ونحوه.

والمعتزلة أنكروا كُلَّ ذَلِكَ إلَّا التخييلى والنميمة(٨)، والتحقيق أن الأعمال

= بسحرهم وأنهم يعلمونه الناس، ومعتقد الكفر كافر، وقائله كافر، ومعلمه كافر اهـ.
وبهذا يعلم فساد القول بتعلمه، قلت: لعل الرازي – رحمه الله – يقصد بالإباحة معرفته لا تعلمه، وفرق بينهما.

(١) دَفْع شرِّهم، والمسألة خلافية والراجحُ فيها جواز تعلُّمه لمن يأمَنُ الفتنةَ لمعرفة الشرّ لا للشرِّ، وإنما للوقاية منه.

(٢) انتشاره.

(٣) الرازي، ونقله عنه ابن حجر الهيتمي في الزواجر (٢/ ١٦٤).

(٤) الذين يعتقدون بألوهية الأفلاك وأنها واجبة الوجود وأنها فاعلة، لها قوة نافذة غالبة في هذا العالم.

(٥) كذا في المخطوط وهو الصحيح، وفي الزواجر (٢/ ١٦٤): الأوهام.

(٦) هذا هو علم الآلات «ميكانيكا» وقد برع فيه المسلمون، وساق العلامة أحمد تيمور باشا نماذج عديدة عليه في كتابه «خيال الظل والتمثيل عند العرب». * وانظر: قطرات الدمع فيما ورد في الشمع- للحافظ ابن طولون (١٢/ بتحقيقي).

(٧) مفردةً أو مُركبة.

(٨) ليست في (ن)، وهي في (ح)، و(س)، و(ع)، و(د).

العجيبة مِمَّا يُعْمَلُ بالآلات والأدوية كأعمال أصحاب الحيل وأصحاب خفة اليد غير مذموم[١]، وتسميته سحرًا تَجَوّزًا، وقَدْ بَانَ لك بهذا وبالتعريف خُرُوْج كثير من الأقسام التي ذكرها الإمام، ومنها: الشعوذة[٢] وهي إظهار عمل شيء تشتغل به أذهان الناظرين وأعينهم بعمل شيء آخر على سبيل السرعة ليخفى الأمرُ على الناظر.

ثم اعلم أن المعجزة خرق عادة من نفس خيرة داعية إلى الخير مقرونًا بالتحدي على وفقه تتعذر معارضته، فخرج بالخيرة الداعية إلى الخير خوارق المسألة والساحر، وبالاقتران الكرامة والإرهاص[٣] وبالوفاق خارقٌ يَشْهَدُ على خلاف دعواه، كمن يقول: علامة نبوتي: نطق هذا الحائط، فنطق بأنه كذاب وبتعذر المعارضة ما يعمل بخواص الأشياء.

ثُمَّ كَرَامَةُ الوليّ، وهو المقبل على الله بكلِّ حالٍ: هي خَرْقُ عادة من ملتزم لمتابعة نبيه بلَا دَعْوى النبوة، فخرج بالالتزام الاستدارج[٤]، ومؤكد تكذيب الكذاب كمرض من دَعَا بعافيته ويُسَمَّى إهانة، وكذا ما وقع تخليصًا للمؤمنين ويسمى: معونة والله أعلم.

﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي: أُلْهِمَا به من السحر ومعرفة فساده، ﴿بِبَابِلَ﴾: موضع بالكوفة[٥]، ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: بيان للملكين[٦]، وهُمَا كَانَا

---

(١) لكن خفة اليد إن اقترنت بحرام كسرقة وأكل أموال الناس بالباطل فحرام اهـ.

(٢) التضليل وهي الشعبذة.

(٣) ما يظهر للنبي قبل النبوة كإظلال الغمام ونحوه .اهـ.

(٤) ما يظهر على يد الكاذب.

(٥) بابل: مدينة أثرية بالعراق وتعرف الآن ببابل القديمة. * تقويم البلدان (٣٠٢)، المسالك والممالك – للبكري (١/ ٤٤٠)، معجم ما استعجم (١/ ٢١٨)، الأماكن – للحازمي (٢/ ٨٧٢)، معجم البلدان (١/ ٣٠٩)، والكوفة: مدينة بالعراق على ذراع من الفرات خارج.

(٦) أقول: هذان ليسا ملكين؛ لأن الله عصم الملائكة عن المعصية، والظاهر أنهما رجلان صالحان شبها بالملكين أو هما ملكين – بكسر اللام – وقد قرأ بها ابن عباس والضحاك وابن أبزي وأبو الأسود الدؤلي والحسن البصري وابن مزاحم. * البحر المحيط (١/ ٣٢٩)، تفسير الطبري (٢/ ٤٣٥).
قلت: وللإمام العلامة الفقيه البارع الولي عبد الغني النابلسي – رحمه الله ورضي عنه – كتاب ماتع

من أعبد الملائكة، رَكَّبَ الله تَعالى فِيْهِما الشَّهْوة بعدما طعن الملائكة فينا ليظهر عذرنا فعصيا فخيرهما بين عذابي الدارين، فاخْتَارَا عَذَابَ الدنيا، فَعَذَّبَهُما إلى يوم القيامة(١)، ويمتحن بهما عباده(٢)، ونزوله عليهما لا ينافي حُرْمَتَهُ؛ لأَنَّهُما يعلمانه ليجتنبوه، كما لو سُئِلْتَ: ما الزنا؟ لوجب بيانه لِيُعْرفَ فيجتنب عنه، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾: الملكان ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ، أحدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ، اختبار لكم ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: بتعلمه، كأنه كان في هذا النوع من السحر كفر، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا﴾: أي: سحرًا، ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾: خَصَّه بالذِّكر؛ لأنَّهُ أَقْبحُ أنواعه(٣)، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ، أحدا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: لأنهم يتعلمونه للعمل، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ السحر بدين الله باختياره عليه، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب خير، ﴿وَلَبِئْسَ مَا

= سماه «برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت» طبع في (٣٧٦/ ص) بدار البشائر الإسلامية المحروسة - بتحقيق الدكتور / عمر أحمد زكريا - وفقه الله.

وقال شيخ مصنفنا العلامة جلال الدين الدواني - بتشديد الواو المفتوحة -: وما اشتهر من قصة هاروت وماروت ليس مقبولا عند الأكثر من المحققين بل ذكر (شيخ الإسلام) ابن تيمية أن السبب في إنزالهما أن السحر قد تفشى في ذلك الزمان، واشتغل به الناس واستنبطوا أمورا غريبه منه وكثر دعوى النبوة، فبعث الله - تعالى - هذين الملكين ليعلمان الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة السحرة الكفرة. * شرح رسالة العضد الإيجي (٢٦/ أ- الظاهرية) نقلا عن هامش برهان الثبوت.

(١) قال السيوطي في كتاب «الحبائك في أخبار الملائك». قال القرافي: ومن اعتقد في هاروت وماروت أنهما بأرض الهند يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر، بل هم - يعني الملائكة - رسل الله وخاصته يجب تعظيمهم وتوقيرهم وتنزيههم عن كل ما يخل بتعظيم قدرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقة دمه. الحبائك (٢٥٤).

(٢) قال ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية (١/ ٣٧):
وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة... إلخ فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عن طائفة من السلف على سبيل الحكاية والتحديث عن بنى إسرائيل ومن خرافاتهم التى لا يعول عليها - والله أعلم.
وقال في تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٢): وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى النبي -ﷺ- الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

(٣) وهو سحر الفرقة بين الزوجين - والعياذ بالله -.

﴿شَرَوْا﴾ باعوا[1]، ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ نَزَّلَ عِلْمَهُم منزلة جهلهم لعدم علمهم به، أو المثبت الغريزيّ[2]، والمنفي المكتسب[3]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد - ﷺ - ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ بترك المعاصي، جوابه: لأثيبوا يَدُلُّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لشيء من الثواب، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ لَهُمْ، هذا من قبيل: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾[4]، أو خاطبهم على اعتقادهم، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟﴾ لمحمد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ﴿رَٰعِنَا﴾ راقبنا وتأن بنا لنفهم، لأن له معنى قبيحًا بُلغَةِ اليَهُوْد يضحكون به فيما بينهم[5]، أو لأن المفاعلة للمشاركة، ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ انظر إلينا، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: النصح قبولًا، ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ﴾ السابين رسلنا، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حَسَدًا ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: ولهُ مصالحُ في حرمان بعض، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نبين انتهاء حُكْمِهَا والتعبد بقراءتها أو كليهما، وأصله إزالة الصورة عن شيء وإثباتها في غيره[6]، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نمحها عن القلوب سواء كان أمرًا أو نهيًا أو خبرًا، ولا يعتبر فيه إزالة الحكم ولا إزالة معنى لفظ الخبر، ولِذَا ورد أنَّهُم كانوا ينسون سورة كبراءة ومن

---

(١) ومنه: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ (يوسف/ ٢٠) وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) أي: يبيعها. * عمدة الحفاظ (٢/ ٢٦٨).

(٢) الفِطريّ.

(٣) المتعَلّم.

(٤) سورة الفرقان (٢٤).

(٥) معاني القرآن - للزجاج (١/ ١٦٥)، الدر المنثور (١/ ١٠٣، ١٠٤)، والوسيط (١/ ١٨٧)، فتح القدير (١/ ١٢٥).

(٦) النسخ في اللغة اسم مشترك بين معنيين:
أحدهما - النقل؛ كقولك: نسختُ الكتاب، إذا نقلتَ ما فيه قال الله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٩) والمعنى الثاني: الإزالة كقولهم: نسخت الشمس الظل ونسخت الرياح الآثار، وهذا هو المعنى المراد من النسخ. * المحصول (٣/ ٢٧٩)، الإحكام للآمدي (٢/ ٣/ ١١٢)، شرح مختصر الروضة - للطوفى (٢/ ٢٥٢)، البحر المحيط (٤/ ٦٣).

آياتها: «لو كان لابن آدم» الآية[1]،: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أنفع للعباد، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾: نفعا، ولا دلالة في الآية على مَنْع النَّسْخِ بلا بدَلٍ، أو ببَدَلٍ أثقل، ولا مَنْع نَسْخِ الكتاب بالسُّنَّةِ[2]، إذْ قَدْ يكُوْن الأولان أصلح والسُّنَّةُ من الله تعالى[3]، ولا على حدوث القرآن لأنهما من عَوارِضِ الأُمُوْر المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم، وقراءة: (ننسخ) من النسخ: أي: نأمر بنسخها، وقراءة: (نَنْسَأها[4]): أى نؤخرها، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه النسخ والإنساء، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: خَصَّهُ بالخِطَابِ؛ لمزيد معارفه، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ﴾: فيفعل فيهما ما يشاء، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: الفرق بينهما جواز بعد الناصر وعجز الولي، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾: محمدًا ﷺ، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: إذ قالت اليهود: ائتنا بكتاب نقرأه ونصدقك[5]، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ﴾: مستقيم، ﴿ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ أنْ ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾: للحسد، تمنوا ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ لا من قبل التدين، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: في التَّوراة، ﴿فَٱعْفُوا۟﴾: عن مجازاتهم، ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾: أعرضوا عنهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٥٠) كتاب الزكاة – باب: لو أن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثًا، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٥٦)، وهذا هو الضرب الأول، وهو: أن تنسخ الآية وترفع ولا يعرف لها ناسخ من الكتاب، وذلك لا يعرف إلا من طريق الأخبار، كما روي أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة.

الثاني: أن تنسخ الآية، ويعرف ناسخها. * المصفى بأكف أهل الرسوخ (٣٦)، تيسير البيان (١/ ١١٧).

(٢) نسخ القرآن بالسنة واقع جائز كنسخ خمس رضعات بعشر رضعات ومنعه قوم آخرون.

وانظر: اللمع للشيرازي (١٢٩)، المحصول للرازي (٣/ ٣٤٧)، الإحكام – للآمدي (٢/ ٣/ ١٦٥).

(٣) لقوله – تعالى -: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأبي بن كعب والنخعي وعاصم الجحدري.

* إتحاف فضلاء البشر (١٤٥)، البحر المحيط (١/ ٣٤٣).

(٥) تفسير الطبري (٢/ ٤٩٠، ٤٩١) والبحر (١/ ٣٤٥، ٣٤٦)، الوسيط (١/ ١٩٠)، الدر المنثور (١/ ١٠٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢)، فتح القدير (١/ ١٢٨)، غرائب القرآن (١/ ٣٦٤).

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ في قتالهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه: ﴿عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يضيع أعمالكم، ﴿وَقَالُوا۟﴾: أهل الكتاب، فِيْه لَفٌّ[1] بين كلامي الفريقين، ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: أصله يهودًا أو جمع هائد[2] هذا مقالة اليهود، ﴿أَوْ﴾: لن يدخل الجنة إلا من كان ﴿نَصَٰرَىٰ﴾: هذا مقالتهم، ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: جمع أمنية، أفعولة من التمني، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: على اختصاصكم بالجنة، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١ بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص، ﴿وَجْهَهُۥ﴾: نفسه: أي: دينه، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: متبع أمر الله ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: كما مر، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: له أصل، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الذي فيه تصديق من كفروا به، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كآبائهم، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاتهم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾: بالهدم كما عمله النصارى ببيت المقدس، أو بالتعطيل، كصَدِّ المشركين المؤمنين من مكة، وحكمه يعُمُّ كل مَسْجِدٍ، ونفي الأ ظْلَمِيَّة هنا كنظائره مبالغة شائعة في كلام البلغاء، كَلَا فتى إلَّا عليّ[3]، فلا ينافي نظائره ولا يضر أظلميه نحو المشرك، ولو سلم عدم المبالغة فغايته أنه عام خصص، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: المانعون، ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: أي: لا تمكنوهم من دخولها إلا تحت هدنة، هذا فيه بشارة بنصرنا، وجَوَّزَ أبو حنيفة دخولهم مطلقًا، ومنعه مالك من الحرم؛ لآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[4]، وفرَّق الشافعيُّ بين المسجد الحرام وغيره ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قَتْلٌ وسَبْيٌ، ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١٤ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: فإن منعتم

---

(١) جمعٌ وترتيب.
(٢) الوسيط – للواحدي (١/ ١٩٢).
(٣) لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.
(٤) سورة التوبة (٢٨).

من المسجد الحرام أو الأقصى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ شطر القبلة، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ جهته التى أمر بها، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾: محيط بالخلق رحمة، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالأعمال، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنها نزلت في صلاة المسافر[١]، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عُزَيْر، والنَّصارَى في المَسِيح، والمشركون في الملك[٢]، ﴿اتَّخَذَ﴾: صَنَعَ، ﴿اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن ذلك، ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلقًا ومُلكًا، ومنهم الثلاثة، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: منقادون، ﴿بَدِيعُ﴾: مُبدِع ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مخترعهما بلا مَادَّةٍ ولا مُدَّة[٣]، واعلم أن هذا ليس فعيلًا بمعنى مُفْعِل، ولا صفة مضافة إلى الفاعل، بل مسند إلى ضمير الجلالة، وهذا أبلغ من المبدع؛ لأنه صفة يستحقها في غير حال الفعل على معنى القدرة على الإبداع، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾: أراد، ﴿أَمْرًا﴾، شيئًا، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن﴾: احْدُثْ، ﴿فَيَكُونُ﴾: فَيَحْدُث، ولا قول[٤] بل هو تمثيل لسرعة حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة، وأصل القضاء: إتمامُ الشَّيء قَوْلًا أو فعلًا، فأُطْلِقَ على تَعَلُّقِ إرادته تعالى بوجود شيء من حيث إنه يُوجِبُه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: المشركون أو اليهود، ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا، ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عيانًا، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: كتفجير الأنهار، لا يُقَالُ: هَلَّا أجابهم ليؤمنوا، لأنه ليس للحكيم فِعْلُ ما يُنَافي مُقتضى حِكْمته بطلب جاهل أو شبهته، وقد أزاحها بغير ذلك، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾: الكُفَّار، ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: نحو: أرنا الله إلى آخره، ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عِنادًا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾: بالعفو،

---

(١) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ رواه مسلم (١/ ٤٨٦/ ٧٠٠).

(٢) بفتح الميم واللام يعني الملائكة، قال الواحدي في أسباب النزول (٢٤): نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠) وفي نصاري نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/ ٣٠)، وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

(٣) كذا.

(٤) بل هو قولٌ، والله يتكلم - سبحانه - بحرفٍ وصَوْت.

﴿وَنَذِيرًا﴾: بالقهر، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: لِمَ لَمْ تُؤمنوا، ونهى عن سؤاله عن حالهم لِفَظَاعتها[1]، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: المِلَّةُ مَا شَرعهُ الله تعالى لعباده ليتوصلوا به إلى جواره[2]، وإطلاقها على الباطل للتضاد، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي بعثني به ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: الباطلة، ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عذابه عنك، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: مُؤمنوهم، ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: بلا تحريف وكتمان، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بكتابهم أو القرآن، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانكم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾: لا تقضي، ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا﴾ النفس الثانية، ﴿شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: اذكر، ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: عامل معاملة المختبر ﴿إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ﴾: إذ لما كان في الحاضر الأوامر في مسئلة على الاختبار خاطبنا بما نتفاهم وأصل الابتلاء: التكليف بأمر شاق، ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾: أي: بشرائع، إذ هي قد تقال على المعاني، أو عشر خصال، خمس في الرأس: القَصُّ[3] والمَضْمَضةُ والاستنشاق والسواك والفرق، وخمس في باقي الجسد: القَلْمُ[4]، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء، أو مناسك الحج[5].

أو الخصال الثلاثين[6]، عشر في «التائبون[7]» إلى آخره، وعشر في ﴿إِنَّ

---

(١) في (ن): والنهي عن سؤالِه لفظاعتها.

(٢) هذا تعريف الراغب في مفرداته (٧١٦)، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تسند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها. * التوقيف (٦٧٤)، تعريفات الجرجاني (١١١).

(٣) يعني قص الشارب.

(٤) يعني تقليم الأظفار.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٦٦) موقوفا على ابن عباس. * وانظر: تفسير الطبري (٣/ ٩)، غرائب القرآن (١/ ٣٧٩)، فتح القدير (١/ ١٣٩)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦، ٣٧).

(٦) وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضًا.

(٧) سورة التوبة (١١٢).

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)]، إلى آخره ومنها: الخشوع المطلق، وعشر في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[(٢)]، ومنها: خشوع الصلاة، وتُفَسَّرُ السِّياحةُ[(٣)] بطلب العلم لا الصوم لئلا يتكرر، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أدَّاهُنَّ تامة، ﴿قَالَ﴾: له ربه، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: إلى يوم القيامة قال، ﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِن﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: نسلي، ﴿إِمَامًا﴾: هذا كعطف تلقين، وهي[(٤)] من الذَّرّ: التفريق، أو الذرء: الخلق، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أشار إلى أن فيهم من لا يصلح لها، ودَلَّ على عِصْمَةِ الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق لا يصلح للإمامة، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: الكعبة، ﴿مَثَابَةً﴾: مرجعًا مرة بعد أخرى أو موضع ثواب، ﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾: للخائف، أو من عذاب الآخرة، وعند أبي حنيفة: موضع لا يؤخذ الجاني الملتجئ إليه حتى يخرج[(٥)]، فثوبوا إليه، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: الحَجَرُ المَعْرُوفُ[(٦)]، قيل: هو المسجد الحرام، إذ كُلُّ الحَرَم (مُصَلّى)، فتسن الصلاة خلفهُ تبركًا اتباعًا، وبالماضي عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾، أي: جعل الناس الكعبة قبلة، ﴿وَعَهِدْنَآ﴾: أمَرْنا ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن﴾: بأن، ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾: مما لا يليق به، ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: حَوْلَه أو الغُرَباء، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: الجَالِسِينَ فيه، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلين فيه، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾: المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾، ذا أمن، نكَّرَهُنا وعرف في إبراهيم[(٧)]، مع أنها مكية، وهذه مدنية؛ لوقوع هذا حال كونه مكانًا قفرًا، وذلك حال كونه بلدًا، ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: لترفههم، ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

---

(١) سورة الأحزاب (٣٥).

(٢) سورة المؤمنون (١-١١)، وفي سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾: من ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ (٢٣) إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤).

(٣) في قوله: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾.

(٤) يعني الذرية.

(٥) تفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٠٤)، الفخر الرازي (٤/ ٤٧) معاني القرآن – للزجاج (١/ ١٨٦)، وللفراء (١/ ٧٧).

(٦) الذي كان يقوم عليه إبراهيم – عليه السلام – لبناء البيت.

(٧) في قوله – تعالى -: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

﴿ٱلْآخِرِ قَالَ﴾: الله ﴿وَ﴾ أرزُقُ ﴿مَن كَفَرَ﴾: عُطِفَ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ عَطفَ تلقين، ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾: هو دنياه الدنيه باعتبار القلة، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾: أُلجئُهُ، ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: هي[1] ﴿وَإِذْ﴾ كان، ﴿يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾: الأساس ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ كان يناوله الحجر قائلين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بنائنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنياتنا، ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين ﴿لَكَ﴾، المراد: الزيادة، ﴿وَ﴾: اجعل، ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً﴾: جماعة، ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنا، ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: مُتعبَّداتنا في الحج، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: من تقصيراتنا أو كما سيأتي في: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾[2] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، كما مَرَّ، ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمة، ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: ولم يُبْعَثْ من ذريتهما إلا نبينا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: العلم والعمل به، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عن الفسوق.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾. واضع الأشياء في مواضعها، ﴿وَمَن﴾: أي: لا، ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: فُسِّرتْ مرة وهي[3] أصل الشرع باعتبار إملاء النبي إياه على أمته، والدين يرادفها صدقًا باعتبار قبول المأمورين، والشريعة أحكام جُزئيَّة يتهذب بها المأمورون معاشًا أو معادًا، منصوصة من الشارع أو راجعة إليها، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ﴾: أذَلَّ أو جهل وأهلك ﴿نَفْسَهُۥ﴾، أو يُمكنُ نَزْع الخافض[4]، ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصَّلاح (و)، اذكر، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ فوِّض أمرَكَ إلى الله، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾: فَوَّضْتُ أمري، ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: إليه، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ بالمِلَّةِ، والتوصية: التَّقدُّمُ إلى الغير بما يعمل به مقترنًا

---

(١) المخصوص بالذمّ.

(٢) سورة التوبة (١١٧).

(٣) يعني الملة.

(٤) يعني نصب «نفسه» بنزع الخافض، وقدره البيضاوي: في نفسه – أنوار التنزيل (٢٧/ بهامش المصحف) وقد نقله عن الأحفش الأوسط في معاني القرآن (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

* وانظر: الوسيط – للواصي (٢١٣٨)، معاني الزجاج (١/ ١٩٠)، فتح القدير (١/ ١٤٤).

بصلاح ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان[١]، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه الاثنى عشر، قائلين: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أي: داوموا على الإسلام إلى المَوْت، ﴿أَمْ﴾: بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾:حاضرين، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾: رَدٌّ لقول اليهود: أنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية عند الموت، ﴿إِذْ﴾:بدل من ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: ذكره للتغليب، ﴿وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا﴾: أبدله من إلهك نفيًا لِتوهُّمٍ ينشأ من تكرير المضاف لتعذر العطف على خالص[٢] المجرور، ﴿وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ﴾: إبراهيم ويعقوب وبَنُوهُما، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم﴾: يا يهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾: فلا يفيدكم الانتساب إليهم، في الحديث: «يا بَنِي هَاشِمٍ لا يأتيني الناسُ بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»[٣]، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: من السيئات كما لا تُثابونَ بحسناتهم ﴿وَقَالُواْ﴾: أهل الكتاب للمؤمنين، وفيه لف لكلام الفريقين، أو قول اليهود: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾: جمع هائد ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾: قائلة للنصارى، ﴿تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الباطل، حال من بعد المضاف أو المضاف إليه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:تعريض للمخاطبين ﴿قُولُوٓاْ﴾:، أيها المؤمنون، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: القرآن وما أنزل من الوحي، ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء، ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾: كُلّهم، ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: في نبوتهم، بخلاف اليهود، ﴿وَ﴾: قولوا، ﴿نَحْنُ لَهُۥ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾: مُنقادُون، ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾: أهل الكتاب، ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: من باب التعجيز نحو: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أو المثل، أو الباء صلة ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾: خلاف، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: السين للتحقيق وإن تأخر، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: الزموا، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: فطرته التى فطر الناس عليها

---

(١) تفسير البيضاوي (٢٧).

(٢) من (ح): فقط.

(٣) انظر: استجلاب ارتقاء الغرف – للسخاوي (٢/ ٦٤٤/ ط/ البشائر الإسلاميَّة).

من بداية[١] العقول أو معرفة حسن العدالة وطلب الحق، وقيل: هي التطهير، عبر بها عنه مشاكلة وهي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته قالًا أو حالا، فإن النَّصارى يغمسون أولادهم في ماءٍ أصْفَر زاعمين أنهم يتنصرون[٢] به، ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا أحد، ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: فطرة، ﴿وَ﴾ قولوا: ﴿نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝١٣٨ قُلْ﴾ لأهل الكتاب: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ تجادلوننا في دين ﴿اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: فكل منا يُجْزَى بعمله، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: في الإيمان دونكم، ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا﴾: عِنْدَ اليَهُودِ ﴿أَوْ نَصَارَىٰ﴾: عِنْدَ النصارى ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ إذْ قَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[٣]، ﴿وَمَنْ﴾: لا أحد، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: شهادة الله لهؤلاء، إذ في التوراة أنهم ما كانوا منهما فكتَمُوْه، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كرر تأكيدًا وزجرًا لكثرة المتكلمين بصلاح آبائهم، ﴿سَيَقُولُ﴾[٤] أتى بالسين مع مُضيِّه لاستمرارهم، ﴿السُّفَهَاءُ﴾: الجهال من الناس اليهود[٥] أو مُشْركو مكَّة، ﴿مَا﴾: أيُّ شَيءٍ؟ ﴿وَلَّاهُمْ﴾، صَرَفَهُمْ ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: أي: الصَّخْرَة، وأصْلُ القبلة حَالٌ عليها الإنسان من الاستقبال، وعُرْفًا: مكان يُتوجَّهُ نحوه للصلاة، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: لا يَختصُّ به مكان دون مكان، وإنما المقصود: الائتمار، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: تقتضيه حكمته، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما هديناكم إليه، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: عُدُوْلًا، وأصْلُه[٦]: مكان يستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة ثم أطلق على المتصف بها، والآية دلت على أنَّ الإجْمَاعَ

---

(١) كذا.

(٢) وكذلك الروافض يغمسون أولادهم في ماءٍ يقالُ له: «الكرُّ».

(٣) سورة آل عمران (٦٧).

(٤) في هامش (ن): الجزء (٢).

(٥) وهو صحيح إذ لا أسفه من اليهود ولا أغبى منهم إلَّا الروافض.

* الوسيط (١/ ٢٢٤)، الجامع للطبري (٣/ ١٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٩).

(٦) الوسط.

حُجَّة[١]، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: في تبليغ جميع الرسل، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: فيُزَكِّيكم، عُدِّيَ[٢] بعَلَى؛ لتضمُّن معنى الرقبة[٣]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾: أول المفعولين[٤] وثانيهما: الجهة، ﴿الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾: أوَّلًا بمكة، إذ قبل الهجرة كان يُصَلى إليها، وبعدها إلى الصخرة، أو كان خاطرك مائلًا إليها، وهي الكعبة، ولذا كان يجعلها بينه وبين الصخرة قبل الهجرة على رواية ابن عباس[٥] رضي الله عنهما، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: علم ظهور عند تحويلها، ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾: متميزًا، ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يرتد، وقد ارتد به كثير[٦]، ﴿وَإِن﴾ إنه ﴿كَانَتْ﴾ التولية[٧]، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثقيلة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى﴾: هداهم (الله)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: بالقِبْلَة الأُولَى، أو صلاتكم إليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة، ﴿رَّحِيمٌ﴾: أخره للفاصلة، ﴿قَدْ﴾ استعيرت للكثرة[٨]، أي: رُبَّما، ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تَردُّد، ﴿وَجْهِكَ﴾: في جهة، ﴿السَّمَاءِ﴾: انتظارًا للوَحْي بتغيير[٩] القبلة إلى الكعبة، وَعْدًا[١٠] لا هَوَى، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نصيرنك واليا، ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: أي: رِضَا حُبّ طبعي لا انقيادي، ﴿فَوَلِّ﴾: اصرف، ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: المُحَرَّم فيه القتال ونحوه، وإنما ذكره دون الكعبة؛ لنزولها بالمدينة والبعيد يلزمه مراعاة جهة فيها العين، أعنى تقَعُ الكعبة بين خَطَّيْنِ خارجين عن دماغه مارين على عينيه كَسَاقَيْ مُثَلَّث.

---

(١) أنوار التنزيل- للبيضاوي (٢٩، ٣٠).

(٢) يعني الفِعْل «يكون».

(٣) المراقبة والتولي.

(٤) لأنّ «جَعَل» ينصب مفعولين.

(٥) الوسيط (١/ ٢٢٦).

(٦) ليس صحيحا والذين ارتدوا قوم قليل، قال الماوردي: لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم ونافق قوم. * النكت والعيون (١/ ٢٠٠).

(٧) في (ع): التوراة!!.

(٨) بل هي هنا للتحقيق.

(٩) في (ع): بتغير.

(١٠) كذا.

*** تنبيه:** اعلم أن طلب العين عند المشاهدة مُجْمَعٌ عليه، وأما في الاجتهاد عند غيبتها فمختلف فيه، فعن أبي حنيفة وأحمد رضي الله عنهما أن المطلوب بالاجتهاد: الجهة، وعن مالك: الكعبة قبلة أهل المسجد، والمسجد قبلة مكة، وهي قبلة الحرم، وهو قبلة الدنيا، واختلف فَهْمُ أصْحَاب الشَّافعي رضي الله عنه عن نصوصه في أن المطلوب به العين أو الجهة وظاهر عبارة الإمام وما أخذنا من مشايخنا: أن تولية الوجه شطر الشيء تَوْجيهها إلى نَحْو عينه إن شَاهَدَها، وإلى جهةٍ يرى أن العين فيها إن غابت، فالمطلوب بالاجتهاد وحينئذ عنده: الجهة، كسائر الأئمة إلا أنه قال: التوجه إلى العين في الغائب بالتوجه إلى الجهة التي فيها العين والله أعلم.

﴿وَحَيْثُ﴾: أين، ﴿مَا كُنتُمْ﴾: من الأمكنة، ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ في الصلاة.

*** تنبيه:**

استدلّ بِهِ مَنْ مَنَعَ المكتوبة في الكعبة، وهو دليل من جَوَّزَهَا[١]، تقرير الأول: أن من صلى الفرض داخلها يكون مستقبلا لبعضها غير مستقبل لبعضها فلا يكون مستقبلا لكلها، فلا تصِحُّ صَلاته، وتقرير الثاني: أنَّ حيثما إمَّا صيغة عموم فتتناوُل من كان داخلها فهو مأمور بالتوجه إليها فيها، فإذا أتى به بما أمكنه خرج عن العهدة أو غير عموم، فلا يكون متناوله لهذه المسألة، فلا يصح استدلالكم به هنا، ويرد على الأول صحَّةُ الصلاة عند الكعبة خارجها، وعلى الثاني: إمكان كونه أمرا بالخروج لوجوب مقدمة الواجب والله تعالى أعلم.

*** [آخر]**[٢]: الكعبة هي الأجسام المخصوصة من السطح والحيطان والقرار، والقبلة هي الخلاء الذي فيه تلك الأجسام، فلو انهدمت تَصحُّ صلاة من توجه إلى عَرْصَتها[٣] من خارجها، وأما مِنْ داخلها فمُخْتلفٌ فيه، والله سبحانه أعلم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: التحويل، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾:

---

(١) الصحيح جواز الصلاة فيها؛ لوروده في صحيح الحديث .اهـ.

(٢) يعني: تنبيه آخَرُ.

(٣) ساحتها ومكانها.

إذ في كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾: من كتمانه، ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: دالَّةٍ على أنَّ الكعبة قبلة، ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾: حسدا، ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾: الصَّخرَة لليهود، ومطلع الشمس للنصارى، ووَحَّدَهَا لاتحادهما بطلانا، ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾: كما مَرَّ، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾: في مُدَاراتهم، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: بالوحي، ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مثلهم هذا تخويف لنا، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: مُحمَّدًا -ﷺ-، ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾: بلا التباس، ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: نعتَهُ، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: من كتبهم، ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الذي يكتمون كائنٌ، ﴿مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ﴾: أنت مع أمتك، ﴿مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيما أخبرناك، ﴿وَلِكُلّٖ﴾: من أهل الكتاب، ﴿وِجۡهَةٌ﴾: قبلة، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾: وَجهَهُ، ولكُلِّ عملٌ دُنيويٌّ يصل به إلى الله تعالى إنْ رَاعَى شرائطهُ، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ﴾: بادروا، ﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: باتباع أوامر الله عز وجل، ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ﴾: أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾: بقبض أرواحكم أو حشركم، ﴿جَمِيعًاۚ﴾: إذ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٤٨ وَمِنۡ حَيۡثُ﴾: أي مكان، ﴿خَرَجۡتَ﴾: للسفر، ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: في الصَّلاة، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: المأمور به، ﴿لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾: كرَّرَهُ دفْعًا لتوهُّم مَظنَّة النَّسْخ، ولترتب كل واحد على علَّة، فالأول: لإرضاء الرسول، والثاني: لأن لكل ذي شرع قبلة، والثالث: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: أحد منهم، ﴿عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾: مستمسك من أن النبي المنعوت قبلته الكعبة، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: من الناس، كمشركي مكة، إذ قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا[1] والمراد نفي الحجة، ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾: الظالمين، ﴿وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ﴾: عطف على لئلا، ﴿نِعۡمَتِي﴾: تكميل الشريعة، وفي الحديث: «تمام النعمة دخول الجنة»[2]، ﴿عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ

---

(١) الوسيط (١/ ٢٣٢).

(٢) حديث: «تمام النعمة دخولُ الجنة، والفوزُ من النَّار» رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٥)، والترمذي في جامعه (٥/ ٣٥٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٨)، وضعفه الألباني في ضعيف =

﴿تَهۡتَدُونَ﴾: إلى الصَّواب، ﴿كَمَآ﴾ متعلق لأتم، ﴿أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾: من ذمائم الأخلاق، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: السُّنَّة[1]، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾: بأفكاركم، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾: بالطاعة أو في الرخاء، ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾: بالمغفرة، أو في الشدة والذكر، يقال لهيئَة في النفس بها يتَمكَّن[2] أن يحفظ ما عرفناه، ولحضور الشيء القلب أو القَوْل، والأول: كالحفظ إلا في اعتبار الاستحضار والاحتراز، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾: بطاعتى، ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾: بمعصيتى، وعلى هذا لا يغني ذكر أحدهما عن الآخر، أو الثاني: أمر بالثبات على الشكر أمرنا بذكره، وأمر بنى إسرائيل بذكر نعمه لفضل معارف هذه الأمة، ولم يقل: واشكروني لقصورنا عن إدراكه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ﴾: على طلب الآخرة[3]، ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾: على الطَّاعة وعن حُظُوْظ النَّفْس، وهو الجهاد الأكبر[4]، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالإعانة أفهم أنه مع المصلين من باب أولى، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كشهداء بدر هم، ﴿أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ﴾: هم أحياء عند ربهم، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾: ما حالهم؛ لأنَّ حياتهم ليست من جنس ما يحس به من الحيوان بل إنما يدرك بالعقل بل بالوحي، والصحيح أن الله تعالى يلطف بعد الموت أو القتل ما تقوم به البنية الحيوانية فيجعله بحيث يشاء من عليين أو سجين، وسيأتي مزيد بيان في آل عمران.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾: لنصيبنكم أصابة من يختبركم، ﴿بِشَيۡءٖ﴾: قليل، ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾: من

= الجامع (٢٤٨١)، والضعيفة (٣٤١٦).

(١) النكت والعيون (١/ ٢٠٨).

(٢) الذِّكْرُ: يراد به هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفةِ، وهو كالحفظ.
* المفردات (٢٥٩)، الكليات (٢/ ٣٥١).

(٣) بلْ على كُلِّ شيء.

(٤) يشير إلى حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس» قال السيوطي في الدرر المنتثرة (١٢٤): قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس» هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم ابن أبي عبلة في «الكنى» للنسائي – انتهى. وله لفظ آخر: «قَدِمْتُم» عند الخطيب بسند ضعيف.

العدو، وإنما قَلَّلَهُ بالنظر إلى ما وقاهم عنه، ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: كالقحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ﴾: بالموت والمرض والشيب، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾: بالجوائح[1]، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا محمد، ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: منهم، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: من المصائب، وفي الحديث: «كُلُّ شَيْءٍ يؤذِي المؤمنَ فهو له مصيبة»[2]، ﴿قَالُوٓا۟﴾: باللسان والقلب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيدًا أو ملكًا، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: فيجازينا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾: مَغْفرةٌ كثيرة[3]، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: إحسان، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصَّواب، ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جبلين بمكة كان عليهما صَنمان: إسَاف ونائلة، وتحرّج المسلمون السعى بين كُلّ منهما لتشبههم بالجاهلية[4]، ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: أَعْلَام مَنَاسِكه، ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: أصل الحَجّ: القصد، والاعتمار: الزيارة، فغلبا شَرْعًا على قصد البيت وزيارته المخصوصين، ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثم، ﴿عَلَيْهِ﴾: في، ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: دَلَّ على الجواز الداخل في معنَى الوجوب؛ فإنَّ معناهُ: عدم الحرمة والكراهة، وأما وجوبه فيثبتُ بالسنة، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فَعلَ طاعة أو زاد على فرضه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾: يجازي عَمَلَهُ[5] الخير، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحواله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾: أي: اليهود، ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: أي: مَن يتأتَى منه اللَّعْنُ حتى الكافرين، فإنهم يوم القيامة يلعنُ بعضهم بعضًا، واللَّعنُ: الطَّردُ سخطًا وهو من الله تعالى، في العقبى العقوبة، وفي الدنيا: الانقطاع عن قبول فيضِهِ، ومن غير الله: دُعَاءٌ على غيرِهِ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾: ما كتموا، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أقبل توبتهم، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كما مَرَّ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ

---

(١) جمع جائحة وهي المصيبة المهلكة للزرع تجتاحه.

(٢) ورد بلفظ: «كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه ابن السنى في عمل اليوم والليلة (٢/ ٤٠٧/ ٣٥٤)، وسنده ضعيف.

(٣) بل الصلاة من الله ذكره لعبده وثناؤه عليه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥/ ٤٨/ ٤٦٣٨) وسنده ضعيف.

(٥) في (ع): عملَةَ.

﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: حتى أهل دينهم كما مر، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولمَّا قالت قُريْش: يا محمدًا صِفْ لنا ربَّك نزل[1]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: كرّر الإله لبيان اعتبار الوحدة في الألوهية، ثم رفع توهم أن في الوجود إله سواه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ثم قالوا: إن صدقت فأتنا بآية، فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جمَعَ؛ لاختلافِ طبقاتها طبعًا ﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: نُورًا وظُلمةً ونحوهما أو تعاقبهما، ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا﴾: بالذي، ﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: في نحو تجاراتهم، وقدَّم الفُلْك على الرياح والسحاب؛ لأن المقصود ذِكر مَنْفعة البحر وهو منشؤهما غالبًا، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ﴾: فرق ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: في مهابِّها كالشَّمال[2] وغيره، وأحوالها كالعاصفة وغيرها، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المُذلَّل لأمر الله، مشتق من السَّحْبِ؛ لجَرّ بعضه بعضًا[3]، ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ﴾: لوحدته وقدرته، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون العقل فيما خُلقَ له، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾: كالأصنام والأحبار، والند: المثل في الجوهر، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: يُعظّمونهم، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: كتعظيمه أي: كحُبِّهم لله، فإنَّ المشرك يَعرفهُ ويشركُ به، أو كحُبِّ المؤمن لله، أو كحبه الواجب عليهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: لأن الكفرة عند البلاء يعرضون عنها، والمحبة من الحب: استعير لَحبَّة القلب، واشتق منه الحبُّ؛ لرُسُوخه فيها، وهي عرفًا: إرادتك ما تظنه خيرا، وهي إمَّا للَّذَّة ومنه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[4] وأما للنفع، ومنه ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾[5] وأما للفضل كما نحن فيه، ومحبة الله تعالى العبد: إرادة إكرامه وتوفيقه لطاعته، ﴿وَلَوْ يَرَى﴾: يَعْلمُ، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: أي: هؤلاء، ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾: يعاينون، ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: في القيامة، ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

---

(١) الوسيط – للواحدي (١/ ٢٤٥).

(٢) بفتح الشين المشددة: ريحٌ تقابلُ الجنوب، ويقالُ لها أيضًا: «شَمْأَل» بوزن جَعْفر.

(٣) لأن الهواء يسحبه.

(٤) الإنسان.

(٥) الصف.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾: أي: لرأوا أو رأيت أمرًا فظيعًا، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ المتبوعون ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾: بكفرهم، ﴿الْأَسْبَابُ﴾: الوصَلُ التي كانت بينهم من الاتباع وغيره، وأصلها: الحبل الذي يرتقي بها الشجر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ﴾: للتَّمنِّي كما مرَّ ﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: في الآخرة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإراء الفظيع، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾: ندامات، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: لا يرون إلا الحسرات مكان الأعمال، ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: أصلًا، عدَل عَنْ: ما يخرجون إقناطًا عن الخلاص، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾: ما يستطيبه الشرع[1]، ﴿طَيِّبًا﴾: ما تستطيبه الشهوة المستقيمة بخلاف نحو الأكل على الشبع، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: سُبُل، ﴿الشَّيْطَانِ﴾: لا تعتدوا به في التحليل والتحريم، ولا تحرموا على أنفسكم رفيع الأطعمة والملابس، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظَاهِرُ العَداوةِ عند ذوي البصيرة، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾: استعير الأمر لبعثه لكم على الشر تسفيهًا لرأيهم، ﴿بِالسُّوءِ﴾: ما استقبحَهُ العقل أو معصية لا حد فيها[2]، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: ما استقبحه الشرع أو ما فيه حدّ، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: كالإشْراك وتحريم الحَلال، وعكسه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: وَجَدْنا، ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: (أ) تتبعونهم ﴿ولو كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾: بتحصيل العلوم المكتسبة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: بالاقتداء بمن يعقله، دلّت على منع القادر على الاجتهاد عن التقليد، مَثَلُكَ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يُصَوِّتُ، ﴿بِمَا﴾: بحيوان، ﴿لَا يَسْمَعُ﴾: يفهم، ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: من الداعي بلا فهم معناه، ﴿صُمٌّ﴾: عَنْ سَمَاع الحق، رُفِعَ ذَمًّا ﴿بُكْمٌ﴾: عن قوله، ﴿عُمْيٌ﴾: عن رُؤْيَة مسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: شبَّههم بالحيوان ثم بالمجانين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: مُستلذَّات أو حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمر إباحة[3] وقد يجبُ كما في

---

(١) الوسيط (١/ ٢٥٢).

(٢) معالم التنزيل (١/ ١٣٨)، البحر المحيط (١/ ٤٨٠)، غرائب القرآن (٢/ ١٠٧)، فتح القدير (١/ ١٦٧)، الوسيط (١/ ٢٥٣).

(٣) الوسيط (١/ ٢٥٥)، جامع البيان (٣/ ٣١٧)، البحر المحيط (١/ ٤٧٨)، الدر المنثور (١/ ١٦٨).

المخصصة، وقد يُندبُ كمُوافقة الضَّيف ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: على إحلاله، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: ثم بيّنَ ما حرم بقوله، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: مَامَاتَ بلا ذكاة شرعية[1]، ﴿وَٱلدَّمَ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾: اكتفى بمعظم أجزاءه عن أكله[2]، ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾: رُفعَ الصَّوتُ، ﴿بِهِۦ﴾: عند ذبحه، ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: كالصَّنم، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى أكل شيءٍ منها، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: ومن البغي بغيه على الإمام وأخذه من مضطر مثله، وأكله للذة أو شهوة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: عاص في أسباب اضطراره كسفره أو مُتعدٍّ سَدَّ رَمَقهُ، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تناوله فعله الإباحة للمضطر الضرورة مع الطاعة، والمراد: قَصر الحُرْمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: كرؤساء اليهود، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: ما يأخذون من سفلتهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: مِلئَها، ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: الرُّشا[3] تَصيرُ في أجوافهم نارًا، لكن لَا يُحسُّونَ بها قبل الموت، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بما يسُرُّهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الأدناس، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: كما مر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: في الدنيا، ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾: في الآخرة، ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: تعجب مِنْ جراءتهم على عمل يُدْخلُها، ﴿ذَٰلِكَ﴾: العذاب، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ بإيمانهم ببعضه دون بعض وغير ذلك، ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾: خلاف، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ، ولمَّا أكثر أهلُ الكتاب الجدال في أمر القبلة نزل[4]، ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: مُنحصِرًا في، ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾: في صلاتِكم، ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ﴾: للنَّصارى، ﴿وَٱلْمَغْرِبِ﴾: لليهود بحسب أفق مكة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: بِرُّ، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: فلا يفتري عليه، حاصله أمر الصلاة بعد الإيمان، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: فلا يعادي أحدهم، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: فلا يحرفه، ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: فلا يفرق بينهم، ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ﴾: مع، ﴿حُبِّهِۦ﴾: المال أو الإيتاء أو على حُبِّ الله، ﴿ذَوِى

---

(١) يعني: حتف أنفه.

(٢) خص اللحم؛ لأنه المقصود بالأكل.

(٣) جمعُ رِشوةٍ.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٥٦) وسنده ضعيف.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قراباته، ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾: مر بيانه، ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: مسافر انقطع عنه ما يوصله إلى مسكنه، والضيف إذِ السبيلُ[1] يأتي بهِ، ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: المضطرين إلى السؤال، ﴿وَفِي﴾: فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: كالمكاتب والأسير، وإذا نزل بمسلم حاجة وجب بعد أداء الزكاة صرف المال إليها بالإجماع، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الواجبة، والأول كان لبيان مصارفها أو في المندوبة، ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾: غَيَّرَ الأسْلُوب؛ لأن الأول لبيان ما لا يستفاد إلا من الشرع، والثاني: لما يقتضيه العقل ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: نصب مدحا[2] لمزيد شرف الصبر، ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المصائب والسقم، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: قتال الكفار: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: في إيمانهم، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الآية جامعة لمجامع الكمالات الإنسانية، وهي: صِحَّةُ الاعتقاد، وحسنُ المُعَاشرة، وتهذيب النفس، واعلم أنه سأل أبو ذرٍّ - رضي الله عنه - النبيَّ - ﷺ - عن البر فتلاَ عليه الآية[3]، وسأله عنه وابِصَةُ[4] فقال: «ما اطْمأَنَّ إِلَيْه القَلْبُ واطْمَأَنَّتْ إليه النفس[5]»، لأنَّ الأوَّلَ سأل عن ذات البر، والثاني عن تحريه.

ولمَّا تقاتل حَيَّانِ في الجاهليَّة، وحلَفَ أحدهُمَا بأن يقتل بعبدهم الحُر، وبامرأتهم[6] الرجل، وبواحدهم الاثنين، ثم ترافعا إلى النبي ﷺ، نزل[7]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾: فُرِضَ، ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾: المماثلة، ﴿فِى ٱلْقَتْلَى﴾: أي: أوجبنا على الجاني تمكينه منه، ﴿ٱلْحُرُّ﴾: يُقْتَلُ، ﴿بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾: لا تدل[8] على أن

---

(١) الطريق.

(٢) وإن كان معطوفًا على مرفوع، قال الخليل: المدح والذم ينصبان على معنى: أعني.
* الوسيط للواحدي (١/ ٢٦٢).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٨)، والواحدي في الوسيط (١/ ٢٦٤).

(٤) يعني ابن معبد الجهني - رضي الله عنه -.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٩٤) وسنده صحيح.

(٦) في (ع): وبمرأتهم.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩٣، ٢٩٤/ ١٥٧٦)، وبنحوه: الطبري في جامع البيان (٢/ ٦٢) وإسناده ضعيف.

(٨) في (د): لا يدلُّ.

لا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، ولا على عكسه، إذ المفهوم إنما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم، وإنما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما - قتل الحر بالعبد لحديث علي، وعمل الشيخين - رضي الله عنهما -، قياسا على الأطراف، وأما منع قتل المسلم بالذمي فلحديث عليّ - رضي الله تعالى عنه -، والآية لا تنْسَخُها: «النفس بالنفس» إلى آخره، لأنه حكاية ما في التوراة[1]، ﴿فَمَنْ﴾: بقاتل، ﴿عُفِيَ لَهُۥ مِنْ﴾: دم، ﴿أَخِيهِ﴾: المقتول، ﴿شَيْءٌ﴾: من العفو، كَأن عَفَى عَنْ بعض القصاص أو عَفَى بَعْضُ الورثة، والمرادُ هنا: العفو على الدية، والراجح في مذهب الشافعي أن الواجبَ القصاصُ، والدية بدل عنه، ﴿فَٱتِّبَاعٌ﴾: أي: فعلى العافي اتباع في طلب الدية، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وعلى المعفوِّ عنه ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾: بلا مطل، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التجويز لأخذ الدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: بالقتل، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: العفو، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدارين، ﴿وَلَكُمْ﴾: في حكم، ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: عظيمة، لأنه رادع عن القتل، فوجب لحياة نفسين وجعل الشيء مَحَلَّ ضده نهاية الفصاحة والبلاغة، وقيل: كانت العرب تمتنع من تسليم القاتل إلى الولي مخافة قلة عددهم فأشار إلى أنّ دَفْعَهُ يكثر عددهم كما ترى في قلة العباسية، وكثرة العلوية، ولِذَا قِيلَ: السَّيفُ مَنْمَاةٌ[2]، ﴿يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عن القتل ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: أسبابُهُ، ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالًا أو مالًا كثيرًا، نبَّهَ بتَسْمِيَتِه خيرًا أن الوصية تُسْتحبُّ في مال طيب، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾: الإيصاء، ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾: عَطَفَ؛ لأن القرب الإدلاء بواسطة فهما لا يتصفان به، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالعَدْل بلا ترجيح غَنِيّ، وتجاوز ثُلثٍ، حَق ذلك ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: هذا كان في صدر الإسلام، فنُسِخَ بآية المَواريث، بدليل حديث: «إِنَّ اللهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ أَلَا لَا

---

(١) مسند الشافعي (١٩٩)، معاني القرآن - للزجاج (١/ ٢٣٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٠)، فتح القدير (١/ ١٧٧).

(٢) ينمى ولا يفنى.

وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[1]، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾: الإيصاء، ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾: إثمُ التَّبْدِيل، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وَصِيَّتَكُم وتبديلكم، ﴿فَمَنْ خَافَ﴾: عَلِمَ، ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾: مَيْلًا عن الحقِّ خطأ كترجيح غني، ﴿أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ الوَرَثَة والموصَى لَهُ، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: صَوْمُ رَمَضَان[2] أو ثلاثة من كل شهر، أو عاشوراء، ثم نُسِخَا[3] برَمَضان، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: من لدن نوح والمراد: التشبيه في أصل الصوم لا كيفيته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: المعاصي، فإنه يُضيِّقُ مجاري الشَّيطان، صُوْمُوا، ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾: قلائل أو مُؤَقَّتات بعددٍ معلوم، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: بخلاف من أحدث سفره في أثنائه، ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه صَوْمُ عِدَّةِ مَا أَفْطَر، ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: للصِّحَّة والإقامة، قيلَ: أي يصوم طاقته أي: جهده كالهرم، ﴿فِدْيَةٌ﴾: إن أفطروا، ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: مُدّ طعام، وعندَ فُقَهاء العراق نصفُ صَاع بُرًّا وصَاعٌ من غيره، فخيروا بين الصوم والإطعَام، ثم نسخ على القول الأول[4]، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بإطعامِ أكثر منه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾: أيها المطيقون، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: منها، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائله، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: عَلَمٌ مُرَكَّب مبتدأ، وحيثُ وردَ رمضان[5] فيحذف المضاف كالربيعين، سمي به لارتمَاضِهم فيه بحَرِّ الجوع والعطش[6]، وأما تسمية شوال به لشَوْل أَرْبابِ اللِّقَاح فيه، وذي القعدة لقعودهم فيه عن الحرب، وذي الحجة: للْحجِّ فيه، والمُحرَّم

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٦، ١٨٧) والطبراني (١١/ ٢١٣) وعبد الرزاق (٧٢٧٧) و (١٦٣٠٦) وابن أبي شيبة (١١/ ١٤٩) وسنده جيد.

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٢٧٢): بإجماع المفسرين.

(٣) الوسيط (١/ ٢٧٢).

(٤) الوسيط (١/ ٢٧٤).

(٥) في هامش (ع): وهو سيِّدُ الشُّهور.

(٦) الزاهر (٢/ ٣٦٨).

لتحريم القتل فيه، وصفر لخُلُوِّ مكّة[1] فيه عن أهلها للقتالِ فيه، والربيعين لارتباع الناس فيهما أي: إقامتهم، والجُمادين: لِجُمُود الماء فيهما، ورجب: لترجيبهم إياه، أي: تعظيمهم، وشعبان: لتشعب القبائل فيه، والشهر لأنهم ينظرون إلى الهلال فيشهرونه[2]، والخبر[3]، ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ﴾: في شأنه أو في ليلة قدره، أو الرابع والعشرين منه[4]، ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: جملةً إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُنجَّمًا[5]، بل نزلت صُحُفُ إبراهيمَ في أوله، والتوراة لسادسه والإنجيل لثالث عشره[6]، ﴿هُدًى﴾: هاديًا، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: بإعجازه، ﴿وَ﴾ آيات، ﴿بَيِّنَٰتٍ مِّنَ﴾: جُملة، ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: إلى الأحكام الحقَّة، وعلى هذا فليست نكرة أعيدت معرفة كهُوَ عالم، ومن مُتبحِّرى العلماء، ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حَضر، ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾: أي: فيه، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: لم يقل فيه ليدُلَّ على استيعاب اليوم ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾: بحيث يشقُّ عليه الصَّوْم، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: هذا نسخ للأول لإخراجه المقيم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: فأباح الفطر فيهما، ﴿وَ﴾ شَرَعَ تِلْكَ الأحكام، ﴿وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ﴾: عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾: لتعظموا، ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذا علة للترخيص وما قبله عِلّة للقضاء، وما قبله للأمر بالمراعاة للعَدَد.

* ولَمَّا قيل: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد[7] نزل[1] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى

---

(١) وغيرها.

(٢) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة- للإمام الشبلي الحنفي (٣٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني خبر المبتدأ.

(٤) لحديث: «وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». رواه البيهقي (٩/ ١٨٨)، وأحمد (٤/ ١٠٧)، والطبري (٣/ ٤٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٤٩٧)، والصحيحة (١٥٧٥).

(٥) مُفرّقًا.

(٦) هو جزء من الحديث السابق، وأوله: «أنزلتْ صُحُفُ إبراهيم أوّلَ ليلةٍ من شهر رمضان، وأنزلت التوراةُ لستٍّ مضتْ من رمضان... إلخ».

(٧) أي: فنناديه.

فَإِنِّي ﴾: فقل: إني، ﴿ قَرِيبٌ ﴾: مُطَّلعٌ عليكم، ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾: إذا دعوتهم إلى طاعتي بالجوارح، ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا ﴾: وليثبتوا على إيمانهم، ﴿ بِي ﴾: بالقلب، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾: يهتدون، فمن استجابه في أوامره أجابه في مسائله إما بتعجيل دعوته، أو ادخارها في الآخرة، أو دَفع[٢] سوء مثلها عنه، كما في الحديث[٣] وآثره علي: «فَلْيُجِيبُوا» وإن اتّحدَ معنًى، إشارةً إلى أن تحري إجابته بقدر وسعهم يرضيه، ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ ﴾: الجماع، كَنَّى عَنهُ هنا بالرفث الدال على معنى القبح بخلاف غيره من المواضع استقباحًا لارتكابهم له قبل الإباحة، ﴿ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ﴾: كالفراش، ﴿ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾: كاللِّحَاف، تمثيل لصعوبة اجتنابهن وشدة ملابستهن، أو لستر أحدهما الآخر عن الفجور، ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ ﴾: تَظلِمُون، ﴿ أَنْفُسَكُمْ ﴾: إذ فَعَلهُ عُمَر - رضي الله عنه - فاعتذر فأحله الله تعالى[٤]، ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾: الخيانة، ﴿ فَالْآنَ ﴾: إذ أحَلَّ لكم، ﴿ بَاشِرُوهُنَّ ﴾: جامعوهن، وأصلها[٥]: إلصَاقُ البشرة بالبشرة، ﴿ وَابْتَغُوا ﴾: اطلبوا، ﴿ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾: من الولد أو ليلة القدر، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾: جميع الليل، ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾: بيان للخيط الأبيض، أي: يتبين بَيَاضُ الصُّبح

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٤/ ١٦٦٧)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٤٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/ ٩٢) وسنده ضعيف.

(٢) في (ع): رفع.

(٣) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وأما أن يؤخرها له في الآخرة، وأما أن يكشف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذن نكثر، قال: «الله أكثر».

رواه الحاكم (١٨١٦)، وأحمد (٣/ ١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وأبو داود (٥٠٧)، والطبري في تفسيره (٢/ ٧٦، ٧٧)، والطبري في الكبير (٢٠/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٥/ ١٦٧٣)، والحاكم (٢/ ٢٧٤)، والبيهقي (٤/ ٢٠) وسنده حسن.

(٥) المباشرةُ.

الصادق من سواد الليل، دَلَّ على صِحَّة صَوْم المصبح جُنبًا(١)، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾: بإخراج الليل، نفى صوم الوصال، وأما حرمة عدم تحلل الإفطار بين يومين فبالسنة، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي الْمَسَٰجِدِ﴾: كانوا يعتكفون فيخرجون ويجامعوهن فيرجعون، فنهوا(٢)، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكَامُ، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: مَجَازٌ عن اعتدائها مبالغة: أي: لا تَتجَاوَزُوا من الحق إلى الباطل، فلا يرد، أن أكثرها إباحة فلم لا يتجاوز عنهما، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ﴾: بالحرامِ ﴿وَ﴾ لا، ﴿تُدْلُوا بِهَآ﴾: أي: تلقوا حكومتها، ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تتواصلوا بها إليهم، ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ﴾: مُلْتبسينَ، ﴿بِالْإِثْمِ﴾: كاليمين الكَاذبة، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون.

ولما سألوا عن حكمة زيادة الهلال ثم نُقصانه وعن فائدة دُخُول المُحْرمين(٣) من ظهور بيوتهم نزلت(٤)، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾: فائدة، ﴿الْأَهِلَّةِ﴾: كيف تبدوا دقيقة ثُمَّ تزيد، ﴿قُلْ هِيَ﴾: فائدتها الظاهرة، ﴿مَوَٰقِيتُ﴾: جمع ميقات ما يعلم به الوقت، وهو الزمان المفروض لأمر، والزمان: مدة مقسومة، والمدة: جمع امتداد، حركة الفلك، ﴿لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾: في الإحرام، ﴿مِن ظُهُورِهَا﴾: إذ كانوا ينقبون فيها فيدخلون ويخرجون من النقب، ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾: المحارم، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾: في الإحرام، إذ ليس تركها برًّا، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

---

(١) لحديث عائشة وأم سلمة زوجي النبي - ﷺ - أنهما قالتا: «إن كان رسول الله - ﷺ - ليصبح جنبًا - من غير احتلام - في رمضان، ثم يصوم ذلك اليوم» رواه البخاري (٤/ ١٨١، ١٨٢)، وأبو داود (٢/ ٣١٢/ ٢٣٨٨).

- قال الخطابي: وقد أجمع عامة العلماء على أنه إذا أصبح جنبًا في شهر رمضان، فإنه يتم صومه ويجزئه غير أن إبراهيم النخعي فرق بين الفرض والتطوع - معالم السنن (٢/ ١١٥).

(٢) الوسيط (١/ ٢٨٨)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٤)، الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٤)، فتح القدير (١/ ١٨٧، ١٨٨).

(٣) يعني: الملتبسين بالإحرام بالحج.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٦٢١/ ١٨٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩/ ٢٣).

راجين الفلاح، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يصدونكم عن الحج هذا في العام القابل للحديبية، ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾: بابتداء القتال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المتجاوزين حده، نسخت بآية القتال، ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: وجدتموهم ولو في الحرم، وأصل الثقف: الحذقُ في إدراك الشيء[1]، ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾: مكة فأخرجهم يوم الفتح، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾: كتركهم في الحرم، وإخراجكم منه، ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾: قتلكم إياهم في الحرم، ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: الحرم، ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾: ابتداء، ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الآية محكمة[2] عند الأكثرين، فلا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: لهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾: بهم، ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: خالصًا، ﴿لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾: عن الشرك، ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾: ظُلْم أي: جزاؤه ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: سماه ظلمًا للمشاكلة[3]، ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾: الذي أنتم تدخلون فيه مكة قهرًا، ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: الذي منعوكم فيه دخولها عام الحديبية، أي: هتكة بهتكة، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ﴾: كل حرمة، وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيه، ﴿قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: بصدِّكم، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾: وادخلوها عنوة، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فيما لا يرخص لكم، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: بالرعاية، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كالحج والجهاد، ﴿وَلَا تُلۡقُواْ﴾: أنفسكم، ﴿بِأَيۡدِيكُمۡ﴾: بعدم الإنفاق فيها، أو أيديكم بمعنى: أنفسكم، والباءُ صِلَةٌ، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ﴾: إلى المحاويج، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ﴾: ائتوا بهما تامي المناسك، ﴿لِلَّهِۚ﴾: ظاهره وجوبهما؛ لأنه أمر باتمامهما مطلقًا بلا تقييد بالشروع، فيكون واجبًا، لأن مقدمة الواجب واجب، على أنه قُرِئَ: (وأَقِيمُوا الحَجَّ)[4]، ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ﴾: مُنِعْتُم بعدُوٍّ، والإحصار مخصوص بالعَدُوِّ عند الشَّافعي ومالك، وبه فَسَّره ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما-،

---

(١) ومنه قيل للفاهم الذكي: مثقف - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٢/ ٣٥١)، فتح القدير (١/ ١٩٠)، الوسيط (١/ ٢٩٢).

(٢) في (ع): مُحْكَمٌ عِندَ الأكثرينَ.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ (الشورى/ ٤٠)، تفسير الوسيط (١/ ٢٩٢).

(٤) قرأ علقمة وعبد الله بن مسعود: «وأقيموا». البحر المحيط (٢/ ٧٢)، تفسير الطبري (٤/ ٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٦٩)، الكشاف (١/ ١١٩)، تفسير الفخر الرازي (٢/ ١٥٥).

فليس[١] بمذهبه حتى يكون تقليدًا له[٢]، ويدُلُّ عليه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾، ونزولها في الحديبية[٣] ويشمل المرض ونحوه عند الحنفية لحديث: «من كُسِرَ أو عَرَجَ فقد حلَّ وعليه الحج من قابل»[٤]، وهذا وإن رواه الترمذي فقد ضعفوه، ويدفعه حديث ضُبَاعة المروي في «الصحيحين» وغيرهما، ﴿فَـ﴾: عَلَيكُم، ﴿مَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: جمع هدية، وهي شاة، ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: أي: لا تحللوا، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾: مكان حلّ ذبحه، وهو محل الحبس عند الشافعي، والحرم عند أبي حنيفة، أي: حتى تذبحوه، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾: يحتاج إلى الحلق، ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾: كجُرْحٍ وقَمْلٍ، ﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعليه فدية إن حلق، ﴿مِّن صِيَامٍ﴾: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: بفَرق وهو ثلاثة آصُع على ستة مساكين، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾: ذبح شاة أو ما فوقها، وكذا في الاستمتاعات ولو بلا عذر، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: من الخوف وتمكنتم من المأتى إلى مكة، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: بالتقرب إلى الله تعالى، ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾: في أشهر الحج إلى أن وصل، ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: فحج بعد تحلله من العمرة، ﴿فَـ﴾: عليه، ﴿مَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: هو دَمُ جُبْران عند الشافعي فلا يأكل منه، ونُسكٍ عند أبي حنيفة كالأضحية، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الهدي، ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾: أثناء، ﴿ٱلْحَجِّ﴾: قبل التحلل ويستحب أن يحرم قبل السابع، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى أهليكم بعد الوصول، وعند أبي حنيفة بمعنى: فراغه عنه، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾: فَذْلَكة[٥] لرفع توهم أن الواو بمعنى «أو» أو للإباحة، أو السبعة للكثرة، أو كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿كَامِلَةٌ﴾: تأكِيدٌ للاهتمام أو للتنبيه على عدم نقصها من المبدل عنه، أو على أنها أول عدد كامل كما في كتب الحساب، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكْمُ ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ﴾: مجاز عن نفسه، ﴿حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: هو من بينه وبين

---

(١) كلمة «لَيسَ» سقطت من (ن)، و(س)، و هي في (ع)، و(د)، و(ح).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٢)، الوسيط (١/ ٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٤/ ١٦/ ١٨١٥، ١٨١٦)، ومسلم (١٢٠١).

(٤) عن عكرمة قال: سمعت الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل، وعليه الحج من قابل».

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة عن ذلك، فقالا: صدق. رواه أبو داود (١٨٦٢)، وابن ماجة (٣٠٧٧)، والترمذي (٩٥٨، ٩٥٩) وأحمد (١٥٧٣١) وسنده صحيح.

(٥) الفذلكة: الاختصار والخلاصة .اهـ.

الحرم مسافةُ القَصْر، فإن كان أقلّ فهو المقيم أو كالمقيم، وغير المتوطن على قول المحققين من الشافعية كالمتوطن، وأُلحقَ القارنُ بالمتمتع، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: لمخالفيه، ﴿ٱلۡحَجُّ﴾: وقته، ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾: شوال، وذو القعدة، وعشر ليالي ذي الحجة عند الشافعي[1]، ومع يوم النحر عند أبي حنيفة، ومع بقية ذي الحجة عند مالك، ومبنى الخلاف على أن المراد وقت إحرامه وأعماله ومناسكه، أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك، فإن مالكًا كره العمرة في بقيتها وجعل بعض الشهر شهرًا تجوزًا، ﴿فَمَن فَرَضَ﴾: على نفسه، ﴿فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾: بأنْ أحْرم به، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جماع ومقدماته، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: معاصي، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: مخاصمة، ﴿فِي﴾: أيّام، ﴿ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾: فلا يضيعه، ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾: لمعادكم أو للحج، لا كبعض اليَمَانيين يحُجُّون بلا زاد مظهرين[2] التوكل، ثم يسألون الناس إلحافًا[3]، ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ ومنه الكف عن السؤال، والزاد: فضل الطعام الزائد عما يكتفى به الوقت، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾: فقط، ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: العقول السليمة، فإن ذلك مقتضاها، ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾: إثم في، ﴿أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا﴾: رزقًا، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: بنحو التجارة والإجارة في الحج، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾: انصرفتم ﴿مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾: جَمْع سمي به الجبل المعروف لتعارف الناس، أو آدم وحواء فيه، ويوم عرفة مُولَّد لا عربي، قيل: الآية دلّت على وُجُوب الوقوف بها، ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾: بالدعاء والتلبية، وهو جبل معروف[4] سُمِّي به؛ لأنه مَعْلَمُ العبادة، وبالحرام لحرمته، فُهِمَ منه، أنَّ الذكر فيما يليه أفضل، ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا﴾ لما، ﴿هَدَىٰكُمۡ﴾: إلى ذلك، أفاد بتكرار

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١١٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ١١٩)، أحكام القرآن – لابن العربي (١/ ١٣١).

(٢) في (ن): أو مُظهرينَ.

(٣) عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة، سألوا الناس، فأنزل الله – تعالى –: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ رواه البخاري (٣/ ٣٨٤/ ١٥٢٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ٧٧).

(٤) المشعر الحرام: المزدلفة، سميت مشعرًا؛ لأنه معلم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من سنن الحج. * الوسيط (١/ ٣٠٤).

الأمر الحث على إكثاره، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل هدايته، ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين، ﴿ثُمَّ﴾: لتفاوت ما بين الإفاضتين، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديرًا، ﴿أَفِيضُواْ﴾: انصرفوا، ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: أي: مِن عرفه إذ كَانَ[1] قريش لا يتجاوزون الحرم قائلين: نحن أهل الله لا نَخْرج من حرمه، ثم يفيضون منه[2]، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: فأتممتم، ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: عبادات حجِّكُم، وأصلها: أخذ النفس ببلوغ غاية العبادة، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: ذكرًا، ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾: إذ كانوا في الجاهلية يذكرون مفاخر آباءهم بمنى، ﴿أَوْ﴾: بل، ﴿أَشَدَّ﴾: منه، ﴿ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾: اجعل عطاءنا، ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب صالح أو طلبه، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: يشْمَل كل خيرها، ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾: كذلك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: بالعفو، ومَنْ خَصَّصَ هذه[3] الثلاثة بالمرأة الصالحة والحور والمرأة السوء ونحوها فعلى سبيل المثال، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفريق الثاني، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ﴿مِّمَّا﴾ من أجل ﴿كَسَبُواْ﴾، أو الفريقان لهما نصيب، بالدعاء من الدنيا والدارين، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فيُحاسبكُم مع كثرتكم في لمحة، ﴿وَٱذْكُرُواْ﴾: كَبِّروا، ﴿ٱللَّهَ﴾: بعد الصَّلَوات وعلى الأضاحي وعند الجمرات، ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾: هي أيام التشريق لقلتها بالنسبة إلى المعلومات العشر، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾: بِالنَّفْرِ، ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: بعد رميه، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾: بالنفر إلى الثالث، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾: في تأخره، كان في الجاهلية بعضهم يؤثم المعجل، وبعضهم يؤثم المؤخر، فرد عليهما[4] إذ مَعناهُ: لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، مع «أن الله تعالى يُحِبُّ أن تُؤْتى رُخَصُهُ كما

---

(١) كذا- والمرادُ قومُ، ويجوز: كانت.

(٢) عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كانت قريش تقف بالمزدلفة، ويسمون الحمس، وسائر العرب تقف بعرفة، فأمر الله نبيه أن يقف بعرفة، ثم يدفع منها؛ فأنزل الله: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» الآية أخرجه الترمذي (٨٨٤)، والنسائي في المجتبى (٥/ ٢٥٥)، والطبري في التفسير (٢/ ١٧١) وسنده صحيح.

(٣) ليست في (ن).

(٤) الوسيط – للواحدي (١/ ٣٠٩)، الجامع – للقرطبي (٣/ ١٣)، الوجيز – للواحدي (١/ ٥٣).

تؤتى عزائمه[(١)]، وعدم الإثم، ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾: في حجِّه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾: يعظم في نفسك، ﴿قَوْلُهُ﴾: والتَّعجُّب: حيرة تَعْتَرِضُ الإنسان لجهله بسبب المتعجب منه[(٢)]، وهو أمر إضافي، ﴿فِي﴾: أمور، ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾: يحلف أنَّ قلبه يوافقُ لِسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ﴾: أشدُّ، ﴿الْخِصَامِ﴾: الخصومة، أو جمع خَصْم هو: أخنس بن شُرَيْق[(٣)] المنافق الحلو الكلام، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصرف عنك، ﴿سَعَىٰ﴾: أَسْرَعَ، ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: بكل ما يقدر، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: فإنه أحرق زرع المسلمين وعقر مواشيهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: لا يرتضي، ﴿الْفَسَادَ﴾: لا يقال كيف لا يرتضيه، وهو يفسد بعض الأشياء؛ لأن الإفساد إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح، وهو تعالى منزه عن ذلك، ولا يرتضيه، وما نراه فسادًا فبالإضافة إلينا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ﴾: حملته، ﴿الْعِزَّةُ﴾: الكِبْرُ، ﴿بِالْإِثْمِ﴾: على الإثم، ﴿فَحَسْبُهُ﴾: كفته، ﴿جَهَنَّمُ وَ﴾ الله، ﴿لَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: المقرُّ جهنَّم، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾: يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾: بالجهاد، ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: كَصُهَيْب[(٤)]، عُذِّبَ ليرتد فأعطى جميع أمواله وأتى المدينة، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾: الانقياد لله، ﴿كَافَّةً﴾: في جميع شَرائِعِه، أو بكُلِّيَّتِكم، من كَفَفْت أي: جَمَعْت، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ آثارِ ﴿الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم﴾: عدلتم عن الدخول، ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: على أنه حَقٌّ، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم ظلمًا، وفي العلم بهما انزجار

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١٠٨)، والبيهقي في سننه (٣/ ٥٤١٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ١١٨٨٠، ١١٨٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٨٨٥)، والإرواء (٥٦٤).

(٢) التعريفات – للجرجاني (٦٥)، أساس البلاغة (٤٠٩)، الكليات (١/ ٢٤٢، ٢٤٣)، التوقيف (١٨٤).

(٣) الوسيط (١/ ٣١٠)، تفسير الفخر (٥/ ١٩٧)، أحكام القرآن – لابن العربي (١/ ١٤٣)، الوجيز للواحدي (١/ ٥٣)، تفسير الطبري (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٢٦٧).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٨)، والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (٢/ ٦٩٣، ٦٩٤/ ٦٧٩/ بغية)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٥١، ١٥٢)، وابن عساكر (٢٦/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦٨، ٣٦٩/ ١٩٣٩) وسنده ضعيف.

عنها، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينظر الزَّالُّون ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بكيفية لا يعلمها إلا[١] هُوَ، أوْ عذابُهُ[٢]، ﴿فِى ظُلَلٍ﴾: جَمْعُ ظُلَّةٍ، ما أظلَّك، ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: الذي هو مظنَّةُ الرَّحمة، فالعذاب منه أقطع، ﴿وَ﴾ تأتيهم، ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: من حسابهم وجزائهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير، ﴿ٱلْأُمُورُ﴾: فيجازي الكل، ﴿سَلْ﴾: يا محمد تقريعًا، ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرة في الكتب على تصديق محمد- ﷺ-، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: أَيَتَهُ بتحريفها، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾: أي: عرفها أو تمكن من معرفتها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: له، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: حَتَّى أعرَضُوا عن الآخرة، والتزيين: تحسين محسوس لا معقول، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من فقرائهم كبلال وعمار بتركِهم الدنيا، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: أي: هم، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا استحقاق، فكثرة الرِّزْق لا تَدُلُّ على القربة، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾: بين آدم ونوح عشرين قرنًا[٣]، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مُتَّفقين على الحقِّ، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾: بعد اختلافهم، ﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ﴾: للمُطيع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للعاصي، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾: يعني: جنسهم إذ أكثرهم كانوا آخِذِينَ بكتاب من سبقهم، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: ملتبسًا، ﴿بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ﴾: الكتاب، ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾: في الكتاب، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: الكتاب، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا﴾: للحسد والظلم، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: فكفر بعضهم بكتاب بعض، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِـ﴾: معْرفة، ﴿مَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ثُمَّ شَجَّع المؤمنين الخارجين عن أموالهم وأولادهم بقوله: ﴿أَمْ﴾: بَلْ، ﴿حَسِبْتُمْ﴾: أي: ما كان لكم أن تحسبوا، ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: أصْلهُ: لَمْ وَ«مَا» صلة، ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾: عَجيبُ حَالِ، ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾: مضوا، ﴿مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾: أزعجوا شديدًا بالبينات، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾: استبطاء له، فقيل لهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: فاصبروا كما صبروا تظفروا، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: عمرو بن الجموح

---

(١) وهو الصحيحُ الموافق لما عليه سلفُ الأمّة.
(٢) مِن التأويلِ المذموم.
(٣) الله أعلم بذلك.

الأنصاري[١]، ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: تطوّعًا سألوا عن النفقة[٢] فأمره بالجواب بما هو أهم، وهو المصرف، ولا يلزمُ المطابقة في نحو سؤال مَستعْلج من معالج، ويلزم في سؤال جدل فقال: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: مال، ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مكروه شاق، ﴿لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وهو كُلّ ما أمرتم به، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾: وهو كل ما نهيتم عنه، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: الخير، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ﴾: حين[٣] قاتل سَريَّة المسلمين المشركين في رجب على أنه من جُمادى[٤]، والسائل المؤمنون كبواقي المسائل الخمسة، ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: الإبدال لبيان أن السؤال لأجل تعظيم الشهر، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾: ذنب ﴿كَبِيرٌ﴾ الأصح أنه غير منسوخ، ولا يدل على حرمة القتال فيه مطلقًا، ويؤيده إعادة قتال منكّرًا، وعند الأكثرين: نُسِخت بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٥]، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾، ﴿وَ﴾: صدٌّ عَن، ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾: المؤمنين، ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: وزرًا من قتال السرية، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشرك، ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ﴾: المشركون، ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: أتى بإن للفرض والاستبعاد، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: إلى دينهم، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: النافعة، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: من أحكام الإسلام، ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾: بسقوط الثواب قيد وهو كافر: حجة الشافعي: فلابد من موته على الكفر، وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلى آخره، محمولٌ على القَيْد، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أسباب النزول – للواحدي (٤٠)، الوسيط – له (١/ ٣١٨)، زاد المسير – لابن الجوزي (١/ ٢٣٣).

(٢) في (ن): المنفق.

(٣) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٨٤/ ٢٠٢٢)، والطبري في تفسيره (٢/ ٢٠٤، ٢٠٧)، والنسائي (٥/ ٢٤٩/ ٨٨٠٣)، وأبو يعلى (٣/ ١٠٢/ ١٥٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٦٢/ ١٦٧٠)، والبيهقي في سننه (٩/ ١١، ١٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٣٨٤، ٣٨٧/ ٤٨٨٠، ٤٨٨١) وسنده صحيح.

(٥) سورة التوبة.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ ﴾: يستحقون أن يرجوا، ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾: السائل: عمر مع جمع[1]، ﴿عَنِ ﴾: شرب، ﴿ٱلْخَمْرِ﴾: هي عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا، ﴿وَ﴾: لعب، ﴿ٱلْمَيْسِرِ﴾ القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: كالمخاصمة والزور، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: كالقوة وكسب المال[2]، ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾: مفاسدهما، ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: عمر المذكور، ﴿مَاذَا﴾: أي: مقدار ما ﴿يُنفِقُونَ﴾: على المذكورين أوَّلًا، ﴿قُلِ﴾: أنفقوا، ﴿ٱلْعَفْوَ﴾: الفاضل عن الحاجة وهو ضد الجهد بالفتح: المشقة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾: كُلَّها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾ أمورِ ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۗ﴾: وتأخذون بالأصلح لكم، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: بعدما اعتزلوهم بنزول ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾: في مداخلتهم، ﴿خَيْرٌ﴾: من مجانبتهم، ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾: تخلطون طعامكم بطعامهم، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: أي: فَهم إخوانكم، فلا بأس، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ﴾: فيجازيهما، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ﴾: لكلَّفكم مشقة المجانبة مطلقًا، والعَنَتُ: المشقة[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: عبدة الأوثان، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾: شملت الكتابيات، وخصَّت بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ﴾[4] إلى آخره، ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: حُرَّة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: لمالها وجمالها، ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: المؤمنات، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾: حُرٌّ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المشركون، ﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾: موجبات، ﴿ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى﴾: موجبات، ﴿ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾: بتيسيره، ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: قبح

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٧٠)، والبيهقي (٨/ ٢٨٥)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وأحمد (١/ ٥٣)، والواحدي في أسباب النزول (١٣٨، ١٣٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٢/ ٣٨٢٤)، والحاكم في مستدركه (٤/ ١٤٣) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٦/ ٤٣٠/ ٥١٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٨٨، ٣٨٩/ ٢٠٤٤) و (٣/ ٩٥٨/ ٥٣٥١) وسنده صحيح.

(٢) لمّا حرّمَهما الله سلَبَ منهما المنفَعة تمامًا.

(٣) وأصْلهُ: الكسرُ بعْدَ الجبْرِ.

(٤) سورة النساء.

المنهي عنه، وحسن المدعو إليه، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: السائل: أبو الدحداح مع جمع عن أحكام[١] ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾: الحَيْض؛ إذْ كانوا لا يؤاكلوهن ولا يساكنوهن[٢] حينئذ ترك الواو في الأسئلة الثلاثة الأول؛ لأنهم سألوها في أوْقَاتٍ متفرقة، وأتى بالواو في البواقي إشارةً إلى أنهم سألوها في وقت واحد عُرْفًا، كشَهْر كذا، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: كناية عن مستقذر، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟﴾: اجتنبوا، ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾: مُجَامعتهُنَّ، ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: بالاغتسال أو التيمم، وَعند أبي حنيفة - رحمه الله[٣] - بدُونه إن طهرن لأكثر الحيض، وتأتي قراءةُ: (يَطَّهَّرْن)[٤] بالتشديد، وفقٌ له:، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: من مأتى، ﴿أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾: وهو القبل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: من الأقذار، ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: موضع حرث، ﴿لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾: جامعوهن، ﴿أَنَّىٰ﴾: من أي: جهة، ﴿شِئْتُمْ﴾: بعد ملاحظة موضع الحرث، لا كما قال اليهود: الجماع في القبل مدبرة يسخط الله، ويجعل الولد أحول[٥]، ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾: ثواب امتثال أمر الله، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في معاصيه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾: يوم القيامة، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين اتقوه، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً﴾: مانعا وحاجزا، ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي: الأمور المحلوف عليها، ﴿أَن تَبَرُّوا۟﴾: بيان للأيمان، ﴿وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: كحلف الصديق أن لا ينفق على مِسْطَح[٦] لافترائه[٧] على عائشة رضي الله عنها، والآية نَزلتْ فيه، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلِيمٌ﴾:

---

(١) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٤٨).

(٢) في (ن): لا يُؤاكلونهُنَّ، ولا يساكنونهُنَّ.

(٣) في (ن): رضي اللهُ عنه.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم الجحدري وخلف والفضل وشعبة.

* إتحاف فضلاء البشر (١٥٧)، السبعة (١٨٢)، غيث النفع (١٦١)، الكشاف (١/ ١٣٤).

(٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها؛ كان الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾... الآية» رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٨٩/ ٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥).

(٦) ابن أثاثة رضي الله عنه.

(٧) كذا - والذي افترى على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هو ابن سلول - لعنه الله - فلو قال المؤلف: كان من الخائضين، أو: من الذين خاضوا في الإفك، لكان أولى.

بمقاصدكم، ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: بعقوبة ولا كفارة، ﴿بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما يجري على اللسان بلا قصد، كلا والله، وعند الحنفيين: هو حلف الرجل بناء على ظنِّه الكاذب[1]، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: تعمَّدتمَ الكذب فيه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجلكم بالعقوبة في الكذب، ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: يحلفون أنْ لا يُجامعوهنَّ، ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار، أو مقلوب تَصَبُّر، ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: فلا يطالبون فيها بوطء، ولا طلاق، ﴿فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم إثم الحنث، ﴿رَّحِيمٌ﴾: ﴿وَ﴾ لكن تجب الكفارة، ﴿إِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لطلاقهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بفعلهم، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾: المدخول بهن من حرائر ذوات الأقراء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، إنما قيد بها لأن أنفسهن طوامح إلى الرجال، ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: أطهار مُحْتوشَة[2] بالدم، وعدة الأمة قُرآن للسُّنَّة، وأتى بجمع الكثرة؛ لأنها حكم جميع المُطلَّقات، أو على تقدير ثلاثة من القروء وهو جمع قلة، في أنفسهن؛ تنبيهًا على أنه ينبغي قلة وقوعه، وهو عندنا بمعنى الطهر، وعند أبي حنيفة بمعنى الحيض.

* تنبيه: اعلم أنَّ حديثَ: «طَلَاقُ الأَمَة تَطْلِيقَتان، وعدتها حيضتان[3]»، وحديث: «دَعِيْ الصَّلاة أيام أقرائك[4]»، ليسا في الأصول[5] ومع ثبوتهما لا يقاومان قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[6]. ورواية «الصحيحين» والموطأ وسنن أبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجة في قصة ابن عمر - رضي الله عنهما -: «مُرْهُ فليُرَاجِعْهَا ثم ليمسكها حَتى تَطْهُر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثُمَّ إنْ شَاءَ أمسك بَعْدُ وإنْ شاء طَلَّقَ قبل أن يمس،

---

(١) انظر: معطية الأمان- لابن العماد الحنبلي (٦٤).

(٢) مقترنة.

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٢١٨٩)، الترمذي (٣/ ١١٨٢)، وابن ماجة (١/ ٢٠٨٠)، والحاكم (٢/ ٢٠٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٥٠)، والإرواء (٢٠٦٦، ٢١٢١).

(٤) رواه البغوي في شرح السنة (٩/ ٢٠٧)، والدارقطني في سننه (١/ ٢١٢) وسنده ضعيف.

(٥) لم أعرف مراد المصنف بهذه الكلمة، ولعلَّهُ يعني: ليسا في الصحيحين.

(٦) سورة الطلاق (١).

فتلك العدة التي أمر الله أن يُطلَّقَ لهـا النِّسَاء»[1]، ورواية مالك عن عائشة رضي الله عنها -: «أتدرون ما الأَقْرَاءُ؟ هي الأطهار»[2]، غاية الأمر أنهما يدُلَّان على استعماله بمعنى الحيض، ولا نزاع فيه، والله تعالى أعلم، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: مـن حَمْلٍ أو حَيْضٍ اسْتِعجالًا، فـأفهم أن قولهـا فيه مقبـول، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: لـيس للشرط بـل للتغليـظ، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: جَمْعُ البَعْل: الـزوج، وأصلـه: نخـل يشرب بعروقه، والبعْلَةُ الزوجة، ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكـاح، ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: الزمـان، وهـو العِدَّة، وهذا قبل نزول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[3]، ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾: بالرجعة، لا إضـرارًا، وهـذا تحـريضٌ لا شـرطٌ، ﴿وَلَهُنَّ﴾: علـى الرجـال مـن الحـق، ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى﴾: لهـم، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: في الوجوب لا في الجِنْسِ، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: في الشرع من نحو حسن العشرة، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فـضل لمـا سـاقوه مـن المهـر والإنفـاق، وأصلها[4]: المنزلـة باعتبار الصعود، كما أن الدَّرَكَة المنزلـة باعتبـار النـزول، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ﴾: الرجعي، ﴿مَرَّتَانِ﴾: اثنتان، وقيل: تطليقة بعد تطليقة، وكذا قيل بتحريم الجمع، وبعد ذلـك، ﴿فَإِمْسَاكٌۢ﴾: مراجعـة، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: غيـر منكـر شـرعًا، وسـئل عليـه الـصلاة والسلام «أين الثالثة؟» فقال[5]: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ﴾: أي: طلقة ثالثة، ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾: لا كما كـان

---

(١) عن مالك عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» رواه البخاري (٩/ ٣٤٥، ٣٤٦/ ٥٢٥١)، ومسلم (٢/ ١٠٩٣)، وأبو داود (٢/ ٣٦٣).

(٢) عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة.
قال ابن شهاب: فذكر ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت: صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس وقالوا: إن الله- تبارك وتعالى- يقول في كتابه: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فقالت عائشة: صدقتم؛ تدرون ما الأقراء؟ إنما الأقراء الأطهار. رواه مالك في الموطأ (٤٥٥/ كتاب الطلاق) (٢١) باب: ما جاء في الأقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض.

(٣) سورة البقرة.

(٤) الدرجة.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٤٥)، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٠١)، والبيهقي (٧/ ٣٤٠) وسنده =

في الجاهلية الطلاق غير محصور في عدد، وهو أعم من المعروف، إذ قد لا ينكر ولا يستحسن، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الولاة أسند إليهم، لأنهم الآمرون عند الترافع، ﴿أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: الصَّدَاق[1]، ﴿شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا﴾: الزوجان، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: من مواجب الزوجية، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: أيها الولاة، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: على الزوجين، ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: نفسها، أي: لا حرج في أخذه وإعطائها، فعرف جواز الخُلع في حال اتفاقهما بطريق الأولى، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا﴾: بعد المرتين، هو تفسير التسريح بإحسان، ونبه بتوسيط ذكر الخلع بينهما، على أن الطلاق إما مجاز أو بِعِوَض، وأن الرجعة لا تمكن إلا قبل الثالث، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾: بعد الثالثة، ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾: يطؤها في نكاح صحيح، وحكمته: الردع عن التسريح إلى الطلاق، وأما لعن المُحَلِّل والمُحَلَّل له، فحيث نكح بشرط أن لا نكاح بعد الوطء ونحو ذلك، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾: الثاني، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾: بنكاح جديد صحيح جائز، ﴿إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: في الزوجية، ﴿وَتِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن، والأجل: قُرْبُ المُدَّة، أو منتهاها، والمراد الثاني، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بالرجعة بلا إضْرَارٍ، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بتركهن لتنقضي عدتهن بلا تطويل، عَلَّقَهُ هنا بالمعروف؛ تنبيهًا على أنكم إن لم تحسنوا فراعوا فيه المعروف، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾: تُراجعوهنَّ، ﴿ضِرَارًا﴾: لإضرارهن، ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾: لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: بأن تطلقوا أو تعتقوا أو تنكحوا أو تراجعوا، ثم تقولوا: كنَّا لَاعِبِيْن، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾: السنة[2]، ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾: بما أنزل، فاشكروها بالعمل به، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾:

= ضعيف.

(١) في (ن): الصدقات.

(٢) أو مواعظ القرآن – الوسيط (١/ ٣٣٨).

انقضتْ عِدَّتُهنَّ، ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾: لا تُضيِّقوا عليهن أيها الأولياء، دلَّتْ على منع تزويجهن أنفسهن، وإلا فلا معنى لعضل الوَليّ، وإسناد النكاح إليهن فلتوقُّفه على إذنهنَّ، ﴿أَن يَنكِحۡنَ﴾: الذين كانوا، ﴿أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ﴾: الخُطَّاب والنساء، ﴿بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: شرعًا ومروءةً ومودةً، دلت على جواز العَضلِ عن التزوج من غير كفؤ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المنزل، ذلك هنا لمجرد الفرق بين القريب والبعيد فلا تجمع، ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ﴾: تركُ العَضل ذلكم هنا للخطَّاب فيجمع، ﴿أَزۡكَىٰ﴾: أنفع، ﴿لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾: مِنْ دَنَس الإثم، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾: ذلك، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: لقُصُور عِلْمكم، ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ﴾: ولو مُطلَّقات، ﴿يُرۡضِعۡنَ﴾: ليرضعن، ﴿أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾: تحديدًا، وهو إنما أكده لأنه يتسامح فيه، أمر ندب أو وجوب إذا لم يرتضع الصبيُّ إلَّا من أمه، أو لم يوجد له ظِئْر[1]، أو عجز الوالد عن الاستئجار ذلك، ﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾: فهُما أقْصى مُدَّتها، ويجوز النقص، ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾: أي: للوالد، أشار بتغيير العبارة إلى علة الحكم، وأن الولد للوالد، ﴿رِزۡقُهُنَّ﴾: نفقة أمه المطلقة مدة الإرضاع، ﴿وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: بقدر وسعه، وجَوَّزَ الشافعي استئجار الأم، وعن أبي حنيفة: منعه ما دامت زوجته أو في عدته، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ﴾: مبنيًا للفاعل، فاعله، ﴿وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾: بأن تدفعه عن نفسها، قدمها لفرط شفقتها، ﴿وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾: بأن ينزعه عن أمه إضرَّارا لها، ومبنيًّا للمفعول بتعاكس المعنيين، ووالدة مفعوله وأضافه إليها، وإليه استعطافا لهما عليه، ﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ﴾: وارثُ الأب إذا مات، وهو الولد نفسه، ﴿مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ﴾: فتؤخَذُ مؤنُ مرضعته من ماله إن كان، وإلا فتجبر الأم على إرضاعه مجانًا، ﴿فَإِنۡ أَرَادَا﴾: الأبوان، ﴿فِصَالًا﴾: فطامًا صادرًا، ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ﴾: بينهما، قبل الحولين[2] والمشورة استخراج الرأي[3]، ﴿فَلَا جُنَاحَ

---

(١) الظئر: المرضع.

(٢) والمعنى: أنهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قويًّا.

* الوسيط (١/ ٣٤٢).

(٣) معنى التشاور: استخراج الرأي وكذلك المشورة ومنه يقال: شرت العسل، إذا استخرجته.

* البحر المحيط (٢/ ٢٠٦، ٢٠٧).

﴿عَلَيْهِمَا﴾: فلا يستقل أحدهما به، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾: المراضع، ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾: أي: لأوْلَادكم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: دَلَّ على أنه يجوز للزوج، وكذا منعه الزوجة عن إرضاعه، ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾: أردتم إيتاءه من أجورهما، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعًا من أجورهما، وبالقصر، من أتى إليه إحسانا إذا فعله، وتقييد نفي الجُنَاح بالتسليم إرشادًا إلى الأولى، لَا شَرْطَ للْجَوَاز، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في حدوده، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يَتْرُكُـونَ، ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾: بعدهم، ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: سِرُّهُ أَنَّ الجنين غالبًا يتحرك لثلاثة إن كان ذكرًا، ولأربعة إن كان أنثى[1]، فاعتبر أقصى الأجلين، وزيادة العشر للاستظهار، وأما الحَامِلُ والأمة فعدتهما الوضع، ونصف الحرة، وترك التاء لحذف المعدود أو باعتبار الليالي، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء في ترك كَفِّهِنّ، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من تَزيُّن حَرُمَ في العِدَّة، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: غير منكر شرعًا، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾: والتعريضُ: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي أوالمجازي أو الكنائي ليدل على شيء آخر غير مذكور، والكناية: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي لم يوضع له، واستعمل في الموضوع له لا على وجه القصد إليه، بل لينتقل منه، وبينهما عموم من وجه، ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾: هي عُرْفًا: طلبُ، ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: أي: المعتدات للوفاة، وبضم الخاء: الموعظة، وأصلها: الحالة التي عليها الخاطب، مثال التعريض: إنك جميلة، وغرضي أن أتزوج، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: بلا تعريض، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: ولا تصبرون عنهن، فأباح التعريض فاذكروهن، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: نكاحا أو جماعا، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: حاصله: لا تواعدوهن إلا مواعدة معروفة، وهي التَّعريضُ لا التصريح، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ﴾: أي: عَقْدَ عقدة، ﴿ٱلنِّكَاحِ﴾: وهي ما يتوقف عليه صحته، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾: أي: ينتهي ما كتب وأوجَبَ من العدة، فالنكاح فيها لا يَصِحُّ إجماعا، وذكر العَزْم مبالغة في النهي

---

(١) وهذا صحيحٌ، وقيده بالغالب؛ ليخرج ما سواهُ.

عن العقد، واعلم أن مراتب دواعينا إلى الفعل[(١)] سِتٌّ: السَّانحُ ثم الخاطر ثم التفكر فيه، ثم الإرادة، ثم الهمَّةُ، ثم العزم، فالعزم على الأمر هو العقد على إمْضَائه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾: ولا تعزموا، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمن عزم ولم يفعل، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، ﴿لَّا جُنَاحَ﴾: أي: لا تبعة من مهر بدليل قوله بعد: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، ﴿عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿أَوْ﴾: إلا أن ﴿تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهرًا إذ لو مس، أو فرض لزم الكل أو النصف، والفَرْضُ: تَسميةُ المَهر، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: حيث لا مس، ولا تسمية جبرا لإيحاش الطلاق، وتقدير المتعة إلى رأي الحاكم، كما يشعر به، ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني، ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الفقير ﴿قَدَرُهُۥ﴾: ما يليق به، ﴿مَتَـٰعًۢا﴾: تمتيعا، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: شرعًا، حق ذلك، ﴿حَقًّا﴾: وَاجبًا، ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: عليكم، وسماهم به للمشارفة ترغيبا، وألحق الشافعيُّ المَمْسُوسة المفروضة وغيرها بها في أحد قوليه قياسا، وهو مقدم على المفهوم، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ﴾: فلهنَّ نصفُ، ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾: ولا متعة حينئذ، ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: المطلقات، ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: أي: الزوج يعطيها كل المهر، سمى عفوًا للمشاكلة، أو من عفوت بمعنى وفّرت[(٢)]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾: أيها الرجال، ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي: يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يضيع تفضلكم، ﴿حَـٰفِظُوا۟﴾: دَاومُوا، ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: الخَمْسِ، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: بينهما أو الفُضلى، والأصحُّ أنها العصر، للحديث[(٣)]، ﴿وَقُومُوا۟﴾: في الصلاة، ﴿لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾: خاشعين أو ساكنين، وأصله: القيام خاضعا، وعن ابن المسيب: «هو قنوت الصبح[(٤)]»، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من نحو عدو، ﴿فَرِجَالًا﴾: فصلوا رَاجلين، دَلَّ على

---

(١) في (ن): للفعل.

(٢) كقوله- تعالى-: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ (الأعراف: ٩٥) أي: كثروا وكثرت أموالهم.

* عمدة الحفاظ (٣/ ٩٩).

(٣) يشير إلى حديث: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٧) (٢٠٥/ ٦٢٧).

(٤) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٥٤).

وجوب الصلاة حال المُسَايفَة كما قاله الشافعي، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: راكبين وإن لم يمكن الوقوف والاستقبال، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: فصلوا، ﴿كَ﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَكُم﴾، وهو صلاة الأمن، ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾: كتب عليهم، أو فليوصوا، ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾: لنسائهم، ﴿مَّتَاعًا﴾: أي: بتمتيع، ﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: غير مخرجات، أي: يجب عليه أن يوصي بأن تمتع زوجته حولا وينفق عليها غير مخرجة من مسكنها، ثم نُسِخت المُدَّةُ بأربعة أشهر وعشرا، والنفقة بالإرث عند الأكثرين، والسكنى ثابتة بَعْدُ عند الشافعي خلافًا لأبي حنيفة، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: عن المسكنِ قبل الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يا وَرَثة المَيِّت بقطع النفقة أو السكنى، ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾: من ترك الحداد، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مشروع معتاد، فخيرت بين ملازمته وأخذ النفقة والخروج وتركها إذا لم تكن ملازمة للحداد، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممن يخالفه، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما أمر.

ولما نزل في المتعة، ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن شئت أحسنت وإلا فلا، نَزَلَتْ[1]، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الشِّرْك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجب وتقرير، أي: حمل على الإقرار بما بعده، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: أهل دَاوَرْدَان[2]، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: سبعون ألفا أو متألفون، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الطاعون، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾: في الطريق، ﴿مُوتُواْ﴾: أي: أماتهم دفعة، ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾: بعد تفرق أوصالهم حين مر عليهم حزقيل: فقال: بأمر الله. قوموا، فقاموا قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت[3]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) الوسيط – للواحدي (١/ ٣٥٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٥) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك.

(٢) قبل واسط بالعراق.

* أنوار التنزيل – للبيضاوي (٥٤) وقال ياقوت الحموي: بفتح الواو وسكون الراء وآخره. نون: من نواحي واسط بينهما فرسخ – معجم البلدان (٢/ ٤٣٤).

(٣) الدر المنثور – للسيوطي (١/ ٣١٤)، الوسيط (١/ ٣٥٥).

﴿يَشْكُرُونَ﴾: مشغولون عمَّا خُلِقُوا له، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: قول المتخلفين، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم، ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا﴾: هو مثل لتقديم عمل لطلب ثوابه، ﴿حَسَنًا﴾: ببذل النفس والمال، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يمسك الرزق عن بعضٍ، ﴿وَيَبْسُطُ﴾: على الآخر، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾: جماعة شريفة أو مجتمعة للتشاور، ﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ﴾: وفاة، ﴿مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾: يوشع[1]، ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾: للقتال، ﴿نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ﴾: نبيُّهم، ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾: أي: أتوقَّعُ، وعَسى في القرآن أينما وقع في القُرآنِ مفردا للخبر وجمعا للاستفهام، ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: لجبنكم، ﴿قَالُوا وَمَا﴾: أيُّ غرضٍ، ﴿لَنَا﴾: في، ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ لأن قوم جالُوتِ أخذوا بلادهم وسبوا أوْلادهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾: عَن الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر[2]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: فيُجازيهم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: أميرًا، ﴿قَالُوا﴾: تعَنُّتًا، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: الإمارة، ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾: لأنه ليس من أسباط يهوذا والملك فيهم، ونحن منهم وكان فقيرا سقَّاءً أو دبَّاغًا، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾: وقوامُ المُلْك به، ﴿قَالَ﴾: نبيهم ردًّا عليهم بأربعة أجوبة: أحدُها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾: الثاني: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾: ﴿وَ﴾ قوة في، ﴿الْجِسْمِ﴾: وهُما عماد الملك، الثالثُ: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ﴾: أي: السَّلْطنة، ﴿مَن يَشَاءُ﴾: ولا يُسأل عمَّا يفعلُ، الرابع: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: يوسع على الفقير، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يليق بالملك، ﴿وَ﴾: لما طلبوا دليل اصطفائه، ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾:

---

(١) وقيل: هو أشمويل – فتح القدير (١/ ٢٦٤) الوسيط (١/ ٣٥٦).

(٢) لحديث: «أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن» رواه البخاري (٣/ ٤) كتاب المغازي باب: عدة أصحاب بدر، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٠).

صُندوقٌ من خشب الشَّمْشَاذِ[١] مُمَوَّه[٢] بالذهب، وهو ثلاثةُ أذْرُع في ذراعين، فيه صُورُ الأنبياء، أخذته العمالقة منهم[٣]، ﴿فِيهِ﴾: في التابوت، ﴿سَكِينَةٌ﴾: اطمئنان، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كان فيه أشياء يتيمن بها في الخطوب[٤] والحُرُوْب، وفي تعيينها خلاف، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ﴾: عَصَاهُ ورُضَاض ألواح التوارة[٥]، ﴿وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾: ثيابه، فالآلُ مُقحمٌ[٦]، أو أبناؤهما الأنبياء، ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: في الهواء فنظروا إليه حين وضَعَتْه[٧] بين يدي طالوت، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: أي: رجوع التابوت، ﴿لَأٓيَةً لَّكُمْ﴾: في اصطفائه، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾: عَن بلَدِه لقتال العمالقة، وكانوا ثمانين ألفًا، وكان [ثَمّ] حَرٌّ عَظِيمٌ، ﴿قَالَ﴾: لهم؛ لأنَّهُ لم يثق بهم[٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: معاملكم عمل مختبر، ﴿بِنَهَرٍ﴾: بين الأردن وفلسطين[٩]، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾: من النهر، ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: فلا يصحبني ولا يُوَاقف[١٠] العدو، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يذقه، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا﴾: استثناء من قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ﴾، ﴿مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾: بالفتح للمرة، وبالضَّمّ: ما اغْتُرف، ﴿بِيَدِهِۦ﴾: واكتفى بها، ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾: بأفواههم كالبهائم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: فمن اغترف رُوِيَ[١١] وكَفَتْ

---

(١) نوعٌ من الخشَبِ.

(٢) مَطليٌّ.

(٣) دارت خرافات كثيرة وأساطير طامة حول هذا التابوت وما حواه، وكل ما ورد فيه هو من الإسرائيليات التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، بل خرج علينا في عصرنا هذا من يدعي العثور على هذا التابوت وأنه يحوزه ويملكه... والأمر لله.

(٤) المعارك والأحداث الكبيرة.

(٥) الوسيط – للواحدى (١/ ٣٥٨)، معاني القرآن – للزجاج (١/ ٣٢٥)، الدر المنثور (١/ ٣١٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠١)، فتح القدير (١/ ٢٦٥)، تفسير الطبري (٥/ ٣٣١). والرضَاض: مَا تكَسَّرَ مِنَ الألواح.

(٦) زائد.

(٧) يعني الملائكةُ.

(٨) كذا في نسخة (د)، و(ن).

(٩) الوسيط – للواحدي (١/ ٣٥٩).

(١٠) يقف أمامه للقتال.

(١١) شبعَ.

لإدَاوَتِهِ معجزة، ومن شرب بفيه لم يرو واشتد عطشه، واسْوَدَّتْ شفته، والمغترفون ثلاثمائة وبضعة عشر، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾: النهر، ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: القليل، ﴿قَالُواْ﴾: الشَّاربون للمُغْترفين، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: لكثرتهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يعلمون، ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾: بالموت وهم القليلون، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾: فرقة، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالعناية، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾: ظهروا، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾: وكانوا تسعين ألفا أو أكثر، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾: اصْبُبْ، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بتقوية قلوبنا، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم﴾: كسروهم[1]، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بنصره، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾: بثلاثة أحجار في مخلاته قد تكلمت معه في الطريق: إنك تَقْتل جَالُوت بنا، ووعده طالوت أنه إن قتل جالوت يزوج[2] ابنته منه، ويشركه في ملكه فوفى وأعطاه[3]، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: مُلْك بني إسْرَائيل، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾: كَمنطق الطَّيْر والداوب والسرد[4]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: كهذا الدفع، ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: بالكفار، فيه تنبيه على فضيلة الملك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ﴾: الأحاديث، ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: لما أخبرت بها بلا تعرف، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾[5]: المعلومة لك، أو كلهم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: بمنقبة لا في الرسالة، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: مُوسى في الطور، ومحمدٌ في المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: كمحمد المبعوث إلى الكافة عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ

---

(١) يقال: هزمت العظم القصبة هزما: إذا كسرته. * الوسيط – للواحدي (١/ ٣٦١).

(٢) في (ن)، و(ع): يزوجه.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٧٢)، البحر المحيط (٢/ ٢٦٩)، الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي (٣/ ٢٥٨).

(٤) السرد: نسج الدروع والسلاسل، وهو في الأصل: نسج ما يحسن ويغلظ فقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ (سبأ: ١١) أي: ضيق نسيجها حتى لا يغلق بعضها من بعض، ويقال للحلق: سرد، ومعنى التقدير فيها: أن لا تجعل المسامير دقاقا فتغلق ولا غلاظا فتقصم. * عمدة الحفاظ (٢/ ١٨٨).

(٥) في هامش (ن): الجزء (٣).

مَرْيَمَ ﴾: المعجزات، ﴿ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾: كما مر، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾: الرسل، ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾: كفِرَق النَّصارى تحاربوا[1]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾: كَرَّره تأكيدًا، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾: يُوفق بعضًا ويخذلُ بعضًا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾: من الزكاة المفروضة، ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾: فتحصلون فداكم، ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾: محبَّة[2]، بل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، ﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾: إلَّا لمن أذن له الرحمن، ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ ﴾: التاركون للزكاة وضعهم[3] موضعهم تغليظًا، ﴿ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: أنفسهم، والحَصْر لإفادة تناهي ظلمهم، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ ﴾: مستحقٌّ للعبادة، ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾: ولو قُدِّر موجودٌ أوممكنٌ لما تَمَّ التوجيه[4]، ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾: بنفسه فلا يموت أبدا، وهو الذي يصح أن يعلم ويقدر، فهما واجبان له؛ لتنزهه عن القوة والإمكان لا ستلزامه الاحتياج، ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾: دائم القيام بتدبير الخلق فيعول من قام به حفظه، ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾: فتُورٌ يتقدَّمُ النوم، ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾: رتبهما بترتيب وجودهما، وهو[5] حالة تعرضُ بسبب استرخاء أعضاء الدماغ من رُطُوبات الأبخرة المتصاعدة فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا، ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: داخلا في حقيهما أو خارجا، فبين أنهما وما فيهما له بوجه أبلغ من التصريح به، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾: فضلا عن أن يُعاوقه عنادًا، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾: ما يدركونه أوما قبلهم، ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾: ما لا يدركونه أو ما بعدهم، والضمير لما فيها باعتبار العقلاء، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾: معلوماته، ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾: أن يعلموا، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾: عِلْمهُ[6] أو كرسيه المشهور[1] أو سلطانه، وأصلهُ ما يُقعد عليه، ولا يفضل

---

(١) كما قال الله في سورة الصف: ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ الآية.

(٢) سقطت من (ن)، وهي في باقي النسخ.

(٣) من هنا لآخر العبارة في (ع) مؤخَّرةٌ.

(٤) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٣٦٦): وقوله: «الله» رفع بالابتداء، وما بعده خبر ا.هـ أقول: وللكوراني رسالة مطبوعة في «إعراب لا إله إلا الله» فصل فيها القول تفصيلًا شافيا.

(٥) يعني النوم.

(٦) تأويل الكرسيّ بالعلم مما لا دليل عليه، فليحذر من ذلك. وإثبات الكرسيّ مما قامت عليه الأدلة، =

عن مقعد القاعد، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: يثقله، ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: المتعالي عن الأنداد، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: المُستحقرُ دونه كل شيء، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾: الإيمان، ﴿مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: الكفر بالآيات الواضحة، والعاقل لا يختار الشقاوة على السعادة بعد تبيينهما[٢]، وأصلُ الغيّ بمعنى الجهل، إلّا أن الجهل في الاعتقاد، وهو في الأعمال، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: كل ما يصدُّ عن عبادة الله، أو الشيطان، فَعَلُوتٌ من الطُّغيان، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ﴾: الحبل، ﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾: المحكم، ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾: انقطاع، ﴿لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: للأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ﴾: مُتوّل أمور، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم﴾: على سبيل الاستمرار، ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الجهالات، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾: الفطري وإيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل بعثته، ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: فساد الاستعداد، أو كفرهم به بعد بعثته، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ﴾: للتعجب، ﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾: جادل، ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ﴾: لأن، ﴿ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: حمله بطر ملكه أربعمائة سنة عليها، وهم كانوا يسمون ملكهم الرب والإله، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: حين سأله دليل وجود ربه، ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ﴾: الذي حَاجّ، ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: بالعَفْوِ عن القتل وبالقتل، فلما بان أنه فهم وقصد التدليس على قومه، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: عادلًا إلى أمرٍ يفهمه كلُّ أحد: إن صدقت في قدرتك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ قَسْرًا ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾: مع أن ذلك حركتها طبعا فهو أهون، فلا يرد أنه كان يلزمه إزالة شبهته دفعًا لوهم الإفحَام، وقيل: قال له: إحياء الله برد الروح، فقال نمروذُ: هل عاينته؟ فعدَل إلى ذلك بها؛ لأنهم كانوا منجمين، ﴿فَبُهِتَ﴾: صَار مَبْهُوتًا، وأُخرِسَ، ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لحجة الاحتجاج، ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾: أي: أو رأيتَ مثل الذي، خَصَّهُ بالتشبيه لكثرة منكري البعث أو الكاف

= وهي على ظاهرها نثبتها ولا نلعب كلعبِ الزائغين الحائرين عن الجادة- والله أعلمُ.

(١) تفسير الطبري (٥/ ٣٩٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٠٩). والكرسيُّ مَوْضع القدمين، وهو أصغر منَ العرش، وهو كالمرقاة إليه- كما ورَدَ عن السَّلف الكرام.

(٢) في (ن): تبيينها.

صلة، أي: ألم تر إلى الذي، ﴿مَرَّ﴾: هو عُزَيْر[١] أو خَضِر، ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: بيت المقدس[٢] حين خربه بخت نصر، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها أو خالية مع سلامة سقوفها، ﴿قَالَ﴾: مُسْتَعْظِمًا لرؤية كيفية إعادته، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُحْيِۦ﴾: أهل، ﴿هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: موت أهلها مع تَمزُّقهم، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾: فلبث ميتا، ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾: بالإحياء، ﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ﴾: شاكًا، ﴿لَبِثْتُ﴾: في الموت، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾: التين أو العنب، ﴿وَشَرَابِكَ﴾: العصير أو العنب كانا معه حِينَ مَاتَ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: يتغير، وأصل التسنُّهِ: تكرُّجٌ[٣] يعلو الخُبْزَ ونحوهُ بمُضيِّ الزمان، ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: وتفتُّت عظامه لتزدادَ بصيرتك، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: كان أسود الشعر ابن أربعين سنة، وبنو بنيه شيبًا، وعُمِّر البلد بعد موته بسبعين سنة، ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾: مِن الحمار، أو من نَفْسه إذ أحيا عَيْنَهُ أولاً، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نحييها أو نرفعها فنركبها، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: ما أُشْكلَ وصارَ علمه الغيبي عينا، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فأتى على حمَاره[٤] وقال: أنا عزير فكذبوه، فقرأ التوراة من الحفظ فعرفوه بِهِ وقالوا: هو ابن الله، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾: حين رأي جيفة استهلكت[٥] في الرياح فأحبَّ معاينة إحيائها؛ ليتقوى اليقين بالمشاهدة، أو لما مر في قصة نَمْرُود، ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فالسؤال عن الكيفية يقتضى تيقن الإحياء، ﴿قَالَ﴾: تقريرًا، (أ) تسأله، ﴿وَلَمْ تُؤْمِن﴾: وحديث: «أَنَا أَحَقُّ بالشك منه»[٦]: للتواضع، أي: أنا دونه ولا أشك فكيف به، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾: آمنت، ﴿وَلَٰكِن﴾: سألتُ، ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾: عيانا كما اطمأن برهانا، ﴿قَالَ

---

(١) وهو الصحيح.

(٢) غرر التبيان – لابن جماعة (٢٢١)، معالم التنزيل (١/ ٢٣١).

(٣) هو العفن الأخضر الذي يكون على الخبز، وكرج الشئ إذا فسد – اللسان (٢/ ١٤٠).

(٤) يعني راكبًا عليه.

(٥) الوسيط (١/ ٣٧٤).

(٦) يشير المصنف- رحمه الله- إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرنى كيف تحيى الموتى قال: أو لم تؤمن... الحديث» رواه البخاري (٣٣٧٢) و(٤٥٣٧) وأحمد (٢/ ٣٢٦)، ومسلم (١٥١) (٢٣٨).

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾: هي طاووس ونسر، أو غراب وديك وحمامة، خَصَّ الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان، ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: أملهنَّ، ﴿إِلَيْكَ﴾: لئلا يلتبس عليك بعد الإحياء، أو بمعنى قطعهن إليك[1] متعلق خُذْ، ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾: من الجبال المعاينة لك، ﴿جُزْءًا﴾: بعدما قطعتهنَّ وخلطت لحمهن ودمهن وريشهن، ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾: قل: تعالين، ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعا، ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره ففعل ذلكَ، وأمسك رُءوسهُنَّ في يده، فدعاهن فالتأمت أجزاء كل واحد إلا الرءوس، ثم دعا فالتأمت بالرؤوس.

واعلم أن طلب إبراهيم إراءة الإحياء كذلك، وإحياء عيسى الموتى كثيرا لتثبُت بِهِ رسَالتُه وخلقه الطير وإحياؤه يدلُّ على أنه- تعالى- منع بعض الرسل وإن كان فاضلا من الآيات ما أعطاه بعضا وإن كان مفضولا.

﴿مَّثَلُ﴾: نفقة، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: من ساق واحد، ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾: أكثر من ذلك، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: على حسب إخلاصه وتعبه، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: بفضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم ونياتكم، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هو كل ما يتوصل به إلى الله، كعثمان ﷺ، جهز جيش العسرة[2] بألف بعير[3] بأقتابها[4] وأحلاسها[5]، ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾: هو أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه، وهو من الكبائر، وأما اسمه تعالى المَنَّان فَبمعنى المعطي وإسناده إلى نفسه في قوله: «بل الله يمُنُّ عليكم» في توفيق الإيمان، والمذموم:

---

(١) معاني القرآن – للزجاج (١/ ٣٤٣، ٣٤٤)، فتح الباري (٨/ ١٦١)، الدر المنثور (١/ ٣٣٦)، الوسيط (١/ ٣٧٥).

(٢) في غزوة تبوك.

(٣) الصحيح: ثلاثمائة بعير = رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي وتصدق في هذه الغزوة أيضًا بألف دينار وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ أخذ يقلبها ويقول مرارا: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» رواه الترمذي (٣/ ٢٠٩/ ٢٩٢٠، ٣٩٦٧/ صحيح سنن الترمذي)، والحاكم (٣/ ١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الأقتاب – جمع قتب وهو الرحل.

(٥) والأحلاس – جمع حلس، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة أو البعير تحت الرحل أو السرج.

المَنُّ في المال، على أن كثيرا من صفاته تعالى مَدْحٌ فيه، وذم فينا كالمُتكبر، ﴿وَلَآ أَذًى﴾: هو التَّطاول عليه بسبب ما أنعم عليه، ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: بلا مِنَّةٍ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: كما مَرَّ، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: رَدٌّ حَسَنٌ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تجاوز عن إلحاح السائل، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عَن إنفاقكم، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل عقوبتكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟﴾: ثواب، ﴿صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾: ﴿كَـ﴾ إبطال المنافق، ﴿الَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ النَّاسِ﴾: مُرائيًا لهم لطلب المدحة والشهرة، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ﴾: أي: المرائي، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: يرى أرضا طيبة للزرع فيها بإزاء عمله، ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القَطْر، هذا بإزاء الغنى، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: أملس بلا تُراب، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾: جمعٌ بمعنى الذي، ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: لا ينتفعون بِهِ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ﴾: إيماء إلى أن الرياء صفتهم فاحذروا، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا﴾: تصديقا، ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: بأن الله سيجزيهم عليه، أفهم أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية نفسه عن البخل وحب المال، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ﴾: بستان، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بموضع مرتفع، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد، ﴿فَـَٔاتَتْ﴾: أعطت، ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرتها، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلين بالنسبة إلى البساتين، أو المراد الكثرة، كلبيك[1]، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فيصيبها مطر صغير القطر، فبستانهم ينتفع، قلَّ ماؤُهُ أو كثُر، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا تُراءُوا، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: خَصَّهُمَا قبل التَّعْمِيم لشرفهما، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَ﴾: قد، ﴿أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: الشيخوخة والفقر فيها أصعب[2]، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: صغار ونسوان، ﴿فَأَصَابَهَآ﴾: الجنة، ﴿إِعْصَارٌ﴾: ريحٌ عاصفٌ ينعكس من السماء إلى الأرض كالعمود، ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: الجنة فهذا مثل من يعمل حسنةً

---

(١) لبيك: تلبية بعد تلبية.

(٢) نعوذ بالله من الفقر على كل حال، لكن الفقر مع الشيخوخة أصعب ولذا كان النبي ﷺ يدعو «اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقطاع عمري» رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٥٥) والصحيحة (١٥٣٩).

رياء، إذ بعد الموت يحتاج إليها ولا يجد ثمرتها، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾: تصدَّقوا، ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: خيار، ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَ﴾: من طيبات، ﴿مِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: من النبات والمعادن[1]، ويمكن أن يُفْهم من قوله: ﴿لَكُم﴾، عدم وجوب الزكاة فيما للحيوانات والمعادن، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾: تقصدوا، ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرديء، ﴿مِنْهُ﴾: من الخبيث، كحشف التَّمر، ﴿تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ﴾: تتسامحوا، ﴿فِيهِ﴾: بنقص الثمر، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾: عن إنفاقكم فأمركم به لنفعِكُم، ﴿حَمِيدٌ﴾: بما يأتيه، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: بالإنفاق، والوَعْدُ قد يكون للشَّرِّ إذا ذكر، وإلا فللخير، وأما الإيعاد فللشر، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: بالإنفاق، ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾: العلم، والعمل به، ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: إذ فيها خير الدَّارين، وبها تميز وساوس الشيطان عن إلهامات الرحمن، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: من أيِّ أنواعها، ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: كذلك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: فيجازيكم، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: في ترك الإنفاق والوفاء بالنذر، ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: يمنعونَهم من العقاب، ﴿إِن تُبْدُواْ﴾: تظهروا، ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾: فنعم شيئا إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ﴾: فإخفاؤها ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: هذا في التطوع، لمن لم يعرف بالمال، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «السر في التطوع أفضل بسبعين ضِعْفًا والعلانية في الفريضة أفضل بخمس وعشرين[2]»، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن﴾: بعض، ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أو شيئا هو سيئاتكم أو من صلة، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ﴾: لا يجب ﴿عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: جعلهم مهديين[3]، ما عليك إلا الرشاد[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُواْ

---

(١) سقطت كلمة «المعادن» من النسخة (ن)، و(ع).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٨٣) وسنده ضعيف. * وانظر: الوسيط (١/ ٣٨٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٣)، فتح القدير (١/ ٢٩٢)، غرائب القرآن (٣/ ٦٧).

(٣) وهي هداية التوفيق.

﴿مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: ثوابه، ﴿وَ﴾ الحال أنه، ﴿مَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾: طلب رضا ﴿وَجْهِ اللَّهِ﴾: ذاته، أي: ما تنفقون حينئذ فهو لكم، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: ولو على كافر، ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثوابه، وبعد نزوله كانوا يتصدقون على الكافر أيضًا[٢]، ولكن هذا في غير صدقة الفَرْض والصَّدقات أولى، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾: حَبَسُوا أنفسهم، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد أو الطاعة أو العلم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: ذهابا[٣]، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: للكسب لاشتغالهم بها، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾: بحالهم، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ﴾: أجل، ﴿التَّعَفُّفِ﴾: عن السؤال، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: من الضَّعْفِ[٤] وأثر الجهد، والخطاب للرسول أو لكل أحَد، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾: عند ضرورتهم، ﴿إِلْحَافًا﴾: إلحاحًا، والظاهر نفيُ السؤال والإلحاف نحو: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ فلا ينافي مفهومه تعرفهم بسيماهم والإلحاف أن يلازم المسئول حتى يعطيه، لكن في الحديث: «من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف»[٥]، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: كالصِّدِّيق، تصدَّق بأربعين دينارًا عشرة عشرة كذلك أو علي - رضي الله عنه - تصدق بأربعة دراهم واحدا كذلك ولم يملك غيره، وفي كيفيتها تأمل، وسَوْق الآية يدُلُّ على أن عشرين بالليل بالصفتين، وعشرين بالنهار بالصفتين فيهما والله تعالى أعلم، والمعنى يعُمُّون أحوالهم بالخير، ﴿فَلَهُمْ

(١) وهي هداية الدلالة.

(٢) عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا - يعطوا - لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرضخ لهم، فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾.... الآية» رواه النسائي (٦/ ٣٠٥، ٣٠٦/ ١١٠٥٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣/ ١٢٤٥٣)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٦، ٧٧/ ٦٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/ ٣٩/ ١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٣٧/ ٢٨٥٢)، والبزار في مسنده (٣/ ٤٢/ ٢١٩٣/ كشف الأستار) وابن جرير في تفسيره (٣/ ٦٣)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٢٨٥)، و (٤/ ١٥٦، ١٥٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٩١) وسنده صحيح.

(٣) وهو الجهاد.

(٤) في (ع): الضيق.

(٥) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٢٤)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦١) وسنده صحيح.

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾: في القيامة، ﴿الذين يأكلون﴾: يأخذون، ﴿الربا﴾: هو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات قدرا أو أجلا، وعبَّر عن أنواع الانتفاع بالأكل لأنه معظمها ﴿لا يقومون﴾: من قبورهم، ﴿إلا كما يقوم﴾: كقيام، ﴿الذي يتخبطه﴾: يضربهُ ويصرعهُ، ﴿الشيطان من المس﴾: الجنون، فلا يستطيعون القيام كالمصروع لثقل ما في بطونهم من الربا، والخبط ضرب على غير اتساق، ﴿ذلك﴾: العقاب، ﴿بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا﴾: في الحلِّ، أصله: إنما الربا مثل البيع فعكس مبالغة، ﴿وأحل الله البيع وحرم الربوا﴾ فقياسهم باطل ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى﴾: فاتعظ، ﴿فله ما سلف﴾: من الرِّبا في الجاهليَّة لا يسترد منه، ﴿وأمره إلى الله﴾: يحكم بينهم، ﴿ومن عاد﴾: إلى تحليله، ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾: لكفرهم به، أو من عاد إلى أكله، والخلود بمعنى طول المكث، ﴿يمحق﴾: يذهب، ﴿الله﴾: بركة، ﴿الربوا ويربي﴾: ينمى، ﴿الصدقات والله لا يحب كل كفار﴾: مُصِرٌّ على تحليل الحرام، ﴿أثيم﴾: بارتكابه، ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٧٧) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا﴾: اتركوا، ﴿ما بقي من الربوا﴾: عند أصحابه، ولا تأخذوه، ﴿إن كنتم مؤمنين (٢٧٨) فإن لم تفعلوا﴾: ولم تذروه، ﴿فأذنوا﴾: فاعلموا أو فأعلموا الناس، ﴿بحرب﴾: عظيم، ﴿من الله ورسوله﴾: فيجب على الإمام مقاتلتهم بعد الاستتابة إلى أن يرجعوا ﴿وإن تبتم﴾: عن تحليله وأخذه، ﴿فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون﴾: بأخذ الزيادة، ﴿ولا تظلمون﴾: بالمَطْل والنقصان، مفهومه إن لم يتوبوا من تحليله فليس لهم لارتدادهم بل هي فيء، ﴿وإن كان﴾ وقع غريمٌ، ﴿ذو عسرة فنظرة﴾: فعليكم إنظاره، ﴿إلى ميسرة﴾: يسارة فلا تطالبوه بالقضاء أو الربا، ﴿وأن تصدقوا﴾: بإبراءِ كُلِّه أوْ بعضه[1]، ﴿خير لكم﴾: من أخذه، ﴿إن كنتم تعلمون﴾: فضل الصدقة والتصدق، ولو تطوعًا أفضل من إنظاره، وإن كان فرضا، لأنه تطوع مُحصِّل للمقصود من الفرض[2] مع زيادةٍ، ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾: القيامة،

---

(١) وهو ما يسمى بـ«وضع الديون».

(٢) في (ن): الغرض.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب.

هذه آخر آية نزلت، وعاش عليه الصَّلاة والسَّلام بعدها إحْدى وعشرين يوما[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كالسَّلَم، وفائدة ذكره إخراج معنى المجازاة، وتمييز بينهما الدَّين بفتح الدال، وكسرها، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معين بنحو الأيام لا بمثل الحصاد فإنه ليس فيه تسمية، ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾: أمر إرشاد، ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ﴾: موصوف، ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: لا يزيد ولا ينقص فلابد من كونه فقيها دينا، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: من، ﴿أَن يَكْتُبَ كَـ﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾: من كتب الوثائق، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: ذلك كذلك، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: وليكن المملي، ﴿ٱلَّذِى﴾: وجب، ﴿عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: ليكون إقرارًاعند الكاتب، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ﴾: لا ينقص مما في ذمته، ﴿مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مَحْجُورًا عليه بنحو تبذير، ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾: مختل العقل بنحو صبي، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾: لنحو خرس أو جهل باللغة، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾: كوكيل أو قيم أو مترجم.

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ بالصدق، دل على جريان النيابة في الإقرار إذا تعاطاه قيم أو وكيل.

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾: اطلبوا الشهادة على الدين، ﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: المسلمين الأحرار، وعن أبي حنيفة جواز شهادة الكفار بعضهم على بعض، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾: فالمستشهد رجل، ﴿وَٱمْرَأَتَانِ﴾: في الماليات للسُّنَّة، وعن أبي حنيفة جوازها فيما عدا الحدود والقصاص، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: لعلمكم بعد التهم لأجل، ﴿أَن تَضِلَّ﴾: تنسى، ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾: الشهادة، ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾: والعلة التذكير، والضلال سببه فنزله منزلته، ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾: إلى أدائها أو تحملها، ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: لا تملُّوا لكثرة المداينة من، ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾: الحق، ﴿صَغِيرًا﴾:

---

(١) كذا، والمروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه ﷺ مكث بعدها سبع ليال.

وقال ابن جريج: وعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل: سبع ليال. * النكت والعيون (١/ ٣٥٤)، تفسير الطبري (٦/ ٤١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٣)، الوسيط (١/ ٤٠٠).

قليلًا كان، ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: كثيرا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: وقت حُلُوله[١] الذي أقر به المديون، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الكتاب، ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل، القَسطُ بالفتح: الجَوْر، وبالكسر: العدل، ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾: أثبتُ، ﴿لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: إقامتها، ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ إلى، ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: تشكوا في جنس الدين وصفاته، فعند الشك ترجعوا إلى كتابتكم، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾: المعاملة، ﴿تِجَٰرَةً﴾: مبايعة، ﴿حَاضِرَةً﴾: حالة، ﴿تُدِيرُونَهَا﴾: تعاطونها، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: يدا بيد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في، ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: لبعدها عن التنازع والنسيان، ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ﴾: ندبا[٢]، ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: ولو مُعَجَّلا، ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾: بالبناء للفاعل، ﴿كَاتِبٌ﴾: بنحو ترك الإجابة والتحريف، ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾: بنحوهما وبالبناء للمفعول كَمَنْع جُعْلٍ[٣] فيهما[٤]، وأكثر الأوامر التي في هذا للاستحباب عند الأكثر، ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾: المضارة، ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: أحكامه، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾: استوثقوا بها بدل الكتابة، وبينت السنة جوازه في الحضَرِ، ومع وجود الكاتب، وأفاد بمقبوضه اشتراط القبض فيه، خِلافًا لمالكٍ، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فلم يأخذ الرهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: سُمِّي الدينُ أمانةً؛ لائتمانه عليه بترك الارتهان مثل العين باليد، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾: في الخيانة، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾: أُسْنِدَ إليه؛ لأن الكتمان معصيةُ القلب، وإسنادُ الفعل إلى جارحة تعمله[٥] أبلغ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مُلْكًا وخَلْقًا، ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: بالقول أو العمل، ومنه أداء الشهادة، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: ككتمان الشهادة، ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يؤاخذكم، ﴿بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: تصريح بنفي وجوب التعذيب، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

(١) في (ن): حلول.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٨٣)، الوسيط – للواحدي (١/ ٤٠٦).

(٣) الجُعْلُ: الأجر وكل ما يُعْطى.

(٤) يعني في الكتابة والشهادة.

(٥) في (ن): تعلمه.

﴿قَدِيرٌ﴾: ومنه الإخفاء والمحاسبة، وبنزولها غمَّت الصَّحابة وقالوا: قلوبنا ليست بأيدينا، فأمرهم النبي - ﷺ - أن قولوا: سَمِعْنا وأطَعْنا، فقالوها، فنزلت[١] ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾: مدحه بالإيمان وأفرده بيانا لمزيد شرف الإيمان، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ﴾: من الرسول والمؤمنين، ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾: ﴿وَ﴾: جنس، ﴿كُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: قائلين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾: في الإيمان بهم، ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾: قول الله، ﴿وَأَطَعْنَا﴾: أمره نسأل، ﴿غُفْرَانَكَ﴾: يا، ﴿رَبَّنَا﴾: في التقصيرات، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: أقررنا بالبعث فلما فعلوه نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: مَا تَسَعُهُ قدرتها لا نحو حديث النفس، دل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير، أي: أصابت، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شرٍّ، أي: تصرفت في تحصيله فإنّ النفس لفرط ميلها إلى الشر أجد في تحصيله، كذا قيل، ولا يناسبه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ ونحوه، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾، وقيل: يستفاد أن من اللام وعلى ولا يناسبه ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾، و﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾ إلا أن يقال: هما يقتضيان ذلك عند الإطلاق بلا ذكر الحسنة والسيئة، ثم بهذه الآية نسخت المحاسبة كما رواه الأكثرون، وأما على رواية عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه عليه الصلاة والسلام فسر المحاسبة هنا بمعاتبة الله العبد بابتلائه ببليات الدنيا كالحُمَّى وغيرها كفَّارة، فتُؤَوَّلُ المحاسبةُ بأنها مؤاخذة في الدنيا أو نحو ذلك وأعلم أن المعاتبة الدنيوية بخَطرات النفس لا تنافي قولنا: لا مؤاخذة عليها إلا أن تصير عزيمة؛ لأن المراد هنا المعاتبة الأخروية، يا، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أتينا بخطأ، يقال: خَطَأَ خِطأً: تعَمَّد الإثم، وأخطأ لم يتعمد، وصَحَّ أنا لا نؤاخذ بهما وأنه قد أجيب[٢]، فيكون دعاؤنا الآن لئلا يخرجنا من أمة حبيبه عليه الصلاة والسلام، ثم الخطأ إما فعل ما لا يحسن إرادته وفعله، أو وقوع ما لايجوز فعله مع

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١١٥، ١١٦/ ١٢٥).

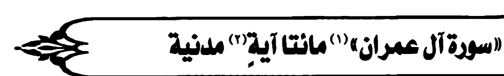
(٢) رواه مسلم (١/ ٦٥)، والترمذي (٤/ ٢٨٩، ٢٩٠/ ٣٠٧٦) والطبري (٦/ ١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٤).

إرادة خلافه أو عكسه، والمراد هنا الثاني، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: ثقلا من التكاليف الشاقة وإن أطقناه، ﴿كَمَا﴾: مِثل، ﴿حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: كبني إسرائيل، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: من البلاء أو التكاليف، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: بإزالة الذنب، ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: بستره وإظهار الإحسان، ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: بإفاضة الإحسان، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث من الثاني، ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: سَيِّدُنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في مُسْلِم[1] وغيره يقول الله تبارك وتعالى في آخر كل دعوة من هذه الدعوات: فعلت، ونعم، والحمد لله مولي النعم.

❁❁❁

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٥).

«سورة آل عمران»[1] مائتا آية[2] مدنية

لما مدح الرسول والمؤمنين بإيمانهم بما أنزل إليه، ومدحهم بدعواتهم المتفرغة عليه: كرر النص على حقية المنزل إليه لمزيد تثبيتهم ونفي الارتياب وليناسب فاتحة السور السابقة في نفي الريب عن الكتاب فقال: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ﴾: فُسِّر مرة، وفتح الميم وصلًا؛ لأن الهمزة سقطت درجًا، فحركت الميم بالفتح للتفخيم، وقيل: فتحت لتَدل على أن همزتها كالنائب لسقوطها تخفيفًا، كواحد، اثنان، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾: فَيْعُول[3] من قام، وَهُمَا[4] من الاسم الأعظم[5]، ﴿نَزَّلَ﴾: أي مُنجَّمًا، ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، أو صيغة مبالغة لتأبيد حكمه بخلاف غيره ملتبسًا، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدْق، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: من الكتاب أنه من عند الله، أو أنها من عنده، ﴿وَأَنزَلَ﴾:

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة آل عمران- مدنية- مائتا آية بالاتفاق، ثم نزلت الأحزاب كلماتها (٣٤٨٠) حروفها (١٤٥٢٥).

(٢) من (س).

(٣) يعني كلمة «قيوم» على هذا الوزن.

(٤) أي: الحي القيوم.

(٥) أصح ما ورد في اسم الله الأعظم:

* «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد». رواه أبو داود (٩٨٥) والترمذي (٣٤٧٥) وسنده صحيح.

* «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم». رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، وابن حبان (٢٣٨٢) وسنده حسن.

* «اسم الله الأعظم الذي إذ ادعى به أجاب، في ثلاث سور من القرآن: في البقرة وآل عمران وطه». رواه ابن ماجه (٢/ ٢٨٥٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ٧٩٢٥)، والحاكم (١/ ٥٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٧٩)، والصحيحة (٧٤٦).

* «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾. رواه أحمد (٦/ ٤٦١)، وأبو داود (٢/ ١٤٩٦)، والترمذي (٥/ ٣٤٧٨)، وابن ماجه (٢/ ٢٨٥٥). وحسنه العلامة الرباني محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٨٠)، والمشكاة (٢٢٩١)، وصحيح أبي داود (١٣٤٣).

أي: دفعة، ﴿التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ﴾ قبل تنزيله، ﴿هُدًى﴾: هادين، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: عاما، فنكون متعبدين بشرع من قبلنا[1] أو ممن تبعهما، ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: الكتب السماوية الفارقة بين الحق والباطل أو المعجزات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾: ممن عاداه، والنقمة عقوبة المجرم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: ذكرهما لأن الحس لا يتجاوزهما، وقدم الأرض ترقيًا من الأدنى، وهذا كالدليل على حياته، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من الهيئات ولو بلا أب كعيسى، والمُصوِّر لا يكون أبًا للمصور، هذا كالدليل على قيوميته، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾: واضحات الدلالة، ﴿هُنَّ﴾: كل واحدة منهن، ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصله الذي يرد إليه غيره، ﴿وَ﴾: آياتٌ، ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: محتملات لا يتضح مقصود إلا بالفحص والنظر، وحكمة البعث على النظر لئلا يهمل العقل، ولينال به الثواب، وأيضًا الجمع بين قسمي كلام العرب، أعني ما يفهم معناه سريعًا ولا يحتمل غير ظاهره، وضد ذلك كالكتابة والإشارة ليتحدى بنوعي الكلام.

* تنبيه: اعلم أن الكلام في أقسام ما يطلقون عليه المحكم والمتشابه مشكل، فلا بد من إيراد جملة تكشف ذلك، وهي: أن المتشابه إما لذاته أو لعارضه، والأول إما في اللفظ المفرد لغرابته نحو: «وأبًا»[2] أو لمشاركته كيد الله، أو في المركب لاختصاره، كـ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾، أو إطنابه، نحو: كمثله أو إغلاقه كآية: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ ﴾ وأما في المعنى لدقته كأوصافه تعالى، وكالقيامة أو لترك الترتيب ظاهرًا كآية، ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ ﴾، وأما في اللفظ والمعنى، وأقسامه مركبة كما مر، وأما للعارض فمن جهة الكمية كالعموم والخصوص أو الكيفية كالوجوب والندب أو الزمان كالناسخ، أو المكان كمحل النزول، أو الإضافة، وهي شروط تصح ويفسد العقد بها، وأما عند الأصوليين: فاللفظ الدال على معنى إن لم يحتمل غيره فنص، وإن احتمل مع

---

(١) إذا وافق شرعنا.

(٢) يعني في قوله: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (عبس/ ٣١).

التساوي فمجمل، أو مع رجحان، فالراجح ظاهر، والمرجوح مؤول والمشتركُ بين النصّ والظاهر، وهو واضحُ الدلالة محكم، والمشترك بين المجمل، والمؤول وهو غير متضح الدلالة متشابه، فالمحكم والمتشابه يشملان أقسام اللفظ ثم لا ينافي ذلك ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾، و ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ﴾ إذ معناه يشبه بعضه بعضًا حكمًا وبلاغة، وكتاب حفظت آياته من الفساد لفظًا ومعنى، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾: عدول عن الحق كالمبتدعة، ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾: يتعلقون بظاهر، ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾: لينزلوه على مقاصدهم الفاسدة، ويتركون المحكم، ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾: كإضلال الناس، ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾: على مايشتهونه، قرأ عليه الصلاة والسلام هذه الآية، وقال لعائشة - رضي الله تعالى عنها -: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[(١)]، وفي الحديث: «ما أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال- وذكر منها-: أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله»[(٢)]، وليس يعلم، أي: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾: حقيقته، ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: المتثبتون، ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾: قال ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما-: «أنا منهم»[(٣)] وأكثر السلف يقفون على: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، ويفسرون المتشابه بما لا يطلع عليه إلا الله، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بالمتشابه، وإن لم نعلم معناه، ﴿كُلّٞ﴾: منهما، ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ بالقرآن، ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: ذوي العقول السليمة من الراسخين، ويقولون، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ﴾: لا تمل عن الحق، ﴿قُلُوبَنَا﴾: إلى تأويل لا ترتضيه، ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾: ثبتنا، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: لكل سؤل، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ﴾: في يوم، ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾: في وقوعه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: أفاد بتلوين تغيير الخطاب أشعر بأن الإلهية تنافيه، واستدل به الوعيديه[(٤)]، وردوا بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو كما هو مشروط

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٢)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٢١)، وفي تفسيره (١/ ٣٣١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٣٢) بلفظ: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاثا».

(٣) النكت والعيون (١/ ٣٧٢).

(٤) الوعيدية: هي الفرق التي تؤمن بالوعيد في حق العصاة ولكنها تجحد الوعد بالمغفرة والرحمة للمؤمنين كالخوارج والمعتزلة.

بعدم التوبة وفاقًا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾: تجزي وتكفي، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: عذابه، ﴿شَيْئًا﴾: من العذاب، من أغنى عنه إذا ناب، أو من الغنى، من: أغن عني وجهك أي: بعده، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ﴾: حطب، ﴿النَّارِ﴾: دأبهم، ﴿كَدَأْبِ﴾: كشأن، ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: هو أنهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل﴾: يا محمد، ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من اليهود، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: هي، ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها الكفار، ﴿آيَةٌ﴾: دليل على غلبة المؤمنين، ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾: يوم بدر، ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ﴾: فيه، ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾: أي: الكافرون المسلمين، ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: مثلي الكافرين، وهُمْ[1] زِهاء[2] ألف ليرغبوا[3] أو المسلمون[4] أنفسهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر مثلي الكافرين أو مثلي أنفسهم ليرغبوا إذا كانوا أكثر من ثلاثة أمثالهم، وهذا في آخر قتالهم، أما حين قتالهم فكل منهما قلَّل الآخر؛ ليقدموا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾[5] إلى آخره، ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: رؤية ظاهرة معاينة، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: التقليل والتكثير، ﴿لَعِبْرَةً﴾: عظة، ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: البصائر، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: ابتلاء، ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: المشتهيات، والشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وهي إما كاذبة، ومنها: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ أو صادقة، ومنها: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾، أو تحتملها كما نحن فيه، ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة، ﴿الْمُقَنطَرَةِ﴾: تأكيد مشتق من المؤكد، كبدرة مبدرة، ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء، ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة أو الراعية أوالنجيبة، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم، ﴿وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الفانية، ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ

---

(١) أي الكُفَّارُ.

(٢) قرابَة.

(٣) يعني في القتال.

(٤) يعني: يرى المسلمونَ أنفُسهم.

(٥) سورة الأنفال.

﴿ٱلْمَـَٔابِ﴾: المرجع، فيه حثٌّ على استبداله بالشهوات، ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾: المزين، ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: المعاصي، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾: تحت أشجارها، ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من كل دنس، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فلا يسخط عليهم أبدا، نبه على نعمة بأن أدناها متاع الدنيا، وأوسطها الجنة، وأعلاها رضوانه، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: فيثيبهم بمقدار أعمالهم، هم، ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: على مخالفة الهوى واتباع الشرع، ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: قولا، ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: الخاضعين المطيعين، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: في البر، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: وهي الثلث الأخير من الليل، وهو وقت الإجابة، ﴿شَهِدَ﴾ بيّنَ ﴿ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ﴾: مستحق للعبادة، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: بإنزال ما نطق به، ونصب دلائله، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: بالإقرار به، ﴿وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ﴾: بالإقرار به والاحتجاج عليه، شبهه في الكشف بشهادة الشاهد، واعلم أن البيان والإقرار من أفراد معنى مجازي، هو كالكَشفِ المشبه بالشهادة فلا يلزم الجمع بين معنيين مجازيين، ﴿قَآئِمًۢا﴾: حال من الله أو هو، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل في قسمه وحكمه أو مقيما للعدل فيهما، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد أو الأول وصف، والثاني تعليم، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: بقدرته، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: المرضي، ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾: اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فلا يقبل غيره، وبفتح إنَّ بدَلٌ من أنه، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ﴾: في حقيَّة الإسلام، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: تحقيقه، ﴿بَغْيًۢا﴾: حسدا، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: لا لشبهة، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لمجازاته، ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: جادلوك بعد إقامة الحجة، ﴿فَقُلْ﴾: معرضًا عنهم، ﴿أَسْلَمْتُ﴾: أخلصت، ﴿وَجْهِىَ﴾: نفسي، عبربه عنها؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، لأنه مظهر القُوى والحواسّ، ﴿لِلَّهِ﴾: لا أشرك به غيره، ﴿وَ﴾: مع ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: مشركي العرب، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: بعد وضوح الحُجّة أم لا؟ استفهام تعيير بالمعاندة والبلادة، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾: لا هدايتهم، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: كاليهود، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم كاليهود قتلوا أربعين نبيًّا

في ساعة[١]، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: إذ قتلوا مائةً وسبعين عالمًا حين منعوهم عن قتل أنبيائهم، وهم أسلاف هؤلاء المفتخرين بهم، فهم مثلهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: فلا تُحقَنُ دماؤهم وأموالهم، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: لدفع عذابهم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾: حظًّا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ﴾: الكتاب، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: في رَجم المحصن حين حكم به النبيُّ - ﷺ - فستروا آية الرجم منها، وكشفها ابنُ سَلَام - رضي الله عنه - فغضبوا، ﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد، ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عادتهم الإعراض عن الحق، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التولي، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾: قلائل، كما مر فيتسهلون عذاب الله، ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من نحو: لن تمسنا إلى آخره، ﴿فَكَيْفَ﴾: يصنعون، ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾: في يوم، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: فُسِّر مرَّة، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: دل على أن العبادة لا تحبط، وأن المؤمن لا يخلد في النار؛ لأن توفية إيمانه ليست فيها، ولا قبل فهي بعدُ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بتنقيص ثوابٍ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: يا الله، أو يا الله أُمَّنا[٢] بخيرٍ، أي: اقصدنا يا ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾: المتصرِّف فيما يمكن التصرف فيه ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾: كمحمَّدٍ وصحبه ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: كاليهود والفرس، أو المُلْكُ النبوة، ونزعها: نقلها، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: خصَّه بالذِّكر أدبًا، أو: لأنه المقضيُّ بالذات، أو لأنه في مقام الشكر ثم نبَّه على أنهما[٣] بقدرته بقوله، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ﴾ تُدْخِلُ ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾: بزيادة أحدهما ونقص الآخر، أو بالتعقيب، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالنطفة، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾: كالنطفة، ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ﴾:

---

(١) يشير إلى ما ورد: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة.. إلخ» رواه الطبري (٦/ ٢٨٥، ٢٨٦) وسنده ضعيف.

(٢) أي: أقصدنا فالميم عوض عن ياء النداء. التبيان- للعكبري (١/ ٢٥٠)، فتح القدير (١/ ٣٢٩)، والخلاصة- لابن مالك (٥٠) وشروحها.

(٣) يعني الخير والشرّ.

أو المسلم من الكافر وعكسه، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا ضيق، إذ المحسوب يقال للقليل، ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: أحياء مطلقًا؛ لئلا يُحبوا إلَّا في الله، ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: إشارة إلى أنهم الحقين بالمحبة، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الاتخاذ، ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾: ولاية، ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: لأن محبتي المتعاديين لا تجتمعان، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟﴾ تخافوا ﴿مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: مخافة فحينئذٍ إظهارُ موالاتهم جائز، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: عن عقابه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: فاحذروه، ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: من محبتهم، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عقوبتكم، اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاءَ ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا و﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ﴾: تتمنّى النَّفسُ ﴿لَوْ﴾: للتمنى كما مر، ﴿أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾: أي: ذلك اليوم، ﴿أَمَدًۢا﴾: مسافة، ﴿بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: كرّره تأكيدًا، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: ولذا يُحذّركم إصلاحًا لكم ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾: المحبّةُ: ميلُ النفس إلى شيء لكمال أدركت فيه بحيث يحملها على ما يقرب إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله لا يحب إلا إياه فيتبع أوامره، ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾: بالرضا عنكم، وأين المحبيّة من المحبوبية ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: عن الطاعة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: لا يحبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: بالرسالة ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا﴾: أول مبعوث إلى عبدة الأوثان[(١)]، ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: خاتمهم حبيب الله عليه الصلاة والسلام ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: هو أبو مريم أو موسى[(٢)]، وبينهما ألفٌ وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: ومنهم الملك، حال كون الآلَين، ﴿ذُرِّيَّةًۢ﴾: متشعبة، ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: الذرية: الولد من الذَّرِّ أو الذَّرْءِ، يقع على الواحد والجمع، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، فيصطفي مستقيم القول والعمل، اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: حنّة أمُّ مريم[(٣)]، ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ

---

(١) لحديث: «أول نبي أُرسِلَ نُوحٌ» رواه ابن عساكر (١٧/ ٣٢٦/ ٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٥٨٥)، والصحيحة (١٢٨٩).

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/ ٤٣٠): وإنما خص هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٢٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩)، البداية والنهاية (٢/ ٥٦)، فتح القدير =

لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾: فلا أستخدمه، ﴿مُحَرَّرًا﴾: مخلصًا لعبادتك، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بنيتي، وكان هذا النذر مشروعًا لهم في الذَّكر، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: الأنثى أي ما في بطنها، ﴿قَالَتْ﴾: تحسُّرًا وعُذْرًا، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: أي: وضعته[1]، عسى أن يكون فيه سر، وبالغَيبة[2] قول الله تعظيمًا ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: فيما نذرت من خدمة بيت المقدس، وعكس في التشبيه مبالغة كالقمر كوجهه[3]، أو هو تعظيمٌ من الله لمريم، أي: ليس الذكر المطلوب كهذه الأنثى؛ لأنها وابنها آية للعالمين، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: تفاؤلًا، معناه: عابدة، ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾: بحفظك، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المطرود، فما مَسَّها الشيطان ولا ابنها، ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: استقبلها وأخذها، ﴿رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: وهو إقامتها مقام الذَّكَرِ في سدنَتِهِ ﴿وَأَنۢبَتَهَا﴾ رَبَّاها، فنبتت ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾: بشكل حسن، ومعرفة تامة بالله، وكان نمو يومها كسنة، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾: قام بأمرها ﴿زَكَرِيَّا﴾: زوج خالتها، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾: الغرفة[4] المبنية لها في المسجد، سُمِّي بهِ[5] لعلُوِّه، أو كونه محل محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء وعكسه ونحوه، ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾: من أين، ﴿لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: فتكلمت صَغيرةً كعيسى[6]، ولم تَرْضع ثَدْيًا، بل كان ينزل عليها رزقها من الجنة، دلت الآية على جواز كرامة الأولياء[7]، ولو كانت معجزة لزكريا لما اشتبهت عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ

= (١/ ٣٣٤).

(١) هذا على قراءة: (وَضَعْتُ) بضمِّ تاءِ الفَاعِل.

(٢) بسكون التّاءِ وفتح العين المهملة.

(٣) وقولك: البدر كعائشة.

(٤) الوسيط (١/ ٤٣٢).

(٥) يعني المحراب.

(٦) انظر: الميثاق والعهد لمن تكلم في المهد- للعلامة البرماوي (٤٩/ بتحقيقي)، وهو شرح أبيات الجلال السيوطي:

تكَلّمَ في المهْدِ النبيُّ محمَّدٌ *** وَيَحْيى وعيسى والخليل ومَريَمُ

... إلخ.

(٧) كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الكرامة.

حِسَابٍ ﴾: بلا ضيق عليه، ﴿ هُنَالِكَ ﴾: حيث دلّت رُؤية كرامة مريم ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾: طمع في ولد من عاقر ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾: كهبتك لحنَّة العجوز العاقر ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ﴾ مُجيب ﴿ الدُّعَاءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: أي: جنسها، إذ ناداه جبريلُ، ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ ﴾: بأن، ﴿ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾: من صُلبك، ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾: أي: عيسى، سمي بها لإيجاده بكلمة: كُن، كالبدعيات التي هي عالم الأمر، وكان يسجد له في بطن أمه، وآمن به وله ثلاث سنين، ﴿ وَسَيِّدًا ﴾: متبوعًا لقومه، وأصله متولي السواد أي: الجماعة أو فائقًا مبالغًا في حبس نفسه من الشهوات أو الذنوب، ﴿ وَحَصُورًا ﴾: ممنوعًا لا يأتي النساء، ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ ﴾: الأنبياء، ﴿ الصَّالِحِينَ ﴾: الذين لم يأتوا كبيرة ولا صغيرة، وكان ابن خالة عيسى رُوِي أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمّ بها، ﴿ قَالَ ﴾: تعجبًا بأشياء أو سؤالا عن ردهما إلى الشباب والولودية[١]، ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ ولد ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾: لا تلد، كان عمره مائة وعشرين، وعمرها ثمانية وتسعين، ﴿ قَالَ ﴾: الملك، ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: الأمر من خَلْقِ غُلامٍ منكُما ﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾: لَا يعجزهُ عنه شيء، ولإظهارِ هذه القدرة العظيمة أُلهم السّؤال ليجَاب بها، ولما تاقَت نفسُهُ إلى شِرْعة البشرية، ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ﴾ أي: علامةً على حَمْل امرأتي، ﴿ قَالَ ﴾: الله، ﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾: أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله- تعالى-، ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾: أي: بلياليها، ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾: إشارةً ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ ﴾: صَلِّ، ﴿ كَثِيرًا ﴾: أصله كونه للتأسيس فيفهم أنه لا يفيد التكرار، ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ ﴾: أواخر النهار، ﴿ وَالْإِبْكَارِ ﴾: وأوائله، ﴿ وَ ﴾: اذكر، ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾: أي: جبريل، ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾: اختارك، ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾: من مَسِيس الرجال[٢]، ﴿ وَاصْطَفَاكِ ﴾: آخِرًا ﴿ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾: بالكرامات إرهاصًا لنبوة عيسى، أي: أهل زمانك، ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾: أطيعيه، ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾: رتبهما بترتيب صلاتهم، ﴿ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾: أي: صَلِّ مع المصلين الجماعة[٣]، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾:

---

(١) الإنجاب.

(٢) الوسيط (١/ ٤٣٥)، البحر المحيط (٢/ ٤٥٥)، الدر المنثور (٢/ ٢٤).

(٣) ولم يقل مع الراكعات؛ لأن الراكعين أعم؛ لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا. الوسيط =

المذكور من أمر زكريا ومريم، ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يامحمَّد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ﴾: النُّحاسيَّة التي كانوا يكتبون بها التوراة في نهر الأردن أو يلقونها في الماء يقترعون ليظهر لهم، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يُرَبّي ﴿مَرْيَمَ﴾: فطفا قلم زكريًّا فكفلها، وإخباري بذلك ليس إلا بالوحي نوحيه إليك، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها، إذ أمهما لما جاءت بها إلى سدنة بيت المقدس وهم أبناء هارون تنا فسوا في كفالتها، فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي ﴿وَ﴾ اذكر، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريل، ﴿يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾: بولد وجوده، ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: لا كالأولاد، ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾: معرب مَشِيْحَا[١]، أي: المبارك، أو مُسِحَ بالبركة، أو ما مسح ذا عاهة إلا برأ، ﴿عِيسَى﴾: معرب أيشوع، ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: قَدَّمَ اللقب على الاسم تعظيمًا، ونسبه إليها مع علمها به إعلامًا بأنه لا ينسب إلى غيرها وتنبيهًا على أنها تلده بِلا أبٍ، إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم، ﴿وَجِيهًا﴾: عظيما قدره ذا جاه، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بالنبوة، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: بالشفاعة والدرجات العلى، ﴿وَ﴾: كائنا، ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عِنْدَ اللهِ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾: حَال كَوْنه، ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾: أصلُ المهد ما يمهد للصبي من مضجعه، أي: طفلًا قبل وقت الكلام، ﴿وَكَهْلًا﴾: بعد نزوله، إذ رُفِع وهو شاب بشارةً لها بطول عمره، وإن وُلِدَ لثمانية أشهر، وقيل: ذلك لا يبقي[٢]، وبان كلامه في الصغر كما في الكبر، ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿قَالَتْ﴾: تَعَجُّبًا أو كمَا مر، ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾: كانت محررة والمحرر لا يتزوج أبدًا ولاَ يُزَوّجُ ولا غيره، ﴿قَالَ﴾: الأمْرُ، ﴿كَذَٰلِكِ﴾: من خلق ولدٍ منك بلا أب، ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: خَصَّه بالخلق بخلاف ما مر لغربته؛ لأنه اختراع بلا مادة، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكونُ، ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء[٣]

= (١/ ٤٣٦).

(١) الزاهر (١/ ٤٩٣، ٤٩٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٤/ ٨٩)، البحر المحيط (٢/ ٤٦٠)، فتح القدير (١/ ٣٤١)، الوسيط (١/ ٤٣٨).

(٢) يعني المولود لثمانية أشهر قلّما يَعيشُ.

(٣) قرئ: (ونعلمه) بالنون، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.

=

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: جنسه أو الخط، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: جنسه أو العلم والعمل به، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: وكان يحفظهما[1]، ﴿وَ﴾: نجعله، ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم، ﴿أَنِّىٓ﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: هي، ﴿أَنِّىٓ﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافًا[2] ﴿أَخْلُقُ﴾: أُصَوِّرُ، ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: مثل صورته، والكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا﴾: وفي قراءة: (طائرًا)[3]، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خَلقًا فكان يطير وهم ينظرون فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: الذي وُلِدَ أعمى، ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ وخُصَّا لأنهما داءَا إعيَاء، وكان بعثه في زمن الطبِّ، فأبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: كرَّره لنفى توهُّم الإلهيَّة فيه، فأحيا عازَر صديقًا له، وابن العجوز، وابنةَ العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسَامَ بن نُوحٍ ومَات في الحَالِ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: الآن، ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِى بُيُوتِكُمْ﴾: ممّا لم أعاينه، فكان يُخبرُ الشخصَ بما أكَلَ وبما يأكل بَعْدُ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُوفَّقين للإيمان، ﴿وَ﴾: جئتكم، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ﴿وَ﴾: جئتكم، ﴿لِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: فيها، فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية[4] له وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى: كُل ﴿وَجِئْتُكُم﴾: من بعد كما ذكرت لكم والأول لتمهيد الحجة، ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: على صدقي، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أمركم من توحيد الله وطاعته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى

= * إتحاف فضلاء البشر (١٧٤)، البحر المحيط (٢/ ٤٦٣).

(١) وإذا نزلَ قبل قيام الساعة يتعلَّمُ القُرآنَ.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٤٦٥) وهي قراءة نافع وأبي جعفر - السبعة (٢٠٦).

(٣) وهي قراءة نافع ويعقوب ويزيد بن القعقاع.

* البحر المحيط (٢/ ٤٦٦)، السبعة (٢٠٦)، غيث النفع (١٧٦).

(٤) هي الشوكة كالتي في رجل الديك. * الكشاف- للزمخشري (١/ ٣٦٥).

﴿وَرَبُّكُمْ﴾ المأمور كرره تأكيدًا وليبنى عليه ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ أي: الذي أمركم به، ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: فكذبوه ولم يؤمنوا به، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾: أعواني ذاهبًا، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: لأنصر دينه، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحَوَر[١] وهو البياض الخالص وقيل: كانوا قَصَّارين يُحوِّرُوْن الثياب أي: يبيضونها، ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: أي: بأي دينه ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ﴾: يا عيسى، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: بوحدانيتك أو أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم يشهدون على الناس لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، قال- تعالى-: ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي: كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة، ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾: بهم بإلقاء[٢] شبهه على من أراد قتله، فقتلوه ورُفِعَ عيسى، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أعلمهم[٣] به، والمكر: حيلة تَجْلِبُ بها غيرك إلى مفسدة ظاهرًا، وإسناده إلى الله تعالى للازدواج أو المقابلة، اذكر، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: إشارة قابضك[٤]، أي: بالنوم؛ لأنه رفعه نائمًا، أرسل الله- سبحانه- ليلة القدر ببيت المقدس فتعلق به، وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت مريم بعده ست سنين، وفي مسلم[٥] أنه ينزل ويمكث سبع سنين، وفي الطيالسي[٦]: أربعين سنة، ويمكن الجمع بأن المراد مجموع لبثه قبل الرفع وبعده أو قابضك وافيًا كامل الأعضاء. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: أي: إلى محلِّ كرامتي والإضافة للتفخيم، نحو: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وعلى ما مرَّ لا يرد أن رفعه قبل تَوفيه، على أن الواو لا تقتضي الترتيب، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ﴾:

---

(١) يعني اشتقاق كلمة الحواريينَ.
(٢) في (ن): بأن ألقى شبهَ عيسى.
(٣) في (ن): أقدرهم.
(٤) في هامش (ن): بلغ مقابلة.
(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٨/ ٢٩٤٠).
(٦) مسند الطيالسي (٢٣١/ ٢٥٤١).

سوء جوار، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بنبوتك غيرة وهم اليهود، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: الفريقين، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بالسبي والقتل والجلاء، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فكيف ينقصه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المحكيُّ، ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: حال كونه، ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكم، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شأنه الغريب، ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: في خلقه بلا أب، ﴿خَلَقَهُۥ﴾: أي: قالبه[1]، ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: بشرًا، ﴿فَيَكُونُ﴾: أي: أحياه، فعلى هذا لا يرد أن كن أمر بالتخليق، فيجب تقديمه على الخلق وعلى هذا يكون الضمير راجعًا إلى آدم باعتبار المآل، وعلى الثاني معناه: صيره خلقًا سويًا، ثم يخبر أني خلقته بأن قلت له: ﴿كُن﴾ لا لتراخي هذا الخبر عن ذلك الخبر، وقد يقال: «ثُمّ» لتراخي الخبر، وهنا شبه الغريب بالأغرب؛ لأن فاقد الأبوين أغرب من فاقد الأب هو، ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن﴾: يا محمد أنت مع أمتك، ﴿مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّين، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾: ضَمَّ الأبناء والنساء مع أن نفسه تكفي ليستأصل الخصم إن تمت المباهلة، وقدمهما لأنهما أعز الأهل، وربما فداهم الرجل بنفسه في الحرب، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: نتضرع أو نتلاعن من البَهْلَة أي: اللَّعْنة، ﴿فَنَجْعَل﴾: فنقل، ﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: منا ومنكم، ثم جمع عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ودعا وفد نجران إلى المباهلة فأبوا خوفًا، وقبلوا الخراج[2].

---

(١) ولم يقُلْ: «خَلَقَهُما» للتفاوت والاختلاف ما بين الخَلْقَيْن.

(٢) تمامه فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير...» الحديث رواه الحاكم (٢/ ٥٩٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٢٩٨) والطبري في تفسيره (٦/ ٤٧٨، ٤٨٢).

* **تنبيه**: وقع البحثُ عند شيخنا العلَّامة الدَّواني[١] - قدس الله سره- في جواز المباهلة بعد النبي ﷺ فكتب رسالةً في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها: أنها لا تجوز إلا في أمر مُهمٍّ شرْعًا[٢] وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعهما إلا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وعدم نَفعهما[٣]، ومساس الضرورة[٤] إليها، والله تعالى أعلم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الخبر من عيسى وأمه، ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: دون زعمهم، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: ردٌّ لتثليثهم، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: فلا إله غيره، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عما أوحينا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أي: بهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾: مستوية، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا يختلف فيه كتاب وَلا رَسُولٌ وهيَ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: في استحقاق العبادة، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: كاتخاذ اليهود عزيرًا[٥]، والنصارى عيسى وإطاعة الأحبار والرهبان في إحداث التحريم والتحليل ومعنى ﴿دُونِ﴾ سيأتي وهو في المائدة، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن إجابتها، ﴿فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مُوحِّدون دونكم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: فتزعمون يهوديَّته ونصرانيته، ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: بألف سنة وألفي سنة، ومنهما أُخِذَتا، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون محالًا، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الحمقى وحماقتكم لأنكم، ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾: جادلتم عنادًا، ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: من دين إبراهيم مما وجدتموه في كتابكم من نبوة محمد- ﷺ- ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ

---

(١) الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي الشافعي الكازروني المتوفى سنة ٩١٨هـ. * الضوء اللامع (٧/ ١٣٣)، شذرات الذهب (٨/ ١٦٠)، البدر الطالع (٢/ ١٣٠).

(٢) كما باهل الحافظ ابن حجر العسقلاني رجُلًا على ضلال ابن عربي صاحب الفصوص. وانظر: القول المنبي للحافظ السخاوي (ص٥١٣/ بتحقيقي)، وجمان الدرر عن ترجمة ابن حجر للبصروي (ص٣٠٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني: عدَم نفع النصح والإنذار.

(٤) في (ن): ضرورة.

(٥) في (ن): عُزَير.

﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: من دين إبراهيم، إذ لم يذكر في كتابكم، والجاهل بالشيء لا يبحث عنه إلا استفهاما، حاصلهُ: أن الرَّجل قد يجادلُ فيما لا يعلمه عنادًا لكنه لا يبحث فيما لا يعلم إلا استفهامًا وطلبًا للحق، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الحق، ﴿مُّسْلِمًا﴾: مُنقادًا لله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وأنتم تشركون عزيرًا والمسيح والصنم، ﴿إِنَّ أَوْلَى﴾: أقرب ﴿ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾ في الحديث: «لكُلِّ نبيٍّ وُلاةٌ من النبيين، وإنَّ وليي منهم أبي وخليل ربي»[1] ثم قرأ الآية ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: من أمته، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: وروي أن أصول دينهما واحدةٌ واختلاف فُروعهمَا قليلٌ جدًّا، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصر، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾: أن، ﴿يُضِلُّونَكُمْ﴾: كدعوتهم حذيفة وعمارًا ومعاذًا إلى اليهودية[2]، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: باكتساب الإثم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: اختصاصهم بالضلال، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: في التوراة والإنجيل من نُبوَّة محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: صدقها، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾: تخلطون، ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالتحريف، ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام[3]، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: حقيقته ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لبعضهم ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: القرآن، ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله، وصَلُّوا الصُّبح معهم ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟﴾: أو صَلُّوا إلى الكعبة أوَّل النهار وإلى الصَّخرة، ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ﴾: أي: المؤمنين، ﴿يَرْجِعُونَ﴾: عن الإسلام ظنًّا أنكم رجعتم بخلاف ظهر لكم ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾: تُصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: اليهودي ﴿قُلْ﴾: يا محمدُ: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ﴾: هو ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: فلا ينجع مكركم، وقولكم، هذا الخوف، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٢٩/ ٤٠٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٧٤/ ٣٦٥٦)، والترمذي في جامعه (٢٩٩٥)، والطبري في تفسيره (٧٢١٧)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٥٥٣)، والبزار في مسنده (١٩٧٣، ١٩٨١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٩٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٠٩)، والشاشي في مسنده (٤٠٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٥٠١/ من السنن) وسنده منقطع ورجاله ثقات.

(٢) في (ن): إليهم.

(٣) في (ن): ﷺ.

﴿مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾: من العلم، ﴿أَوۡ﴾: بمعنى و﴿يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾: بأنكم كفرتم بما علمتم، يعني: الحسد حملكم على ذلك ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكلِّ شيءٍ، ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾: بحكمه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾: أي: في ألف ومائتي أوقية ذهب[١]، والأوقية[٢] كانت أربعينَ درهمًا، واليوم عشرة دراهم، وخمسة أسباع درهم، وهي إستار[٣] وثلثا إستار، ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾: كابن سلام[٤]، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾: كفنحاص بن عازوراء[٥]، ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ﴾: يا صاحب الحق، ﴿عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾: إلا مدة دوامك قائمًا على رأسه بالتقاضي، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الخيانة[٦]، ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي﴾: شأن العرب ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾: ذمّ في كل أموالهم إذ أحلَّها الله لنا، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾: بادعائهم ذلك، ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: افتراءهم، ﴿بَلَىٰ﴾: عليهم فيهم سبيل، ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾: تعالى في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: المخالفة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾: يستبدلون، ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: من الإيمان بالرسول، ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: لِوَضْرِهم[٧] الله ليؤمنن به ولينصرنه، ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾: كرشوة لتحريف التوراة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نصيب، ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: بما يسرهم، كناية[٨] عَن غضبه، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾: نظر رحمة، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: لا يثني عليهم، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۞ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ﴾: من أهل الكتاب، ﴿لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ﴾: يميلون، ﴿أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ من المنزل إلى المحرف ﴿لِتَحۡسَبُوهُ﴾ المحرف أيها المؤمنون

---

(١) والقنطار عند الجمهور (١٤٢,٨/ كيلوجرام).

(٢) والأوقية عند الجمهور (١١٩) جرام.

(٣) الإستار كلمة فارسية معربة بمعنى «أربعة»؛ لأنه أربعة مثاقيل ونصف، ويجمع على أساتير وهو عند الجمهور (١٩,٣٣٧٥) جراماً. * المكاييل والموازين الشرعية- د/ علي جمعة.

(٤) الوسيط (١/ ٤٥١).

(٥) الوسيط (١/ ٤٥١).

(٦) الفعل وهو الخيانة والاستحلال.

(٧) يعني: حلفهم.

(٨) الوسيط (١/ ٤٥٣).

﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ﴾: نازل، ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لا يفهم أن لا يكون فعلنا فعل الله كما زعم المعتزلة إذ لا يلزم من نفي الأخص كونه كتابًا بأنه لا من الله نفي الأعم كونه فعل الله- تعالى- ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: كذبهم ونزلت[1] حين قالت اليهود[2]: يا محمد! تريد أن نَعْبدك كما عبدَت النصارى عيسى صلوات الله عليه وسلامه؟: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: كعيسى، ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: هذا الإيتاء والقول لا يجتمعان، ﴿وَلَٰكِن﴾: يقولُ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: منسوب إلى الرب[3]، أي: الكاملين في العلم والعمل، كاللَّحْياني لعظيم اللحية، ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: بسبب كونكم، ﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بتدارسكم، ﴿وَلَا﴾: أن، ﴿يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ﴾: بالفتح لام الابتداء، أي: للذي، وبالكسر[4] متعلق أخذ، وما مصدرية، ﴿ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾: أيُّ رسول كانَ، أو محمدٌ عليه الصلاة والسلام، والله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: فكان الأمم به أولى، ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بالإيمان والنصر ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: عهدي المؤكد، ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾: وأخذناه، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾: بعضكم على بعضٍ ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: على إقراركم وتشاهدكم، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان يقولون ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾: انقاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمسلمين اختيارًا ﴿وَكَرْهًا﴾: كالكفرة تسخيرًا وحين البأس، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فكيف تبغون غير دينه، ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أذن- ﷺ- في تعظيم نفسه في التكلم أو هو منزل على أمته أيضًا بتوسطه ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) وسنده ضعيف.

(٢) انظر إلى قحة اليهودِ وسُوء أدبهم- عليهم لعائنُ الله وخلقه آمين.

(٣) الذي هو بمعنى التربية. * الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٤) قرأ حمزة (لما) بكسر اللام. * الحجة- لأبي زرعة (١٦٨، ١٦٩)، السبعة (٢١٣)، النشر (٢/ ٢٤١).

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: من الوحي، ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: بطون بني إسرائيل المتشعبة، ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: الانقياد لله، ﴿دِينًا﴾: شريعة، ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: لا يدل على اتحاد الإيمان والإسلام، إذ الإيمان ليس بدين، والتّحقيقُ: أنَّ الإسلام يجئ بمعنى مجموع الأعمال، فيدخل فيها التصديق ووردا في الحديث مترادفين، وفي القرآن متباينين والله تعالى أعلم، يعني أنه نفى كل دين مغاير للإسلام لا قبول ما يغايره والإيمان ليس بدين[1]، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: بإبطال الهداية الفطرية، ﴿كَيْفَ﴾: للاستبعاد، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾: أي: إن آمنوا، ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾: بأنّ[2]، وخروج الإقرار باللسان عن حقيقة الإيمان، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: البراهين بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بوضع الكفر موضع الإيمان، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أفهم عدم جواز اللعن على غيرهم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة أو العقوبة المفهومة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهلُونَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: الارتداد كحارث بن سويد[3]

---

(١) الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:
الأولى: أنْ يُطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.
الحالة الثانية: أن يطلق مقترنًا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾..
والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ وأما في الشريعة- فلإطلاقه حالتان:
الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله – عز وجل -: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.
الثانية: أن يطلق مقترنا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. * معارج القبول (١/ ٥٩٦).
(٢) يعني: وشهدوا بأنَّ.
(٣) رواه الطبرى في تفسيره (٣٢٤٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣/ ١٧١٨)، وابن أبي

حين ندم على ردته، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: حين الاحتضار، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الرحمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ممَّا أنفقوا، ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾: من عذاب الآخرة أي: ولو كان على وجه الافتداء الذي لا مِنَّةَ فيه فلا يقبل منهم، أوْ لَا يُقْبلُ منه ولو افتدى بمثله معه، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: في رفع العذاب.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾[1]: حقيقة البر، أو بر الله، وهو رحمته، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِنْ﴾ بعض ﴿مَا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوبٍ أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم، ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾: المباح لإبراهيم لا لحم الخنزير، ﴿كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾: يعقوبُ ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾: بنذره ذلك، لو برئ من عرق النسا، وهو لحم الإبل ولبنه[2] رَدّ لليهود حيث قالوا: إنَّهما كانا حَرامين على إبراهيم، فكيف يحللونهما؟ رُوِيَ أنه كان به عِرْقُ النَّسا[3] فنذر أنه إنْ شفاه الله - تعالى - ترك أحب الطعام والشراب إليه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾: وذلك بعد إبراهيم، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في حرمة لحم الإبل ولبنه على الأنبياء كلهم، ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بحرمتها على الأنبياء، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: العلم، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ وهذا تعريض بكذبهم ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الباطل، وهي مِلّتنا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بشرك اليهود، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾: أُظهِر ووُضِع لعبادة الله على وجه الماء قبل خلق الأرض بألفي[4] عام أو بعدها قبل آدم، ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: لغةٌ في مَكة[5] فإنها تكسرُ أعْناقَ الجبابرة حال كونه، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير

= شيبة في المصنف (١٤/ ٤٠٠/ ١٨٦٢٥) وسنده ضعيف.

(١) في هامش (ن): الجزء (٤).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٩، ١١)، تفسير الوسيط (١/ ٤٦٤)، أسباب النزول - للواحدى (٨٤)، البحر المحيط (٣/ ٢).

(٣) بفتح النون المشددة، وهو وجَعٌ في جانب الورك، سُمِّي بذلكَ؛ لأنَّ ألَمَهُ ينسي صاحبه كُلَّ شيء.

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٠)، الوسيط (١/ ٤٦٥)، الدر المنثور (١/ ١٢٧، ١٢٨).

(٥) ولها أسماء أخر منها: أم القرى، والحاطمة، ونساسة... إلخ وجمعها في مؤلف السَّجاعيُّ وغيره.

الخير، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه معبدهم وقبلتهم، ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾: كتخالط الصيود[١] والسباع في الحرم، وقَهر كلِّ جبَّار قصدهُ بسُوء وظهور الخصب في البلاد الموازية له كركن ظهر فيه[٢] والغيث، وانمحاء الجِمَار، ومنها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة، وغاص قدماه فيه، ﴿وَ﴾ منها أنَّ، ﴿مَن دَخَلَهُۥ﴾: مُعظِّمًا له، ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾: أي: يأمنُ من دخله من القتل، أو مِن عذاب القيامة وفي الحديث: «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنًا»[٣]، ولما ذكر آيتين دنيوية وأخروية اكتفى عن البواقي بما هو، أهم أعني: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: كأسلوب حديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٤]، ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: هو قصده للزيارة على الوجه المخصوص، ﴿مَنِ﴾: بدل من الناس، ﴿ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ إلى البيت أو الحَرَم ﴿سَبِيلًا﴾: يأتي، والاستطاعة فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بالزاد والراحلة[٥]، وهو يؤيد قول الشافعي أنَّهما بالمال، ولذا يستنيب الزَّمِنُ[٦] الواجِدُ أجرة النائب، وعن مالك أنها بالبدن، وعن الحنفية أنها بهما[٧]، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بوجوبه كاليهود ووضعه موضع: لم يحج؛ تغليظًا على تاركه، بل ورد كفره إن استطاع، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: به، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: الدالة على صدق محمد ووجُوبِ الحج وغيره، ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾:

---

(١) معاني القرآن- للزجاج (١/ ٤٥٥)، البحر المحيط (٣/ ٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٤)، فتح القدير (١/ ٣٦٢).

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٦٨، ٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٩٥، ٩٦)، وابن الجوزي في مثير العزم الساكن (٢/ ٣١٠/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وفي الموضوعات (٢/ ٢١٨) وسنده ضعيف.

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٣٩٥٠)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣١٢٤)، والروض (٥٣).

(٥) رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في سننه (٤/ ٢٣٠)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٦٠/ ٩٨٨).

(٦) من به مرض مزمن.

(٧) انظر: المبسوط (١/ ١٥٣)، البناية (٣/ ٤٣٣)، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٩٤)، شرح العمدة (١/ ٤٠، ٢٤١)، الإنصاف (٣/ ٤٢١)، (٦/ ٤٦)، بداية المجتهد (١/ ٣٠٩)، مغني المحتاج (١/ ٤٦٨) كشاف القناع (٣/ ٤٥٥)، الشرح الصغير (٢/ ١٥)، المهذب (١/ ١٩٦، ١٩٧).

من التحريف، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا﴾: طالبين لَهَا، ﴿عِوَجًا﴾: اعوجاجًا بتلبيساتكم وتحريفاتكم، والعوج بالكسر: في القول والعمل والأرض، وبالفتح في نحو الحيطان والسَّواري، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أنها سبيل الله، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم﴾: يصدوكم، ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۞ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: القرآن وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَن يَعْتَصِم﴾: يتمسك، ﴿بِٱللَّهِ﴾: أي: بدينه، ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: غير مُعوج، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: في الحديث أنه طاعةٌ بلا عصيان[1]، وشُكرٌ بلا كفران، وذكر بلا نسيان ونُسِخت بآية: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] خلافًا لبعض السلف[3]، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: دُومُوا على الإسلام حتى تموتوا عليه، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾: استمسكوا، ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، استعارة من حيث إنَّ التمسك به ينجي مِنَ الرَّدَي كما أن المتمسِّك بالحَبْل يسلم من التردي ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: كأهل الكتاب، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: منها الإسلام، ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾: أراد عداوة الأوس مع الخزرج في الجاهلية مائة وعشرين سنة[4]، ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: صرتم، ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾: مُتحابين، ﴿وَكُنتُمْ﴾: في الجاهلية، ﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: طرف، في الحديث: «لَا تَنْظُروا إلى صَوْم الرَّجُل وصلاته، ولكن إلى وَرَعه إذا أشفى على الذنب»[5] أي: أشرف، ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: مشرفين على الوقوع في جهنم، ﴿فَأَنقَذَكُم﴾: أنجاكم بالإسلام، ﴿مِّنْهَا﴾: من شَفَاها، وتأنيثُهُ باعتبار المضاف إليه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لتدوموا على الهداية، ﴿وَلْتَكُن

---

(١) قال ابن مسعود: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر رواه الحاكم (٢/ ٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٣)، والطبرى (٧/ ٦٥) وسنده صحيح.

(٢) سورة التغابن (١٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ – لأبي القاسم ابن سلامة (١٠٦، ١٠٨) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٧٧، ٧٨)، الوسيط (١/ ٤٧٤)، الدر المنثور (٢/ ٦١).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع (١٧٧) وسنده ضعيف.

﴿مِنكُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿يَدْعُونَ﴾: الناس، ﴿إِلَى الْخَيْرِ﴾: الدنيوي والأخروي دل بـ«من» على فرضية الكفاية أو تبيينية فيكون المعنَى وجوبه على الكل ولو على مرتكب منكر، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: وهو يكون واجبًا ومندوبًا لكن على حسب ما يأمر به، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: هو واجب كله إذ كل ما أنكره الشرع حرام، والمكروه غير منكر، وخَصَّصَ بعدما عمم إيذانًا بفضله، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: المخصوصون بكمال النجاة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: من الأمم السالفة، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾: لأهل الحق عَن ذلك، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: كالمبتدعة من نحو الخوارج ويُوْسَمُ أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه ويمينه، والمبطلون بضد ذلك لأهل الباطل كنايتان[1] عن ظهور البهجة والكآبة ونحوهما، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: يقال لهم توبيخًا، ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا﴾: أمر إهانةٍ، دلت الأحاديث على أنهم المبتدعة كالخوارج المرتدين[2]، ﴿الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بكفركم، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: جنته، وأفاد بتغيير الأسلوب، ولفظ الرحمة أنَّ دخول الجنة ليس إلا برحمته، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: ملتبسة، ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾: حقيرًا، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: لاستحالته، إذ لا يجب عليه شيء، أو يمنع عنه فيظلم بنقصه أو فعله، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيجازي ﴿كُنتُمْ﴾: في عِلْم الله أو: وُجِدتُمْ، فعلى الثاني «كَان» تامَّة، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أُظْهِرَت، ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: دَلَّت على أنَّ الإجماع حُجَّةٌ لاستغراق اللامين، فلو أجمعوا على باطل كانوا على خلافه، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: أي: تعملون وكذلك إيمانًا به فلا يرد أن حق الإيمان التقديم كما في آية أخرى، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: بمحمد، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾: من الإيمان بموسى وعيسى فقط، ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: كابن سلام، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: المتمردون في

---

(١) بل حقيقتان- والله أعلمُ.

(٢) فعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: هم الخوارج. رواه الترمذي (٤/ ٢٩٤/ ٤٠٨٦) وأحمد (٥/ ٢٦٢)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٢٥).

الكفر، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: ضرًّا يسيرًا كطعن، ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: ينهزمون، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۞ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: كضرب قُبَّةٍ كما مَرَّ، ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: وجدوا دائمًا، ﴿إِلَّا﴾: حال كونهم معتصمين، ﴿بِحَبْلٍ﴾: بذمة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ﴾: أمان وعهد، ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المسلمين، أي: هم أذلاء دائمًا، إلا في هذه الحالة، ﴿وَبَآءُو﴾: رجعوا، ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية والفقر، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الضرب والبوء، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الكفر والقتل، ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: فُسِّر مرَّةً، ولما قالَ[1]: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ حينئذٍ قال: ﴿لَيْسُواْ﴾: أهل الكتاب، ﴿سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، مسلموهم[2]، من أقمتُ العود فقام، ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، ﴿ءَانَآءَ﴾: ساعات، ﴿ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يصلون العشاء والتهجد، فإن أهل الكتاب لا يصلونهما، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بلا إلحاد في صفاتهما ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بخلاف اليهودِ في الكل، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصوفون، ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: بنقص ثواب، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ﴾: عذاب، ﴿ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ كما مَرَّ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾: الكفرة [منَ] القُربِ[3] وغيرها، ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: في طاعة، ﴿كَمَثَلِ﴾: مهلك، ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد وأصله: صوت ريح باردة من الصرير برد شديد محرق، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بالمعاصي، ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: أي: الريح الحرث، فلا ينتفعون بإنفاقهم في القيامة كما لا ينتفعون بزرعهم عند الاحتياج، أو من التشبيه المركب، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: لم يفعل بهم ما ليسوا أهلًا له، ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بارتكاب موجبات العقوبة، ثم حذَّرنا عَنْ مكرهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: هي خاصة الرجل والمطلع على

---

(١) من (ع) لوضوحها فيها، وسقطت من (ن)، وهي محرفة في (س).

(٢) يعني: هُمْ مسلموهم.

(٣) جمع قُربَةٍ وهي الطاعة والصَّدقة.

أسراره، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: دون المسلمين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: لا يقصرون لكم، ﴿خَبَالًا﴾: فسادًا، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنتكم، أي: شدة ضرركم ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظهرت، ﴿الْبَغْضَاءُ﴾: شدة العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: في كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على وجوب الإخلاص، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بُيِّنَ لكم، ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ﴾: المخاطبون في موالاتهم، ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: وهم لا يؤمنون بكتابكم فهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقًا، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: بعضهم من بعض، ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ﴾: أجل، ﴿الْغَيْظِ﴾: حيث لم يجدوا إلى دفعكم سبيلًا، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء بتضاعف غيظهم إلى موتهم بتضاعف قوة الإسلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿الصُّدُورِ﴾: من الغيظ وغيره فيجازي، ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تصبكم أدنى إصابة، ﴿حَسَنَةٌ﴾: خير، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تحزنهم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضر، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: المعاصي، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد[1] من ضاره يضيره ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: والكيد: احتيالك لتوقع غيرك في مكروه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازي، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ﴾: حجرة، ﴿أَهْلِكَ﴾: عائشة رضي[2] الله عنها، ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تهيئ لهم، ﴿مَقَاعِدَ﴾: أماكن، ﴿لِلْقِتَالِ﴾: في غزوة أحد، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم فيجازيكم، ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: بنو حارثة وبنو أسد[3]، ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبنا وتنصرفا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما، فكيف تفشلان، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا على العَدَد، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ مَاءٌ بين الحَرَمين، كان لرَجُل اسمُهُ بدر [فسُمِّيَ بِهِ]، ﴿وَأَنتُمْ

---

(١) قرأ المطوعي: (يضِركم) بكسر الضاد المعجمة، وهي قراءة ابن كثير ونافع ويعقوب.
* إتحاف فضلاء البشر (١٧٨).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠)، والوسيط (١/ ٤٨٥)، فتح القدير (١/ ٣٧٧).
(٣) وقيل: بنى سلمة وبنى حارثة. * الوسيط (١/ ٤٨٦)، وهو الصحيح رواه البخاري (٦/ ٧٧).
وانظر: غرر التبيان- لابن جماعة (٢٢٨).

﴿أَذِلَّةٌ﴾: عَدَدًا وعُدَدًا، آثره على ذَلائل[١] ليُفهم قلتهم[٢]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تنعمون وضع الشكر موضع الإنعام؛ لأنه سببه، أو راجينَ دخولكم في الشاكرين، ﴿إِذْ﴾: ظرف لنصركم، ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: لنصركم، ﴿بَلَىٰ﴾: يكفيكم، ثم وعد الزيادة بقوله: ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾ على العدوِّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾: مخالفتي، ﴿وَيَأْتُوكُم﴾: الكفار، ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾: أي: سريعًا أو من غضبهم بلا تأخر، ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: مرسلين أو معلمين بالعمائم البيض والأصواف البيض أو الخُضْر[٣] في نواصي الخيل.

واعلم أنه تعالى أمَدَّهم في بدر أولاً بألف للقتال مثل عدد الكفار، فقال: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ ثم بألفين آخرين، ثم ألفين آخرين للشوكة كما يشعر به ﴿مُرْدِفِينَ﴾ فلا تنافي هنا ولا ينافي ذلك: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾، أو: «إذ» بدل من: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾، فهو في أحد ونزلوا، ولم يقاتلوا لعدم الصبر والتقوى المشروطين كذا عن مجاهد[٤]، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر وبأنكم على الحق، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمِ﴾: في أفعاله، ونصركم ﴿لِيَقْطَعَ﴾: لينقص، ﴿طَرَفًا﴾: جانبًا، ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالقتل والسبي والفرار ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يخزيهم، وأو للتنويع، ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾: يرجعوا، ﴿خَائِبِينَ﴾: منقطعي الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: من إصلاحهم وعقابهم، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عُطفَ على ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾ وما قبله اعتراض أو بمعنى «إلا» أن

---

(١) جمعُ ذَلِيل أيضًا.

(٢) لأنه جمعُ قِلَّة.

(٣) انظر: بيان ألوان ألويته ﷺ للإمام الغُنيمي (٢٢/ بتحقيقي).

(٤) الصحيح أن الملائكة قاتلت وقتلت الكفار ببدر فروى مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٤، ١٣٨٥/ ١٧٦٣): «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فأحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله - ﷺ - فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة فقول مجاهد ضعيف.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: فيستحقوا العذاب، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فله الأمر، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تدع عليهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾: هذا توبيخ لا تقييد أو بيان بحسب الواقعة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: بالذات[١]، وللعاصين بالعرض خلافًا للمعتزلة، قال أبو حنيفة - رحمه الله -: هي أخوف[٢] آية لآكليه لوضعهم موضعهم تغليظًا، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَسَارِعُوٓا﴾: بادروا وورد أن العجلة من الشيطان إلا في خمسة مواضع: التوبة من الذنب، وقضاء الدين الحالّ، وتزويج البكر البالغة، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل، ﴿إِلَىٰ﴾: موجبات، ﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي: كسبع سموات وأرضين لو وصل بعضها ببعض بحيث تَصِيرُ سَطْحًا[٣] من أجزاء لا تتجزأ، فكيف بطولها كذا قاله ابن عباس[٤] وأراد المبالغة في سعتها أو العرض: الشمس[٥] أو السعة ولا يرد أنها كيف سعتها مثلها، وهي في السماء؛ لأنها في الكرسي والسموات في جنبه كحلقة في فلاة[٦]، وسقفه عرش الرحمن[٧]، وسئل - ﷺ -: فأين النار حينئذ؟ فقال - ﷺ -:

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) الكشاف - للزمخشرى (١/ ٤١٤) وفيه: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن.

(٣) الكشاف (١/ ٤١٥)، البيضاوي (٨٩).

(٤) الجامع - للقرطبي (٤/ ٢٠٤)، البحر المحيط (٣/ ٥٨)، الوسيط (١/ ٤٩٢).

(٥) كذا في (ح).

(٦) عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله: أي آية أعظم؟ قال: «آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة».
رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٩/ ٨٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٧٠/ ٢٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٨) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٩٩) وسنده ضعيف.

(٧) يشير إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من ءامن بالله ورسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة هاجر أو جلس في أرضه التى ولد فيها.
قالوا: يا رسول الله! أولا نبشر الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم فاسألوه الفردوس فإنه * أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».
رواه البخاري (١٣/ ٤٠٤/ ٧٤٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٥)، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد =

«سبحان الله إنه إذا جاء النهار فأين الليل؟»[١]، فاطلع - ﷺ - به الخاصة على ما بينه بقوله: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»[٢] وعن ابن عباس: «إن لله عوالم هذا أحدها»[٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بالذات ولغيرهم بالتبع، كما قال: أُعِدَّ القَصْر للسُّلْطان، ودلَّت على أنها مخلوقة، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي﴾ حال ﴿السَّرَّاءِ﴾: اليسر، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: العسر، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: الممسكين عليه من كظمت القربة إذا ملأتها وسددت رأسها، وفي الحديث: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهُوَ يَقْدرُ على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا»[٤] الكافين عن إمضاءه مع القدرة، ﴿وَالْعَافِينَ﴾: التاركين العقوبة، ﴿عَنِ النَّاسِ﴾: المستحق عليهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: يحبهم، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: قبيحة بالغة في القبح، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بما دونها، ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾: أي: وعيده، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن﴾: أي: لا، ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾: في الحديث: «مَا أصرَّ مَن استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[٥]، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنها معصية، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: جزاء الذين، ﴿جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾: المغفرة والجنات، أفاد بتنكير جنات: أنَّ ما لهم أدْونُ ممّا للمُتقين، كما أفاده بوصفهم بالإحسان، ووصف هؤلاء بالعمل، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضتْ ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقائعُ سنَّها الله تعالى في الأمم الماضية، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: حقيقة لتعتبروا بآثار هلاكهم أو مجاز عن إجالة الخاطِر، ﴿فَانظُرُوا﴾: لها بالعين أو بالبصيرة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: واعتبروا،

= (٢/ ٥٤٤/ ٢١٢)، وابن منده في الإيمان (١/ ٢٨٤/ ١٣٦)، وابن حبان (١٠/ ٤١٧).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١٢٦) وسنده ضعيف.

(٢) قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه أحمد (٢/ ٤٦٦)، والبخاري (٦/ ٣٢٤٤)، ومسلم (٤/ ٢٨٢٤)، والترمذي (٥/ ٣١٩٧)

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (١٢/ ١٩)، وبنحوه أبو داود في سننه (٤٧٧٨)، والطبراني في الأوسط (٦٠٢٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٢٣)، والضعيفة.

(٥) أخرجه أبو داود في سنه (٢/ ١٥١٤)، والترمذي (٥/ ٣٥٥٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٠٤) والمشكاة (٢٣٤٠)، وضعيف أبي داود (٢٦٧)

﴿هَٰذَا﴾: الخلوّ المذكور ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: عامة، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: لا تضعفوا عن الحرب، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على مَغْلوبيّتكم في أُحُدٍ ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: الغالبون في الدارين، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي الشجاعة بالوثوق بالله، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: يوم أحد، وهُو بالفتح جرح، وبالضم ألم[1]، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾: المشركين، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: في بدر وهم لم يجبنوا، فإنهم أحق به، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أيام الدنيا، ﴿نُدَاوِلُهَا﴾: نصرفها في تحقيق الحجة وتشديدها لا لأنه - تعالى - لا ينصره وإنما لم يكُنْ أبدًا للمؤمنين؛ لأنه أدعى إلى احتقار الدنيا، ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾: مَرَّة لهؤلاء ومَرَّةً لهؤلاء لمصالح لا تُحْصَى، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: علم ظهور، أو القصد في أمثاله ونقائضه إثبات معلومه ونفيه بطريق البرهان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: أي: ليلزمكم بالشهادة في سبيله، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: فتغليبهم ليس لمحبتهم بل لامتحانهم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: ليخلِّص ويُصفّي، ﴿اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: من الذنوب بمغلوبيتهم، ﴿وَيَمْحَقَ﴾: يهلك، ﴿الْكَافِرِينَ﴾: بغالبيتهم، فإنهم إذا ظفروا بغوا، وهو سبب هلاكهم، والمَحْقُ: النَّقْصُ قليلًا قليلًا، ﴿أَمْ﴾ بل ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: علم ظهور، ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾: أي: ولم يجاهدوا، ﴿وَيَعْلَمَ﴾: نُصِبَ بواو الصرف عن العطف، ﴿الصَّابِرِينَ﴾: على القتال، أي: لا تدخلونها، والحال أنكم لم تجاهدوا ولم تصبروا، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: الشهادة، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: ذلك حين قتل إخوانكم، فأنتم تمنيتم غلبة الكفار بتمني الشهادة لما شاع يوم أحد أن محمَّدًا قتل وقال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول، نزلت[2]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: بالقتل أو الموت، ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾: إلى دين آبائكم.

---

(١) قرأها حمزة والكسائي وعاصم وخلف والأعمش وشعبة بضم القاف.- إتحاف فضلاء البشر (١٧٩)، البحر المحيط (٣/ ٦٢)، السبعة (٢١٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ٢٣٤)، قال السمين: قرئ بفتح القاف وضمها، فقيل: المفتوح مصدر، والمضموم ألم الجراحات، وقال آخرون: المفتوح الأثر من الجراحة من شيء يصبه من خارج والمضموم أثرها من داخل كالبثرة. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢٩٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ٧٤، ٧٥) بإسناد ضعيف جدًا.

واعلم أن القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل متولي ذلك، يقال: قتل أو بفوت الحياة، يقال: مات، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فلا أثر للجُبْن والشَّجاعَة فقد كتب ذلك، ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: مؤقتًا، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: بعمله، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: إن أردنا، وفيه تعريض لمن سبقتهم الغنائم يوم أحد، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: كمن ثبت وحارب، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: من ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: نعمة الله، ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم، ﴿مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾: ربانيون كما مر، أو عابدون لربهم جماعات منسوب إلى ربه أي: الجماعة، ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ افتروا خوفًا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: من قتلهم أو قتل نبيهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾: عن العدو، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: ما خَضعُوا للعدُو، والاستكانة الخضوع عَن ذُلّ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾: مع ثبوتهم، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: في الحروب، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: بالنصر والغنيمة، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: إذ قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم، ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: إلى الشرك، ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾: في الدارين، ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾: فلا تستنصروا من غيره، ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾: حين أرادوا في رجوعهم من أحد إلى مكة الكَرَّ إلى المسلمين لاستئصالهم والسين للتأكيد لنزولها بعده، ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟﴾: بسبب إشراكهم، ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ أي: بإشراكه، ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً، المُراد: عدمه، مثل: لا تُفْزع الأرنب أهوالها[1]. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: مثواهم،

---

(١) كذا – وقد اكتفى بصدر البيت، مع أن الشاهد في عجزه الذي لم يذكره، وهو:

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

والبيت من السريع، وهو لابن أحمر، والشاهد فيه: النفي المطلق لوجود شيء فيها.
ديوان ابن أحمر (٦٧)، أمالي المرتضى (١/ ٢٢٩)، خزانة الأدب (١٠/ ١٩٢) و (١١/ ٣١٣)، الخصائص (٣/ ١٦٥، ٣٢١)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٦).

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾: بالنصر بشرط الصَّبر والتَّقوى ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم فإنهم قتلوا اثنين وعشرين من الكفار أول الأمر من أحسَّهُ أي: أبطل حسه، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم، ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: حين اختلف الرماة في ترك المركز للغنيمة بعد انهزام المشركين، ﴿وَعَصَيْتُم﴾: الرسول بترك المركز ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذ مقدر أي: منعكم نصره، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: كتارك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: كمن ثبت فيه، وقاتل، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾: رَدَّكم، ﴿عَنْهُمْ﴾: بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: مخالفة الرسول في ترك المركز ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ واذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تبعدون في الهزيمة، ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: لا تنتظرون من لوى، إذا كَرَّ عطف، ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: لأحد منكم، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: جماعتكم المتأخرين، يقول: «إليَّ عباد الله[1] فأنا رسول الله، مَنْ مكثَ فلَهُ الجَنَّة»، ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: جازاكم الله على قراركم، ﴿غَمًّۢا﴾: بما نيل منكم، متصلًا ﴿بِغَمٍّ﴾ هو إفشاءُ قتل محمد ﷺ، أو بسبب غم أذقتموه عليه الصلاة والسلام بمخالفتكم له، لتتعودوا على الصبر في الشدائد، وإليه أشار بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من نحو الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾: من نحو القتل، وحاصله التحريض على الصبر، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾: بعد ارتحال الكُفَّار، ﴿أَمَنَةً﴾: أمنًا، ﴿نُّعَاسًا﴾: بدل اشتمال منها، إذ نعس عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين حينئذٍ، رُوِيَ أن النعاس في الصلاة من الشيطان، وفي القتال [أمنة] من الله تعالى، قاله ابن مسعود[2]، ﴿يَغْشَىٰ﴾: النعاس ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: هم المؤمنون، ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ﴾: الظن، ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾: أهل، ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: وهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ إنكارًا: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: مما أمر الله ووعد من النصر ﴿مِن

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧٦)، والطبري في تفسيره (٧/ ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٠) سورة الأنفال.

شَيْءٍ﴾: نصيب، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾: النصرة الحقيقية، ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾: من النفاق، ﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾: في خلواتهم، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: كما زعم محمد أن الله ينصر أولياءه ﴿مَّا قُتِلْنَا﴾: ما قُتل منَّا، ﴿هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾: لخرج، ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قدر، ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم بلا اختيارهم، فبرزوا لنفاذ قضاء الله بفعله ذلك، ﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾: ليمتحن، ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: سرائركم، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يكشف ويميز، ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ﴾ بمَا في ﴿ٱلصُّدُورِ﴾: وإنما يبتلي ليظهر للناس، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: في أحد، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: حملهم على الزلة[1]، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ﴾: بشؤم بعض، ﴿مَا كَسَبُوا۟﴾: من الذنوب، كترك المركز، ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ﴾: ذلك، ﴿عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم، ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: سافروا لغرض فماتوا سفرا، ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: فقتلوا، جمع غاز، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾: لا تقولوا ذلك، وقد مضى بيان الموت والقتل أيضًا، ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: القول، ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: خاصة دون قلوبكم، ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: لا الإقامة والسفر ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من موافقتهم ﴿بَصِيرٌ ۞ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾: في سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: مِنْ حُطَام الدُّنيا، ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: لا إلى غيره فيجازيكم، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾: فاصلة للتأكيد، أي: بسبب رحمة عظيمة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾: سَهُلَتْ أخلاقك، ﴿لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيء الخلق، ﴿غَلِيظَ﴾: قاسي، ﴿ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟﴾: لتفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما لك عفوه، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: الذي ليس فيه وحي ممَّا يصحُّ أن يشاور فيه ليصير سنة، ولتطيب قلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: عَلَيْهِ بعد الشُّورَى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصركُم، ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: كما في أحد، ﴿فَمَن

---

(١) المعصية.

ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: يخون، ومجهولاً[1]: أي: ينسب إلى الخيانة أو يخان، ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ﴾: حاملاً له على عُنُقه، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾[2] أي: عن أموالكم وأولادكم ومعبودكم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ﴾: جزاء، ﴿مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: في العقاب، ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: بطاعتِه، ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾: رجع، ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بمخالفته، ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: هي، والفرق بينه وبين المرجع أنه يجب أن يخالف الحالَ الأولى دون المرجع، ﴿هُمۡ﴾: من اتبع، ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ أي: ذَوُوا درجاتٍ، ﴿عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: فيجازيهم به، ﴿لَقَدۡ مَنَّ﴾ أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ﴾: جنس، ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾: لا ملكًا[3]، ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآن، ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾: يطهرهم من دنس الشرك، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: السنة، ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾: قبل نبوته ﴿لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾: ظاهر ﴿أَ﴾ فعلتُم كذا، ﴿وَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾: يوم أحد بقتل سبعين، والحالُ أنكم، ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم﴾: نلتم، ﴿مِّثۡلَيۡهَا﴾: يوم بدر بقتل سبعين وأسر سبعين[4] وجواب لما، ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ﴾: كيف أصابنا، ﴿هَٰذَا﴾: الكسر، وقد وعدنا بالنصر، ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾: بترك المركز وأخذ الفِداء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: ومنه النصر والكسر، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾: المسلمون والمشركون في أحد، ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: فبقضائه، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: عُطفَ على بإذن ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾: علم ظهور[5] ﴿وَ﴾ الذين، ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾: وهم ابنُ أُبَي وصَحْبه حين انصرفوا

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن مسعود والحسن: (يُغَلّ) بضم الياء وفتح الغين المعجمة وتشديد اللام.

* إتحاف فضلاء البشر (١٨١) السبعة (٢١٨)، غيث النفع (١٨٥)، الكشاف (١/ ٢٢٧).

(٢) سورة الأنعام.

(٣) بفتح الميم واللام.

(٤) الوسيط (١/ ٥١٧)، معالم التنزيل (١/ ٤٤٣)، فتح القدير (١/ ٣٩٧).

(٥) أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما =

في طريق أحد[١]، ﴿تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ﴾: العدوّ بتكثير السواد ﴿قَالُواْ﴾: استهزاءً: ﴿لَوْ نَعْلَمُ﴾: نُحسِنُ، ﴿قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ إلى التهلكة ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ﴾: أي: إليه، ﴿يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾: أي: إليه يعني قربهم إلى الكفر يومئذ يزيد على قربهم من الإيمان، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من كلمة الإيمان، وكلمة: ﴿لَوْ نَعْلَمُ﴾ إلى آخره، والإضافة للتأكيد أو للتّصوير؛ إذ القول قد يكون نفسيًّا، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: هم، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم المقتولين في أحد، ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن الحرب: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: في الانصراف، ﴿مَا قُتِلُواْ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنكم تقدرون على دفع القتل المقدر، أفهم أنَّ القتل والموت شيئان، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾: ببدر وأحد، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَآءٌ﴾ حياة روحانية عند الأكثر[٢] ومع بقاء الجسد عند بعضٍ، وقالت المعتزلة: المراد حياة القيامة، وصيغةُ الحال لتحقُّقها ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: ذَوُو قُربةٍ منه ومضى بيانه في البقرة، ولما أراد مُعاويةُ [رضي الله عنه] إجْراء العين عند قبور شهداء أحد، أخرجهم أهلهم من قبورهم، وكانوا رِطَابًا، فأصابت المِسْحَاة[٣] أُصْبع واحدٍ منهم فانقطرت دمًا، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: في دار الكرامة، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: دَلَّ على أنَّ الإنسان غير هذا الهيكل بل هو جوهر مدرك ملتذ متأمل بذاته، وفي الحديث: «أرْوَاحُ الشُّهَداء في أجواف طَيْرٍ خُضْر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة إلى ظل العرش»[٤]، أي: أرواحهم على نفوسهم التي بها تُدْرِكُ وتُميِّزُ، تحلُّ في أبدانها، فتنعم في الجنة، أو تمثل طيورًا خضر والمراد أنها تكتسب زيادة كمال، وهذا يلائم القناديل المذكورة، وسموا شهداء؛ لحُضُور أرْوَاحهم الآن بدار السلام، وأما

= ينزل بهم. * الوسيط (١/ ٥١٨).

(١) تفسير الطبري (٧/ ٣٧٨، ٣٧٩)، الدر المنثور (٢/ ٩٤).

(٢) الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٥٠)، والترمذي في جامعه (٤/ ٢٩٨) وعبد الرزاق (٥/ ٢٦٣).

(٣) هي المجْرفَة التي يُحفَرُ بها ويسوّى بها التراب وهي المعروفة الآنَ بالكوريك.

(٤) انظر: الحديث السابق.

أرواح غيرهم فإنما يحضرون القيامة، أو لأن الله تعالى شهد لهم[1] حضور بالجنة، وقد مرَّ البحثُ في البقرة روي أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا فيستبشر به قاله السدي، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: يسرون بالشَّهادةِ، ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: زمانًا أو رتبة ﴿أَ﴾ أن، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بعدم الخوف والحزن على من خلفهم، ﴿بِنِعْمَةٍ﴾: ثواب، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زيـــادة عليــه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: بخروجهم إلى حَمْرَاء الأسد[2] لما سمعوا كَرَّ الكُفَّار إليهم بعد رجوعهم من أحد لاستئصالهم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: الجرح في أحـد، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾: بطاعـة الرسـول، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: مخالفتـه، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: رسـول المشركين نعيم بن مسعود[3] مع أتباعه من المنافقين، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: المشركين[4]، ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾: بخـروجهم مـن مكـة إلـيكم، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾: هـذا القـول، ﴿إِيمَـٰنًا﴾ بثبوت توبتهم ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا﴾: محسبنا أي: كافينا، ﴿ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: هـو، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: الأجر وسلامة البدن، ﴿وَفَضْلٍ﴾: ربح، أي: من تجارة كسوق بدر، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾: كجرح، ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: بطاعة رسوله، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: على مطيعيه، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾: القائل، أي: نعيم، ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ﴾: أي: يخيفكم من، ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: من قعد عن الخروج مع الرسول، أو يخوفكم أولياء وهم أبـو سـفيان[5] وصـحبه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ﴾: المنـافقون، ﴿ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى﴾ نُصْرةِ ﴿ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ دِينَهُ ﴿شَيْـًٔا﴾: من الضرر، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: مـن الثَّـواب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ

---

(١) في (ن): بهم.

(٢) المغازي (٣/ ٤٥، ٤٧)، جامع البيان (٤/ ١١٩)، دلائل النبوة – للبيهقي (٣/ ٣١٥، ٣١٧).

وحمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٣) قبل أن يسلم – زاد المسير – لابن الجوزي (١/ ٥٠٤، ٥٠٥)، غرر التبيان – لابن جماعة (٢٣٢).

(٤) الوسيط (١/ ٥٢٣).

(٥) أسلم – ﷺ – يوم الفتح، وحَسُنَ إسلامُهُ.

بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾: بدل من المفعول الأول واقتصر على مفعول واحد؛ لأن التَّعويل على البدل، وهو ينوبُ عن المفعولين والإملاء: الإمهال وإطالة العمر، ﴿ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾: نُمْهِلهم، ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾: يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس والاختلاط، ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ ﴾: المنافق، ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾: المؤمن المخلص بالوحي أو التكاليف، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾: فتعرفوا الفريقين لما فيه من رفع المحنة، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾: فيخبره ببعضه ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾: مخلصين، ﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾: المعاصي، ﴿ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾: بخل، ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ ﴾: بخلهم، ﴿ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾: ولم يؤدوا زكاته ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: فيجعل ماله حية يطوق في عنقه وينهشه من فرقه إلى قدمه[١]، ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: حين يفني جميع الملاك، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾: فيجازيكم، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ لأبي بكر حين بلغهم أمر الرسول بأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾: فيقرض متاعه- قاله فِنْحَاصُ بن عازوراء وقَوْمُه[٢]، ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾: في صحائف الكتبة، أو مجاز[٣] عن عدم النسيان، ﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾: عندهم، فإن رضاهم بفعل آباءهم كفعلهم كما مَرَّ، ﴿ وَنَقُولُ ﴾: لهم، ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾: المحرق مُبالغة كما مرَّ في أليم، والذَّوق: إدراكُ الطُّعوم، وأُطْلق اتساعًا على إدراك سائر المحسوسات والحالات، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾: العذاب، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾: مجاز عن الأنفس، لأن أكثر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٤٤)، والترمذي في جامعه (٥٠٠٠)، وأحمد (١/ ٣٧٧)، والنسائي (٥/ ١١).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٢٩)، الدر المنثور (٢/ ٣٩٦).

(٣) لا مجالَ له هنا- واللهُ المستَعانُ.

أعمالها بهن[1]، ﴿وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: بكثيره لقوله، ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: توزيعًا، فالمبالغة في الكم، ولذا قال: عالم الغيب، وعلام الغيوب، ومحلقين رؤوسكم، أو لأن أدنى ظلم من العظيم، فالمبالغة في الكيف، أو لأن صفاته تعالى في الرتبة العليا، ودل بالعطف على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يُعذبهم بلا ذنب، لا أنْ لا يعذبهم بذنوبهم، إذ ترك عذاب المسيئ ليس بظلم شرعًا ولا عقلًا، حتى ينتهض سببًا للتعذيب، وليس في القرآن نص على أن الإحسان مع المسيئ في القيامة من الله ظلم كما قاله بعض، وكون العدل يقتضي إثابة المحسن، ومعاقبة المسيئ لا يستلزمه لأن الإحسان مع المسيئ تفضل، وهو فوق العدل، وأنه أفاد أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أوصانا، ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾: أي: من تَصَدَّقَ من أمته بصدقة متقبلة تنزل نار من السماء فتأكلها، أي: تحيله إلى طبعها بالإحتراق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد إلزامًا لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الظَّاهرات، ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾: من النار، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: في اتباع من جاء بها، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فليس ببدع، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: جَمعُ زَبُورٍ هو: ما نزل عليهم باعتبار ما فيه من الزواجر فإن الزبر هو الزجر، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: ما نزل باعتبار جمعه للشرائع والأحكام، ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: المضيئ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ﴾: تعطون تامة، ﴿أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بُعْدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر ببُغْيته، أفهم إمكان الدخول في غيرهَا، كالأعراف، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ﴾ العيش في ﴿ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: الغرور تحتمل الأفراد والجمع، متاعٌ يُدلَّسُ به على المُسْتَام[2] فيغتر ويشتريه، وهذا لغير أهل الآخرة، إذ هي لهم ﴿مَتَٰعُ﴾ بلاغ، أي: كفاية، والله ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لتختبرن، ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالأمراض والحقوق، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ

---

(١) يعني: بالأيدي.

(٢) الذيْ يُسَاوِمُ في السِّلْعَةِ.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾: من الهجاء وغيره، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: عليه ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ كُلًّا منهما ﴿مِنْ عَزْمِ﴾: أي: معزومات، ﴿ٱلْأُمُورِ﴾: أي: واجباتها ومقطوعاتها، وأصله ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من العلماء بلسان أنبيائهم، والله، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: أي: كل الكتاب[1] الآن، ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾: في الاستقبال، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: الميثاق، ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: ما التفتوا إليه، ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حطام الدنيا، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي: يختارون لأنفسهم، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: فعلوا، كتدليس اليهود في أحكام التوراة، ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾: من نحو إظهار الحق، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾: تأكيد، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاة، أي: فائزين بنجاة، ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عن ابن عباس: أنه مخصوص باليهود[2]، أي: في فعلهم المذكور، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وعجائبهما، أي: كما مر، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: طولًا وقصرًا، وتخصيص الليلية لشمولها أنواع التغير، أي: في الذات كالليل والنهار، وفي الجزء كصور العناصر، وفي الخارج كأوضاع الفلك، وهو الجزء الخارج، وهو مناط الاستدلال[3]، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلائل، ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: على وجوده ووحدته، وعلمه وقدرته تعالى في الحديث: «ويل لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها»[4]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: يُصلُّونَ، ﴿قِيَٰمًا﴾: قائمين، ﴿وَقُعُودًا﴾: قاعدين إن لم يقدروا، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: إن لم يقدروا قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، المراد ذكره دائمًا، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ

---

(١) يعني حالًا؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٩) وصححه.

(٣) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٩٩) بهامش المصحف.

(٤) في الحديث: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؛ لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها. رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧/ ٦٢٠) (٧) كتاب الرقائق، (٢) باب التوبة– وسنده صحيح.

﴿فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مستدلين قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾: عبثًا، بل لحكم[1]، ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهًا لك من العبث، ﴿فَقِنَا﴾: أشار بالفاء إلى أن علمنا به حملنا على الاستعاذة، ﴿عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ﴾: للخلود، ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾: أهنته غاية، وأما إدخال المؤمن فللتطهير،وأفهم أن العذاب الروحاني أفظع، والخِزْي: لحوق انكسار إما من نفسك، وهو الحياء المفرط، أو من غيرك وهو نوع من الاستحقاق والآية تحتملهما، ولا يلزم منه ومن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[2] ألا يدخل مؤمن في النار؛ لأنه من الخزاية، وهي النكال والفضيحة، وكل من يدخل النار يهان، ولا يلزم أن يعطف الذين على النبي ويمكن أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ ابتداء كلام، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: يخلصونهم، ولا يلزم منه نفي الشفاعة كما للمعتزلة، لأنها طلب دفع على سبيل التخضع، والأول دَفْعٌ بقهر ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: محمدًا[3] أو القرآن[4]، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ﴾ أي: بأن، ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: وهو بمجرد الفضل، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: وهو محوها بالحسنات أو الأول في الكبائر، والثاني في الصغائر، تكرار، ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: محشورين، ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ﴾: ألسنة، ﴿رُسُلِكَ﴾: من الفضل والدعاء بما هو كائن للتخضع، وهو استعجال للنصر الموعود، وهو غير مؤقت، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾: تفضحنا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ بإثابة المؤمن ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ استجاب: يعدى باللام وبنفسه ﴿رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى وعكسه، لاتحادهما دينا، فهما شيئان في الوعد، ثم فَصَّلَ العَمَل بقوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾: في الجهاد، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾: لأمحون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

---

(١) جمع حكمة.

(٢) سورة التحريم.

(٣) من قول ابن عباس والأكثرين. * الوسيط (١/ ٥٣٤).

(٤) وهو قول محمد بن كعب القرظي. * الوسيط (١/ ٥٣٤).

﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: يثابون، ﴿ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾: على الطاعة، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ أيها السَّامع ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: من تَبسُّطِهم في مكاسبهم أيها السامع، أي: لا تنظر إلى سعتهم يا محمد على عدم الاغترار، أي: لا تنظر إلى سعتهم، هو ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾: لقلة مدته، ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: المقر هي، ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: هو ما يُعَدُّ للنازل قبل ضيافته فكيف بها، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾: مما يتقلبون فيه، ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾: هو ابن سلام وصحبه[١]، أو النجاشيّ وصحبه[٢]، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾: مثل المحرفين منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: فيسرع في الجزاء الموعود، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾: على الطَّاعةِ والشدائد، ﴿وَصَابِرُواْ﴾: غالبوا أعداءه في الصبر على شدة الحرب، ﴿وَرَابِطُواْ﴾: أنفسكم على الطاعة في دوام الذكر، أو خيولكم وأبدانكم في الثغور، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بالتبري عما سواه، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: بنيل المقامات الثلاث الشريفة، وهي الصبر على مشاق الطاعة، والطريقة، وهي مصابرة النفس في رفض العادات والحقيقة[٣]، وهي مرابطة السير على جناب الحق لترصد الواردات.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٤٦) وسنده ضعيف جدا.

(٢) عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما جاء نعي النجاشي؛ قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول الله! نصلي على عبد حبشي؟! فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾ الآية.
رواه النسائي في تفسيره (١/ ٣٥٦/ ١٠٨)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٢٣/ ٥١٤٧)، والضياء في المختارة (٦/ ٦٣/ ٢٠٣٩)، والبزار (١/ ٣٩٢/ ٨٣٢/ كشف) والواحدي في أسباب النزول (٩٣، ٩٤)، والوسيط (١/ ٥٣٦) وسنده صحيح.

(٣) هذا كلام الصوفية، ونحوه عن داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي! هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾؟ قال: لا، قلت: يا ابن أخي! أنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابط فيه، ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة.
* رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٦٣/ ٣٨٩)، والطبري في تفسيره (٤/ ١٤٨)، والحاكم (٢/ ٣٠١)، والبيهقي في الشعب (٦/ ١٨٢/ ٢٦٣٨) وسنده ضعيف.

سورة النساء[١] مدنية[٢]

لَمَّا أمرنا بالتَّقوى لنسلك في سلك المفلحين، كرَّر الأمرَ بها بأبلغ الوجوه فقال، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾: أي: عقابه، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾: من ضِلع منه، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾: كثيرة، فيه تنبيه على أكثريتهم لحكمةٍ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ﴾: يتساءَلُ بعضكم [بَعْضًا][٣] بقَضاءِ حَوائجه به بقولكم: أسألك بالله وبالرَّحم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾: لا تقطعوها، وبالجرِّ[٤]: أي: وبالإرحام بقولكم: أسألك بالله وبالرحم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حافظًا مُطَّلعًا، ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾: إذا بلغوا، ﴿أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ﴾: تستبدلوا، ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الحرام من أموالهم لجودته، ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحلال من أموالكم لرداءته، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: مُنضمَّة، ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: بلا تمييز بينهما، فالقيد للتشنيع، ﴿إِنَّهُۥ﴾ الأكل، ﴿كَانَ حُوبًا﴾: إثمًا، ﴿كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ﴾: تعدلوا، ﴿فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: يتامي النساء إذا تزوجتم بهن، إذ كانوا يتزوجون كثيرهن لمالهن وجمالهن، ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ غيرهن أو طاب بمعنى أدرك، وبلغ، مِنْ: طابت الثمرة: أدركت، أي: فانكحوا البالغة وغيرهن، ونبه «بما» على قلة عقلهن مع إرادة الصفة، أي: انكحوا الطيبة، ﴿مَثْنَىٰ﴾: ثنتين ثنتين، ﴿وَثُلَٰثَ﴾: ثلاثًا ثلاثًا، ﴿وَرُبَٰعَ﴾: أربعًا أربعًا، أي: انكحوا ما شئتم من هذا العدد المذكور متفقين ومختلفين فيه، ودل على معنى التسع؛ لأنه

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية وعند البصريين خمس ثم نزلت: إذا زلزلت. كلماتها (٣٧٤٥) وحروفها (١٦٠٣٠).

* وانظر: عدد سور القرآن – لأبي القاسم ابن عبد الكافي (٢١٣) وفيه (٣٧٤٥) كلمة، البصائر (١/ ١٦٩)، القول الوجيز (١٨١)، البيان – للداني (١٤٦).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٣) كذا- و يحتملُ أن تكون العبارةُ أيضًا: يتساءَلُ بعضكُم بعضًا حوائجَهُ بِهِ.

(٤) الحجة- لابن خالويه (١١٨، ١١٩)، السبعة (٢٢٦)، النشر (٢/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٣/ ١٥٧، ١٥٩).

حينئذٍ: تُساع، نعم لو قال: ثنتين وثلاثا وأربعا؛ لكان جائزًا، ومثل ذلك ممنوع في القرآن؛ لأن العدول من عدد إلى أجزائه إما لغرض كاختلاف الحكم في: «ثلاثة أيام في الحج» إلى آخره، أو لنحو استدراك عن نسيان، وهو محال، ولو أتى بأو لذهب تجويز الاختلاف، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: بين هذه الأربعة، ﴿فَوَاحِدَةً﴾: فاختاروا واحدة، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من السراري، فُهِمَ من تَسْويتهما أنْ لا قسم مَعهنَّ، ﴿ذَلِكَ﴾: الاختيار، ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾: تجوروا.

* **تنبيه**: فسره الإمام الشافعي[1] رضي الله تعالى عنه بأن لا تكثر عيالكم، وشنع عليه بعض الناقصين[2] بأنه اشتبه عليه تعيلوا[3] بتعولوا، ورد بأنه كنى بكثرة المؤن عن كثرة العيال من يعول عياله أي: يمونهم، على أن التفسير مروي عن زيد بن أسلم التابعي، وعال بمعنى كثر عياله، منقولٌ عن الكسائي والأصمعي وابن الأعرابي، ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ أيها الأزواج أو الأولياء ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾: مهورهن، ﴿نِحْلَةً﴾: إيتاء بطيب نفس، ﴿فَإِنْ طِبْنَ﴾: وهبن بطيب النفس، ﴿لَكُمْ﴾: متجاوزات، ﴿عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾: من الصداق، ﴿نَفْسًا﴾: تمييز أي: وهبة عن طيب النفس وحثهن بمن على تقليل الموهوب، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾: سائغًا بلا غصٍّ، مجازٌ عن حلال بلا تبعة لهما وما يلتذ[4] به وما يحمد عاقبته، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾: أي: الجاهلين بمواضع الحق يعني النساء والصبيان، ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾: تقومون وتنتعشون بها لئلا تنظروا إلى ما في أيديهم، ﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾: اجعلوا لهم رزقًا، ﴿فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾: فيها، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: بعدة جميلة، وهم اليتامي، والإضافة باعتبار التصرف، ورزقهم فيها بالتجارة، والمعروف عدتهم بتسليمها بعد الرشد، ﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا، ﴿الْيَتَامَى﴾: قبل البلوغ، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: أي: وقته، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾: أبصرتم بعد البلوغ، ﴿مِنْهُمْ

---

(١) الكشاف (١/ ٤٦٨)، أنوار التنزيل (١٠٢).

(٢) كذا، وفي (ع)، و(س): وشنّعَ عليه جهلَةٌ حمقى... إلخ.

(٣) قرأ طلحة: (تعيلوا) بفتح التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/ ١٦٥).

وقرأ طاووس: (تعيلوا) بضم التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/ ١٦٦).

(٤) في (ن): يستلذ.

﴿رُشْدًا﴾: أدنى صلاحٍ دينًا ودنيا، ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾: تفنوها، ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسرفين ومبادرين مخافة ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾: فينزعوها عنكم ﴿وَمَن كَانَ﴾: من أوليائهم، ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل ماله، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أجرة مثل سعيه، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: بعد رشدهم ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾: بقبضهم أمر إرشاد وظاهره: عدم تصديق القَيِّم[1] إلا ببينة، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسبًا، فاعدلوا، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: أي: المتوارثون بالقرابة، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: بدل مما ترك، وذكره تأكيدًا ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعًا لهم فلا يسقط بإسقاطهم ﴿و﴾ سببه في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث، ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ممن لا يرث، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: قبل القسمة، أمر ندب للبالغ، ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بلين لهم، ودعاء، ﴿وَلْيَخْشَ﴾: الأوصياءُ ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في اليتامى، فليفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرياتهم بعد موتهم، ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾: لليتامي، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صوابًا بشفقةٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمينَ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملؤها، ﴿نَارًا﴾: ما يجر إليها في البعث، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: يدخلون، ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا عظيمة، ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمركم، ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾: ميراث، ﴿أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ﴾: منهم، ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ﴾: المولودات، ﴿نِسَآءً﴾: خُلَّصًا، ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: وثنتان كذلك خلافًا لابن عباس[2]، فهما عنده كبنت؛ لأن الذكر مثل الأنثيين لو معه أنثى، وهو الثلثان، ولأنهما أَمَسُّ رَحِمًا من الأختين ولهما الثلثان أو فوق صلة[3]، ﴿وَإِن كَانَتْ﴾: المولودة، ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾: أفهم أن لابن منفرد كله؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين، ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾: أي: الميت، ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ﴾: للميت، ﴿وَلَدٌ﴾: ولا يرد أن له مع البنت الثلث لأنها وردت في ذوي الفروض، ويأخذ

---

(١) القائم علي المالِ.

(٢) الوسيط (٢/ ١٩)، فتح القدير (١/ ٤٣١، ٤٣٢)، تفسير الخازن (١/ ٤٩٠).

(٣) زائدة.

الأب ما بقي من ذوي الفروض العصبية، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾: فقط، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾: والباقي للأب بالتعصيب لقوله: وورثه أبواه، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: أي: اثنين وفوقهما، ونقل الزجاج[١] عن جميع أهل اللغة أنهما جماعة، وكذا عن سيبويه وشمولها للأختين فأكثر بالقياس والإجماع، أو من باب التغليب، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾: والباقي للأب، فعند ابن عباس: للإخوة السدس الذين حجبوا عنه الأم، لأن المال كان لهما عند عدمهم وبعد وجودهم حجبها الله تعالى بهم[٢]، وهذا يستلزم إرثهم، وحجته أن من لا يرث لا يحجب استقراء، وهذه الأنصباءُ ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: قدمها على الدين بعد تقدمه في الأداء لندرته أو الاغتباط ها هنا، ودل بأو على تساويهما في التقدم على القسمة، ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: فاتبعوا تخصيصي فإني أعلم به، يوصيكم الله وصية، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما قضى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: وكذا ولد ابنٍ وإن سَفلَ، ﴿فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ﴾: للزوجات، ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ﴾: كما مر، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: ولا فرق بين واحدة وأكثر، ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: منه ﴿كَلَٰلَةً﴾: خبر كان، أي: بلا ولد ووالد، وأصلها: مصدر بمعنى الكلال، استعيرت لقرابة غير بعضية أو في ذي كلالة، ﴿أَوِ﴾: كان، ﴿ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ﴾: للرجل، ويعلم منه حكم المرأة، ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: من الأم بالإجماع، وقد قرئ كذلك[٣]، ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟﴾: الإخوة والأخوات، ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ﴾: يسوي بين الذكر والأنثى، لإدلائهم بمحض الأنوثة، ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: أيضًا ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لورثته

---

(١) معاني القرآن (٢/ ١٨، ١٩).

(٢) الوسيط (٢/ ٢٠، ٢١)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٦)، فتح القدير (١/ ٤٣٣).

(٣) قرأ أبي: (وله أخ أو أخت من الأم). * البحر المحيط (٣/ ١٩٠)، الكشاف (١/ ٢٥٥).

وقرأ سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم). * البحر المحيط (٣/ ١٩٠)، الكشاف (١/ ٢٥٥).

والموصي له بحرمان أو بنقص من حصّتِه، وهذا قيد لكل ما مضى، ووصية مفعول مضار، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبته، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: شـــرائعه، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ﴾: يتجاوز، ﴿حُدُودَهُۥ﴾ أفرد هنا وجمع قبل اللفظ والمعنى وإشارة إلى قلة العصاة اعتبارا وقدرا ومعنى الخلود المكث الطويل كما مرّ والمعصية بجَحْد أحكامه فيها ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: دلت الأحاديث الصحيحة على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة[1]، ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ﴾: يفعلن، ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الزنا[2]، وعن مجاهد أنها في زِنَا السحَّاقات[3]، ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾: بما فعلن، ﴿أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: من رجال المسلمين، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهن، ﴿فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: ملائكته[4]، ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: حَدًّا معينًا، ونُسِخ هذا على الأكثر[5] بقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾، ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾: يفعلان الفاحشة، ﴿مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾: بالشتم والتعيير والضرب بالنعال، ونسخ هذا بالحدِّ المعين، وعن مجاهد أنها في اللواطة، وحكمها عند الشافعي: أن لا يرجم المفعول المحصن، بل يجلد ويغرب، ﴿فَإِن تَابَا﴾: منها، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: العمل، ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾: عن أذاهما ولا تعيروهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) الحيف في الوصية والظلم فيها حرام، للآية: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ (النساء/ ١١).
أما الحديث الذي يشير إليه المؤلف: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» قال الرواي: وقرأ علي أبو هريرة من هاهنا ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حتى بلغ ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.
رواه ابن ماجة (٢٧٠٤)، والترمذي (٢٢٥٠) وسنده ضعيف.
(٢) الوسيط (٢/ ٢٥).
(٣) الكشاف (١/ ٤٨٨). والسحَّاقات، جمع سحَّاقة، وهي السحاقية التي تأتي النساء- والعياذ بالله.
(٤) يعني كما قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.
(٥) بل بالسنة بقوله ﷺ: «خذوا عنى خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» رواه مسلم (٢/ ٤٨)، وأبو داود (٤٤١٥).

تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ﴾: ليس قبولها محتومًا، ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: بمقتضى وعده إلا، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: ومن عصى عَمْدًا أو خطأ فهو: بجهالة بإجماع الصحابة، أي: هو مسلوب كمال العلم بسوء عاقبة عمله بسبب غلبة الهوى والشيطان، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾: زمان، ﴿قَرِيبٍ﴾: قبل معاينة الموت، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بنياتكم، ﴿حَكِيمًا﴾ في أفعاله، ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾: مقبولة، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من الفسقة، وقيل: المنافقين، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: ثم يتوبون في الآخرة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: أعددنا لهم، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾: نفسهن كالمال، كما في الجاهلية، ﴿كَرْهًا﴾: مكرهات وهذا خارج مخرج الغالب لا للتقييد، ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تضجروهن ولا تضيقوا عليهن بالقهر والضرب إذا كرهتم صحبتهن، ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهر وغيره، أي: ليفتدين ببعض حقوقهن، ﴿إِلَّآ﴾: وقت، ﴿أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: الزنا[1]، وقال ابن عباس وأكثر السلف: إنه بكسر الياء ظاهر في استرجاع الصداق، وبفتحها بمعنى مبينة، أي: الزِّنا فحينئذٍ لكم ضجرهن ليختلعن، وعن ابن عباسٍ وأكثر السَّلف أنّ له ارتجاع الصّداقِ حينئذٍ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بجميل قول وفعل، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾: ﴿فَـ﴾ اصبروا، ﴿عَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: كولد صالح، ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: طلاق امرأة وتزوج أخرى، ﴿وَءَاتَيْتُمْ﴾: أعطيتم ولو بالالتزام بلا أداء، ﴿إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾: مالًا كثيرًا وتريدون طلاقها، ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ﴾: من القنطار، ﴿شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: باهتين لها بنسبتها إلى الزنا لتفتدى أو ظلمًا، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، والبهتان الكذب بهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾: شيئا منه، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وصل، ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: بالوطء، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: بالعقد وأحكامه، ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: كعملكم

---

(١) الوسيط (٢/ ٢٩)، تفسير الطبري (٨/ ١١٥، ١١٦)، معاني القرآن – للزجاج (٢/ ٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٦).

في الجاهلية، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: في الجاهلية مغفور وقيل: «إلا» بمعنى «بعد» نحو: «إِلَّا الْمَوْتَةَ»، ﴿إِنَّهُ﴾: نكاحهن، ﴿كَانَ﴾: للماضي المتميز، ﴿فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾: بغضًا شديدًا من الله، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: هو، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾: نكاحا، ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾: من ولدتكم أو من ولدتها وإن علت، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: من ولدتموها، أو من ولدها وإن سفلت، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾: من الأوجه الثلاثة، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد ذكر، أو ولدكم وإن بعدت، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتكم وإن بعدت، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: وإن بعدتا، ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾: قبل الحولين خمس رضعات، ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾: بنات الزوجة، ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم﴾: في بيتكم وتربيتكم، وهذا خارج مخرج الغالب، وتصوير لما ينفر لا قيد عند الجمهور إلا عليًا- رضي الله عنه- فعنده قيد، ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: معهن الخلوة، كناية عن الجماع، ولا يجوز كون الموصول الثاني صفة للنسائين لاختلاف عامليهما، أعنى «اللام» و«مِنْ»، ولا تعلّق من بالأمهات أيضًا، إذ يلزم حملها على الابتداء والبيان معًا، ولو جعلت للاتصال فيرده الحديث، وقول الجمهور إلا عليًا- رضي الله عنه- فإنه يقيد تحريمهما بالدخول، ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في نكاحهن، ذكره مع فهمه مما مر لئلا يتوهم أن قيد الدخول خارج مخرج الغالب كما في تقييد الحجور، ﴿وَحَلَائِلُ﴾: زوجات، ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾: أخرج المتبني لا الرضاعي، وحكم الرضاعي في الكل حديث: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[1]، ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾: في النكاح وملك اليمين، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾: منكم في الجاهلية مغفور، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لكم، ﴿رَّحِيمًا﴾: بكم، ﴿و﴾: حرمت عليكم، ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾[2]: ذات الأزواج، ﴿مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: بالسبي، فتحل بعد الاستبراء، ولو سبي معها زوجها

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٦٤٦)، ومسلم (٢/ ٩)، وأبو داود (٢/ ٢٠٥٥)، والنسائي (٦/ ٣٣٠٣)، وأحمد (٦/ ٤٤).

(٢) في هامش (ن): الجزء (٥).

خلافًا لأبي حنيفة - رضي الله عنه - لإطلاق الأثر والحديث [(١)] وعند بعض السَّلف: البيع كالسبي، والحديث لا يساعده، كتب ذلك، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: أي: فرضه، ﴿عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾: إلا ما خصته السُّنَّة، ﴿أَن﴾: لأن، ﴿تَبۡتَغُواْ﴾: تطلبوا، ﴿بِأَمۡوَٰلِكُم﴾: نكاحًا وسراحًا لكونكم، ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾: عفيفين، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾: زنَّائين، ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: من جماع ولو مرة، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن إيتاء، ﴿فَرِيضَةٗۚ﴾: مفروضًا قيل: الآية في المتعة أي: النكاح المؤقت، ثم نُسخت يوم خيبر [(٢)] مؤبدًا، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾: من نقص أو زيادة في المهر، وعلى الثاني: أي: مريد مال مع وصال مدة، أو فراق بلا شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح، ﴿حَكِيمٗا﴾: في حكمه، ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾: غنى ﴿أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائر، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: ذكرها لبيان الأولى عند الأكثر، وحمل أبو حنيفة - رضي الله عنه -، الطول على ملك فراشهن، ﴿فَمِن﴾: فلينكح مما، ﴿مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾: إمائكم، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾: اللاتي لغيركم، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾: فاكتفوا بظاهر إيمانهن، ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾: أنتم وأرقاؤكم نسبًا ودينًا، فلا تستنكفوا عنها، ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾: مالكيهن، هذا لا يدل على أن لهن مباشرته، لأن عدم الاعتبار لا يوجب الإشعار، على أن المباشر قد يكون غير الأذن، ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنَّ، بإذن أهلهن أو المضاف محذوفٌ، أي: آتوا مالكهن، وعند مالك: المهر لهنَّ، ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بلا مَطْل ونحوه، ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: عفائف، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ﴾: مجاهرات بالزنا ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾: أحباب يزنون

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري قال: لما سبي رسول الله ﷺ أهل أوطاس، قلنا: يا رسول الله! كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وأزواجهن فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ رواه مسلم (١/ ١٦٨، ١٦٩) كتاب الرضاع - باب: جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، والترمذي (٢/ ٣٠٠/ ١٢٤١) وحديث: «ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة» رواه الترمذي (٣/ ٦٣)، وأبو داود (٢/ ٢٤٨/ ٢١٥٧) والحاكم (٢/ ١٩٥).

(٢) فالمتعة مما تكرر نسخه، كما قال القائل:

وأربع تكرر النسخ لها * * جاءت بها عَنِ النبي آثار

فَقِبْلةٌ ومتعةٌ وخَمْرةٌ * * كذا وضوء مما تمس النار

بِهِنِ سرًّا، جمع خدن، أي: صديق ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾: تزوجن ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾: بزنا، ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحرائر الأبكار، ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: الحد، وهو خمسون جلدة وتغريب نصف سنة، ولا رجم؛ لأنّه لا يُنصَّفُ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: نكاح الأمة، ﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ﴾: المشقَّة، أي: الوقوع في الزنا، وعن الحسن أنها الفسق، وأصلها[1]: انكسار العظم بعد الجبر[2]، ﴿مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾: عنه مع العفاف، ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾: في الحديث: «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه»[3]، وأيضًا: «من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج بالحرائر»[4]، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾: لمن يصبر، ﴿رَّحِيمٞ﴾ به ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ﴾: اللام صلة للتأكيد، ﴿لَكُمۡ﴾: ما خفي من الشرائع، ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: من الأنبياء، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾: يقبل توبتكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما قدّر ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ تأكيد ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الفُجّار، ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾: عن الحقّ، ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾: إلى الشهوات وفاقًا لهم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾: في شرائعه، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾: في الصبر عن الشهوات وعلى مَشاقِ الطاعات فيناسبه التخفيف، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: بالحرام كالسرقة، وكالصرف[5] في الزنا، ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾: كونها، ﴿تِجَٰرَةً﴾: صادرة، ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾: غير منهي عنه، وإنما خصَّها؛ لأن معظم التصرفات بها، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: بارتكاب المُحرَّمات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾: نهاكم عن المضار رحمة، ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾: من المحرمات ﴿عُدۡوَٰنٗا﴾: على الغير، ﴿وَظُلۡمٗا﴾: على نفسه لا جهلًا ونسيانا، وسفهًا، وعلى هذا لا

---

(١) أصل كلمة العنت.

(٢) عنت الدابة تعنت عنوتًا وعنتًا: إذا حدث في قواعها كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري.

* عمدة الحفاظ (٣/ ١٢٩).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٦٤٢) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٧٧) والضعيفة (٣٥٢٢): موضوع.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٨٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣١١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٨٨)، والضعيفة (١٤١٧).

(٥) إنفاق المال.

يرد أنه كيف قدَّم الأخصَّ على الأعمّ، إذ التجاوز عن العدل جَوْر ثم طغيانٌ، ثم تعد، والكل ظلم، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: ندخله، ﴿نَارًا﴾: عظيمة، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: الأقرب أنها[1] ما ورد فيه حدٌّ أو وعيدٌ شديد، كاللَّعْنِ، ﴿نُكَفِّرْ﴾: نمح، ﴿عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: صغائركم، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنة، وأما محو الكبائر ففي المشيئة، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: في الحظوظ الدنيوية، أو من قولكم نرجوا أن نكون في الثواب مع النساء كما في الميراث، وقولهن في الوزر كذلك، ونحن أحوج إلى تضعيف الحسنة لضعفنا[2]، ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾: من الجهاد وغيره، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾: من طاعة البعل ونحوها فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: من مطالب الدارين، لا ما للناس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾: فلا يعطي إلا المستحق، ﴿وَلِكُلٍّ﴾: لكل ميت، ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾: ورثة، (من) صلة ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾:، وبيان الموالي، ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: فلا يدخل الأولاد، ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ[3] أَيْمَٰنُكُمْ﴾: لعهودهم، أي: مولى الموالاة، وهو الحليف، ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: السُّدس، ونسخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾[4] الآية، وعن أبي حنيفة -رضي الله عنه-: لو أسلم كافر بيد مسلم وتعاقدوا على أن يتوارثا توارثا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: فخافوه، ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: قيام الولاة على الرعايا، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لكمال العقل والدين وغيره، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: من النفقة وغيرها، ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: قائمات بحقوق أزواجهن،

---

(١) يعني الكبائر.

(٢) عن أم سلمة -رضي الله عنها-: أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، قال مجاهد: فأنزل فيها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة رواه سعيد بن منصور (٤/ ١٢٣٦/ ٦٢٤)، والبيهقي في المعرفة (٦/ ٥٠/ ٥٣٠٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١/ ١٥٦) والطبري في تفسيره (٥/ ٣١)، وأحمد (٦/ ٣٢٢) وسنده صحيح.

(٣) كتبها: «عاقدت» وكتب في الهامش: حفص: «عَقَدت».

(٤) سورة الأحزاب (٦).

﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾: بحفظ ماله ونفسهن في غيبته، ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾: لهن عليهم من المَهْرِ وغيره، ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: بغضهن بترفعهن عن مطاوعتكم، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: أوّلًا، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: بترك المضاجعة والكلام والمجامعة ثانيًا، ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾: غيرَ شديد بالتأويل[1] ثالثا، وقيل: لا قصاص عليه فيما دون القتل، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: بالإيذان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾: فهو أقدر عليكم منكم على من تحتكم فخافوه، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أي: خلافهما، وأضاف تجوزًا، ﴿فَٱبْعَثُوا۟﴾: إن اشتبه عليكم حالهما أيها الحكام برضاهما، ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: يحكمان بينهما بالأصلح من الصلح والتفريق والأقارب أولى فيه، ﴿إِن يُرِيدَآ﴾: الحكمان، ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾: بين الزوجين، فإن من أحسن نيته أصلح الله أُمْنِيَّته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: بالظاهر والباطن، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: من الإشراك جليًا أو خفيًا، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: أحسنوا، ﴿إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: الأقارب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ والمسكين فاقد ما يكفيه وعياله ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الجامع بين الجوار والقرابة نسبا أو دينا، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الأجنبي نسبًا أو دينًا، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: كالزوجة والرفيق، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر والضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: رقيقًا أو حيوانًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبرًا، ويقال لمن يظن أن له بماله كرامة، ﴿فَخُورًا﴾: بحسب أو نسب على المسلمين، ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: وفي الحديث: «لم يجتمع البخل والإيمان في قلب»[2]، ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: بتخويفهم من الفقر، ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من الغنى والعلم وغيره شحًا، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾: بنعمنا أي: لهم وقيل: أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، ﴿عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ﴾: لمراءاة،

---

(١) كذا.

(٢) يروى: «لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن» رواه ابن عدي (٥/ ١٩٦٦) وسنده ضعيف وأصح منه عن أبي هريرة: «لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والشح» رواه أحمد (٢/ ٢٥٦، ٤٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨١)، والنسائي (٦/ ١٣) وسنده صحيح.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: لا لوجه الله، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾: مثلهم، ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾: الشيطان، ﴿وَمَاذَا﴾: أي: ضرر، ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أخر الإيمان في الأول؛ لأنه للتعليل، وقدمه هنا؛ لأنه المقصود بالذات، على أنه لما أمر بالإنفاق نبه على أنه لا يعتد به إلا بعد الإيمان، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾: أحدًا، ﴿مِثْقَالَ﴾: زنة، ﴿ذَرَّةٍ﴾: جزء من أجزاء الهباء بتنقيص ثواب، أو مزيد عذاب، ﴿وَإِن تَكُ﴾: المثقال، أنث باعتبار المضاف إليه، أو باعتبار، ﴿حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾: ثوابًا، ﴿وَيُؤْتِ﴾: صاحبها، ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾: من عنده تفضلًا، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: كالجنة، ﴿فَكَيْفَ﴾: حال هؤلاء الكفرة، ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾: هو نبيهم يشهد بحالهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الشهداء والمؤمنين والأمم، ﴿شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ﴾: إذا جئنا بهم، ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ﴾: أن ﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ﴾: عليهم، ﴿ٱلْأَرْضُ﴾: بأن يدفنوا كالموتى أي: لو يسوون بالأرض، بجعلهم ترابًا، ﴿وَ﴾: الحال أنهم، ﴿لَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾: لشهادة جوارحهم عليهم بعد قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟﴾: اجتنبوا، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: نفسها أو مواضعها، ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾: بنحو نوم أو خمر من السَّكْرِ[2]، وهو السَّدُّ؛ لسد بخار المعدة قُوى الفكر، وليس هذا نهي السكران عن قربها حتى يكون نهيًا لمن لَا يَعْقل، بل نهي عن سكر مانع عنها مثل: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]، وفيه تنبيه للمصلي على تجرده عما يلهيه، ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾: مسافرين عند فقد الماء، أي: بعد التيمم، وعلى تقدير مواضعها فمعناه: مجتازين فيها كما هو مذهب الشافعي[4]- رضي الله عنه ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾: من الجنابة دل على أن التيمم لا يرفع الحدث، ﴿وَإِن كُنتُم﴾ جنبًا ﴿مَّرْضَىٰٓ﴾: بحيث يضركم استعمالُ الماء، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: طويل أو قصير، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾:

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) بفتح السِّين المهملة وسكون الكاف، وهو السَّدُّ والإغلاق. اهـ.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الوسيط (٢/ ٥٧).

المطمئن من الأرض، وهو كناية عن الحدث الأصغر، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ﴾: مسستم حقيقة[1] جامعتم مجازًا، وكذا: لمستم، فحملها الشافعي على الحقيقة، وكذا عن المالكية والحنابلة، ولكن يشترطون كونها بشهوة، والحنفية على الجواز وكذا: لمستمُ ﴿ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾: كناية عن عدم الممكن من استعماله، وإن وُجِد حسًّا، وهو قيد للكل، واستغنى بتفصيل حال الجنب من المرض والسفر عن حال المحدث، ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصدوا، ﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، ﴿طَيِّبًا﴾: طاهرًا، ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: إلى المرافق؛ لظاهر اللفظ وللحديث، وللقياس على الوضوء ويشترط تعلقه باليد لقوله في المائدة ﴿مِّنْهُ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: يسهل ويرخص، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: يسيرًا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التواره[2]، ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: بالهدي، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: الحق، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾: منكم، وقد أعلمكم فاحذروهم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: الباء صلة، ﴿وَلِيًّا﴾: يلي أمركم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾: لكم، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: قوم، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يميلون، ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: مفرد بمعنى الكلمات، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: بإزالة بعض وإثبات غيره، أو بتأويلها بمشتهاهم كما مر، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ قالًا[3] ﴿سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿وَ﴾ حالًا ﴿عَصَيْنَا﴾: أمرك، ﴿وَٱسْمَعْ﴾: حال كونك ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: مكروها، أو لا سمعت، فهذان وجهان، ﴿وَرَٰعِنَا﴾: ارعنا سمعك مريدين الشتم كما مر، ﴿لَيًّا﴾ فتلًا[4] ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾: واللَّيُّ: صرف الكلام إلى ما يشبه السب، ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾: بتحقيره - ﷺ -، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: لا عصينا، ﴿وَٱسْمَعْ﴾: دون غير مسمع، ﴿وَٱنظُرْنَا﴾: دون راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: أعدل، وهذا من قبيل أصحاب الجنة، ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾: إيمانًا، ﴿قَلِيلًا﴾: ببعض كتابهم، أو إلا قليلًا منهم كابن

---

(١) في (ع): أو جامَعْتُم.

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابله.

(٣) في (ن): مآلًا.

(٤) كذا، والمراد: قلبًا.

سلام وأضرابه[١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحُو عينها وأنفها، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فلهم عينان من القفا يمشون قهقرى، قيل: سيقع لهم عند نزول عيسى، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: أي: الذين على طريق الالتفات، ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾: بمسخهم قردة وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: ما أراد حصوله، ﴿مَفْعُولًا﴾: لا راد له، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: مغفرته، وإن لم يتب[٢]، وتقييد المعتزلة الموضعين بالتوبة وعدمها تقييد بلا دليل على أن التعليق بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب والغفران، وجعلهم يغفر عطفًا على المنفي من التحريف، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾: فعل، ﴿إِثْمًا عَظِيمًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾: بقولهم: نحن أبناء الله ونحوه، ومثلهم من يزكي نفسه بلا ضرورة شرعية بل في الحديث: «إن كان أحد مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه ولا أزكي على الله أحدًا»[٣]، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾: فإنه العالم بالحقائق، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: قدر ما في شق نواة أو ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في تزكية أنفسهم، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾: بالافتراء، ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: قليلًا، ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: صنمين لقريش[٤] سجدوا لهما، ليأتمنهم قريش في المخالفة، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: حين سألوهم: أديننا خير أم دين محمدٍ؟ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾: يمنع عذابه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿لَهُمْ﴾: أي: مالهم، ﴿نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾: إذ زعموا أنه سيصير الملك إلى اليهود، وإن ملكوا، ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ

---

(١) الوسيط (٢/ ٦١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

(٢) يعني يكون في المشيئة.

(٣) عن أبي بكرة قال: مدح رجل رجلًا عند رسول الله ﷺ فقال النبي - ﷺ -: «ويحك! قطعت عنق صاحبك» مرارًا، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانًا، ولا أزكي على الله أحدًا» رواه أحمد (٥/ ٤١)، والبخاري في صحيحه (٦٠٦١)، وفي الأدب المفرد (٣٣٣) ومسلم (٣٠٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/ ٤٦١)، تفسير الرازي (١٠/ ١٢٨)، ابن كثير (١/ ٥١٢)، الوسيط (٢/ ٦٦).

﴿ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾: قدر نقرة في ظهر النواة[١] من شُحّهم فكيف بحال فقرهم، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾: محمدًا وصحبه، ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: من النبوة والنصرة، والحسد شر من البخل، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: كداود وسليمان، ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: فلا يبعد أن يؤتى محمدًا مثلهم، ﴿فَمِنْهُم﴾: من آل إبراهيم، ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بإبراهيم، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُ﴾، مع أنه منهم، فكيف بنبي ليس إسرائيليًا، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: نارًا مسعورة لعذابهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾: ندخلهم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: أي: من مادتها، والصورة تتبدل في كل ساعة مائة وعشرين مرة[٢]، فلا يرد أنه كيف يعذب جلودًا لم تعص، ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: غالبًا، ﴿حَكِيمًا﴾: في معاقبته حكم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من كل دنس، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: للتأكيد أي: دائمًا، وهذا مجاز كناية عن المستقر الطيب، إذ لا شَمْس ثمّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾: عمومًا قال ابن عباس[٣]: هو في كُلِّ مؤتمن على كل شيء، وإن نزلت[٤] في رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ابن عم شيبة الذين في نسله الحجابة الآن، لا عثمان ابن أبي طلحة، وأمانته سدانتها ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾: نعم شيئًا، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾: لأقوالكم، ﴿بَصِيرًا﴾: بأفعالكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾: الحكام إذا أمروا بطاعة أو العلماء، ﴿مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾: أنتم وأولو الأمر، ﴿فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: كتابه، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: في حياته وسنته بعده، وهذا لا ينافي القياس؛ لأنه رد إليهما بالتمثيل والبناء عليهما، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ﴾: الرد، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٩٤).

(٢) الكشاف (١/ ٥٢٢) هامش، وسنده ضعيف.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٩٢، ٤٩٣).

(٤) تاريخ مكة- للأزرقي (١/ ١٠٣، ١١١)، الوسيط (٢/ ٧٠).

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾: هو منافق تخاصم مع يهودي[١]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: معناه هنا: غير الله ورسوله إذ دعاه اليهودي إلى النبي - ﷺ- وهو دعاه إلى كعب بن الأشرف، فلما حكم عليه النبي ما رضي بحكمه وقال: نتحاكم إلى عمر، فتحاكما إليه وأخبراه بالقصة، فلما عرفها قتل المنافق فسمي فاروقًا[٢]، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾: بالطاغوت، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: لا يمكنهم الرجوع فيه إلى الحق، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ﴾: أبصرت، ﴿الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون ﴿عَنكَ صُدُودًا﴾: إعراضًا بالكلية ﴿ فَكَيْفَ﴾: حالهم، ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: كقتل عُمر ذلك المنافق، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من الإعراض عنك، ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ أي: قوم المنافق معتذرين أو طالبين بدمه، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَا﴾: بالتحاكم إلى عمر، ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾: الفصل بالوجه الأحسن، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: بين الخصمين لا مخالفتك، ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن عقابهم، ﴿وَعِظْهُمْ﴾: انصحهم، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾: أي: سرًا ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾: مؤثرًا، فإنَّ نصح السرِّ أنجح[٣]، وأصله: قولٌ يُطابق مدلوله المقصود به، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: لحكمه، ﴿بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿اللَّهِ﴾: في طاعته، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: كالتحاكم إلى غيرك، ﴿جَاءُوكَ﴾: تائبين، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: أظهره تعظيما، ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۞ فَلَا﴾: صلة لتأكيد القسم، ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختلف، ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضيقا، ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا﴾: ينقادوا لأمرك، ﴿تَسْلِيمًا ۞ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾: كبني إسرائيل، ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾: المكتوب، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: من

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٩٦، ٩٧، ٩٨) والمروزي في الصلاة (٢/ ٦٥٨/ ٧١١) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الثعلبي في تفسيره (٢/ ٤٩٧/ ٣٧٣/ الفتح السماوي) وهو موضوع.

* وانظر تخريج أحاديث الكشاف- للزيلعي (١/ ٣٣٠)، العجاب (٢/ ٩٠٣)، فتح الباري (٥/ ٣٨).

(٣) وكما قيل: النصيحة على الملأ فضيحه.

إطاعة محمدٍ عليه الصلاة والسلام، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: لإيمانهم، ﴿وَإِذًا﴾: والله، ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: يصلون به إلى الفلاح، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: من غيرهم، ﴿وَحَسُنَ﴾: كُلُّ من ﴿أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾: هذا يقال للواحد والجمع كالصديق[1]، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المرافقة، ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾: بالمطيع، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: آلته كالسلاح واحذروا من أعدائكم، ﴿فَانفِرُوا﴾: اخرجوا إلى الجهاد، ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرِّقة، جمع ثبة، ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾: مجتمعين، أي: بادروا كيف ما أمكن، ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتثاقل عن الجهاد، أو يبطئ غيره، وهم المنافقون، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: كقتل، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضرًا، ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: كغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن﴾: كأنه، ﴿لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: بل لم تحبوا إلا المال، والجملة معترضة، أي: ليقولن، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نصيبًا وافرًا من الغنيمة إن بطأ هؤلاء، ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: رد لمن قال: قد أنعم الله عليَّ - إلى آخره، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الذين منعهم الكفار عن الهجرة، ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: جمع وليد أو ولد شاركوهم في الدعاء ليستجاب ببركتهم، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: مكَّة، ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾: المُشركون ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: يلي أمرنا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾: فأجيب بهجرة بعضهم وفتح مكة، واستعمال عتَّاب بن أسيدٍ عليهم وحمايته لهم، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: الشيطان، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ﴾ مكر ﴿الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: بالنسبة إلى كيد الله، وأما عظم كيد النساء فبالنسبة إلينا إلى مكرنا، على أنه من كلام عزيز

---

(١) ليست في (د).

مصر[١]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: عن قتال مشركي مكة حين التمسوا قتالهم وكانوا ضعفاء[٢]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: بالمدينة وهم أقوياء، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾: الكفار، ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾: أي: مثل خشيتهم لله، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: أي خشية أشدَّ من خشيته ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هلَّا، ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: الموت، ﴿قُلْ مَتَٰعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: من كلِّ الوجوه ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: كما مرَّ، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: حُصُونٍ، ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾: مرفعة أو مبنية - بالشيد أي: الجصّ - مُحْكمة لأدرككم الموت، فلم يقولُ المنافقون في قتلى أحد: ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا﴾ إلى آخره[٣] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمة، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاء، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾: يا محمد تشاؤمًا بك، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: بإرادته وإيجاده، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: كالبهائم، وهو القرآن، فإنهم لو تدبروا فيه لعلموا أنَّ الكل من الله، ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾: يا إنسان، ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: نعمة، ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾: تفضُّلًا، فإن جميع طاعتك لا تكافئ نعمة الوجود، قيل وإنما قال من الله، وفي الأول من عند الله؛ لأنه أعم من مرضية وغير مرضية، وهذا في مرضية فقط، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بلية، ﴿فَمِن﴾: شُؤم ذنب نفسك يوصله الله تعالى إليك بسببه مجازاة، فحاصله: إن نظرت إلى الفاعل الحقيقي فالكل منه، وإن نظرت إلى الأسباب فما هي إلا من شؤم، ﴿نَّفْسِكَ﴾: لا من مُحمَّدٍ، واعلم: أنها نزلت في قوم لينالوا غنى[٤]، ثمَّ لمَّا نالهم مكروهٌ تطيروا بمحمد - ﷺ - ولما نالهم محبوب نسبوه إلى الله تعالى[٥]، فذلك الحسنة والسيئة ليسا بمعنى الطاعة والمعصية، ولذا لم يقل: ما عَمِلْتَ وما

---

(١) في نسخة (ن)، و(د): غير الله.

(٢) رواه النسائي (٦/ ٢، ٣/ مجتبى) والطبري في تفسيره (٥/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٠٥/ ٥٦٣٠) وسنده حسن.

(٣) العجاب (٢/ ٩١٩) بإسناد واهٍ بل موضوع من خرافات الكلبي.

(٤) كذا في (ن)، وفي (د): غنى.

(٥) الوسيط (٢/ ٨٤).

فسرت به الآية، يظهر بطلان مذهب الجبرية المتعلقين بالآية الأولى، والقدرية المتعلقين بالثانية، وشبهة التناقض بينهما، وشبهة من يقول: الآية لا تدفع مقالتهم، فإنهم جعلوه - ﷺ - واسطة للشر لا مبدأ، والآية تثبت أنه تعالى مبدأ للكل، إذ الآية الثانية تردهم، وقد بان أن لا حجة فيه للسنية[1]، ولا للجبرية ولا للقدرية، ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾: يا محمد، ﴿لِلنَّاسِ﴾: كلهم، ﴿رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: على رسالتك، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: عن طاعته، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: عن المعاصي، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المنافقون إذا أمرتهم بأمر: أَمْرُنا ﴿طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾: خَرَجُوا، ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ﴾: دَبَّر، ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾: من قولهم: طاعة أي: في تبييتهم وسرهم، يضمرون خلاف جهرهم، ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾: في صحائفهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾: يُدبِّرونَ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: المنتقم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: في كفاية شرهم، قيل: نسخت بآية القتال، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾: كما زعموا، ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾: على ما دل عليه الاستقراء، فلا يكون كله في طبقة البلاغة، وصادقًا في الإخبار عن الغيب، والحال أنه ليس فيه اختلاف قليل، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾: كفتح، ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾: كهزيمة، ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أفشوه كما فعله بعض ضعفه المسلمين قبل أن يتكلم به النبي وذووا الرأي من صحبه مع ما فيه من المضارِّ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: أي: ذلك الخبر، ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾: ذوي الرأي، ﴿مِنْهُمْ﴾: من أكابر الصحابة، وسكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾: الخبر أنه مما يذاع أم لا، وعلى أيِّ وجهٍ يذكر ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يستخرجون علمه ﴿مِنْهُمْ﴾: من جهة الرَّسُول، وأولي الأمر، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: بالهداية بالرسول، ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: والضلال، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: منكم ممَّن اهتدى بعقله الصَّائب كقُسِّ بن ساعدة قبل بعثة النبي - ﷺ - لا يقال مقتضاه عدم اتباع أكثر الناس للشيطان، والواقع خلافه، وفي الحديث: «الإسْلامُ في الكُفْر كالشَّعْرة البيضاء في الثَّوْر

---

(١) بل هي حجة لنا أهل السنة على الجبرية والقدرية في خلق أفعال العباد وللبخاري مصنف ماتع فيه والمؤلف أشعري المعتقد.

الأسود»[1] لأن الخطاب للمؤمنين، ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ولو وحدك، ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ فعلًا من الأفعال ﴿إِلَّا نَفۡسَكَ﴾: أي: إلا فعلها، فجاهد وإن لم يساعدك أحد، وهذا لا ينافي بعثه لتكليف الناس؛ لأنه ما عنى به ذلك بل هو من قوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾[2] إلى آخره، ويؤيد ذلك:، ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾: على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ﴾: شِدَّةَ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾: ووفّى به في البدر الصغرى[3]، بإلقاء الرعب في قلوبهم، إذ عسى من الكريم موجب، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا﴾: صولة، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾: عُقُوبةً، ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ﴾: كجلب نفع مسلم، أو دفع ضره أو دعاء بالخير له، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾: وهو ثواب الشَّفاعة، وفي الحديث: «مَنْ دَعَا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال له المَلَكُ: ولك مِثْلُ ذلكَ»[4]، ﴿وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ﴾: لا تجوز شرعًا، ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ﴾ نصيب؛ ﴿مِّنۡهَاۗ﴾: من وزرها، قال في الحسنةِ: نَصيبٌ، لإطلاقه على القليل والكثير، وفي السيئة: كِفْلٌ؛ لأنه إنما يقال في المثل وفي الردىء، وأما: «يؤتكم كفلين» فمعناه: كفلين من رحمته يكفلان لكم من العذاب، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾: مقتدرًا من قات: قدر ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾: سُلِّم عليكم ﴿بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾: زيدوا عليها نحو: «ورحمة الله وبركاته»، ولا يزاد عليها اتباعًا، ولا ستجماعها أقسام المطالب السلامة عن المضار، وحصول المنافع وثباتها، ﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾: بلا زيادة وهو واجب على الكفاية حيث شرع السلام، وفُسِّرتْ بالهَدِيَّة[5] أيضًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾: يحاسب فيجازي، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾: والله، ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ ليحشرنكُمْ ﴿إِلَىٰ﴾: في، ﴿يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾: في اليوم أو الجمع، ﴿وَمَنۡ﴾ لا ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾: إذ غيره يجوز عليه الكذب عقلًا، ﴿فَمَا لَكُمۡ﴾: تفرقتم، ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾: كابن أبي، ﴿فِئَتَيۡنِ﴾: فرقتين، فرقة على كفرهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه- بنحوه.

(٢) سورة المائدة.

(٣) كذا- والمرادُ: غزوة بدر الصُّغرى.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٧٣٢)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٥٣٤).

(٥) في (ن): الهدَاية، وهو خطأ.

وقتلهم وفرقة على إسلامهم، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ رَدَّهُمْ إلى الكفر ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾: من المعاصي، ﴿أَتُرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَن تَهْدُواْ﴾: تعدُّوا مُهْتديًا، ﴿مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: إلى الهدى، ﴿وَدُّواْ﴾: هَؤُلاء، ﴿لَوْ﴾: أنْ، ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ﴾: أنتم وهم، ﴿سَوَآءً﴾: في الكفر، ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾: بأن يقاتلوا، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: عن الهجرة وأظهروا الكفر، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يلجؤون منهم، ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: أي: عاهدوكم، فحينئذٍ حكمهم ﴿أَوْ﴾: الذين، ﴿جَآءُوكُمْ﴾: قد، ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت، ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾: كبني هاشم خرجوا مع المشركين يوم بدر، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾: لكن بلطفه ضيق صدورهم عنه وكفهم، ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الانقياد، ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: في أخذهم وقتلهم، ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾: من المنافقين، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾: أي: يأمنوا قتلكم إياهم، وأخذكم أموالهم، ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ﴾: دعوا وداعيهم قومهم، ﴿إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾: الشرك، ﴿أُرْكِسُواْ﴾: قلبوا، ﴿فِيهَا﴾: ومركسهم نفسهم وشيطانهم فلا تكرار، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ﴾: لم، ﴿يُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾: الانقياد، ﴿وَ﴾: لم، ﴿يَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن قتالكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾: حُجَّةً واضحة في قتالهم لعداوتهم، ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صَحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا﴾: قتلًا، ﴿خَطَـًٔا﴾: ﴿إِلَّا﴾ بمعناها[1] وقيل بمعنى: و((لا)) نحو: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[2]، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[3]، وأراد بالخطأ أعَمّ من الخطأ المحض كما لم يقصد إلى الفعل أو إلى الشخص، ومن شبه العمد كقتله بما لم يقصد به القتل غالبًا، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ﴾: فعليه إعتاق، ﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: وأما في العمد فثبت بالسنة، ﴿وَدِيَةٌ

---

(١) قال الواحدي في الوسيط (٢/ ٩٤): جميع أهل النحو والمعاني على أن هذا استثناء منقطع من الأول على معنى: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنًا ألبتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة العنكبوت.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: مؤداة ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾: الورثة دائمًا ﴿إِلَّآ﴾: حين، ﴿أَن يَصَّدَّقُواْ﴾: بالعفو فحينئذٍ لا دية، وعيَّنت السُّنَّة قدرها ﴿فَإِن كَانَ﴾: المقتول ﴿مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ﴾: كُفَّارٌ ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: بلا دية لعدم الوراثة بين المسلم والكافر، ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾: كالذمي والمعاهد، ﴿فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾: لعله فيما إذا كان المقتول معاهدًا أو مسلمًا وله وارثٌ مُسلمٌ ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾: الرقبة وثمنها، ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾: شرع ذلك ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بكُمْ، ﴿حَكِيمٗا﴾: فيما حكم عليكم ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾: أراد بالخلود: المُكْث الطويل تجوُّزًا، أو خصَّت الآية بعدم التوبة لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾[1] إلى آخره ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ﴾[2] إلى آخره، ويؤيده أن نزولها في مِقْيس بن صبابة، وجد أخاه[3] قتيلًا في بني النجار فحكم النبيُّ عليه الصلاة والسلام بديته، فلما أخذ قتل مسلمًا ورجع إلى مكة مرتدًّا[4]، أو معناه: أن هذا جزاؤه، لكن قد يكون له معارض من عمل يكون سببًا للعفو، كذا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا أو موقوفًا، ودلَّت الآيات والأحاديث على قبول توبته، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ﴾ سافرتم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: للجهاد، ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾: اطلبوا بيان الأمر، ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾: الانقياد أو حياكم بالسَّلام ﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾: وإنما فعلته خوفًا ﴿تَبۡتَغُونَ﴾: أي: مبتغين، ﴿عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: حطامها، بأن تقتلوه وتأخذوا ماله، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞ﴾: يغنيكم بها عَنْهُ، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾: لم يعلم منكم الإسلام إلا بعلامة،

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة النساء.

(٣) هشام بن صبابة بن سيار بن عبد الله الكناني الليثي، قتل سنة ست في غزوة ذى قرد مسلما.
وقال ابن منده: قتل في غزوة بني المصطلق. * أسد الغابة (٥/ ٤٠٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٣٧، ١٠٣٨/ ٥٨١٦) وسنده ضعيف ومِقْيَس- بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بالاشتهار، ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾: تأكيدًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: عالما بأغراضكم فاحتاطوا، ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَٰعِدُونَ﴾: عن الحرب، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ﴾: بعذر، ﴿دَرَجَةً﴾: بدرجة عظيمة، ﴿وَكُلًّا﴾: منهما، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾: الجنة والثواب، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ﴾: بلا عذر، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾: والمزية الدرجة؛ لكونهم بلا عذر بخلاف الأولين، ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: بعدَ مساءَتهم[1]، ﴿رَّحِيمًا﴾: لهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾: تتوفاهم، ﴿الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملك الموت وأعوانه، نزلت فيمن قتلتهم الملائكة يوم بدر تكلموا بالإسلام وخرجوا مع المشركين تكثيرًا لسوادهم، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: بترك الهجرة، ﴿قَالُوا۟﴾: الملائكة توبيخًا، ﴿فِيمَ﴾: في أي: شيء، ﴿كُنتُمْ﴾: من الدين حيث ما هاجرتم[2]، ﴿قَالُوا۟﴾: اعتذارًا، ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزين، ﴿فِى الْأَرْضِ﴾: عن الهجرة وإظهار الدين، ﴿قَالُوٓا۟﴾: تبكيتًا، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾: إلى جانب آخر يمكن فيه إظهار الدين، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: لإعانتهم الكفار، ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ﴾: فيه تنبيه على أنه يجب على وليهم الهجرة بهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: أسباب السفر، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: لا يعرفون، ﴿سَبِيلًا﴾: إلى بلد الإسلام، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ نبَّهَ على خطَر الهجرة، بحيث يحتاج المعذور إلى العفو، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾: تمتعًا يراغم به الأعداء، وتحوُّلًا من أرض إلى أرض في الرغام، ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾: في الطريق، ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبت، ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ﴾: من حيث الوعد ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: له، ﴿رَّحِيمًا﴾: به يثبت بمجرد النية، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم قدر أربعة بُرُدٍ[3]؛ للسُّنَّة[1]،

---

(١) كذا في (ن)، و(د): بعد مساءتهم.

(٢) في (ن): هجرتم.

(٣) البرد جمع بريد، والبريد أربعة فراسخ والبريد عند الحنفية والمالكية: (٢٢٢٦٠) مترًا وعند الشافعية والحنابلة: (٤٤٥٢٠) مترًا. * المكاييل والموازين الشرعية – د/ علي جمعة محمد ص ٣٦، ٣٧.

وعند الحنفية ستة برد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: حرج في، ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾: بتنصيف ركعات الرباعية، وظاهره الجواز خلافًا للحنفية، وصَحَّ أنه -ﷺ- أتمَّها[٢] وأقر إتمام عائشة[٣] -رضي الله عنها-، وقول عمر -رضي الله عنه-: «صلاةُ السَّفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم»[٤]: فمعناه أنه كالتمام في الإجزاء، وقول عائشة -رضي الله عنها-: «أول مَا فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأُقرَّت في السَّفر وزيدتْ في الحضر»[٥] لا ينفي جواز الزيادة، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾: ينالكم بمكروه، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: شرط خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كنظائره، وقد نطق به أحاديث كثيرة أو: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ ابتداء كلام، وجوابه محذوف، نحو: فاحتاطوا، يدُلُّ عليه، ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾: حاضرًا، هذا جارٍ على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له، ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾: اجعلهم طائفتين، ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾: فصَلِّ بهم، والأخرى تجاه العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾: المُصلُّون أو الحارسون، ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾: حزمًا، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي: صلُّوا وأتمُّوا الصلاة، ﴿فَلْيَكُونُوا﴾: المصلون، ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾: حارسين، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا﴾: المصلون أو الحارسون، ﴿حِذْرَهُمْ﴾: تحرُّزهم، وهذا استعارة عن الآلة وفيه مبالغة، ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾: ولا يرد أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في الأخذ، وظاهرها صلاة الإمام مرتين كصلاته -ﷺ- ببطن النخل، وإن أريد أن يُصلي بكلٍّ ركعةٍ في الثنائية، فيصلي بالأولى ركعة،

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٢٨٧)، والبيهقي (٣/ ١٣٧) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الدارقطني (٢/ ١٨٩) كتاب الصوم - باب: القبلة للصائم - الحديث (٤٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٤٣).

(٤) عن كعب بن عجرة عن عمر قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، والفطر والأضحى ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ. * أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٧٣/ ١٠٦٤)، والنسائي في سننه (٤٩٥/ كبرى)، وابن خزيمة (١٤٢٥)، والبيهقي (٣/ ١٩٩) وسنده صحيح.

وعن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: فرض الله - تعالى - الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة. * أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦٧، ٢٦٨) كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب التاريخ (٤٨)، الحديث (٣٩٣٥).

وينتظرها قائمًا ليتموا منفردين ويذهبوا إلى العدو فيتم بالأخرى الثانية وينتظرهم قاعدًا ليسلم بهم، كفعله - ﷺ - بذات الرقاع[١]، وروي في كيفيتها ستة وجوه أو سبعة[٢] بسطوها في الفقه، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾: عند صلاتكم بالقتال، ﴿مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾: مجتمعين، ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: لا وزر، ﴿عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾: لثقلها، هذا يؤيد القول بوجوب حملها[٣]، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: تيقظكم بكلِّ حالٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: غلبوا أو غُلبوا، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾: أردتم أدائها في اشتداد الخوف، ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾: صَلُّوا، ﴿قِيَامًا﴾: مُسايفين، ﴿وَقُعُودًا﴾: مُرامين، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مُثْخَنين، أو: إذا أديتم الصلاة فاذكروه في كل حال جبرًا لتخفيفاتها، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ [سكنت قلوبُكُم و] زال خوفكم، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: عدِّلوا أركانها، وعند الحنفية: لَا يصلي حتى يطمئن[٤] ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ﴾ للدَّوام ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾: مَفروضًا، ﴿مَّوْقُوتًا﴾: مَحْدود الأوقات، ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: لا تضعفوا، ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾: طلب قتال ﴿الْقَوْمِ﴾: الكفار، ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: بالجرح، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾: من الثواب والنصر لعدم اعتقادهم بالبعث، وما أنزل إليكم، ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: فلكم هذا المزيد، فكونوا أصبر، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بضمائركم، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٠) كتاب المغازي- باب: غزوة ذات الرقاع، ومسلم (٨٤٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب: صلاة الخوف.

(٢) قال الإمام ابن نور الدين الموزعي اليمني:
وقد صلاها النبي ﷺ بصفات مختلفة بحسب اختلاف المواطن والأحوال يبلغ مجموعها ستة عشر وجهًا - ثم ذكرها بالتفصيل. * تيسير البيان لأحكام القرآن- للموزعي (٣/ ١٦، ١٧).

(٣) اختلف أهل العلم في المجاهد: هل يجب عليه حمل السلاح حال الصلاة ؟ فقال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه: لا يجب.
* انظر: أحكام القرآن- للجصاص (٣/ ٢٤٦)، الأم (١/ ٢١٩)، الحاوي الكبير (٢/ ٤٦٨)، المغني (٢/ ١٣٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٥٠)، المبسوط (١/ ١٤٤)، الكافي - لابن عبد البر (١/ ٣٤)، المجموع - للنووي (٣/ ٢١)، المغني - لابن قدامة (١/ ٢٣٣).

لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ﴾: عرَّفك، ﴿ٱللَّهُ﴾: بالوحي، ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾: لأجلهم، كَطُعْمَةَ بن أبيرق إذ سرق دِرْع جاره، وأودعه عند يهودي، ثم اتهمه به[1]، ﴿خَصِيمًا﴾: للبرآء كهذا المتهم، ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: من إرادة خصومة البريء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لمن استغفره ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾: يخونون، ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: بالمعصية ويجعلونها خائنة كطعمة وعشيرته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: كثير الخيانة، ﴿أَثِيمًا﴾: منهمكًا في الإثم كطعمة، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: ذكر معاصيهم، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: والإخفاء عنه تركه، ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبرون، ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ﴾: الله به، ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: كرمي البريء، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: بالعلم فيجازيهم، ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الحمقى، يعني يا قوم طعمة، ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾: عن طعمة وعشيرته، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: إذا أخذهم، ﴿أَم﴾: بل، ﴿مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: مع غيره، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: فقط، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾: بالتوبة، ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: عن ابن مسعود أنها من أرجى الآيات.

لكن ما تاب طُعْمة ثم ارتد ثم نقب حائطًا ليسرق فسقط عليه ومات، ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: فلا يضر إلا نفسه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بفعله، ﴿حَكِيمًا﴾: في مجازاته، ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: كبيرة، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾: بأحدهما ﴿بَرِيٓـًٔا﴾ كما رَمي طُعْمَةُ [زيدًا] ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قوم طعمة، ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: عن القضاء بالحق، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: لأنك معصوم، وهم ارتكبوا، ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾: فإن الله يعصمك، ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: ومنه نبوتك، ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: هو سِرٌّ بَين اثنين ﴿إِلَّا﴾ استثناء منهم، أو إلا

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٢٤٤، ٢٤٦/ ٣٠٣٦) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٥/ ١٩٥٨) والطبراني في الكبير (١٩/ ١٦، ١٨/ ١٥) وسنده حسن.

نجوى، ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: هو ما يَسْتَحْسِنُهُ الشرع ولا ينكره العقل، ومنه الإعانة والصدقة والقرض، ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الأمر، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فكيف بفاعله، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: يخالف، ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾: الحق بمعجزاته، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كطعمة إذ هرب مرتدا بعد ما حكم عليه بقطع يده، ﴿نُوَلِّهِۦ﴾: نجعله واليًا ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾: من الضَّلال أي: نخليه وما اختار، ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾: ندخله، ﴿جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: هي، دلت على حرمة مخالفة الإجماع، وهذا إذا فسر سبيل المؤمنين بما هم عليه من الدين، وبسط بيانه في الأصول، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾: لمن لقيه مشركًا، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾: ولو مظالم بأن ألقى في قلب مظلومه عفوه كما صح في الحديث، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِن﴾: ما، ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾: بزعمهم إذ كانوا يزينون أصنامهم، ويسمونها أنثى بني فلان، أو ضعافا عجزة، ومنه: سَيْفٌ أنيثٌ، ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾: خارجًا بالكلية عن الطاعة، فإنهم أطاعوه بعبادتها ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: بَعَّده عن رحمته، (وقال) الشيطان نطقًا أو فعلًا كـ:

* امْتَلأَ الحَوْضُ، وقال: قَطْنِي[1] *

والله، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾: بإضلالهم، ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعا معينا، قيل: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين[2]، ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: عن الصواب، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾:

---

(١) صدر بيت من الرجز وعجزه:

* مهلا رويدًا قد ملأت بطني *

وهو بلا نسبة، ولا يعرف قائله، واستشهد به الكازروني على الكلام بلسان الحال.

* وانظر: إصلاح المنطق (٥٧، ٣٤٢)، الإنصاف (١٣٠)، أمالي المرتضى، تخليص الشواهد (١١١)، الخصائص (١/ ٢٣)، رصف المباني (٣٦٢)، سمط اللآلي (٤٧٥)، شرح الأشموني (١/ ٥٧)، شرح المفصل (١/ ٨٢)، (٢/ ١٣١)، (٣/ ١٢٥)، اللامات (١٤٠)، لسان العرب (٧/ ٣٨٢)، مجالس ثعلب (١٨٩)، المقاصد النحوية (١/ ٣٦١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠٦٩/ ٥٩٨١) من كلام مقاتل - وهو متروك.

بأنواع الغرور، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾: بالتبتيك، ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يشقون، ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: ويجعلون زكاتها حرامًا، ويسمونها بحائر[١]، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾: بتغيير خلق الله، ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾: صورة كالخصاء، والوَشْم، والوَشْر، أو صفة كتغيير الفطرة.

واعلم أن كل ما جعله كاملًا بفطرته، فجعَلَهُ ناقصًا بسوء تدبيره، فتغيير لخلقه وكذا كل ما خلقه لفضيلة فاستعمله في رذيلة[٢] كالشهوة في اللواط[٣]، ونتف اللحية[٤] ونحوه، وعدُّوا منه تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بإطاعته، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بتضييع رأس ماله الفطري، ﴿يَعِدُهُمْ﴾: ولا يفي، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾: ما لا يجدون، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو إيهام النفع فيما فيه الضر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلًا، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾: قولًا، ﴿لَّيْسَ﴾: الثواب ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: بتمنيكم أيُّها العربُ ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ولم يتب عنه ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾: ولو بمصائب الدنيا كما في الحديث[٥] ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفعان، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ﴾: بعض، ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون في أجرهم، ﴿نَقِيرًا﴾: قَدْر نُقْرة ظَهر نواة التمر، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾: انقاد، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آت بالحسنات، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: في أصول

---

(١) جمعُ بحيْرَة وسيأتي معناها في سورة المائدة.

(٢) يعني وضع الشيء في غير موضعه.

(٣) هو إتيان الذكران- والعياذ بالله.

(٤) وهو حلقها وهذا حرم إجماعًا.

(٥) رواه عبد بن حميد (٧/ المنتخب)، والترمذي (٥/ ٢٤٨/ ٣٠٣٩)، والمروزي في مسند أبي بكر (٥٧، ٥٩/ ٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٢٩، ٣٠/ ٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠٧١/ ٥٩٩٤) وسنده ضعيف لكن يشهد له ما في مسلم (٢/ ٤٨٢)، والترمذي (٤/ ٣١٤/ ٥٠٢٩)، والحميدي (٢/ ٤٨٥).

الدين، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الحق، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: صفيًا بكرامته ككرامة الخليل[1] عند خليله فإن الخلة ود يتخلل ويخالط النفس، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾: عِلمًا وقُدرة فيجازي الكل، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾: مِيراثِ ﴿النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: الإفتاء: تبيين المبهم، ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: يفتيكم وهو آيات المواريث حال كون المَتْلُوّ ﴿فِي﴾: شأن، ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: في ميراثهن أو صداقهن، ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾: في، ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: لمالهن وجمالهن، ولا تعطون صداقهن، ﴿وَ﴾: في، ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الصغار ﴿مِنَ الْوِلْدَانِ﴾: إذ كانوا لا يورثونهم كالنساء، ﴿وَ﴾: في، ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾: بالعَدْل، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾: ترَفُّعًا عن صحبتها كراهة، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: كَقِلَّةِ مُجالستها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: الزوجين، ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: بحطٍّ بعض المهر، أو القسم أو النفقة، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: من الفرقة أو من الخصومة لا بمعنى التفضيل، بل بمعنى أنه خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور إذ لا مُزكٍّ، ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾: شدة البخل، أي: هي مطبوعة عليه، لا تغيب عنه، أو الخصومة، وهذا تمهيد عذر في مُماكستها وفي عدم مسامحته معها بنفسه إذا أحب غيرها، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾: في العشرة، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: نقص الحقِّ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيثيبكم، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: إذ العدل: أنْ لَا يكون مَيلٌ البتة، ولا بد من تفاوت في المحبة والشهوة والجماع، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: على العَدْل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: إلى واحدة، ﴿فَتَذَرُوهَا﴾: الأخرى، ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: التي ليست بذات بعل ولا مطلقة، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾: بالعدل، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لما مضى من كل الميل أو بعضه، ﴿رَحِيمًا﴾ فلا يضيق عليكم وعلى الثاني، لا يقال هذا مغفرة لما لا يستطاع تركه؛ لأنه يمكنه الاحتراز عنه بترك تزَوُّجه لعدة منهن، فهو كجناية السكران، ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾: بالطلاق، ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾: منهما

-----

(١) في (ن): خَليل.

عن الآخر، ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾: فضله الواسع، من العجائب أنَّ الغنى عُلِّق بمتقابلين: بالتفرق هنا، وبالنكاح في النور[1]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾: فضله، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله كمال السعة، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَ﴾: وصينا، ﴿إِيَّاكُمْ أَنِ﴾ بأن، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: قائلين ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لا عليه كفركم ولا له شكركم، إنما وصَّاكم لصلاحكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾: عن خلقه، ﴿حَمِيدًا﴾: مستحقًّا للحمد وإن كفرتموه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله الغنى وله الحَمْدُ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: فتوكلوا عليه، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾: من الناس مكانكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۞ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: فلا يقتصرنَّ عليه، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا﴾: للأقوال، ﴿بَصِيرًا﴾: بالأعمال فيجازي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾: دائمي القيام، ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿شُهَدَآءَ﴾: خالصين، ﴿لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: وهو الإقرار؛ لأن الشهادة بيان الحق، ﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: فيشهد عليه بلا رهبة ورحمة، ﴿فَٱللَّهُ﴾: فشرعه، ﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: جنسي الغني والفقير من رهبتكم ورحمتكم، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: كراهة، ﴿أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾: ألسنتكم بتغيير الشهادة، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيجازيكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾: دُومُوا على إيمانكم، ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: القرآن، ﴿وَ﴾: جنس، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أي: بشيء من ذلك، ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: كاليهود بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: كعبادتهم العجل، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾: بعده، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾: ككفرهم بعيسى، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾: ككفرهم بمحمد - ﷺ -، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾: إلى الحق، لأنه يستبعد منهم التوبة، لا لأنها لا تقبل منهم أو معناه: من تكرر منه الكفر والإيمان لا يغفر له، وعن علي: يقتل ولا تقبل توبته، ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ ٱلَّذِينَ

---

(١) في قوله: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾: الغلبة على المؤمنين، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: لا يعز إلا من أعزه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في سورة الأنعام: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون...﴾ الآية (أن) أنه، ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: حال كونها، ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾: مع من يكفر ويستهزئ، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾: غير حديث الكفر والاستهزاء، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: لقدرتكم على الإعراض، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾: كاجتماعهم على الاستهزاء هنا، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون وقوع أمر ﴿بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾: فأعطونا الغنيمة، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظَّفر عليكم، غير الأُسلوب تحقيرًا لهم ﴿قَالُوٓا۟﴾: للكافرين، ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نستول بالممكن من القتل والأسر، ﴿عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم﴾: نحجبكم، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بتثبيطهم عنكم، وعدم نصرتهم، ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ببواطنكم، ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالحجة، أو ظهورًا كليًّا في الدنيا، وفيه دليل فساد شراء الكافر المسلم، ودليل الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد، وردوا بأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد قبل العدة، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: بزعمهم، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾: مجازيهم على خداعهم، ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين كالمكره، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾: ليحسبوهم مخلصين، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: مطلقًا، أو لا يصلون، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: بحضرة الناس ولو أخلصوا في القليل لكان كثيرًا، ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مترددين، ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الكفر والإيمان، ﴿لَآ﴾: منضمِّين، ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المؤمنين، ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الكافرين، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: إلى الهداية[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كالمنافقين، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً، ﴿مُّبِينًا﴾: واضحًا على نفاقكم، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾: الطبقة السابعة وهي توابيت من حديد مقفلة في النار[2] أو بيوت مقفلة عليهم توقد من

---

(١) في (ح): إلَّا الهَاوِيَة.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٣٩)، فتح الباري (٨/ ٢١٤)، الوسيط (٢/ ١٣٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٠).

فوقهم، ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: لضمهم الاستهزاء أو الخديعة إلى الكفر وقد مر بيان الدرجة والدركة.

واعلم أن حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق»[1] ونحوه من باب التشبيه والتغليظ، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: يخرجهم منها، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: من النفاق، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: العمل، ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟﴾: وثقوا، ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: بلا رياء، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في الحشر، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فيشاركونهم فيه، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾: نعمته، ﴿وَءَامَنتُمْ﴾: فإنه الغني المطلق، وأما معاقبة الكافر فلأنَّ إصراره كسُوء مزاج يُؤدِّي إلى مرضٍ، فإذا زال بالإيمان أَمِنَ من تبعته، وعطف الخاص[2] على العام[3] اهتمامًا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾: لأعمالكم ولو قَلَّتْ، ﴿عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿لَّا يُحِبُّ[4] ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا﴾: جهر، ﴿مَن ظُلِمَ﴾: بالدعاء على ظالمه وقيل: الجهر بالسوء دائمًا مبغوض، فإلا بمعنى: ((ولا)) كما مَرَّ في «إلا خطأً»، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾: لدعائه، ﴿عَلِيمًا﴾: بفعل الظالم، ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾: برًّا، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾: من أخيكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: على الانتقام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: بالإيمان به والكفر بهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾: منهم، ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الكفر والإيمان، ﴿سَبِيلًا﴾: واسطة، ولا واسطة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾: ثابتًا بلا شك، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: في

---

(١) يشير إلى حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر، وقال: إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». رواه أحمد (٢/ ٥٣٦)، والبيهقي (٦/ ٢٨٨)، والخطيب (١٣/ ٤٣٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٥٤).

* قلت- أبو الحسن-: ولا أدري لماذا يلجأ الكازروني إلى الضعيف مع وجود أحاديث صحيحة كثيرة تدل على المراد.

(٢) الشكر.

(٣) الإيمان.

(٤) في هامش (ن): الجزء (٦).

الايمان به، ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لهم، ﴿رَحِيمًا﴾: بهم، ﴿يَسْأَلُكَ﴾: تعنتًا، ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾: جُملة بخطٍّ سماوي كالتوراة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ﴾: فلا عجب منهم، ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عيانًا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: نار من السماء، ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: وهو تعنتهم في السؤال، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: إلهًا، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: المعجزات، ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ﴾: بقبول توبتهم، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا﴾: تسلُّطًا، ﴿مُبِينًا﴾: عليهم مع نهاية عنادهم، فيه بشارة بنصرة حبيبه عليه الصلاةُ والسلامُ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾: حين أبوا قبول أحكام التوراة، ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾: بسبب ميثاقهم ليقبلوه، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾: ابتداء، ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: تواضعًا كما مَرَّ ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾: لا تظلموا باصطياد السمك ﴿فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾: أي: فعلنا بهم ما فَعَلْنا بنقضهم، ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: المعجزات، ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلم كما مر ومتعلق الباء فعلنا بهم ما فعلنا ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: رَدٌّ لما قالوا، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: منهم المذكور، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: بعيسى عطف على نقضهم ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾: الزنا، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾: أي: بزعمه، أو وصفوه به استهزاءً، أو وصفه تعالى تعظيما، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: وقع لهم التشبيه بين عيسى وشاب من أنصاره أو طيطانوس[1] اليهودي الذي قصد قتله وذمهم به لتبجُّحِهم به، لا لقولهم هذا حسب حسبانهم، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: قال بعضهم: قتلناه، وقال آخر: بل وجهه وجهه، وبدنه غير بدنه، وآخر: هو ابن الله رفعه إليه، وآخر: صُلِبَ النَّاسُوتُ[2]، ورفع اللاهوت[3] وغير ذلك أيضًا، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾: هو هنا مجاز عن الشك فلا ينافي: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾، أي: لكنهم يتبعون الظن، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾: قتلا، ﴿يَقِينًا﴾: كما زعموا، أو حال مؤكدة للنفي، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: فإن السماء

---

(١) في (ن): طيطابوس.

(٢) الناس والبشر.

(٣) الإله.

محل ظهور سلطانه(١)(٢)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: فيما دبَّر، ﴿وَإِن﴾: ما أحد، ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾: بعيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: أي: الكتابي عند مُعاينة ملك الموت بأنه عبد الله ورسوله، فلم ينفعه أو أهل كتاب زمان نزوله يومئذٍ عند خروج الدجال فإنه يهلكه وتصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام ويلبث أربعين سنة، ثم يموت ويصلِّي عليه المسلمون، وروي أنه يدفن بجنب عمر(٣)- رضي الله عنه -، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: بكفرهم أو إيمانهم به على الثاني، ﴿فَبِظُلْمٍ﴾: عظيم صدر، ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: إشارة إلى قوله: «وعلى الذين هادوا» في الأنعام.

واعلم أن التحريم لأحد ثلاث: الأول(٤): للجناية وهذا يُحرِّمه الشرعُ والعقلُ، والثاني: لغلبة ضره على نفعه وإن ظن العقل خلافه: الثالث: لكسر شهوة بعض، وإن كان نافعًا جدًّا، فيحرمه الشرع على مَنْ يستحقُّ كما نحن فيه، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾: منعهم، ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صدًّا أو ناسًا، ﴿كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾: في التَّوراةِ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾: كالرشوة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾: دُوْنَ مَنْ آمن، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۞ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾: المتقنون، ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: كلهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾: نُصِبَ مَدْحًا(٥)، لا كَمَا يُرْوى عن عائشة- رضي الله تعالى عنه-: «أنه ممَّا أخطأ فيه الكُتَّابُ»، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۞ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: أوْلادُ يعقوب، ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾: كتابه، وبضم الزَّاي جمع

---

(١) هذا تأويل أشعري قبيح، والصواب الذي عليه الأمة سلفًا وخلفًا أن الله في السماء، والأدلة عليه عدد الرمل والحصى- والحمد لله.

(٢) في (ن)، و(ع)، و(د): أي: إلى محل ظهور سلطانه وهو السماء.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠/ ٣٦٦/ ١١٣٥١) وسنده ضعيف جدًّا.

(٤) في (ن): ١ وكذا ما بعده: ٢، ٣.

(٥) قوله: «والمقيمين» قال الواحدي في الوسيط (٢/ ١٣٩): نُصِبَ على المدح، والعرب تقول: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وكذلك هذه الآية هنا، معناها: اذكر المقيمين، وهم المؤتون الزكاة.

«زبر» بمعنى زبور، أي: ءاتيناه صُحُفًا مزبُورة، وخصَّهم بالذِّكر؛ لمزيد شرفهم، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: في السور المكية، ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: وهو منتهى مراتب الوحي، أي: شأنك في الوحي كشأنهم إذا أعطيت كل ما أعطوا، فمعاندك كمعاندهم، أرسلْنا ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾: للمطيع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للعاصي، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾: فيقولوا: ما أرسلت إلينا من ينبهنا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: فيما أراد، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبر ولما نزل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ﴾ إلى آخره، قالوا: ما نشهد لك، وهؤلاء المعاندون لا يشهدون، فنزل[1]: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن الدال على نبوتك، ﴿أَنزَلَهُۥ﴾: ملتبسًا، ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾: معلومه مما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، أو بعلمه بأنك أولى بإنزاله عليك، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أيضًا، ﴿يَشْهَدُونَ﴾: بنبوتك، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: بنبوتك فإنه أقام الحُجَجَ الواضحة عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾: عن الصواب، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾: مُطلقًا أو بكتمان نبوتك وماتوا عليه، دَلَّ[2] بقوله: ﴿ظَلَمُوا۟﴾ على أن الكافر مُخاطبٌ بالفُرُوع[3]، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۞ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: أي: لا يدلهم إلا إليها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟﴾: إيمانًا، ﴿خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو غنيٌّ عنكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمًا﴾: في أفعاله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: النصارى أو مع اليهود، ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ لا تجاوزوا الحدَّ ﴿فِى دِينِكُمْ﴾: في عيسى بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، كما مَرَّ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: من التنزيه من نحو الولد، ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾: أوجده بكلمة «كُنْ» أو حجته، ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾: الكلمة، ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾: وهو نفخ جبريل في جيب درعها بكلمته

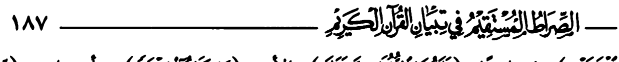
---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢) وسنده ضعيف.
(٢) في (ن): أفهم بقول.
(٣) في ذلك خلاف بين أهل الأصول.

حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم أو المراد: نفخ جبريل أو الروح الذي يحيى به الجسد، ﴿وَرُوحٌ﴾: صَدَر، ﴿مِّنْهُ﴾: بلا مادة، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟﴾: آلهتنا، ﴿ثَلَـٰثَةٌ﴾: الله والمسيح ومريم أو الأقانيم الثلاثة، كما سيجيء، ﴿ٱنتَهُوا۟﴾: عن التثليث يكن، ﴿خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهًا له عَنْ، ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: فهو غنيٌ عن ولدٍ يكون وكيلهُ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾: يأنف من نكفته: نحيته، ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: من، ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: مع أنه لا أب لهم ولا أم وقوتهم فوق البشر، فكيف بضعيف له أم، فلا يلزم تفضيلهم على الأنبياء، إذ أراد بالعطف المبالغة باعتبار القوة وعدم التولد لا العظمة، وأيضًا هي رَدٌّ على عبَدَة المسيح، والملك، وإن سَلّمنا فلا يستلزم[1] تفضيل أحد الجنسين على الآخر مطلقًا، ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: والاستنكاف فوق الاستكبار؛ لأنه هو مع أنفه، وهذا من اللّفّ التقديري، أي: ومن يستنكف، ومن لا يستنكف، ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: للمجازاة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: أي: لا يستنكفون، ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟﴾ عن عبادته ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الحور ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: محمّد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾: القرآن، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾: تمسكوا بالقرآن وتوكلوا على الله، ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾: توجب النجاة، ﴿وَفَضْلٍ﴾: زائد على أعمالهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾: إلى الله، ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: إلى العلم والعمل والجنة، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: في الكلالة، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾: القرابة الغير البعضية، ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ﴾: مات، ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: ولا والد، ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾: من الأبوين أو الأب، ومضى حكم الأميَّة، ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ﴾: المرء، ﴿يَرِثُهَآ﴾: الأخت في عكسه، ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾: ولا والد، ﴿فَإِن كَانَتَا

---

(١) في (ن): يلتزم.



﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾: فصاعدًا، ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾: الأخ، ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً﴾: وأخوات، ﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: الحق كراهة، ﴿أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾: ومنه مصالحكم في محياكم ومماتكم- والله أعْلَمُ بالصَّواب.

❁❁❁

«سورة المائدة»: مدنية(١)

لمَّا بَيَّنَ لنا الحَقَّ والضَّلَال، كراهةَ الضَّلالَ أمرنا بوفاء عهوده، وهي اتباع ما بيَّن لنا في الحال والمآل فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾: بكل عُقُوْدكم مع أنفسكم وما بينكم وبين الله، وما بين الله وبينكم، سواء أوجبها الشرع في الكتاب والسنة والعقل كما ذكره الله مع معرفته فينا، ونتوصل إليه بالبديهة أو بأدنى نظرٍ، كَمَا دَلَّ عليه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾(٢) إلى آخره، فذلك سنة، وكل إما يلزم ابتداء أو بالتزامنا، والثاني: إما واجبُ الوَفَاء أو مُسْتحبُّه، أو واجب الترك أو مُستحبُّه، فالملتزم أربعة وعشرون قسمًا، والوفاء والإيفاء: القيام بمقتضى العهد، ثم فَصَّل العُقُود بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ﴾: هيَ كلُّ حيٍّ لا يُميِّزُ، ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: إضافة بيانية كثَوب خزٍّ، أي: الإبل والبقر والغنم، وألحق بها الظباء وبقر الوحش، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾ - الآية، حَالَ كونكم ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: جَمعُ حرام بمعنى مُحرمون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من التحليل والتحريم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: مناسك الحجّ، كالصَّيد في الإحرام أو دينه، ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: بابتداء القتال فيه، وهذا منسوخ عند الأكثر، ﴿وَلَا ٱلْهَدْيَ﴾: جمع هدية: ما أُهدي إلى الكعبة من النَّعم، أي: لا تتعرَّضوا له ولو غير مُقلَّد ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: الهدي ذوات القلائد، جمع قلادة ما يُقلدُ به الهدي من نحو نخل أو لحاء شجر، ﴿وَلَآ﴾: تحلوا، ﴿ءَآمِّينَ﴾: قاصدين، ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رزقًا، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بالتجارة، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: بزعمهم، فدخل الكافر، ولكنه نسخ بـ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة المائدة- مدنية، مائة وعشرون آية، وعند البصريين ثلاث وعشرون غير آية: «وعشرون غير آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ ثم نزلت التوبة، كلماتها (٢٨٠٤)، حروفها (١١٩٣٠)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.

وفي عدد سور القرآن (٢٢٠): أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا.

* وانظر: البصائر (١/ ١٧٨)، البيان (١٤٩)، القول الوجيز (١٨٥).

(٢) سورة الأعراف.

﴿نَجَسٌ﴾[١] إلى آخره، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: إباحة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ أَن﴾؛ لأن، ﴿صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عام الحديبية، ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾: بانتقام بصدهم عن العمرة، وهذا ثاني المَفْعولين، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾: ما أمرتم به، ﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾: عن المنهي، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعصية، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظلم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾: ما فارقت الرُّوح بلا تَذْكِيَة[٢]، ﴿وَالدَّمُ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ﴾: رُفع الصَّوتُ، ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كما مَرّ، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: ما مات بالخنق، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: ما مات بضرب مثقل، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾: ما مات بالتَّردِّي[٣]، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾: ما مات بنطح الآخر، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾: منه فمات وإن كان جوارح الصيد، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: من الخمسة قبل موته بهذه الأسباب[٤]، وفيه حياة مستقرة، والذكاة قطع الحلقوم والمريء بمحدد وذكر الخمسة مع أنها ميتة لعد الكفرة ذلك ذكاة، ﴿وَ﴾: حُرِّمَ ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: أي: لها جمع نصاب، أوْثانٌ حَوْل الكعبة كانوا يذبحون لها تعظيمًا، فحَرم وإن ذكر اسم الله عليه، ﴿وَ﴾: حرم، ﴿أَن تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا معرفة ما قسم لكم من مقاصدكم، ﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: جمع زلم، سهامٌ كتب في بعضها: أمرني ربي، وفي بعضها: نهاني ربِّي، وبعضها غير مكتوب، فبمجيء الأمر فعلوا، وبالناهي تركوا، أو الغفل أعادوها ثانيًا، أو هو استقسام الجزور على الأنصباء المعلومة وذكر الاستقسام مع البواقي لارتكابهم كلها عند البيت، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاستقسام، ﴿فِسْقٌ﴾؛ لأنه وإن أشبه القُرْعةَ دخول في علم الغيب، وافتراء على الرب، إن أريد بربِّي الله وشركٌ إن أُريد الصنم، وجهل بالثمن والمثمن على التفسير الثاني، ﴿الْيَوْمَ﴾: الأزمنة الحاضرة، ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾ إبطال، ﴿دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: من غلبتهم عليكم، ﴿وَاخْشَوْنِ﴾: فقط، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم عرفة حجة الوداع،

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ذبح.

(٣) من مكانٍ عالٍ.

(٤) في نسخة (د): الأشياء.

﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: فما نزل[1] حلالٌ وحرام بعده، ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾: بإكمال الدين، ﴿وَرَضِيتُ﴾: اخترت، ﴿لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾: من بين الأديان، وهذه الجملة منقطعة من الأولين، ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: إلى تناول مُحرَّمٍ منها، ﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾: مَجاعةٍ ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾: مائل، ﴿لِّإِثۡمٖ﴾: كأكلها مجاوزًا حد الرخصة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾: له، ﴿رَّحِيمٞ﴾: به لا يؤاخذه به، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: ما لم تستخبثْهُ الطباع السَّليمة بشرط أن لا يدل نص ولا قياس على حرمته، ﴿وَ﴾ صيد، ﴿مَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾: أي: كواسب الصَّيد مِن سباع وطيور حال كونكم ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُعلمين إياها الصيد، والمكلِّبُ: مُؤدبها، كالمُؤدِّب لمعلم الأدب؛ لأن كل سبع يسمى كلبًا، وهي بمعني مغريها وفي الحديث: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كلبًا من كلابك»[2]، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾: من الحيل، ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾: ما لم يأكلن منه وإن قتلنه، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾: ندبًا ﴿عَلَيۡهِۖ﴾، أي: ما علمتم عند إرساله أو على أكله، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: في محرماته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: فيؤاخذ بما جَلَّ ودَقَّ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ﴾: ذَبائح ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى، ﴿حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾: أي لكم أن تطعموهم ذبائحكم، ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾: الحرائر، ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾: الحرائر، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن، تقييد الحل به لتأكيد وجوبها وبالإحصان للبعث على الأولى ﴿مُحۡصِنِينَ﴾ أعِفَّاء بالنكاح، ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: مُجاهرين بالزِّنا، ﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾: أصدقاء يزنون بهن جَمْعُ خِدْنٍ، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: بالشرع بإنكارهِ أو بمعنى يرتد عنه، ﴿فَقَدۡ حَبِطَ﴾: ضَاعَ ﴿عَمَلُهُۥ﴾: إنْ مات عليه، ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾: أردتم القيام، ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: أي: مُحْدثين[3] للحديث، ولمقابلته بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا﴾، أو لقوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم﴾ «إلى آخره، وقيل هو أمر للمحدث وجوبا، وللمتطهر ندبًا، وإعلام للنبي - ﷺ - ألا يترك كل الأعمال إن

---

(١) يعني: فلَمْ ينزل.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٩) كتاب التفسير سورة أبي لهب- وسنده ضعيف جدًا.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢).

أحدث؛ لأنه - ﷺ - كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾: أي: أمِرُّوا الماء عليهما بلا دلك، خلافًا لمالكٍ، ﴿إِلَى﴾: أي: مع، ﴿الْمَرَافِقِ﴾: للحديث[١]، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: الباء للإلصاق يُقيدُ[٢] للتبعيض، فإنها الفارق بين: مسحت المنديل، أي: كله، وبالمنديل أي: بعضه، ونقل ابن مالك عن أبي علي[٣] في التذكرة: أنها تجيء بمعنى «من» للتبعيض، وبه أخذ أبو حنيفة[٤] - ﷺ - إلا أنه لا يجعله للأقل[٥]؛ لحصوله في ضمن الوجه، ويرده وجوب الترتيب، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: بالنصب واضح، وبالجر قيل بالجواز والواو تأباه[٦]، وقال أبو زيد: المسح عند العرب: غسل ومسح فغاية الأمر أنها تصير بمنزلة المجمل وصِحَاحُ الأحاديث، بلغ التواتر في وجوب غسلها، فلا يردُ إمكانُ حمل النَّصْب على العطف على محل الممسوح وبعطفها على الممسوح نبه على ترك السرف في الصب بكونه مظنه فهو كـ:

* متقلدًا سيفًا وَرُمْحَا[٧] *

---

(١) رواه الدارقطني (١/ ٨٣) والبيهقي (١/ ٥٦). * وانظر: تيسير البيان (٣/ ١٠٣).

(٢) يعني: حرف الباء يُفيد... إلخ.

(٣) يعني الفارسيّ.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٤٥)، المبسوط للسرخسي (١/ ٦٣).

(٥) في (ن): للأكمل.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر وأنس وعكرمة وابن عباس والشعبي «وأرجلكم» بالخفض.
* البحر المحيط (٣/ ٤٣٧)، السبعة (٢٤٢)، غيث النفع (٢٠٠).

(٧) عجز بيت من مجزوء الكامل، وصدره:

* يا ليت زوجك قد غدا *

وقائله: عبد الله بن الزبعري، والشاهد فيه قوله: «ورمحًا» حيث نصبه بعامل محذوف تقديره: حاملًا، ويجوز تضمين «متقلدًا» معنى «حاملًا» حين ذاك يصح تسليطه على «رمحا».

انظر: الأشباه والنظائر (٢/ ١٠٨)، (٦/ ٢٣٨)، أمالي المرتضى (١/ ٥٤)، الأنصاف (٢/ ٦١٢)، خزانة الأدب (٢/ ٢٣١)، (٣/ ١٤٢)، (٩/ ١٤٢)، الخصائص (٢/ ٤٣١)، شرح شواهد الإيضاح (١٨٢)، شرح المفصل (٢/ ٥٠)، المقتضب (٢/ ٥١)، معاني الفراء (١/ ١٢١، ١٢٣)، الزاهر (١/ ١٤٧)، مجاز القرآن (٢/ ٦٨)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٦٨)، وللأخفش (٢/ ٤٦٦)، الكامل للمبرد (١/ ٣٣٤، ٣٧١)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥٧٨).

لأن الغسلَ والمسحَ متقاربان معنى وقرينة المجاز أن لا غاية للمسح، وله غاية، فمراده: اغسلوا غسلًا خفيفًا وقيل: معطوف على مسح الرأس لفظًا ومعنى، ثم نسخ بالسُّنَّة وتوسيط الرأس بين الأيدي والأرجل دليل لوجوب الترتيب والفاء والسنة لوجوب النية، ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: فُسِّر مَرَّةً، ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾: كلها، ﴿وَأَيْدِيكُم﴾: أي: مع المرفقين بضربتين للسنة، وتفسير الآية مرَّ ﴿مِّنْهُ﴾: أي: ببعضه، فلا يتيمم بصخر صلد، وفي كون من ابتدئية تعسُّف، بينه في الكشاف وغيره، وكونها سببية والضمير للحدث خلاف الظاهر على أن الفاء أفادتها، ولعل تكرار الآية لبيان هذا الشرط مع اتصال بيان أنواع الطهارة، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾: ذلك، ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ﴾: ذلك، ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: ظاهرًا وباطنا، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: ببيان مُطَهِّرهما، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته فيزيدها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: دينية، ودنيويه، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾: ببيعة الرضوان، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: في المنشط والمكره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في نقض عهده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: خفياتها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: بالحقِّ، ﴿لِلَّهِ﴾: لا رياء، ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم، ﴿شَنَآنُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾: ولو مع العدو، وهو العدل، ﴿هُوَ﴾ العَدْلُ ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: من قبيل ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾ إلى[1] آخره، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ثم بين الموعود في قوله، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لو لهم سيئة ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾: قريش، ﴿أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل حين اشتغالكم بصلاة العصر، فجاء جبريل بصلاة الخوف، وأخبركم بمكرهم[2]، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٩٣) وسنده ضعيف.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾: كفيلا من اثني عشر سبطًا بالوفاء على ما أمروا به من دخول الشام ومحاربة الجبابرة، ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: بالنصر والله ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم، وأصله الرد فيستعمل في الردع عن القبيح، ورد الأعداء، وهو النصرة، واستعماله في التأديب من باب: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(١)، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بالإنفاق في البر، ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق، ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق، إنما خصَّهُ مع أن قبله كذلك؛ لأنه أقبحُ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ فبنقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾: أبعدناهم عن رحمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: صلبة وقاسية مغشوشة، فإنها أصلب، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾: كلام الله، ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾: مر بيانه، ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾: نصيبًا لهم، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من التوراة، فلم يعملوا بها، ﴿وَلَا تَزَالُ﴾: يا محمد، ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾: خيانة، ﴿مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: كابن سلام وأضرابه(٢)(٣)، ﴿مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾: أعرض، ونسخ بالسيف(٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾: أي: زعموا نصرة دين الله وقيل هم من ناصرة الشام، ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا﴾: نصيبًا وافرًا، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: في الإنجيل من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: ألزمنا، ﴿بَيْنَهُمُ﴾: بين فرقهم النسطورية واليعقوبية والملكانية، ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: كمال العداوة، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: بما قطع جزاء، ﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ﴾: الكتابين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٠١)، والبخاري في صحيحه (٥/ ٢٤٤٣)، والترمذي في جامعه (٤/ ٢٢٥٥).

(٢) الوسيط (٢/ ١٦٨).

(٣) في (د)، و(ن): أحزابه.

(٤) يعني بآية السيف. * تفسير الطبري (٦/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣)، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (١٥٠).

﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: كآية الرجم، وبشارة عيسى بأحمد[١]، ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾: من تحريفكم وخيانتكم مما أمر بالعفو عنه، فلا يرد أنه لم يجب عليه إظهار حق كتموه، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: القرآن، ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ﴾: أي: من في علمه أنه يتبع، ﴿رِضْوَانَهُ﴾: بالإيمان، ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: النجاة[٢]، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكفر، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: يوصل إلى الله، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾: يعقوبية[٣] النصارى، القائلون بالاتحاد، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: أو هم النصارى، مستدلين بصفاته من الإحياء والغيب على الإلهية، فهو مثل: الكريم زيد، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ﴾: قدرة ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾ مجاز عن الرد كلا أملك رأس الدابة ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: إذ كلهم سواء تحت قهره، وهذا ينافي الألوهية، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٠٣)، لباب النقول (١٠٤).

(٢) قال ابن عباس: يريد: دين الإسلام دين الله. * الوسيط (٢/ ١٦٩).

(٣) ويقال لهم: اليعاقبة وهم من كفرة النصارى- لعنهم الله- وهي فرقة يعقوب السروجي ويسمى البرادعي!!!! ادعت أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا، من طبيعتين: لاهوتية وناسيوتية- ومشيئة واحدة «المونوفيزتية» وأول من قال به أو طاخي «أوتيكيس»وهو رئيس دير بالقرب من القسطنطينية، وقد أنكر هذا القول فلافيان- بطريرك وأما البرادعي!!! فقد ظهر- لعنه الله- في القرن السادس الميلادي.
وقد أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائش التي سمت نفسها الأرثوذكسية (OR-TODOXE). وهي كلمة يونانية معناها: الرأى الصحيح أو المستقيم، وقد استخدم القساوسة اليونانية هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي، وهذه الكنائس هي:
١- الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة.
٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية «أسيا».
٣- الكنيسة الأرثوذكسية والأرمنية «أرمينيا».
وهم يزعمون أن مريم ولدت الرب- تعالى الله عن كفرهم- وأنه صلب متجسدًا ومسرومات ودفن ثم صعد إلى السماء.
* الخطط (٢/ ٤٨٨)، الأسفار المقدسة (١٣٢، ١٣٣)، موجز تاريخ المسيحية (٣١٨، ٣٢٣).

﴿يَشَآءُ﴾: بلا أصل، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: ممكن، ﴿قَدِيرٞ ۝ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾: كأبنائه في عطوفته علينا أو خواصه نحو: أبناء الدنيا، أو المراد عزير وعيسى، كقول أقارب الملك: نحن الملوك، ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: في الدنيا بنحو المسخ وفي الآخرة بأشد منه ولو أيامًا معدودة بزعمهم، والوالد والحبيب لا يعذبان كذلك، ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾: والقديم لا يلد مخلوقًا، ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ كالمؤمن ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: كاليهود، فلا مزية لكم على أحد، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: فيجازي الكل، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾: الدين، ﴿عَلَىٰ﴾: حين، ﴿فَتۡرَةٖ﴾: فتر الشيء: سكنت حدَّته، وصار أقل مما كان عليه، ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: إذ بينه وبين عيسى، ستمائة سنة، وفيها ثلاث أنبياء من بنى إسرائيل ونبي العرب، خالد بن سنان[1] كراهة، ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾: فلا عذر، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: ومنه إرسال الرسل تترى أو على فترة، ﴿وَ﴾: اذكروا، ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾: من وقت إبراهيم إلى عيسى أربعة آلاف نبي[2]، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾: ذوي الخدم بعدما كنتم مملوكين، ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: ممن تقدمكم من الفضائل، فإن دين كل نبي أكمل من قبله، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾: بيت المقدس أو الشام، ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: في اللوح أنها، ﴿لَكُمۡ﴾: إن آمنتم وأطعتم، فلا ينافيه: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ﴾[3] أو بمعنى قسمة أو وهبة، إذ أربعين ظرف محرمة، ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾: خوفا من الجبابرة، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾: ثواب الدارين، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾: متغلبين لا نقاومهم، والجبَّارُ: مَنْ جبر النَّاسَ على ما يُريدهُ، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ﴾: يوشع ابن أخت موسى،

---

(١) هذا من كذب المؤرخين وخرافاتهم، فخالد بن سنان ليس نبيًا، ويشبه أن يكون رجلًا صالحًا.
(٢) الله أعلم ﴿وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾.
(٣) سورة المائدة.

وكالب[1] زوج أخت مريم[2]، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: الله، ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالثبات والعصمة، وهما من النقباء المذكورة، ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: من باب قريتهم، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾: لإنجاز وعد الله وضَعْفِ قُلوبهم، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: به، ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾: الجبارين[3]، ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۞ قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾: لأن مالك طاعته كمالكه، ولم يقيد بالرجلين لما رأي من تلوُّن قومه، أو الأخ مؤاخيه دينا فيدخلان، ﴿فَٱفْرُقْ﴾: اقض، أو بعِّدْ، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ قَالَ﴾: الله، ﴿فَإِنَّهَا﴾: الأرض المقدسة، ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: دخولها أبدا، ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: ظرف لقوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾: يسيرون متحيرين، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: فأهل[4] التيه كلهم ماتوا فيه حتى موسى وهارون إلا يوشع وكالب، ويوشع سار بأولادهم الذين ما بلغوا عشرين يومئذ، وفتحها بعد موت موسى بشهرين، وقيل: هو ظرف محرمة، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن، ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: تسلية لموسى ﴿وَٱتْلُ﴾: يا محمد، ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾: هابيل وقابيل[5] تلاوة ملتبسة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: هو كل ما يتقرب به إلى الله، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: هابيل تقرب بكبش فأكلته النار، وهو الذي فدى به إسماعيل[6] وقيل: بحمل سمين، ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾: قابيل، تقرب بزرع، وهو أردأ قمحه، وسبب القربان: الاختلاف في تزوج توأمة هابيل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سببه: أنه لم يكن مسكين يقبل الصدقة، فقبلتها النار، فحسد أخاه، و ﴿قَالَ﴾: له، ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾: هابيل، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فلم تقتلني لقبول قُرْباني، والله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ

---

(١) هو ابن يُوقَنَا.

(٢) غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٧).

(٣) في (ن): الجبابرة، وفي باقي النسخ كما أثبتُّ.

(٤) أرض التيه: ما بين أيلة والأرض المقدسة وهي ستة فراسخ.

* غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير الطبري (٦/ ١٨٣)، القرطبي (٦/ ١٣١).

(٥) غرر التبيان (٢٤٥)، معالم التنزيل (٢/ ٣٢).

(٦) التعريف والإعلام (٣٣)، غرر التبيان (٢٤٥).

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: وكان هابيل أقوى ومنعه الورع، ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ﴾: أن ترجع، ﴿بِإِثْمِي﴾: كله أو بإثم قتلي، ﴿وَإِثْمِكَ﴾: الذي لم يتقبل قربانك به، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أراد إن كان ذلك واقعًا بيننا لا محالة، فأريد أن يكون لك لا لي، فليس من قبيل إرادة بغضه، وقيل: تقديره: لا تبوء، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ❁ فَطَوَّعَتْ﴾: سهلت، ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾: وهو ابن عشرين سنة[1]، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: فصار، ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: فلما قتله ما درى ما يصنع به، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾: إلى غُرابٍ ميِّتٍ، ﴿يَبْحَثُ﴾: ينبش التراب، ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ﴾: الله أو الغراب، ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ﴾: جسد[2]، ﴿أَخِيهِ﴾: فإنه مما يستقبح في موته، ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا﴾: يا هلاكي - تعالى - كلمة جَزع، والألف بدل من ياء[3] المتكلم، ﴿أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾: على فقد أخيه لا على قتله فلا يكون توبة على أنها لا تؤثرُ في حق العباد، واسود جسده، وتبرأ عنه أبواه، ﴿مِنْ أَجْلِ﴾: سبب، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: قتله أخاه، ﴿كَتَبْنَا﴾: حكمنا ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ﴾: قتل، ﴿نَفْسٍ أَوْ﴾: بغير، ﴿فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾: كالشرك وقطع الطريق، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سن القتل وجرى الناس عليه في الحديث: «على ابن آدم القاتل أولاً كفل من إثم كل قاتل»[4] أو معناه كل الناس خصومه إن لم يكن له ولي، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: تسبب إلى بقاء حياتها، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سنة وأيضًا الناس كجسم واحدًا، فمؤذي البعض كمؤذي الكل، وصائنه كصائنه[5]، وكذا جاء في التفسير: إن المؤمنين خُصماء القاتل بغير حقّ، وأما قتل الكفرة فكقطع العضو الفاسد لإبقاء حياتها[6]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾: بني

---

(١) كذا في جميع النسخ، واضطربت العبارة في (ن).

(٢) يعني: جيفته.

(٣) إذ الأصل: يا ويلتي، وفي (ن): ضمير المتكلم.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تُقتل نفسٌ ظلمًا، إلّا كان على ابن آدم كِفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل». رواه البخاري (٢/ ٢٢٩) و(٤/ ١٨٦)، ومسلم (٢/ ٤١).

(٥) في (د) وصيانته كصيانته.

(٦) يعني النفس.

إسرائيل، ﴿رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: المجيء، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾: في القتل[1] ونحوه، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: أولياءهما أو بمخالفة أمرهما بقطع الطريق ونحوه، ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾: بلا صلب إن أفردوا القتل، ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾: بعد القتل ثلاثًا إن قتلوا وأخذوا، كذا عند الشافعي، ﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: اليمنى، ﴿وَأَرۡجُلُهُم﴾: اليسرى كما بينه، ﴿مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: إن أخذوا بلا قتل، ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: إن أخافوا فقط، والنفي: أن يطلبوا فيحدوا أو يهربوا من دار الإسلام، وعند الحنفية هو الحبس، فأو للتفصيل لا للتخيير[2]، كذا فسره ابن عباس وغيره، ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾: فضيحة، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إن كانوا مشركين، وإلا فعقاب الدنيا كفارة[3][4]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾: فإن كان مشركًا سقط عنه مطلقًا، وإن كان مسلمًا سقط عنه حق الله فقط كما يفهمه: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: فالقتل يسقط وجوبه لا جوازه قصاصًا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القربة بطاعته[5]، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ﴾: ليجعلوا كلًّا منهما فدية لأنفسهم، ﴿بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾: فيه رد لمن يقول باعتيادهم على النار بعد مدة، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾: أي: قدر ربع دينار، والسرقة: أخذ مال الغير من حرز مثله خفية بشروط معينة، ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾: أيمانهما[6] من الرسغ، فإن عاد فرجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليسرى

---

(١) في (ن): بالقتل.

(٢) الوسيط (٢/ ١٨١).

(٣) الوسيط (٢/ ١٨٢).

(٤) كذا في (ن)، و(د).

(٥) تفسير الطبري (٦/ ١٤٦)، الدر المنثور (٢/ ٢٨٠).

(٦) معاني القرآن- للزجاج (٢/ ١٨٩)، تفسير الرازي (١١/ ٢٢٧)، التبيان (١/ ٤٣٥)، الدر المنثور (٢/ ٢٨٠)، معاني القرآن- للفراء (١/ ٣٠٦).

ثم رجله اليمني كله ثبت بالسنة [1]، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا﴾: عقوبة، ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في انتقامه، ﴿حَكِيمٞ﴾: في حكمه، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: سرقته، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾: العمل، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾: يقبل توبته، أي: في سقوط عذاب القيامة لا قطع اليد عند الأكثرين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۞ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾: يا من له علم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾: لا تحزن بمسارعتهم إلى الكفر ﴿مِنَ﴾ المنافقين، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: بك، ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾: من أخبارهم قبولا، ﴿سَمَّٰعُونَ﴾: منك، ﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾: تكبرا كقريظة سألوا حكم الرجم لأهل خيبر، ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: ينقلون، ﴿ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ﴾: أن وضعه الله في، ﴿مَوَاضِعِهِۦۖ﴾: كتبديلهم رجم الزاني بالجلد وتسويد الوجه [2]، ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا﴾: المحرف، ﴿فَخُذُوهُ﴾: اقبلوه، ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ﴾: بل يفتي بخلافه كالرجم، ﴿فَٱحۡذَرُواْۚ﴾: قبوله، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾: عذابه أو ضلاله، ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ﴾: قدرة، ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾: في دفعها كما مر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾: من الشرك، فيه رد للمعتزلة [3]، ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾: فضيحة كهتك ستر المنافق وجزية اليهودي ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۞ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾: مع علمهم بكذبه، ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾: الحرام المسحوت البركة، خصَّ الأكل بالذكر لأنه معظم منافعه، ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾: أنت مخير، وقيل: نسخت بقوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾، ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾: نسخت بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ إلى آخره، ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۞ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾: بالرجم، فهم لا يريدون بتحكيمك حكم الله،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٧٢)، شرح معاني الآثار (٣/ ١٦١)، الاستذكار (٧/ ٥٤٦)، الحاوي الكبير (١٣/ ٣٢١)، الأم (٦/ ١٥٠)، الكافي - لابن عبد البر (١/ ٥٨١).

(٢) رواه مسلم (١٧٠٠)، وأحمد (١/ ٢٤٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٠٢/ ١٠٧٣٢).

(٣) يعني لقول المعتزلة.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: عن حكمك بالرجم، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: التحكيم، ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: لا بك ولا بكتابهم، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى﴾: إلى الحق، ﴿وَنُورٞ﴾: يكشف المبهمات، ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾: لا كاليهود فإنهم لم يسلموا وأنزلناها: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَ﴾: يحكم بها، ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: الزهاد، ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: أي: بسَبَب أمر الله هؤلاء الثلاثة بحفظ كتابه من التغيير، وأما القرآن فما وقع فيه تغيير إذ لم يكل حفظه إلى غيره، بل قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ[1] وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2] ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾: رقباء؛ لئلا يبدل، ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾: أيها الشهود في إظهار حكم الله كنعت محمد وآية الرجم، ﴿وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: تستبدلوا، ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: حطام الدنيا، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: عنادا عمدا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾: على اليهود، ﴿فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾: مقتولة، ﴿بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ﴾: مفقوءة ﴿بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ﴾: مجدوع، ﴿بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ﴾: مصلومة[3]، ﴿بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾: مَقلوعة[4]، ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ﴾: ذات قصاص، فيما يمكن الاقتصاص فيه، ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾: بالقصاص بالعفو عنه، ﴿فَهُوَ﴾: التصدق، ﴿كَفَّارَةٞ لَّهُۥ﴾: كل الدية لكل خطاياه، ونصفها لنصفها، وهكذا كما صَحَّ في الحديث[5]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَقَفَّيۡنَا﴾: اتبعناهم، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أي: النبيين، ﴿بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾: كالتوراة، ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾: لا تخالفه إلا في قليل، ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ وَ﴾: آتيناه لهم أو قلنا لهم: ﴿لۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ﴾: قبل نسخه، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: إليك، ﴿فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعته، وصفهم بالكفر لإنكارهم[6]

---

(١) في (د): إلى آخره.

(٢) سورة الحجر.

(٣) مقلوعة مستأصلة.

(٤) في (س): مقدعَة!!.

(٥) يشير إلى حديث: «من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدر من ذنوبه» رواه أحمد (٥/ ٣٣٠).

(٦) في (د): لارتكابهم.

له، ثم بالظلم لحكمهم بخلافه ثم بالفسق لخروجهم عنه، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ﴾: جنس، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ﴾: ﴿مُهَيْمِنًا﴾ رقيبا وشاهدا من هيمن عليه: شهده وحفظه من الأمان كالمسيطر ﴿عَلَيْهِ﴾ على جنس الكتاب فما وافقه منها فحق، وغيره مُحرَّف، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾: بين كل متحاكمين، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾: بالانحراف، ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ ﴾: لكل أمة، ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾: أيها الناس، ﴿شِرْعَةً ﴾: سبيلا، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ سنة أي: في الأحكام العملية، إذ لا خلاف في الأصول، فلا ينافي قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾[1]، و ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[2] إلى آخره؛ لأنه عنى به الأصول على أنه يجوز أن نتعبد بشرع من قبلنا بزيادة خصوصيات في ديننا[3]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً ﴾: جماعة، ﴿وَٰحِدَةً ﴾: في الشريعة، ﴿وَلَٰكِن ﴾: لم يشأ، ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾: ليختبركم، ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾: من الشرائع، فيتميز المطيع من العاصي، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ﴾: ابتدروا، ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: بثواب الصادق وعذاب الفاسق، ﴿وَ﴾: أنزلنا إليك: ﴿أَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم ﴾ بين أهل الكتاب حيث قالوا: اقض لنا على خصمنا لنؤمن بك والناس تتبعنا[4]، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ﴾: مخافة، ﴿أَن يَفْتِنُوكَ ﴾: يُضلُّوك، ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾: عمَّا حكمت، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم ﴾: بعقوبة الدنيا، كإجلاء بني النضير وقتال قريظة، ﴿بِبَعْضِ﴾: بشؤم بعض ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾: ومنها إعراضهم عن حكمك، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾: خارجون عن طاعة الله، ﴿ أَفَحُكْمَ﴾: الملة، ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾: يريدون، وهو اتباع الهوى، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾: اللام للبيان، نحو: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ أو للتخصيص؛ لأنهم المنتفعون به، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾: لا تعاشروهم كالأحباب، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾: وكلهم يعادونكم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ

---

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) في ذلك خلاف مسطور في كتب الأصوليين.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٧٧) وسنده ضعيف جدا؛ من أجل مقاتل.

﴿مِنْهُمْ﴾: يُحشر ويعذَّبُ معهم وإن لم يكفر في الدنيا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أنفسهم بموالاتهم إلى طريق النجاة، ﴿فَتَرَى﴾: يا محمد، ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في محبتهم، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: من الدوائر بأن تنقلب الدولة إلى الكفار، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾: للمسلمين، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: كإجلاء بعضهم وأخذ أموالهم، ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾: هؤلاء، ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: من النفاق، ﴿نَٰدِمِينَ ۞ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: بعضهم لبعض تعجبًا من كذبهم، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: ثم قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: الخير، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: وقد ارتد ثلاث فرق في آخر عهد النبي عليه الصلاة والسلام، قوم العَنْسِيّ[1] المتنبئ، وقتله فيروز[2]، وقوم مسيلمة[3]، وقتلهم الصديق، وقوم طليحة[4] المتنبي، وفر من خالد ثم أسلم، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾: أبي بكر وأصحابه[5]، أو الفرس[6] أو الأشعريين[7]،

---

(١) يعني الأسود- لعنه الله-.

(٢) يعني الديلمي.

(٣) الكذاب وقتله وحشي بن حرب- رضي الله عنه.

(٤) ابن خويلد- رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٥).

(٦) كذا، وهو يعني الفرس- بضم الفاء وسكون الراء المهملة- وهو يشير إلى ما ورد في تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦١/ ٦٥٣٩) عن أبي بكر بن عياش قال: أهل القادسية.
أقول: وهذا قول واه جدا، ولا دليل عليه؛ بل الصحيح خلافه، وهو أن الفتن والكفر والنفاق من فارس وإيران وما جاورها كالعراق.
وقد قال ﷺ: «رأس الكفر نحو المشرق» رواه البخاري (٦/ ٣٢٠١) ومسلم (١/ ٨٥) وحال هؤلاء من الكفر والمكر والزندقة والرفض والكيد للإسلام وأهله معروف بين.

(٧) هذا هو التفسير الصحيح، فعن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾... الآية قال رسول الله ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري».
رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٢٣/ ١٢٣١١)، وفي مسنده (٢/ ١٧٩/ ٦٦٤)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٠٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٤٦٠، ٤٦١/ ٢٥١٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣١٥/ ١٠١٥)، والطبراني في تفسيره (٦/ ١٨٣، ١٨٤) وسنده صحيح.
- وهذا هو اللائق بأهل اليمن، أهل الجهاد والنصر والنصرة والصبر، لا الفرس المنافقون- إلا من =

﴿يُحِبُّهُمْ﴾: بتوفيقهم وتعظيمهم[١]، ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: بطاعته، وفسرت في: ﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ﴾: خافضي أجنحتهم مع جلالتهم، ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشداء متغلبين، ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾: لصلابتهم في الدين، ﴿ذَٰلِكَ﴾: من الأوصاف، ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمستحقه، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: أصالةً، ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: تبعا، ولذا لم يقل: أولياؤكم، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾: كعلي - رضي الله عنه -، إذ طرح خاتمه للسائل في الصلاة[٢]، وليس المراد إمامته كما ظهر من سَوْقه بإزاء منع موالاة الكفار، والاتيان بالجمع، ودل على جواز الفعل القليل في الصلاة[٣]، وأن صدقة التطوع زكاة، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: باتخاذهم أولياء، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: أي: فهم، ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بالحجّة دائمًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَ﴾: لا، ﴿ٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: بترك موالاتهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾: الصلاة أو المناداة، ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: فيه دليل لمشروعية الأذان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: إذ العقل يمنعُ الاستهزاء بمعقول مشروع، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ﴾: لا، ﴿تَنقِمُونَ﴾: تنكرون، ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾: أي: إيماننا، ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: الإيمان المتقوّم ﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً، سمَّاهُ مَثوبة تهكُّمًا، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: دين، ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: بتحريفه، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ كشأن أهل السبت ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ كشيوخهم ﴿وَ﴾ دين، ﴿عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: أي: العجل، أو: عَبَد كَخَدم[٤] أي: جمع عابد فتقديره: ودين من عبَدَ الطاغوت، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: لأن مكانهم سقر، ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: والمراد: التَفضيل مُطلقًا كما

= رحم الله- والله النصير.

- وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل أهل اليمن والأشعريين خاصة.

(١) هذا من تأويل الحبّ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٢/ ٦٥٤٩) وابن مردويه (٢/ ٧٤/ ابن كثير) ولا يصح من وجه، وقد طار به الأرفاض كل مطارٍ، لكن للأسف بلا أجنحةٍ.

(٣) وضابطه ألا يظن أنه في غير صلاة.

(٤) وقد قرئ: (وعُبُد) بضم العين المهملة والباء الموحدة.

مرَّ، ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾: أي: هؤلاء الملعونون المعاصرون لكم، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: بدينكم، ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾: إليكم ملتبسين، ﴿بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾: ملتبسين، ﴿بِهِۦ﴾: أي: لم يتأثروا بما سمعوا، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾: من كفرهم، ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾: الحرام، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرام، تخصيصه لخبثه، والله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ لَوْلَا﴾: في مثله للتَّحضِيض وفي الماضي للتَّوبيخ، ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: زُهَّادهم، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: علماؤهم، ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: الحرام، والله ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾: من ترك النهي، والصُّنعُ أبلغُ من العمل؛ لأنه[1] عملٌ بعد تحر كثير في إجادته، ولذا[2] ذمَّ خواصَّهُم، ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: حين ضيق عليهم بتكذيبهم النبي، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: كناية عن البخل، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: هم البخلاء، أو دُعا عليهم فيكون حقيقة من باب المشاكلة، وكلاهما واقع عليهم، ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: بكمال الجود، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: توسيعا وتقتيرا، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآن، ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: وحينئذ ففائدة إرساله إليهم إلزام الحجة، وتعميم رسالته وتعظيما له، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود، ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾: مع المسلمين، ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾: بوقوع نزاع بينهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مع تلك الجرائم، ﴿ءَامَنُواْ﴾: بالقرآن، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾: المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: الماضية، يفهم أن الإيمان بلا تقوى لا يكفي[3]، ويؤيده الحديث، ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: بالعمل بهما بلا تحريف، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾: من كتب الأنبياء، ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ﴾: من بركات السماء، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾: من الثمار والزرع، والمراد كثرة السعة، وهذا في أهل الكتاب القائلين: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، الذين ضيق الله عليهم عُقوبةً لهم، فلا يرد كون كثير من المتقين

---

(١) يعني: الصنع.

(٢) في (د): وكذا.

(٣) في (ن)، و(ع): لم يكفي.

العاملين في غاية الضيق، فالتوسيع والتضييق[1] ليسا من باب الإكرام والإهانة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّآ﴾[2]، ﴿مِّنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة، ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: غير غالية ولا مقصرة كمؤمنيهم[3]، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾: كلَّ، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: ولو تعالت اليهود ولا تخف، ولعله فيما يتعلق بمصالح العباد دون بعض الأسرار الإلهية كما يفهم من الحديث، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: بتبليغ الكل، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾: كمُصلٍّ أضاع رُكن صلاته، ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾: أي: يحفظ روحك، فلا يشكل بشجّ رأسه- ﷺ-، على أنه قبل نزولها[4]، ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: فلا تخف، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إلى ما يريدون بك ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: دين يعبأ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَ﴾: جميع، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: غير ما نسخ بلا تحريف وكتمان، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن، ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فإنَّهم لا يستحقون العناية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أظهروا الإيمان، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: عبدة الملائكة كما مر، عطف على محل اسم إن، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ﴾: حقيقة، ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات منهم في الدنيا، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾: ليذكروهم ميثاقهم، ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تشتهي[5]، ﴿أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا﴾: من الرسل،

---

(١) في (ن): والضيق.

(٢) سورة الفجر.

(٣) في (د): كمؤيديهم.

(٤) أشد الناس بلاء الأنبياء، ومعنى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾، أي: يمنعك من أن يقتلوك.

قلت- أبو الحسن-: ويقوي هذا ما ورد عن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾... الآية فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال: «أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله من الناس». أخرجه سعيد بن منصور (٤/ ١٥٠٣، ١٥٠٤/ ٧٦٨)، والترمذي (٥/ ٢٥١/ ٣٠٤٦)، والطبري في تفسيره (٤/ ١١٧٣/ ٦٦١٥)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في السنن (٩/ ٨)، والدلائل (٢/ ١٨٤) وسنده جيد.

(٥) فلم يكن عن حق أو تبصر أو حجة، بل كان الهوى هو قائدهم ودليلهم فحق عليهم أن يكونوا في جهنم الهاوية- والعياذ بالله -.

﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: فسر مرة ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ﴾: لهم بصنيعهم هذا، ﴿فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ وعذابٌ، ﴿فَعَمُوا﴾: عن الهدى، ﴿وَصَمُّوا﴾: عن الحق، حين عبدوا العجل، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: قبل توبتهم، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾: كرَّةً أُخرى، ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: عيسى بن مريم، فُسِّر مرة[1]، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي: أنا مثلكم، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في عبادته، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾: بالكفر، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾: هو والمسيح وأمه، وهم النَّسطوريَّة والملكانية[2] منهم، القائلون بالأقانيم الثلاثة، الآب أي الذات، والابن أي الكلمة، ورُوْح القُدُس أي: الحياة، ويقولون: الكل واحد كالشمس، تتناول القرص والشُّعاع

---

(١) وهو قول اليعاقبة- لعنهم الله-.

(٢) أما النسطورية، فهي نسبة إلى نسطوريوس الذي ولد بسوريا (٣٨٠م) وهلك (٤٥١م) وأصبح بطريركا على القسطنطينية (٤٤٢٨) لمدة أربع سنين، وأعلن مذهبه الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبسوستياني، هلك (٤٢٨م) بأن مريم أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ومن أجله عقد مجمع (آفسوس) (٤٣١م) ووضع في هذا المجمع الكفري والمؤتمر الشركي مقدمة قانون الإيمان وأن مريم والدة الله – والعياذ بالله – وأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرر أيضًا خلع نسطور من الكنيسة ولعنه ونفيه إلى مصر.

* محاضرات في النصرانية (١٥٧، ١٥٩)، قصة الحضاره (٢/ ١٠٠، ١٠١).

وأما «الملكية» أو الملكانية، فهي نسبه إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى،وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وبدأ إقرار هذا المذهب في مجمع «نيقية» (٣٢٥م) بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابنا وإلها مستقلا، ثم في مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م) تحددت هوية الثالوث النصراني بالأب والابن في المسيح طبيعتين – خلافًا لليعقوبية – ثم أضيف إلى هذا المذهب القول بأن المسيح له طبيعتان ومشيتان في مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠م) خلافًا للمارونية القائلين بأن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.

ثم كانت لهم مجامع أخرى وتخبطات أفضت (٨٦٩م) في مجمع القسطنطينية الرابع إلى انفصال الكنيسة الشرقية رئاسة ومذهبا واسما عن الكنيسة الغربية (مذهب الملكية) حيث أصبحت الكنيسة الشرقية تسمى بكنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأتباعها يعتقدون بأن الروح القدس منبثق عن الآب وحده وأكثرهم في الشرق باليونان وتركيا وروسيا وغيرها.

* موجز تاريخ المسيحية (٣١٣، ٣١٨)، الموسوعة الميسرة (٣٥٧).

والحرّ، ويجعلون الله تعالى أحد الأقانيم أي: أقنوم(١) الآب، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: ﴿مِنْ﴾ بيانه، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾: عن هذه المقالة، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يقبل التوبة من هذا الذنب العظيم، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: فهو مثلهم، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها، ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾: احتياجا، وهو ينافي الإلهية، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن الحق ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: يدفعه عنكم، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: يوصله إليكم، وتأخر الضر عن النفع ظاهر لكن في مثل هذا يقدم اهتماما إذ كانوا يشركون لتشفع(٢) في دفع الضر، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بعقائدكم، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تتجاوزوا عن الحدّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ حال كون دينكم ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾: قبل الإسلام، ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقا، ﴿كَثِيرًا وَضَلُّوا﴾: بعدهُ ﴿عَن سَوَآءِ﴾: قصد، ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: الإسلام، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾: في الزبور، أو بدعائه لاعتدائهم في السبت فمسخوا قردة، ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: في الإنجيل، أو بدعائه لكفرهم بعد المائدة فمسخوا قردة وخنازير، ﴿ذَٰلِكَ﴾: اللعن، ﴿بِمَا عَصَوا﴾: بعصيانهم، ﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: باعتدائهم، ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا ينهى بعضهم بعضا، ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: أرادوا فعله، والله، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ﴾: تبصر، ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يوالون، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: المشركين بغضا لك، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هو ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾: القرآن، ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ﴾: المشركين، ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾: أي: ولكنهم أو ما لكثير المشركون، ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خارجون

---

(١) كلمة أقنوم كلمة يونانية معناها: الأصل أو الذات.

(٢) في (د): ليشفع.

عن دينهم، ﴿لَتَجِدَنَّ[١] أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: اليهود أعدى، ولذا قدمهم، وفي الحديث: «ما خلا يهوديان بمسلم إلَّا همَّا بقتله»[٢]، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾: زعموا، ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾: لدين الله، ﴿ذَٰلِكَ﴾: القرب، ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: علماء من القَسّ بالفتح: التتبع، وبالكسر: رئيس النَّصارى، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبادا، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: كاليهود، دل على أن التواضع، وتَرك الشَّهوة والعلم محمودة ولو من كافر، ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: محمد - ﷺ - وهُمْ وفد النجاشي، ﴿تَرَىٰٓ﴾: تُبصرُ، ﴿أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: فيه مجاز[٣] للمبالغة، ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾: بذلك، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: بأنه حق، ﴿وَمَا﴾: أي: شيء يحصل، ﴿لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ غير مؤمنين ﴿بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿وَ﴾: ما لنا لا، ﴿نَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أمة محمد ﷺ، ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾: بقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ إلى آخره ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: ككفرة أهل الكتاب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ﴾: ما طَاب، ولَذَّ من ﴿مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: لا تظلموا أنفسكم في تحريم المباح كاللحم والدسم والنساء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) في هامش (ن): الجزء (٧).

(٢) رواه بهذا اللفظ: الثعلبي في تفسيره (٢/ ٢١٤) وسنده ضعيف.

وبلفظ: «ما خلا يهودي»، بالإفراد: ابن مردويه (٢/ ٨٥/ تفسير ابن كثير)، والخطيب (٨/ ٣١٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٦٢)، والضعيفة (٤٤٣٩).

* وقال الإمام العجلوني - رحمه الله - في كشف الخفاء (٢/ ٢٤٤):

وقد أطال الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث، فأقول: ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوما في المنطق، فقال له وقد انفرد به: لا تأتني إلا ومعك سكين أو نحوها؛ لأن اليهودي إذا خلا بمسلم ولم يكن معه سلاح، لزمه التعرض لقتله.

وقال النجم (الغزي): واشتهر في كلام الناس أنه ما خلا قط رافضى بسني إلا حدثته نفسه بقتله، وهي من الخصال التي شاركت الرافضة فيها اليهود.

* قلت - أبو الحسن -: وانظر: بذل المجهود فيما أشبهت فيه الرافضة اليهود - فهو مهم جدا.

(٣) الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز - فاحذر التدليس.

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: كما مرَّ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: هو ما سبق إليه اللسان بلا قصد، كلا والله، وبلى والله، كما صَحَّ في الحديث[1]، وعليه الشافعي[2] ﷺ، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾: وثقتم، ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: عليه بالنية إذا حنثتم، ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: كفارة نكثه التي تدفع إثمه، ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾: من لم يجد ما يكفيه، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: في بلدكم نوعا وقدرا، وهو مد لكل مسكين[3] عند الشافعي ﷺ ونصفُ صَاع عندَ الحنفيَّةِ، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: ما يقع عليه اسمُهَا وهو ثوبٌ يغطي العورة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: أي: مؤمنة، قياسًا[4] على القتل، والخصال تخييرية، والأولى الثالث ثم الثاني، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: واحدًا منها، ﴿فَصِيَامُ﴾: فكفارته صيام، ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾: ولا تتابع عند الشافعي[5]، ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وحَنثْتم، ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: بأن لا تحلفوا، وعن الحنث إلَّا في ترك مندوب أو فعل مكروه للسنة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: البيان، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾: أنواع القمار، ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: حجارةٌ كانوا يذبحون قرابينهم عندها تعظيما لها ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: فسِّرت مرَّة، والمرادُ تعاطيها ﴿رِجْسٌ﴾: هو النَّجس إلَّا أنه غالبٌ في المُستقذر طبعا، والرجس عقلا وكذا فسر بالإثم والسخط، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لأنها مسببة تسويله[6]،

---

(١) سبق في سورة البقرة.

(٢) أحكام القرآن- لابن العربي (٢/ ١٤٧)، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٦٦).

(٣) قال: لأنه أقل ما وجد، كما في كفارة المفطر في شهر رمضان، وأخذ في تقديره بقول ابن عباس وزيد بن ثابت- رضي الله تعالى عنهم-. * الحاوي الكبير (١٥/ ٣٠٠)، المغني (٣/ ٢٧٤)، المحلى- لابن حزم (٨/ ٧٣)، الاستذكار- لابن عبد البر (٥/ ٢٠٠).

(٤) وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد.
* الأم (٧/ ٦٥)، بداية المجتهد (٢/ ٨٣)، المغني (٨/ ١٨)، الاستذكار (٧/ ٣٤٤) وجوز أبو حنيفة الرقبة الكافرة المبسوط (٣/ ١٩٨)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣١٢).

(٥) اختلف العلماء في وجوب التتابع: فأوجبه أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه، واستحبه مالك والشافعي في القول الآخر ولم يوجباه. * أحكام القرآن – للجصاص (٤/ ١٢١)، الهداية – للمرغيناني (٢/ ٧٤)، الحاوي الكبير (١٥/ ٣٢٩)، الكافي – لابن قدامة (٤/ ٣٨٦)، الاستذكار (٣/ ٣٥٠).

(٦) في أنوار التنزيل (١٦١): لأنها مسبب عن تسويله.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: الرِّجس، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بالاجتناب، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: خَصَّهُما[1] بالإعادة لأنهما المقصود بالبيان[2]، إذ الخطابُ مع المؤمنين، وجمعهما معًا أولاً، تنبيها على شدة حرمتهما، ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: بالاشتغال بهما، ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصهما تعظيمًا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: مع علمكم بهذه المفاسد أم لا ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾: المخالفة، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: وقد بلَّغ، ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾: الحرام، ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: استمروا عليها، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾: ما حُرِّم بعدُ كالخمر، ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾: استمروا على الإيمان، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾: استمروا على اتقاء المعاصي، ﴿وَّأَحْسَنُوا۟﴾: العمل، **«والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه»** إلى آخره[3]، وقيل: التكرار باعتبار الماضي والحال والاستقبال، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الموصوفين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم، ﴿ٱللَّهُ بِشَىْءٍ﴾: حقير، ﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾: كصغار الصيد وفراخه ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾: ككباره، ﴿لِيَعْلَمَ﴾: أي: ليرى، ﴿ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: ولم يره، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الإعلام، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾: محرمون، أو في الحرم، فالمذبوح كالميتة بالاتفاق لأنه ممنوع من الذبح لمعنى فيه كذبيحة المجوسي، ويجوز قتل ما لا يؤكل؛ لأن المراد بالصيد ما يؤكل، ولذا في الحديث: **«خَمْسٌ يُقْتَلْنَ في الحلّ والحَرَم»** إلى آخره[4]: وقيس عليها كل مؤذ[5]، والمعين كالقاتل في الحرمة، ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾: هذا القيد خارج مخرج الغالب لا الشرط، ليس للتقييد لنزولها فيمن تعمد، وهو أبو اليسر فلا مفهوم له، وقيل: ثبت في العمد، وفي الخطأ بالسنة، ﴿فَجَزَآءٌ﴾: أي: فواجبه جزاء، ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾: خلقة

---

(١) يعني الخمر والميسر.

(٢) في (ن): بالذات. والمثبت من باقي النسخ.

(٣) «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه مسلم في صحيحه (١/ ٨)، وأبو داود في سننه (٤/ ٤٦٩٥)، والترمذي (٥/ ٢٦١٠)، وابن ماجة (١/ ٦٣).

(٤) رواه البخاري (٤/ ١٨٢٩)، ومسلم (٢/ ٧١)، الترمذي (٣/ ٨٣٧) والنسائي (٥/ ٢٨٨٧).

(٥) كالرتيلاء والبراغيث والبق.... إلخ.

وهيئة عند مالكٍ والشافعيِّ، وبالإضافة لمثل مُقْحَم[١]، ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾: بالمثل، ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾: أيها المسلمون حال كون المحكوم به، ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ﴾: واصل حرم ﴿ٱلۡكَعۡبَةِ﴾: بذبحه والتصدق به فيها، ﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾: هي، ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾: من غالب قوت البلد، يشتريه بقيمة الجزاء ويعطى كل مسكين مُدًّا، ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ﴾: الإطعام، ﴿صِيَامٗا﴾: فيصوم عن كل مُدٍّ يوما، وأو للتخيير عند الأكثرين[٢]، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثِقل وسُوْء عاقبة، ﴿أَمۡرِهِۦۗ﴾ قال ابن عباس: ما لا كفارة فيه فأمره أشد[٣]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: قبل التحريم، ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾: إلى مثله ﴿فَيَنتَقِمُ﴾: فهو ينتقم، ﴿ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالبٌ، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: على المُصرِّ بالمعاصي، ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾: ممَّا لا يعيش إلَّا في الماء كله، وعند الحنفية: السَّمكُ فقط، وهذا في الإحرام وغيره، ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما تتزودون منه يابسا مالحا، أو ما لفظ ميتا، ﴿مَتَٰعٗا﴾: تمتيعًا[٤]، ﴿لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾: المسافر ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ﴾: أي: الصيد فيه ولو إعانة، وهو صيد وحْشيٌّ مأكول يعيش فيه، ﴿مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ﴾: سميت بها لتكعبها، أي: تربعها[٥]، ﴿ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا﴾: ما يقوم به أمر الدين والدنيا من الأمن ونحوه، ﴿لِّلنَّاسِ وَ﴾: جعل، ﴿ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: قياما لهم؛ لما فيه الحج والأمن من القتال، ﴿وَٱلۡهَدۡيَ﴾: ما يُهدى إلى الكعبة، ﴿وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: ذوات القلائد كما مرَّ، إذ كانوا يأمنون بها، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الجعل، ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾: إذ شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها، وجلب المنافع المترتبة عليه من دلائل كمال علم الشارع، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

---

(١) يعني الذي قرأ بإضافة المصدر (جزاء) لـ(مثل) فقد أقحم (مثل) كما في قولهم: مثلي لا يقول كذا، والمعنى: فعليه أن يجزي مثل ما قتل.

(٢) وبه قال الشافعي في الجديد ومالك وأبو حنيفة، وذهب ابن عباس وزفر والشافعي في القديم وأحمد إلى الترتيب؛ لما فيه من تقديم الأثقل فالأثقل كما ورد في حد المحاربة.
* الحاوي الكبير (٤/ ٢٩٩)، المبسوط (٤/ ٨٤)، بداية المجتهد (١/ ٢٦١)، المحلى (٧/ ٢٢١).

(٣) يعني شديد، أو مشدد فيه.

(٤) كذا في (د)، و(ن).

(٥) سميت الكعبة كعبة؛ لأنها مربعة، وكل بيت مربع فهو كعبة، وقيل: سميت كعبة؛ لارتفاعها، وكل ما ارتفع فهو كعبة، وفلان جالس في كعبته، أي: في غرفته وبيته، ومنه الكعاب والكاعب: من تكعب ثدياها أي: ارتفعا في صدرها والجمع كواعب. * عمدة الحفاظ (٣/ ٤٠٢/ كعب).

﴿ٱلْعِقَابِ﴾: للمُصرّ على هتك محارمه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: للمحافظ عليها والتائبين، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾: وقد بلغ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من التصديق والتكذيب، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾: الرديء كالحرام، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الجيد كالحلال، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الخبيث، ﴿يَٰٓأُو۟لِى﴾: ذوي، ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ثم بين نوعا من الخبيث بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟﴾: محمدًا عليه الصلاة والسلام، ﴿عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾: تظهر، ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾: تغمكم، كما سأله ابن حُذَافة: من أبي؟ فقال: «حذافة»[1]، وهو يدعى لغيره[2].

وسأله[3] حين وجب الحج: أكلّ سنة[4]؟ وقد يكونُ السؤال واجبًا وهو فيما كلفناه، وقد يكون مندوبًا وهو فيما يستحب[5] ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عن مسألتكم السالفة، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾: سأل مثل الأشياء، فالمضاف محذوف، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: أنبياءهم، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا﴾: بالأشياء، ﴿كَٰفِرِينَ﴾ ثم بين نوعًا آخر من الخبيث وهو آخر الشرع بقوله: ﴿مَا جَعَلَ﴾: شرع، ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾: ناقة ولدت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكرا أكلوه وبحروا، أي: شقوا آذانها وحرموا ركوبها، وإن كانت أنثى يخرم أذنها

---

(١) عن عكرمة في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ قال: ذاك يوم قام فيهم النبي ﷺ فقال: «لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به» قال: فقام رجل، فكره المسلمون مقامه يومئذ، فقال: يا رسول الله ! من أبي ؟ قال: «أبوك حذافة»؛ قال: فنزلت هذه الآية.

* رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٢) وسنده حسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢١٩/ ٦٨٨٢) وسنده ضعيف جدا.

(٣) يعني رجل آخر من الأعراب.

(٤) رواه الطبري (٧/ ٥٣) وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٨/ ٣٧٠٤/ إحسان) وسنده صحيح.

(٥) يشير إلى حديث: «إن الله – عز وجل – فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

* رواه الدارقطني (٤/ ١٨٤) والحاكم (٤/ ١١٥) وسنده لا بأس به.

دوامها[1]، وحرموا ركوبها وحلبها، ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾: ناقة نذر صاحبها ألا يركبها، إن حصل مراده، ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: أنثى البطن السابع إذا جاءت مع ذكر تركوها لآلهتهم، ولم يذبحوا الذكر أيضًا وقالوا: وصلت الأنثى أخاها، وإن كان ذكرًا فقط حيًّا وميتًا أطعموه الرجال، وإن كان أنثى تركوها لآلهتهم، ﴿وَلَا حَامٍ﴾: فحل نتج من صُلْبه عشرة أبطن لم يحملوا عليه؛ لأنه حمى ظهرهُ، هذا تفسيرها المشهور، وقيل غير ذلك[2]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في تحريمها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فيُقلِّدون رؤسائهم فيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ﴾: اتباع، ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى﴾: اتباع، ﴿ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَ﴾ حسبهم ذلك، ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: فلا يصحُّ التقليد إلَّا لمن عُلِم أنه عالم مهتد، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ﴾ الزموا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: بإصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾: ضلالُ، ﴿مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: بشرط أن تجربوا أنه لا ينفعهم نصحكم كما صح في الحديث[3]، لأنه لما سئل- ﷺ- أجاب عن ذلك، ومعنى ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: أهل دينكم، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فيما فرض عليكم، ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: خبر بمعنى الأمر، والإضافةُ إلى الظرف اتساعًا، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾: بدل من إذا، ﴿ٱثْنَانِ﴾: فاعل شهادة، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: من المسلمين، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: كالنصارى[4]، ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم يعني بشرط لإيصاء

---

(١) مُدة دوامها أي: حياتها.

(٢) معاني القرآن- للزجاج (٢/ ٢٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٨)، الوسيط (٢/ ٢٣٥)، أحكام القرآن- لابن العربي (٢/ ٧٠١).

(٣) يشير إلى حديث: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت الأمر لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع أمر العوام»... الحديث. رواه الترمذي (٤/ ٣٢٣/ ٥٠٥١)، وأبو داود (٤/ ١٢٣/ ٤٣٤١) والحاكم (٤/ ٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني (٢٢/ ٢٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٤٧، ٣٤٨) وسنده صحيح.

(٤) من غير أهل ملتكم، قال الواحدي: في قول عامة المفسرين. * الوسيط (٢/ ٢٤١).
قال شريح: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو =

الكافر[1] كونكم في السفر، ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾: فإن ارتبتم، ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: توقفونهما، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: صلاة العصر[2]، ﴿فَيُقۡسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: فيهما، ويقولان: ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ﴾: بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنٗا﴾: عرضًا من الدنيا، ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾: من يقسم له، ﴿ذَا قُرۡبَىٰ﴾: أي: قريبنا حاصله نصدق ولو علينا، ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾: المأمورة، ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾: إنْ كتمنا ﴿لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ۞ فَإِنۡ عُثِرَ﴾: اطلع، ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ﴾: اقتطعا، ﴿إِثۡمٗا﴾: بيمينهما الكاذبة، ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾: مقام الشاهدين في توجه اليمين إليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ﴾: مجهولا أي: ارتكب الإثم، ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: أي: بالنسبة إليهم، وهم الورثة، ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾: بدل من الذين، وإما معروفا أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان الأحقان بالشهادة لمعرفتهما، وهما الآخران، ومفعوله محذوف، وهو التجرد للشهادة، واليمين، والمراد اثنان من أقارب

= أي كافر فشهادته جائزة.

وقال آخرون: لا تجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم.

* معاني القرآن – للزجاج (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨)، تفسير الطبري (٧/ ٦٨، ٦٩).

* قال الموزعي في تيسير البيان (٣/ ٢٢٢): إن هذه الآية استعصت على أهل العلم وصعبت عليهم، وذهبوا في تقرير أحكامها وتأويل ألفاظها كل مذهب، وربما أفردها بعضهم بالتصنيف، وما ذاك إلا لمخالفة ظاهرها القواعد المتقررة في الشريعة من ثلاثة أوجه:

- أحدها: قبول شهادة غير أهل ملتنا، والله – تعالى – يقول: ﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾.

- ثانيا: إيجاب اليمين على الشاهدين، والشاهد لا يمين عليه إجماعا، سواء قامت ريبة أو لم تقم.

- ثالثها: اشتراط اثنين في اليمين من الذين استحق عليهما عند الاطلاع على إثم الشاهدين واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود، واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود وأما تعدد الحلف، فهو معهود، كما في القسامة، وإيمان اللعان .اهـ.

قلت– أبو الحسن–: والحاصل قبول شهادة الذمي إذا كان وصيا، أما إذا كان غير وصى فلا تقبل شهادته .اهـ.

(١) كذا.

(٢) وهو قول عامة المفسرين وأهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الأكاذيب والحلف الكاذب. * تفسير الطبري (٧/ ٧٢)، أحكام القرآن (٢/ ٧٢٤)، تفسير القرآن العظيم – لابن كثير (٢/ ١١٢)، الوسيط (٢/ ٢٤١).

الورثة يقومان، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾: على خيانة الشاهدين ويقولان: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾: يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ بالاعتبار، ﴿مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: ما تجاوزنا عن الحق، ﴿إِنَّآ إِذًا﴾: إن اعْتدينا ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وتخصيص العدد؛ لخصوص الواقعة؛ لأنه يصحُّ الإيصاء إلى واحد، والمستحقان المنزل فيهما: عمرو بن العاص والمطلب ابن أبي رفاعة السهميان، والميت بديل[1] مولى عمرو بن العاص والوصيان المرتابان: تميم الداري وعدي بن زيد حين نَصْرَانِيَّتِهما في سفر الشام[2].

وعن عمر -رضي الله عنه-: هذه الآية أعْضَلُ ما في هذه السورة من الأحكام[3].

وأجمع المفسرون على أنها في غاية الصعوبة إعرابا ونظما، وقد بان حَلُّها.

* رُوي أن تَميمًا وعديا في نصرانيتهما كانا في سفر إلى الشام مع بديل، وكان مسلما فمرض «بديل» فدوَّن ما مَعهُ في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناءً من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصابَ أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾... الآية فحلفهما- ﷺ- بعد العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فقالا: اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقربه فرفعوهما إلى النبيِّ- ﷺ- فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فقام عمرو والمطلب وحلفا[4] ﴿ذَٰلِكَ﴾: الحكم من رد اليمين، ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلى ﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: كما في نفس الأمر ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾: إلى أولياء الميت، ﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: فيفتضحوا، حاصله ذلك أقرب إلى أحد الشيئين، إما: أداء الشهادة صدقا أو الامتناع عن أدائها كذبا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾: سمع إجابةٍ ﴿وَٱللَّهُ لَا

---

(١) ابن أبي مارية الرومي.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٠٥٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٣١)، والطبري في الكبير (١٢٥٠٩)، والدارقطني (٤/ ١٦٨)، وأبو نعيم في المعرفة (٣/ ١٥١، ١٥٢/ ١٢٢٢، ١٢٢٣) وسنده باطل فيه الكلبي.

(٣) تيسير البيان (٣/ ٢٢٢).

(٤) سبق تخريجه وبيان بطلانه .اهـ.

﴿يَهْدِى﴾ إلى طريق الجنة ﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الذين لا يسمعون، اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ﴾: توبيخا، ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: من الإقرار والإنكار، ﴿قَالُوا﴾: لدهشتهم من أهواله، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾: أي: لا نعلم باطن أمورهم التي يجازون عليها بقرينة، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: تعلم ما لا نعلم، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك، ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل كما مرَّ، ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: تدعوهم إلى الله، ﴿فِى الْمَهْدِ﴾ طفلا ﴿وَكَهْلًا﴾: أي: بعد نزوله من السماء إذ رفع شابًا ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾: الخطَّ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: العلم والعمل به ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾: تُشكِّلُ[1] ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾: بأمري، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾: يطير ﴿بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾: من قبورهم بإحيائهم ﴿بِإِذْنِى﴾: كما مرَّ ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ عَنكَ﴾: عن قتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾: بلسانك، ﴿إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ﴾ بأن ﴿ءَامِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ﴾: يا عيسى، ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، اذكر، ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾: يطيع ويجيب سؤالك، ﴿رَبُّكَ﴾: أو هو كقولك: أتستطيع أن تجيء معي مع علمك باستطاعته وبالخطاب، ونصب ربك[2] أي: بسؤال ربك، ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾: خوانا[3] فيه طعام، ﴿مِّنَ السَّمَآءِ قَالَ﴾: عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في سؤال الآية على هذه الكيفية، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾: فلا نطلبها آية، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بزيادة علمنا، ﴿وَنَعْلَمَ﴾: نشاهد، ﴿أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: في وعدك عناية الله علينا، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾: على تلك المائدة ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: نشهد عند من لا يشهدها من بني إسرائيل، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾:

---

(١) في (د): الهيكل.

(٢) قرأ الكسائي وعلي ومعاذ وابن عباس وعائشة ومجاهد وابن جبير: (هل تستطيع ربك).

* البحر المحيط (٤/ ٥٤)، تفسير الطبري (١١/ ٢١٨).

(٣) الخوان: السفرة.

سرورا مجازا؛ لأنه سببه، ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾: مقدمينا، ﴿وَءَاخِرِنَا﴾: متأخرينا ولما نزلت[1] يوم الأحد[2] اتخذت عيدا، ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: على كمال قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ قَالَ ٱللَّهُ﴾: مجيبا له: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾: لا أعذِّبُ به، ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم، والأصح أنها نزلت[3] قيل كانت سُفْرَةً حمراء بين غمامتين فيها سمكة مشوية بلا فلوس[4] وشوك وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل وحولها ألوان البقول سوى الكراث وخمسة أرغفة عليها الزيتون والعسل، والسمن والجبن والقديد فأكلوا ثم طلبوا آية أخرى في ذلك فقال: يا سَمكةُ احيى بإذن الله - تعالى - فاضطربت ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، ثم طارت المائدةُ ولم يؤمنوا فمُسِخُوا قردة وخنازير، قيل: ما مسخ أحد قبلهم خنازير، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ لعيسى حين رُفِع أو في القيامة والماضي للتقريب، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقيَّدَ ﴿دُونِ﴾؛ لأن عبادته مع عبادة غيره كلا عبادة، أو ﴿دُونِ﴾ للقاصر عن الشيء إذ هم عبدوهما توصلا بهما إلى عبادته فلا يرد أنهما اتخذوهما إلهين لا دونه كسؤال الموؤدة: ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[5] توبيخًا لهم، أو لإعلامهم كيلا يشفع لهم، ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا[6] لك من الشريك، ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا﴾ أي: قولا، ﴿لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾: أخفيه، ﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا﴾: تخفيه، ﴿فِى نَفْسِكَ﴾: مشاكلة، أو النفس الذات، لا الجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير[7]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أنكره بخمسة وجوه، خامسها: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ أي: في أمر التوحيد، ﴿إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾: إذ الأمر أعم مما للوجوب أو الإباحة ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى

---

(١) يعني المائدة.

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٢/ ٢٤٣)، وللفراء (١/ ٣٢٥، ٣٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٤، ١١٥) تفسير الطبري (٧/ ٨٦)، معاني القرآن - للزجاج (٢/ ٢٤٣) الدر المنثور (٢/ ٣٤٦) فتح القدير (٢/ ٩٤).

(٤) قشر.

(٥) سورة التكوير.

(٦) في (د): ننزهك من الشرك، وفي (س): تنزيهك.

(٧) قلت: الأولى الإثبات ثم التفويض، وهو سبحانه كما وصف نفسه.

﴿وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: مُشاهدا لأحوالهم، ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: أخذتني وافيًا بالرَّفع إلى السماء، ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: تسخيرا وقهرًا[1]، وللمالك أن يتصرف في عبيده كيف يشاء، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: مع كفرهم بلا عَجْزٍ ولا استقباح، ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في الثواب والعقاب، دَلَّ بالترديد والتعليق بأن على جواز مغفرة الشرك وهي غير ممتنعة؛ لأن عدمها يقتضي الوعيد ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مجيبا له في تبريه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾ أي: يوم القيامة، وبالنَّصب[2] ظرف لقال، ﴿يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: في الدنيا، مقالا وفعالا بترك الرياء، ﴿صِدْقُهُمْ﴾: فانتفاعهم به في الدنيا كلا انتفاع لفنائها، وأما صدق إبليس بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾.. إلى آخره[3] فلا ينفع كذبه في الدنيا التي هي دار العمل، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هذا نفعهم، ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾: خلقًا وملكًا، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: غلب غير العقلاء فيما فيهن؛ تنبيهًا على قصورهم عن رتبة الربوبية- والله أعلم بالصواب.

❁❁❁

---

(١) طوعا وكرها.

(٢) قرأ نافع وابن محيصن: (يَوْمَ) بالنصب. ❁ السبعة (٢٥٠)، غيث النفع (٢٠٥).

(٣) سورة إبراهيم.

«سورة الأنعام»: مكية(١)

لمَّا بيَّن أن له مُلك السموات والأرض وما فيهن، أخبرنا بأنه الحقيق بالحمد على خلقهن فقال: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: جمع السموات لاختلاف أشخاصها ذاتا وآثارا دون الأرض، وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الخلق في الحِسّ، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: عبّر بالجَعْل الذي فيه معنى التضمين أي: كونه محصلا من آخر كأنه في ضِمْنه دون الخلق الذي فيه معنى التقدير بيانا لعدم قيامهما بأنفسهما ردًّا على الثنوية(٢)، وجمعها لكثرة أسبابها كالليل والكسوف، ولكثرة الأجرام الحاملة لها، فإن كل جرم ذو ظل، وظله ظلمة، ولأن النور مصدر كما في المفصل، ولأن المراد بها(٣): الضلال، وبه(٤) الهدى، وهي كثيرة ﴿ثُمَّ﴾ للاستبعاد، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾: أي: به، ﴿يَعۡدِلُونَ﴾: غيره في العبادة، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾: ابتداء، ﴿مِّن طِينٖ﴾: لأن النطفة من الغذاء وهو من الطين أو آدم منه، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗا﴾: الموت، ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمًّى﴾: القيامة، أي: علمها، ﴿عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾: تشكون فيها، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: المستحق للعبادة، ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق بالمعنى الوصفي الذي يتضمنه لفظ الله من صفات الكمال كهو حاتم في طيء، على تضمين معنى الجواد، ولا يتعلق بلفظه؛ لأنه اسم لا صفة، أو متعلق بقوله: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾: ذكره للمقابلة، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: الدالة على وحدانيته وصدق رسله، ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا﴾: عن التفكر فيها،

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأنعام مكية مائة وخمس وستون آية وست عند البصريين إلا ثلاث: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ إلى آخر الثلاث، ثم الصافات. كلماتها (٣٠٥٣) وحروفها (١٢٤٢٢).
وانظر: عدد سور القرآن – لابن عبد الكافي (٢٢٨).

(٢) القائلين بإلهين للعالم إله للنور: وإله للظلمة.

(٣) يعني: الظلمات.

(٤) يعني: النُّور.

﴿مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾: أخبار، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: القرآن، ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: علمًا[1]، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة مقترنة في قدر مدة مائة سنة، ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾: أعطيناهم ما تمكنوا به من نحو العمر والمال، ﴿فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر أو السحاب، ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾: كثير الصب، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: تحت غرفهم، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بنحو القحط والصواعق، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾: بدلًا منهم فليعتبروا، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: مكتوبا، ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: وهو أبلغ في المعرفة من المعاينة، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما، ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا، ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبر بنبوته، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾: يرونه فكذبوه، ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لحق هلاكهم؛ لأن سُنَّة الله جرت باستئصال من اقترح آية ثم لم يؤمن بعدها، ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾: المرسل إلى محمد ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على صدقه ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: أي: في صورته؛ لأن البشر[2] غير الرسول لا يقدر على رؤية الملك في صورته، ونبينا -ﷺ- رآه كذلك مرتين[3] ﴿وَ﴾ لو جعلناه رجلا، ﴿لَلَبَسْنَا﴾: لخلطنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فلا يدري أملك أم لا ؟ ﴿مَا يَلْبِسُونَ﴾: يخلطون[4]، فينفون أنه ملك ويكذبونه، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فاصبر مثلهم، ﴿فَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: من الرسل وبال[5] ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ قُلْ﴾: لهم، ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فإنكم أميون ما جالستم العلماء، وبين في آل عمران، ﴿ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾: مآل، ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾:، فاعتبروا، والفرق بينه وبين: فانظروا أن السير فيه لأجل النظر وهنا أمر إباحة لنحو التجارة، ثم إيجاب للنظر، ثم لتفاوت الأمرين، أو الأولى

---

(١) فالرؤية علميَّة. قلت: ولا مانعَ أن تكون بصريّة بالوقوف على آثار من تقدّمَ.
(٢) يعني العَادي.
(٣) سيأتي بيانه في سورة التكوير.
(٤) ولذا كان جبريل- عليه السلام- ينزل في صورة دحية بن خليفة- رضي الله عنه-.اهـ.
(٥) الوَبَالُ: السوء، والوبيل: الوخيم.

للوجوب أيضًا، كتوضأ ثم صلى، وثم لتفاوت الواجبين، ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: خلقا ومُلكا، ﴿قُل لِّلَّهِ﴾: فإنهم لا ينكرونه، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾: التزمها تفضُّلا، ومنها الهداية إلى معرفته والإمهال على الكفر، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ ﴾ في ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيجازيكم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾: في ذلك اليوم، ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾: بتضييعهم فطرتهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ ﴾: استقر، ﴿فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: أي: ما اشتملا عليه، يعني في كل الأزمنة، وقدم الليل؛ لأنه الأول، ومناسب لقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾ فيكون من السكنى أو من السكون، واكتفى بأحد الضدين[1]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه شيء ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾: معبودا، ﴿فَاطِرِ﴾: مبدع، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾: أي: مُحتاجٌ إليه غير محتاج، عبر بالإطعام؛ لأن حاجتنا إليه أكثر، ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾: وهو سابق أمته إسلاما، ﴿وَ﴾: قيل لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: بمداهنتهم، ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾: تعريض باستحقاقهم ﴿ مَّن يُصْرَفْ ﴾: الله، أو يصرف العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ﴾: الصَّرف، ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كمرض قيل: الباء للتعدية إلى المفعول الثاني وإن كانت التَّعديةُ بالباء في المتعدي قليلًا أي: يجعلك مَاسّ الضر، وأصل المس تلاقي جسمين، ﴿فَلَا كَاشِفَ ﴾: مزيل، ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾: كصحة، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ولا راد لفضله، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ ﴾: الغالب المستعلي، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾: استعلاء يليق بجلاله والقهر إما للغلبة، أو التذليل، وهذا من الأول، وكذا: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[2]، ومن الثاني: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[3]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في أفعاله، ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴾: بخفياتنا، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ ﴾: شهيدا، ﴿أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾: بنبوتي، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ﴾: إذ لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌۢ

---

(١) إذ كان معلوما كقوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ أي: والبرد. اهـ.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة الضحى.

بيني وبينكم ﴾: ولا تظن منه جواز نداء الله تعالى بـ((ياشيء))؛ فإن صحة ندائه مخصوصة بما يدل على المدح والكمال[١]، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ ﴾: ناطقا بالحجج، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَ﴾: أنذر، ﴿مَن بَلَغَ ﴾: بلغهُ القرآنُ، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ ﴾: بـه، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾: بـه، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾: بنعوتـه المـذكورة في كتـبهم، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾: من الكفرة، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾: به، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾: بُيِّنَ[٢] مرة، ﴿مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: كـالكفرة، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾: كـالقرآن والمعجزات، ﴿إِنَّهُ ﴾: الـشأن، ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾: فضلًا عن[٣] الأظلم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾: العابد والمعبود، ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ ﴾: توبيخا، ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ ﴾: آلهتكم، ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾: أنهم شركاء، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾: تخليصهم أنفسهم بزعمهم أي: عذرهم الذي يتخلصون به، ﴿إِلَّا أَن قَالُوا ﴾: يوم القيامة، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ وحينئذ يختم على أفواههم وتشهد جوارحهم ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا ﴾: بنفي الشِّرْك في الآخرةِ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ ﴾: غـاب، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾: إلهيتـه، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾: إذا قـرأت القـرآن، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: أغطية كراهـة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾: ثقلا وصَممًا عن قبوله، ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ ﴾: مُعجزةٍ، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ ﴾: أي: بلغ عنادهم إلى أنهم، ﴿إِذَا جَاءُوكَ ﴾: في حالـة ﴿يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ ﴾: مـا[٤]، ﴿هَٰذَا ﴾: القرآن، ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ ﴾: أحاديـث، ﴿الْأَوَّلِينَ ﴾: أي: أباطيلهم، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ ﴾: الناس، ﴿عَنْهُ ﴾: عن الرسول، ﴿وَيَنْأَوْنَ ﴾: يتباعـدون، ﴿عَنْهُ ﴾: بعـدا، ﴿وَإِن ﴾: مـا، ﴿يُهْلِكُونَ ﴾: بـذلك التباعـد، ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾: كالبهائم، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾: وعـاينوا أهوالهـا لرأيـت أمـرا فظيعـا[٥]،

---

(١) من (ح)، و(س)، و(ع). وسقطت من (ن).

(٢) في سورة البقرة أي: لا أحد أظلم، فالاستفهام بمعنى النفي.

(٣) كذا وفي البيضاوي: فضلًا عمن لا أحمد أظلم منه.

(٤) فـ«إن» بمعنى «ما» كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . اهـ.

(٥) هذا جواب «لو».

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: وبنصب الفعلين بضمير أن بعد الواو ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾: من قبائح أعمالهم، فتمنوا الإيمان ضجرا لا محبةً، ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾: إلى الدنيا، ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾: من الكفر للحكم الأزلي به، ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: فيما وعدوا في ضمن تمنيهم ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ﴾ ما الحياةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۞ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾: كوقوف العبد الجاني بين يدي سيده، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾: البعث، ﴿بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۞ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: البعث وما يتبعه، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غاية تكذيبهم ﴿إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: مقدمتها وهي الموت ﴿بَغۡتَةً﴾: فجأة، ﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا﴾: تعالي فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا﴾: تقصيرنا ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا، ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ﴾: آثامهم ممثلة بأقبح صورة منتنة، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ﴾: ونسوقهم إلى النار، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: يحملون، ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ﴾: ما يشغلك عما ينفعك إلى ما لا ينفعك، ﴿وَلَهۡوٞ﴾: صرف النفس من الجد إلى الهزل يعني لا تعقب نفعا مثلهما، ﴿وَ﴾: الله، ﴿لَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: لدوام لذاتها، وأما خيريتها لنحو المجانين والصبيان فبالتبع ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: أنه كذلك، ﴿قَدۡ﴾: في مثل ذلك لمجرد التحقيق ﴿نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾: من التكذيب، ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: حقيقةً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لكنهم، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾: هو كقولك لعبدك: ما أهانوك بل أهانوني، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾: فاصبر حتى أتاك، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مواعيده فلا تستعجل، وأمَّا وعيده فيمكن تبديله بالعفو، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن﴾: بعض، ﴿نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: كيف صبروا، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: شقَّ، ﴿عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ﴾: عنك ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ﴾: تطلب، ﴿نَفَقٗا﴾: منفذا، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: تنفذ فيه، ﴿أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: تصعد به إليها، ﴿فَتَأۡتِيَهُم﴾: من أحدهما ﴿بِـَٔايَةٖ﴾: تلجئهم إلى الإيمان فافعل، يعني: لا يغير حكمنا الأزلي فاصبر ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة الفتح.

لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾: بالحرص على ما لم نرد، وإنما خاطب نوحا بألين من هذا، وهو قوله: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1] لوضوح عذره؛ لأنه وعده إنجاء أهله، ونبينا عليه الصلاة والسلام علم أنَّ إيمانهم بمشيئة الله، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجيب دعوتك، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: لا من ختم على سمعه، ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾: مجاز عن الكفرة، ﴿يَبْعَثُهُمُ﴾: يجيبهم، ﴿ٱللَّهُ﴾: فيعلمهم حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا﴾: هلَّا، ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: كملك يشهد له ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾: وفق طلبهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ إجابته تضرهم لعدم نفعهم ولإهلاكهم بعدها كما هو سنة الله، لا يقالُ: فلكل نبي أن يجيب كذلك فلا يحتاج إلى معجزة، لأن هذا الجواب بعد ثبوت نبوته بمعجزة، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى﴾: جميع، ﴿ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ صنفان من جميع الطير ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: فالوصفان لمزيد[2] التعميم، أو لئلا يتوهم المجاز أوقد يقال: الدابة لغير معناها الحقيقي، وقد يقال: للمسرع[3] طير ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مقدرة أرزاقها وآجالها وأحوالها فيقدر على: «أن تأتيهم بآية» وجمع الأمم حملًا لها على المعنى، ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: قصرنا، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللَّوح المحفوظ ﴿مِن شَىْءٍ﴾: إذ فيه كل ما يجري في العالم، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: فيجزون ويقتص للجماء من القرناء، كما في الحديث[4].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ موت البهائم حشرها[5]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ﴾:

---

(١) سورة هود.

(٢) والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه. * الكشاف (٢/ ٢١).

(٣) يعني الذي يجري بسرعة.

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها». رواه أحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٧٢، ٤١١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٣)، ومسلم في صحيحه (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠) وابن حبان (١٦/ ٣٦٣/ ٧٣٦٣/ إحسان) وهذا لفظه. والجماء: التي لا قرن لها، والقرناء: ذات القرون.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٣)، معالم التنزيل (٤/ ٤٥١).

عن سماع قبولها، ﴿وَبُكْمٌ﴾: عن الحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمات الكفر والجهل والعناد، ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضْلِلْهُ﴾: فيميته على الكفر، ﴿وَمَن يَشَأْ﴾: هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فيميته على الإسلام، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أبصروني وأعلموني وأخبروني، جعلوا طلب العلم والبصر موضع طلب الخبر؛ لاشتراكهما في الطلب، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل موتكم، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾: وأهوالها، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾: في صرفه، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أن الأصنام آلهة، ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾: تخصونه بالدعاء ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: إلى كشفه وعذاب الساعة، ﴿إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾: فلا يذكرونه حينئذ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: الرسل، ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾: بالشدة كالقحط، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: كالأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: إلى الله تائبين، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾: أي: لم يتضرعوا مع موجبه ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ما لانت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضرَّاء ولم يتعظوا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من مشتهياتهم استدراجا ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون[1] من كل خير ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ﴾: آخره وأصل، ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: علمنا الحمد على تخليصنا من شؤمهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾: حتى لا تفهموا شيئا، ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بأحد منها أو بذكر المذكور، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نُوضِّحُ ونكرِّرُ ﴿الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرضون عنها ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: أي: على غفلة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: مع تقدمه، ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾: [ما يُهلَكُ] به هلاك سخط، ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾: كما فعل في الأمم، فلا يرد أن غيرهم يهلكون ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: لا نطلب منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات ﴿فَمَنْ

---

(١) الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، قال بعضهم: وإبليس مشتق منه، وقيل: الإبلاس التحير واليأس. * عمدة الحفاظ (١/ ٢٢٧).

﴿ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾: العمل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾: يصيبهم ﴿ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: ولما كان من تكذيبهم قولهم: إن صدقت فوسِّع لنا وأخبرنا عن المستقبل فيما نأكل، نزلت[1]: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: لأوسع عليكم ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: حتى أخبركم بمستقبل الأمور، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾: فاقدرعلى ترك الأكل، وما قيد الثاني بالقول[2]، لأن كثيرا من الناس يزعمونه فنفاه عن نفسه، ونفى زعم الآخرين، ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: كالرسل قبلي، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: الضال، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: المهتدي، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فتهتدون، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: هول ﴿أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: لا مُنكريه؛ فإنهم أشقياء لا ينتفعون به، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾: يتولَّى أمُورهُم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفعهم بدون إذنه، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾: لا تبعد عن مجلسك بسؤال عظماء قريش، فقراء المؤمنين، ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: أي: دائما، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: مخلصين لذاته، ﴿مَا﴾: أنزل، ﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾: حساب إيمانهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾: فيمكن أن يكون إيمانهم أعظم عند الله من إيمان من تطردهم ليؤمن، ﴿وَمَا﴾: أي: كما أنه ما، ﴿مِنْ حِسَابِكَ﴾: حساب إيمانك، ﴿عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾: والجملتان بمنزلة واحدة، عنى بها مؤدي: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فمعناه: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه فلم تكف الأولى، أي: لم تكف جملة ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَكَذَٰلِكَ﴾: الفتن، ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ كالشريف الكافر بالوضيع المؤمن، ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾: في فقراء المؤمنين: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: أي: لو مَنَّ لمَنَّ علينا، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: فيوفقهم لشكرهم، ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: الفقراء المنهي عن طردهم ﴿فَقُلْ﴾: منك، ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أو بلّغ سلامنا إليهم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٧).

(٢) يعني: لم يقُل: ولا أقولُ: أعلَمُ الغيب.

التزمها، ﴿أَنَّهُۥ﴾ وبالفتح بدلٌ من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾: جاهلًا بمفاسدها، وقال الحسن: كل من عمل معصية فهو جاهل، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾: عمله، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: له، ﴿رَّحِيمٌ﴾: به، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ، ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: نوضح الحق ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: ليظهر، ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: ويظهر منه سبيل المؤمنين، أو مثل: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[1] ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾: عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾: تأكيد لقطع أطماعهم، وبيان لمبدأ ضلالهم، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾: إن فعلتُ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: مثلكم، ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّةٍ واضحةٍ ﴿مِّن﴾: جهة، ﴿رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: بالبينة باعتبار القرآن ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: من العذاب، أي: قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾[2].. الآية، ﴿إِنِ﴾: ما، ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: الفَصْل بيننا بالعذاب، ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ يتبع أو يقول وقرئ: (يقْض) ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: القاضين، ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾: من العذاب، ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: بتعجيله، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بوقت عقابهم، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾: جمع مفتح بفتح الميم، أي: مخازن، ﴿ٱلْغَيْبِ﴾: الغيب، أي: هو المنفرد بعلم المغيبات، أو هي الخمسةُ التي في آخر لُقمان ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: أي: كل شيء، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾: لأنه يسقطها بإرادته، ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: بطنها، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: أي: كل شيء، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ وفي معنى الواو، وكذا كل أشبههما بعد استثناء بخلاف الاستثناء، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم﴾: ينيمكم، ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: بقَبض أنفسكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: كسبتم، ﴿بِٱلنَّهَارِ﴾: جَرَى في القيدين على الغالب ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾: يوقظكم، ﴿فِيهِ﴾: في النهار، ﴿لِيُقْضَىٰٓ﴾: ليستوفى، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مدة العمر المقدر، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: الغالب، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: فوقية تليق بجلاله

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الأنفال.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: لأبدانكم، وهم المعقبات[1] أو لأعمالكم[2] وهم الكرام الكاتبون، وحكمة إرسالهم أنا إذا عرفنا أن أعمالنا تكتب وتعرض علينا على رؤوس الأشهاد فهذا زجر لنا من أن يكون أمرنا بيننا وبين سيدنا الكريم معتمدين على لطفه[3]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: مَلَكُ الموت وأعوانه ﴿وَهُمْ﴾: كل المذكورين ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يُقصِّرون فيما أُمروا به ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾: العباد المفهوم من أحدكم، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾: متولي أمورهم، ﴿ٱلْحَقِّ﴾: العَدْل، وأما قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[4] فبمعنى النَّاصر فلا منافاة، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: يومئذ لا لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحاسبنا في قدر نصف نهار من أيام الدنيا كذا في الحديث[5]، ﴿قُلْ﴾: توبيخًا، ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ﴾: شدائد، ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: إعلانًا ﴿وَخُفْيَةً﴾: قائلين والله، ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: الظلمات، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾: من الظلمات، ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾: ولا تشكرون ﴿قُلْ هُوَ﴾: وحده، ﴿ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: كعذاب عادٍ أو الأُمراءِ السُّوْء ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: بنحو الخَسْف أو الخَدَم السُّوْء، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم، ﴿شِيَعًا﴾: فرقا مختلفين متشايعين، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ﴾ شِدَّةَ ﴿بَعْضٍ﴾: بتسليط بعضكم على بعض بالقتل ونحوه، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نوضِّح ونكرِّرُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقرآن الدال عليه الآيات، ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: مُوكَّلٌ عليكم لأمنعكم من التكذيب، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبر من أخبار الله، ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت وقوع، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إمَّا في الدنيا أو في العقبى أو مُبعضًا[6]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: بنحو الطَّعن ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: بترك مجالستهم، ﴿حَتَّىٰ

---

(١) كما في سورة الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ وستأتي.

(٢) في (ن): لأعمالهم.

(٣) في (د): فضله.

(٤) سورة محمد.

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٣١٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣٢).

(٦) بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾: غير الخوْض ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: هو الذي يوسوسه، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾: التذكرة ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: أي معهم ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم ﴾: مما يحاسبون عليه ﴿مِّن شَيْءٍ ﴾: من الإثم إن قعدوا معهم ﴿وَلَٰكِن ﴾: عليهم، ﴿ذِكْرَىٰ ﴾: وعظهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾: الخوض أو نحوه، قيل نسخت بآية النساء[1]، ﴿ وَذَرِ ﴾: أعرض عن ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾: كعبادة الحجر، وتحريم البحائر، وكذا من جعل طريقته الخمر والزَّمْر والرَّقْص ونحوه، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ ﴾: بالقرآن، مخافة ﴿أَن تُبْسَلَ ﴾: تسلم إلى الهلكة، ﴿نَفْسٌۢ ﴾: للعموم، أي: كل نفسٍ ﴿بِمَا كَسَبَتْ ﴾: من سوء العمل ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾: يدفع عذابها، ﴿وَإِن تَعْدِلْ ﴾: تفتد النفس، ﴿كُلَّ عَدْلٍ ﴾: فداء يتصور، ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ ﴾: سُلِّمُوا للعذاب ﴿بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾: ماء مغلي يقطع الأمعاء، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۞ قُلْ أَنَدْعُوا۟ ﴾: نعبدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾: كالأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾: نرجعُ إلى الشِّرْك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ﴾: كرر الذي، ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ﴾: أذهبته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾: عن الطريق المستقيم في مهامه[2] الأرض، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾: مُتحيِّرًا ضالًّا عن الطريق ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ ﴾: رفقاء ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾: الطريق المستقيم، قائلين: ﴿ٱئْتِنَا ﴾ ولا تلتفت إليهم، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ ﴾: دينه ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾: وغيره ضلال ﴿وَأُمِرْنَا ﴾: بذلك ﴿لِنُسْلِمَ ﴾: بإخلاصِ العبادةِ ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَأَنْ ﴾: بأن، ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾: فيجازيكم، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾: بالحكمة لا عبثا، ﴿وَ﴾ خلق، ﴿يَوْمَ﴾: حين، ﴿يَقُولُ ﴾: لما أراد تكوينه ﴿كُن فَيَكُونُ ﴾ فُسِّر مرة، أو يوم ظرف ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾: النافذ في الكائنات، ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾: قَرْنٌ يسع أهل السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل، خصَّهُ بالذكر لظهور تفرده به فيه، هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾: ما غاب، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾: ما حضر ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في خلقه،

---

(١) يعني: ﴿فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾.

(٢) جمع مهمه وهي الصحراء القفر.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: ببواطن الأشياء، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: لقب تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ﴾: التبصير، ﴿نُرِيٓ﴾ نبصرهذا حكاية عن الماضي، ﴿إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: رُبُوبيتة، أي: عرفناه دلائل ربوبيته، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أو عجائبهما ليستدل، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ﴾: ستره بالظلمة، ﴿ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾: الزهرة أو المشتري[1]، ﴿قَالَ﴾: حجة على قومه، ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾: قول من ينصف خصمه عالمًا ببطلانه، ثم يكر عليه فيبطله بالحُجَّة، فقوله هذا للاستدلال والحجة بقرينة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إلى آخره، و﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾، وكان قومه عابدي تمثال الكواكب، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ﴾: عبادة، ﴿ٱلْأَفِلِينَ﴾: لتغيرهم، واحتج بالأفول لا البزوغ لتعدد دلالته؛ لأنه[2] انتقال مع احتجاب بالأستار، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾: تعريض لقومه بضلالتهم، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾: ذَكَرهُ[3] لتذكيره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: جرمًا[4] وضوءا، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى مُحدث، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: أخلصتُ ديني، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: أبدعَ بلا سَبْق مثالٍ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: حال كوني، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: منكم، ﴿وَحَآجَّهُۥ﴾: جادله، ﴿قَوْمُهُۥ﴾: في التوحيد وخوفوه من آلهتهم، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي﴾: وحدانيَّة ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: إليها، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾: بالله في وقت، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾: من المكروه يصيبني من جهتها، ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتتركوا الشِّرْك ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾: مع أنه جماد، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾: الحقيق بالخوف عنه، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ﴾:

---

(١) غرر التبيان (٢٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٣)، الوسيط (٢/ ٢٩٠).

(٢) في (ن): أنَّهُ.

(٣) يعني لم يقُل: هذه.

(٤) جسما وحجما.

بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حجة ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحد والمشرك، ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما يجب الخوف عنه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾: لم يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: أي: بشرك، كذا في الحديث[1]، أو هو خلط باعتقاد فاسد، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ﴾: المذكورات من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ﴾: ألهمناها، ﴿إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلق ﴿حُجَّتُنَآ﴾ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: بالرفع والخفض[2]، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحقه، ﴿وَ﴾: من رفع درجاته أنا ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: خصَّه بالذكر دون إسماعيل مع أنه أكبر؛ لأنه من عجوزٍ عقيم فالمنة فيه أظهر، ﴿كُلًّا﴾: منهما، ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾: قبل إبراهيم وشرف الوالد شرف الولد، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: أي: إبراهيم وقيل: أي: نوح بقرينه يونس ولوط، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: وولد البنت من الذرية ﴿وَإِلْيَاسَ﴾: سبط هارون أخي موسى، ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾: ابني هاران أخي إبراهيم، أُدخل تغليبًا، ولأنه هاجر معه، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾: بالنبوة، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَ﴾: فضَّلنا، ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ ومنهم سيد العالمين - عليهم الصلاة والسلام - ﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ﴾: أي: صراطهم ودينهم، ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾: مع جلالتهم ﴿لَحَبِطَ﴾: بطل ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بكفرهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: جنسه ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة أي: العلم والعمل به ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾: بالنبوة أو بالثلاثة، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾:

---

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله - ﷺ - فقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «ألا ترون إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٤). وفي رواية: «ليس ذلك، إنما هو الشرك» رواه البخاري (١/ ١٥) و (٢/ ٢٣٥) و (٣/ ١٢٨)، ومسلم (١/ ٦٤).

(٢) يرفع أقوامًا ويضعُ آخرين.

هم الصَّحابة وتابعوهم، أو الفرس[1]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الأنبياء، ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾: الهاء للاستراحة للوقف، أي: فيما اتفقوا عليه في الأصول[2] أو في التوحيد والأخلاق: الجهة لتَجتمع فضائل كل منهم فيه، فلم يدل على تعبده بشرعهم، إلَّا أن يقال من الفروع ما اتفقوا عليه، ثم المراد: الأخذ بهديهم من حيث إنه طريق العقل والشرع، فلا يرد أن الواجب في العقائد انتزاع الدليل من العقل والسمع، لا الاقتداء، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ، ﴿أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ﴾: ما القرآنُ، ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: تذكرة، ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾: وما عرف اليهود أو المشركون ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: معرفته، ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾: من الكتب، ﴿قُلْ﴾: لهم، ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ﴾: يا يهود أو جعل المشركين كاليهود لتصديقهم له، وكذا كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾[3]، ﴿قَرَاطِيسَ﴾: تجزئونها جُزْءًا جُزْءًا، ﴿تُبْدُونَهَا﴾: أي: بعضها ﴿وَتُخْفُونَ﴾: بعضا، ﴿كَثِيرًا﴾: جعلوها ورقات كثيرة ليتمكنوا من إبداء بعض وإخفاء بعض، ﴿وَعُلِّمْتُم﴾: بالقرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ﴾[4] إلخ، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: أنزله فإنه متعين في الجواب، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: أباطيلهم، ﴿يَلْعَبُونَ﴾: لاعبين ولا عليك بعد التبليغ، ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية للبركات، ﴿وَلِتُنذِرَ﴾: به، ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل مكة، فإن الأرض دُحِيتْ مِنْ تحتها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل المشرق والمغرب[5]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: إيمانًا يعتد به بخلاف بعض أهل الكتاب، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالقرآن، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: فإن خوف الآخرة يحمله على التدبر حتى يؤمن بالنبيِّ والكتاب ويحافظ

---

(١) درج المؤلف- رحمه الله- على الاحتفاء بالفرس، وسبق الرد على ذلك وأن بلاد فارس منبع الكفر ورأسه وأسه وأساسه وكيف لا، والدجال يخرج منهم، وحماته من الرفضة والزنادقة يملؤون بلادها .اهـ.

(٢) كما في الحديث: «والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

(٣) ستأتي في هذه السورة في آخرها.

(٤) سورة القصص.

(٥) في نسخة (د): الشرق والغرب.

على ما هو عِمَاد الدين[١]، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بافتراء الأحكام، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: كمسيلمة، ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: وهذا تخصيص بعد تعميم، ﴿وَ﴾ لمزيد قباحته، ﴿مَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: كمن قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾[٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: كلهم، ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾: شدائد، ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾: بقبض أرواحهم كمتقاض مُلِظّ[٣]، قائلين زَجرًا ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾: في الحديث: «أرواح الكفار تأبى الخروج فتضربهم الملائكةُ حتى تخرج»[٤] ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم[٥] الموت، ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الذل ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾: قولا، ﴿غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فما آمنتم بها، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ جمع فريد[٦] منفردين عن الشفعاء والأهل والمال مجيئا، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: فيما بينكم، ﴿شُرَكَاءُ﴾: لله، ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وصلكم، وبالفتح[٧] ظرف لما المحذوفة ﴿وَضَلَّ﴾ ضاعَ ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنه شريك وشفيع، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾: شاق، ﴿الْحَبِّ﴾: بإنبات الزرع، ﴿وَالنَّوَىٰ﴾: بإنبات الشجر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾: كالنبات النامي الغاذي والحيوان، ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾: كالحب والنطفة، ﴿وَمُخْرِجُ﴾: عُطف على ﴿فَالِقُ﴾ لأن يخرج كمُبيّن لفالق إلى آخره، ومخرج لا يصلح لبيانه، ولذا غير

---

(١) يشير إلى حديث: «الصلاة عماد الدين» رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٨٠٧)، والديلمي في الفردوس (٣٧٩٥)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٦١) وله شواهد.
(٢) سورة الأنفال.
(٣) مُلّح، وفي (ن): مُسَلَّط.
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٧).
(٥) في (د): بعد.
(٦) نحو أسارى وأسير.
وقال الفراء: قوم فرادى وفراد، لا يجرونها، أي: لا يصرفونها، قال: تشبيها بـ«ثلاث» و«رباع»، قال: وواحدها فرد وفرد وفردان. * عمدة الحفاظ (٣/ ٢١٢).
(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر وحمزة وعاصم ومجاهد (بينكم) بضم النون.
* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٢)، والنشر (٢/ ٢٦٠).

الأسلوب بخلاف غير هذا الموضع ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾: كالحبِّ والنطف ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ﴾: كالنبات والحيوان إن، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الفاعل ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن توحيده ﴿فَالِقُ﴾: شاق، ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾: عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاق ظلم الإصباح أو خالق الإصباح، وهو القَبَسُ ﴿وَ﴾ هو ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾: مسكونا فيه للاستراحة من تعب النَّهار، وقراءة (جاعل)[1] نُصِبَ بمعنى الدوام التجديدي، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ للأوقات تعرف بدورها، مصدر «حسب» بالفتح، كما أن «حِسْبان» بالكسر مصدر «حَسب» وقيل: جمع حساب ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: بما قدَّره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خلق، ﴿لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾: غير النيِّرين[2] ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ﴾: الليالي في ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بينَّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنهم ينتفعون بها، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: فلكم مستقرٌّ كالأرحام ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: كالأصلاب، واعلم أن الأصلاب والأرحام والدنيا والقبر والمحشر إلى الجنة أوالنار، كل منها مستقر ومستودع بالنسبة، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾: خصَّه بالفقه، وهو تدقيق النظر؛ لأن الاستدلال بالأنفس أدقّ[3] من الاستدلال بالنجوم بالآفاق؛ لظهوره، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ﴾: جانب ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بسبب الماء، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: ينبت أو رزق كل ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات، ﴿خَضِرًا﴾: شيئا أخضر، ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: بعضه يركب بعضا، وهو السنبل ﴿وَ﴾: أخرجنا، ﴿مِنَ ٱلنَّخْلِ﴾: نخلا ﴿مِن طَلْعِهَا﴾: أكمامها، ﴿قِنْوَانٌ﴾: جمع قنو، عنقود، ﴿دَانِيَةٌ﴾: سهلةُ المجتنى لقصر النخل، خص القريبة بالذكر لزيادة النعمة فيها، وذكر الطلع مع النخل؛ لأنه طعام وإدام دون سائر

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر: (وجاعل الليل).
* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٣)، والنشر (٢/ ٢٦٠).
(٢) الشمس والقمر.
(٣) في (س): أقوى.

الأكمام وتقديم النبات لتقديم[١] القوت على الفاكهة، ﴿وَ﴾: أخرجنا به، ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾: أوراقها، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ثمارها، أو كلاهما في الثمرة كالرمان الحلو الأبيض الكبير، وبضدها، ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾: ثمر كلٍّ منها ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أخرج ثمره ﴿وَيَنْعِهِ﴾: نضجه مستدلين به على قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾: على كمال قدرته ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إلا المعاندين، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: الملائكة المجتنة: أي: المختفية أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كإطاعة الله، ﴿وَ﴾: الحال أنه، ﴿خَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا﴾: افتروا ﴿لَهُ بَنِينَ﴾ كعزير ومسيح ﴿وَبَنَاتٍ﴾: كالملائكة، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وفكر ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يصفونه به، ﴿بَدِيعُ﴾: مُبدع، ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مرَّ بيانه، أي: هو خالق الأجسام والتوالد فيها فقط، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾: وإنما الولد من متجانسين، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لم يقل به[٢] لتطرُّق التخصيص إلى الأول، ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الموصوف، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتوليه فكلوا الأمر إليه، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: في الدنيا؛ لأن فيها لا يرى إلا ما في جهة والله خالقها، لكن إذا تجلى بوجه يُمْكِنُ رؤيته تدركه الأبصار كما صح في الأخبار[٣]، والتغير للرائي لا للجبَّار، والنفي لا يعم الأوقات ولا الأشخاص، لأنه سالبة[٤] جزئيه كقولنا: ليس كل بصر يدركه، فيمكن تخصيصه على أن النفي لا يوجب الامتناع، فزعم المعتزلة في غاية الاندفاع، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: لأنه خالقها وتخصيصها للمقام، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: فلا تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾: فيدركها، ﴿قَدْ جَاءَكُم﴾: آياتُ القُرآن هي ﴿بَصَائِرُ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للعيْن ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ

---

(١) كذا.

(٢) وإنما قال: «بكُلّ».

(٣) أحاديث رؤية الله- تعالى- في الآخرة كثيرة جدا بلغت مبلغ التواتر، بل أفردت بتأليف للدارقطني والنحاس وغيرهما .اهـ.

(٤) قضيَّة منطقية.

﴿أَبْصَرَ﴾: وآمن بها، ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: نفعه ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾: عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾: ضرها، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: إن أنا إلا رسول ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّنُ ونكرِّرُ ﴿ٱلْأَيَٰتِ وَ﴾: نُصرِّفُها ﴿لِيَقُولُوا﴾ المشركون واللام للعاقبة ﴿دَرَسْتَ﴾: تعلمت من اليهود أو العجم، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: مضمونه: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾[1]، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فيجب اتباع أمره، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: قيل نسخت[2] بالسيف، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا﴾: لكن له حكمة[3] في إضلالهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظُ أعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أصنامهم، وهذا من الإعراض عنهم، ﴿فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا﴾: ظُلمًا، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، دَلَّ[4] على النَّهي عن طاعة تورث معصية راجحة بخلاف المعصية الموجودة ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: كافرة، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: كآيات موسى وعيسى، ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا عندي، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: استفهام إنكاري أي: لا يشعرون ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ﴾: الآيةُ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: والله يعلم ذلك، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو جئنا بما اقترحوا فلا يفقهونه، ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ﴾: بما جئنا به من الآيات كشق القمر وغيره، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ﴿وَلَوْ[5] أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: فرأوهم عيانا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: في حقيقة القرآن، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: مقابلةً ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا﴾ في حال، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: بتبديل طباعهم،

---

(١) سورة البقرة.
(٢) في (د)، و(ن): نسخ.
(٣) في (د): حكم.
(٤) يعني: دل الكلام.
(٥) في هامش (ن): الجزء (٨).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: أنهم إن أوتوا بها لم يؤمنوا فيقسمون كذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدوًّا ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾: مردة، ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾: يلقي[1] ويوسوس، ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: أباطيله المزينة، ﴿غُرُورًا﴾: للغرور، فمردة الجن يُوحُون إلى مردة الإنس يغرونهم أو بعض الإنس إلى بعض، وبعض الجن إلى بعض، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: الإيحاء، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: من تكذيبك، ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾: لتميل: عطف على غرور ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى زُخرف القول ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام وكل منهما مسبب عما قبله فما أحسن ترتيبه، قل يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلب، ﴿حَكَمًا﴾: بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبينا يغنيكم عن حُكم آخر، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماؤهم، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: لما بين في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: في علمهم به ﴿وَتَمَّتْ﴾: بلغت الغايةُ، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: القرآن، ﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار والمواعيد، ﴿وَعَدْلًا﴾: في أحكامه، ﴿لَّا مُبَدِّلَ﴾: مُغيِّر ﴿لِكَلِمَاتِهِ﴾: بالتحريف والنسخ ونحوه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بضمائرهم، فلا يمهلهم، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾: وهم الجُهّالُ ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لأنَّ الضَّال لا يأمر إلَّا بالضلال، ﴿إِن﴾: ما، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: في عقائدهم، ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾: ظن هداية آباءهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن﴾: بمن، ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: لا غيره عليه عند ذبحه، ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي استحلال ما أحله فقط، ﴿وَمَا﴾: أيُّ غرضٍ ﴿لَكُمْ﴾: في، ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ إلى آخره، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ممَّا حُرم ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: بالتحريم والتحليل[2]، ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾: بتشهيهم ﴿بِغَيْرِ

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) في نسخة (د)، و(ن): بالتحليل والتحريم. والمثبت من (ح)، و(س)، و(ع).

عِلْمٍ ﴾: دليل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحق، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾: ما يُعْلن منه ﴿وَبَاطِنَهُ﴾: خفيَّه، أو ما بالجوارح والقلب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾: يكتسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وهو ما أُهِلَّ بِهِ لغير الله بقرينة: ﴿وَإِنَّهُ﴾: ما لم يذكر.. إلخ، ﴿لَفِسْقٌ﴾: أي: ما أهل لغير الله به، والجملة حالية، وإن واللام لإنكارهم فسقيته وصرحوا بجوازه في نحو: لقيته وإنك لراكب فلا ينافيان الحالية، فما لم يذكر عليه ولو عمدا حلال عند الشافعي ومالك وابن عباس[1]، وأيضًا في الحديث: «كُلُوا، فإنَّ تَسْمِيةَ الله في قلب[2] كُلِّ مؤمن»[3]، حين سئل عن متروك التسمية، وفي الحديث أيضًا: «ذبيحة المسلم حَلالٌ، وإن لم يذكر اسم الله عليه»[4]، ولرجوع: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ إلى آية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون، ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾: الكفار، ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: في استحلال الحرام والله، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۞ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾: بجهله وضلالته ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾: بالهداية، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾: القرآن ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾: يهتدي كيف يسلك مع مجرميها كعمر وحمزة وعمار[5]، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾: صفته أنه، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: كأبي جهل ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما زُيِّن الإيمان للمؤمنين، ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ﴾: كما ﴿جَعَلْنَا﴾: في مكة ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ كأبي جهل، ﴿جَعَلْنَا﴾: صيَّرنا، ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾: بإضلال الناس، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾: وباله عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: مصدقة لمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: بأن يأتينا وحي كما يأتيه، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾: أي: عالم ﴿حَيْثُ﴾: مكانا، ﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٧٤).

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (ن)، و(س): فَم.

(٣) رواه بنحوه: الدارقطني (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي (٩/ ٢٤٠) وسنده باطل.

(٤) رواه الحارث ابن أبي أسامة (١/ ٤٧٨/ ٤١٠) وهو ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٨/ ١٧)، والوسيط (٢/ ٣١٩)، ابن كثير (٢/ ١٧٢)، الدر المنثور (٣/ ٤٣)، فتح القدير (٢/ ١٦٠).

فيه، أعلم أن أفعل لكل إلا لام[1] وإضافة ومن يجوز كونه بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة نحو: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ بمعنى: هين، فمعناه: الله عالم مكانا فلا يحتاج إلى تكلفات بعض في جعل الظرف الغير المتصرف هنا[2] مفعولا به لأفعل التفضيل والله تعالى أعلم، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾: ذل، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: يوم القيامة، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ۝ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ﴾: يوسع ﴿صَدْرَهُۥ﴾: وقلبه، ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾: يجعله قابلا للتوحيد، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: زائد الضيق بحيث لا يدخله الحقُّ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: فإنه ممتنع، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذاب، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَٰذَا﴾: الإسلام ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: حال مؤكدة عن معنى الإشارة بلا عوج، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: بالتدبر، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: الجنة والإضافة تشريفية، أو السلام: السلامة خبره، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مولاهم[3]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: بأعمالهم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: قائلين، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ﴾: إغواء ﴿ٱلْإِنسِ﴾: أو مثل: استكثر الأمير جنده ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾: مطيعوهم، ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: في الجواب، ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ﴾: انتفع، ﴿بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: فانتفاع الإنس وصولهم بسببهم إلى مشتهياتهم، وانتفاع الجن قبول إغوائهم، ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾: القيامة والبعث ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: الله أعلم بثنيه، أو المستثنى: الفساق، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإشقاء بالاستمتاع، ﴿نُوَلِّي﴾: نكل أو نُسلِّطُ ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾: إليهم أو عليهم، أو نجعله وليهم، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: والصحيح أن الرسل من الإنس والجنُّ أتبع، أو الرسل رسل[4] من الجن

---

(١) كذا. وفي هامش (ع): المستعمل بلا لام.

(٢) في (ع): هذا.

(٣) في (ن): مواليهم.

(٤) دعاة مبلغون لا يُوحى إليهم؛ لأن الجن لا يتحمل رؤية الملَك.

إليهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: القيامة، ﴿قَالُواْ﴾: جوابا ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: بإنذارهم، أي: بلى ثم قال تعالى:، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: وهذا في غير موقف يقولون فيه: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإرسال، ﴿أَن﴾: لأن، ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ﴾: أهل، ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: ملتبسين، ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾: لم يُنبهوا برسول ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من القائلين، ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: ناشئات، ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن خلقه، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة إذا عصيتم، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾: من المطيعين، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: فأهلكهم، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ﴾ كائن البتة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين الله، ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ﴾: أمر تهديد، ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: مكانكم الذي أنتم عليه من الكفر، أي: دوموا عليه، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ أينا ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة التي خلق لها هذه الدار، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الميتون على الكفر، ﴿وَجَعَلُواْ﴾: مشركوا العرب، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾: وللأصنام نصيبا، ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: أصل الزَّعم: حكاية قول يكون مظنة الكذب، ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: فجعلوا مصرف نصيب الله الضيف، ومصرف نصيب الأوثان خدمها، فإن سقط من ثمار نصيب الأوثان شيء ردُّوه إليه، وإن هلك منه شيء جعلوا مكانه من نصيب الله، وإن هلك من نصيب الله شيء أو سقط منه في نصيب الأوثان خلُّوه، وقالوا: الله غنيٌّ وهي فقير خدمها محتاجون، وهذا قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم هذا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾: الشياطين؛ فإنهم يعبدونهم حقيقة كما مر، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾:

ليهلكوهم، ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: ليخلطوا، ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ إذ كانوا على دين إسماعيل[١] فرجعوا، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: أي: ما جعل لآلهتهم، ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرامٌ ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾: طعمته وهم السدنة[٢]، ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: لا بأمر الله، ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة ونحوها، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في ذبحها بل يسمون آلهتهم ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾: على الله، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾: جنين البحائر والسوائب إن ولد حيا، ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾: نسائنا، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ﴾: فالذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصْفَهُمْ﴾: الكذب جرأة عليه، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالنا، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾: بناتهم بالوأد[٣]؛ لئلا تأكل رزقهم، ﴿سَفَهًا﴾ سفهاء ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حجة، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: كالبحائر، ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق بعد ضلالهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبدع، ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين الكرم، ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها وجه، أو مبسوطات على كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: متروكات على وجه الأرض أو مرتفعات على الساق كالنخل، ﴿وَ﴾: أنشأ، ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: أي: ثمر كل واحد منها طعما ولونا وشكلا ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾: في الشجر والمنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: في الثمر أو الطَّعم[٤]، وقد مر بيانه، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾: ولو قبل النضج، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ﴾: حق الله أي: صدقته، ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وهذا كان قبل وجوب زكاته عند الأكثر، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: في التصدق أو الأكل ليبقى حقكم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَ﴾: أنشأ، ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾: تحمل الأثقال ﴿وَفَرْشًا﴾: تفرش

---

(١) يعني العرب؛ لأن إسماعيل أبوهم.

(٢) الخدام.

(٣) الوسيط – للواحدي (٢/ ٣٢٩).

(٤) في (د): المطعم.

للذبح صغار، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: من الثمار والزروع والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: سُبُل ﴿الشَّيْطَانِ﴾: في التحريم والتحليل من عندكم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمَانِيَةَ﴾: بدلٌ من حمولة وفرشا ﴿أَزْوَاجٍ﴾: والزوج: ما معه ما يزاوجه من جنسه، ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾: الكبش والنعجة، ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: التيس[1] والعنز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾: منهما، ﴿حَرَّمَ﴾: الله، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أي: ما حملته أنثاهما ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ بدليل على الحرمة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ﴾ فكيف يحرمون الذكر تارةً والأنثى تارة، والولد تارة، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾: حاضرين، ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾: التحريم أي: لا دليل لكم عقليا ولا حسيا[2]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا دليل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: إلى تلك الغاية مما كانوا يستحلونه ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سائلا لا كالكبد أو الطحال، وما يتلطخ باللحم ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾ الخنزير ﴿رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾: فُسِّر مرَّةً، ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: صفة موضحة، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: إلى أكل شيء منها ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: يتجاوز قدر الضرورة، ومرَّ بيانه ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: به لا يؤاخذه، والآية لا تنافي تحريم غيرها بعد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾: ما ليس مشقوق القدم، كالإبل والنعامة والبط، وأظفار الإبل مناسم أخفافها، وأظفار السباع: براثنها، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: جميعا، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: شَحم علق على الظهر ﴿أَوِ﴾: حملته، ﴿الْحَوَايَا﴾ جمع حاوياء، أو حاوية[3]، أي: الأمعاء ﴿أَوْ مَا﴾: أي: شحم، ﴿اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: هو الألية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التحريم

---

(١) الجَدْيُ.

(٢) كذا، ولو قال: عقلا ولا حسا، لكان أحسن.

(٣) أو: حَوِيَّه، كسفينة وسفائن.

والتضييق، ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾: ظلمهم، وفي النساء بين حكمه ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيه كما قالوا: حرمها إسرائيل بلا ذنبٍ منَّا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عذابه، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: حين نزوله فلا تفتروا، ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: إظهارا لأنهم على الحق لا اعتذارا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ خلاف ذلك ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾: فإن ما شاء فهو مرضي له بزعمهم، فلم يفرقوا بين المشيئة وبين المأمور المرضي كالمعتزلة، والحاصل أن لهم مقدمتين: أن الشرك بمشيئة الله، فدعوة النبى مندفعة وإنما ذمهم على الثانية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب بهذه الشبهة، ﴿كَذَّبَ﴾: الرسل، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ولو كان ذمًّا على الأولى لقال: كذب بالتخفيف، فينهضُ دليلا للمعتزلة، وأيضًا لو قالوا اعتذارا لكان الرد سندا لهم، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: فعلموا أنهم على دين غير مرضي لنا، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: دليل على زعمكم، ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: تظهروه، ﴿لَنَآ إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: فيه لَا العلم، ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله ﴿قُلْ﴾: إنْ ظهر أنَّ لَا حُجَّة لكم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: غاية المتانة[1] والوضوح ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لكن شاء إضلال بعض لحكم، ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضِروا، ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾: وهم قدوتكم لتلزمهم، ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: عنادًا، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: أي: لا تسلم، أقيم اللَّازمُ مقام الملزوم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: أهل الكتاب، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: المشركون، ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلًا ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾: أقرأ، ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾: متعلق[2]: ﴿أَتْلُ﴾، ﴿أَلَّا﴾: أي: ﴿لَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: أحسنوا، ﴿إِحْسَٰنًا﴾: بمعنى لا تؤذوهما، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ خشية ﴿مِّنْ﴾: أجل، ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: فقر أنتم فيه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: خاطب هنا الفقراء، وكذا لم يقل: خشية، وقدم:

---

(١) في (ن): المصابة.

(٢) يعني الجار والمجرور، وقيل: «عليكم» اسم فعل أمرٍ بمعنى: الزموا كقوله: ﴿كتب الله عليكم﴾، وفي الحديث: «فعليك خاصَّةَ نفسِكَ».

نرزقكم، وفي الإسراء الأغنياء، فقيده بها وعكس ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: كبائر الذنوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: علانيتها، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: سرَّها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتلها بوجه، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: الشرعيّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور ﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾: بحفظه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ترشدون، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالطريقة[1] التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهي ما فيه صلاحه، وتخصيصه مع أن مال البالغ كذلك؛ لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعفهم ولعظم إثمه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: جمع شدَّة كأنعم جمع نعمة، وقيل: لا واحد له بمعنى بلوغه، أي: ثم سلِّموه إليه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل بمعنى لا تبخسوا، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: ما يسعها، وفوقه معفو عنه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْدِلُوا﴾: في القول بمعنى: لا تتركوه، أفهم أنه في الفعل أولى، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ من قرابتكم ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: أي: لا تنكثوا، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: خَصَّها بالذكر؛ لأنها خفية تحتاج إلى اجتهاد وتذكر بخلاف الخمسة الأول، فإنها يكفي فيها العقل لظهورها ﴿وَأَنَّ﴾: بالكسر استئناف وبالفتح[2] علة لقوله: فاتبعوه، ﴿هَٰذَا﴾ ما في الآيتين ﴿صِرَاطِي﴾: ديني، ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ التي غيره ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتزيلكم، ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: المستقيم، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الأخبار عطف على وَصَّاكم ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾: للنعمة، ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: القيام به ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: محتاج إليه، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع،

---

(١) في (ن): بالطريق.

(٢) قرأ حمزة والكسائي والأعمش وخلف «وإن» بكسر الهمزة - وتشديد النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٣).

* وقرأ ابن عامر، وعبد الله بن إسحاق البصري، ويعقوب: «وأن» بفتح الهمزة وسكون النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠).

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: باتباعه وأنزلناه كراهة ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى، ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ إنه ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم، ﴿لَغَافِلِينَ﴾: ما فهمنا؛ لأنه ليس بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: إن صدقتم فيه ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: [حجّة واضحة][1] تبيّنُ الحلال والحرام، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن عمل بها، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بعد معرفته صحتها، ﴿وَصَدَفَ﴾: صَدَّ أو أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بصدهم أو إعراضهم، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون، ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: يوم القيامة للفصل إتيانا يليق بجلاله، أو أمره[2] بالعذاب، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: أشراط الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من مغربها والاحتضار، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾: ولا كسبها خيرًا فيه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾: صفة نفسًا ﴿آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ﴾: لم تكن، ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾: السابق، ﴿خَيْرًا﴾: فهو من اللَّفِّ التقديري، يعني يومئذ لا يفيد إيمان الكافر وتوبة الفاسق، وهذا أولى من تفسيرها بما يشعر بدخول العمل[3] في الإيمان لحديث: «من قال لا إله إلا الله» إلى آخره، ولنزولها فيمن كذب بآيات الله وصدف عنها[4]، ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾: إحدى الثلاث، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: لها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كأهل الكتاب وملحدي هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقًا تتبع كل فرقة إماما، ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾: من السؤال عنهم وعن تفرقهم ﴿فِي شَيْءٍ﴾: أو أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: بالجزاء ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: وهذا أقل الموعود، ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾:

---

(١) من البيضاوي.
(٢) لا والله فإن هذا من التأويل الممجوج والرأي الفاسد، فكن منه على حذر، ومذهب السلف إثبات الإتيان وتفويض معناه «إلى الله ا. هـ.
(٣) المذهب الصحيح أن الإيمان قول وعمل .اهـ.
(٤) الوسيط (٢/ ٣٤١).

لا تضاعف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب وزيادة عقاب، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ﴾: بالوحي، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أعني، ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: ثابتا قائمًا، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: حال كونه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الباطل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعموا، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: ذبائحي والحج[1] والعمرة، إذ ذبائحهم كانت باسم أصنامهم، أو عبادتي، ﴿وَمَحْيَايَ﴾: حياتي، ﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي أي: ما فيهما من كل أعمالي خالصة، ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ﴾: الطريق ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: كما مر، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي﴾: أطلب ﴿رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إثمًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾: إثمها، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: نفس، ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة ﴿وِزْرَ﴾ إثم ﴿أُخْرَىٰ﴾: أي: التحمل الاختياري، جواب لقولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾[2] الآية، فإذا كان الوزر مضافا إليها مباشرة أو تسببا فعليها، كما قال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾[3]- إلخ، ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾، وكذا ما ورد من حمل سيئات المظلوم والغريم ونحوه على الظالم والمديون ونحوه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاة كل بعمله، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: خلفاء الأمم، أو خلفاء الله في ﴿ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: في الغنى والشَّرفِ ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم، ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: من المال والجاه والفقر، أيكم يشكر وأيكم يصبر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: للعصاة، لأن ما هُو آتٍ قريب، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾: وصف ذاتهُ بالمغفرةِ الكثيرة المؤكدة، ووَصَف عقابه بلا إضافة إلى نفسه تنبيها على أنه غفور بالذات معاقب بالعرض مُبالِغٌ في الأوَّل مُسامحٌ في الثَّاني.

❁❁❁

---

(١) في (ن): في الحجِّ.

(٢) سورة العنكبوت.

(٣) سورة العنكبوت.

«سورة الأعراف»: مكية[١]، إلا آيات:

﴿ وَسْئَلْهُمْ ﴾ إلى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ﴾، وقيل: إلى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَٰهِلِينَ ﴾.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓمٓصٓ﴾: بُيّن مرّة، هذا: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن﴾: بعد إنزاله ﴿فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: ضيقٌ ﴿مِّنْهُ﴾: أي: لا تضيق من تبليغه مخافة التكذيب، ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: الكافرين، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: موعظة، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: على لسان نبيكم كتابًا وسُنَّة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: فيضلوكم، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون اتِّعاظًا قليلًا ﴿وَكَم﴾: كثيرًا، ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾: أردنا إهلاكها[٢]، ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابنا، ﴿بَيَٰتًا﴾: بائتين كقوم لوط، ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: في القيلولة استراحة نصف النهار ولو بلا نوم كقوم شعيب وهما[٣] وقتا الاستراحة فعذابهما أقطع، ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: دعاؤهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أي: إلا الإقرار بحقيقة العذاب، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾: عن إجابتهم الرسل، ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾: عن تبليغهم، وقوله: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[٤]، ليس للاستعلام أو هو في موقف آخر، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرسل والأمم أعمالهم كلها، ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالمين بكلها، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: عنهم فيخفى علينا، ﴿وَالْوَزْنُ﴾: للأعمال، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم السؤال، ﴿الْحَقُّ﴾: العدل، فيوزن صحائفها بميزان له لسانٌ وكفتان، إظهارًا للمعدلة وقطعًا للمعذرة على كيفية يعلمها الله، وقيل: تجسم الأعمال بصور حسنة أو قبيحة، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالحسنات، جمع مُوْزونٍ أو ميزان، وجمعه لتعداد أجزائه،

---

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأعراف مكية مائتان وست آيات وعند البصريين خمس إلا خمس آيات: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ إلى آخرهن ثم سورة الجن، كلماتها (٣٣٢٥) حروفها (١٤٣١٠).
* عدد سور القرآن- لابن عبد الكافي (٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) الصحيح في تفسيرها: أهلكنا أهلها، فحذف المضاف. * الوسيط (٢/ ٣٤٨).

(٣) البيات والقيلولة.

(٤) سورة القصص.

كثوب أخلاق؛ لقيامه مقام الموازين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: في الحديث: «السيئة خفيفة وإن كثرت والحسنة الصالحة[1] ثقيلة وإن قلَّتْ»، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالسيئة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: بتضييع الفطرة السليمة، ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: بإنكارها، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾: من التصرف، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: أسبابًا تعيشون بها، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أي: أباكم آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: بتصويره أو على ظاهره وهذا ما صحَّحه الحاكم، وثم لتأخير الأخبار، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: فُسِّر مرَّةً ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾: عن، ﴿أَلَّا﴾: صلة فهو كما في «ص» ﴿تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: أي: منعني أشرفية عنصري، عمي عن تشريف خلقه بيده، ونفخ روحه فيه، وسَنَّ[2] القول بالحسن والقبح العقليين، ﴿قَالَ﴾: الله بلسان الملك ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾: الجنة أو السماء ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: نبه بالقيد على أنَّ المتكبر بعيد من مكان المقربين فلا مفهوم له ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذليلين، ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾: أمهلني من الموت ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: الخلق أو الصَّاغرون ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ﴾: جُملة ﴿ٱلْمُنظَرِينَ﴾: كالملائكة إلى النفخة الأولى، قيل: ليس إجابة؛ لأنها كرامة، بل بيان لسابق التقدير، وقيل: يجوز استصلاحًا وعُمومًا لتفضل الدنيا، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: أقسم بإغوائك: أي: إضلالك أو تخييبك إياي، فهو قسم بفعل الله، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾: كما تقعد القُطّاع[3] للسَّابلة[4]، ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: على طريق الإسلام، ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: أراد كمال اجتهاده في إغوائهم، وترك الفوق؛ لأنه منزلُ الرحمة، والتَّحت؛ لأن الإتيان منه يُوحش[5]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾: لك بالطاعة،

---

(١) في نسخة (د): الخالصة.

(٢) يعني إبليس- لعنه الله- قلت: وقد أخطأ الملعون جهلًا وكفرًا، فالطين خير من النّار من أكثر من ألفي وَجْه.

(٣) قطاع الطريق- حفظنا الله.

(٤) المسافرين السالكين السُبل- أي الطرق.

(٥) أو لأنَّ الفَوق محلّ إجابة الدعاء، والتحتُ: محلّ السجُود.

قاله ظنًّا ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾[١] ﴿ قَالَ ﴾: الله، ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾: الذأم أشد العيب ﴿مَّدْحُورًا ﴾: مطرودًا، والله ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: وغلب المخاطب ﴿وَ﴾ قلنا: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: فُسِّر مرة، وترك رَغَدًا اكتفاء بما مضى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: وسوسته وحديثه يلقيه في القلب وأصلها[٢]: الصوت الخفي والحمحمة والحشحشة ﴿لِيُبْدِيَ ﴾: ليظهر، اللام للعاقبة، ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ ﴾ ستر، ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾: كان عليهما نور يسترهما فانقشع بالأكل، دل على أن كشف العورة عند الزوج[٣] مذموم، ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ ﴾: أكل، ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ ﴾: كراهة، ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾: في القوة والاستغناء من نحو الأكل، ولا يدل على تفضيل المَلَك[٤]؛ لأن عدم انقلاب الحقائق كان معلومًا، ورغبا في أن يحصل لهما ما للمَلَك من الكمال الفطرية ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾: في الجنة، ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾: أقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾: والقسم تأكيد الخبر بما سبيله أن يُعظَّم أي: حق الخبر كحق المحلوف به، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا ﴾: فنزلهما عن منزلتهما أو جرَّأهما على الأكل، ﴿بِغُرُورٍ ﴾: منه، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾: أي: ثمرتها، ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾: بتهافت لباسهما ﴿وَطَفِقَا ﴾: أخذا ﴿يَخْصِفَانِ ﴾: يلزقان، ﴿عَلَيْهِمَا ﴾: على عوْراتهما ورقة فوق ورقة، ﴿مِن وَرَقِ ﴾: شجر، ﴿ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾: قائلًا، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾: دلَّ على أن مُطْلَق النهي للتحريم ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾: حيث قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ ﴾[٥].. إلى آخره، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾: هي التى تلقى آدم من ربه على الأصح[٦]، ﴿ قَالَ ﴾:

---

(١) سورة سبأ.

(٢) أي: الوسوسة.

(٣) يعني لغير حَاجة.

(٤) بل عموم الملائكة أفضل؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأما التخصيص ففيه تفصيل، والأولى ترك هذه المسائل المبتدعة المخترعة التي أولع بها أهل الكلام والرأي .اهـ.

(٥) سورة طه.

(٦) الوسيط (٢/ ٣٥٧) وهناك روايات أخرى غير صحيحة .اهـ.

الله، ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾: أي: متعادين كما مرَّ، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾: موضع قرار، ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تمتَّع ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ أجل معلوم، كما مرَّ ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾: للجزاء، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا﴾: بأسباب من السماء كالمطر، ﴿عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي﴾: يستر، ﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾: فأغناكم عن خصف الورق، ﴿وَرِيشٗا﴾: لباسًا يتجملون به، وأصله الجمال والمال من «تَرَيَّش»: تموَّل، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: العمل الصالح الذي يقيكم العذاب[1]، ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾: فإنه يستر عن فضائح الآخرة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإنزال، ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دلائل رحمته، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: بالإضلال ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: بفتنته ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: إذ هو بسببه، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾: فإن كلًّا منهما ما رأى عورة صاحبه[2] قط، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: جنوده ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾: فاحذروا من عدو يراكم ولا ترونه، وهذا لا ينافي إمكان تمثلهم لنا على أنه تواتر وصحَّ في الأخبار[3]، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾: أحبَّاء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لتناسبهم، ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ﴾: ككشفهم عوراتهم في الطواف، ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: إذ زعموا أنهم على دين إسماعيل ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: كما تقولون ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: من أنه أمره به، ﴿قُلۡ أَمَرَ﴾: ني، ﴿رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدل، ﴿وَ﴾: بأن، ﴿أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: نحو القبلة، ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: وقت سجوده أو موضعه، ولا تؤخروا الصلاة إلى مسجدكم كاليهود، كذا فسره ابن عباس[4] ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الطاعة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾: بالاختراع أوَّلًا ﴿تَعُودُونَ﴾: بإعادته فتجزون، فالتشبيه في مجرد الخلق بلا كيفية ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَفَرِيقًا﴾: نصب بنحو خذل الذي[5] يفسرهُ ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أي: خذلهم ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ

---

(١) في (ن): العِقَاب.
(٢) لا دليل على هذا الكلام.
(٣) كحديث أبي هريرة في الصدقة، وغير ذلك.
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٢/ ١٤٤٨٥)، معالم التنزيل - للبغوي (٢/ ١٥٦).
(٥) في (ن): الهُدى.

اللَّهِ ﴾: فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾: ثيابًا تستر عوراتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: كصلاة وطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: بالتعدي إلى الحرام أو الإفراط، قال ابن عباس ﵄: «كُلْ مَا شِئْت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سَرفٌ أو مَخيلَة»[1]. أو بتحريم الحلال، إذ كانوا يَطوفون عُراةً ولا يأكلون دسمًا في حجِّهم[2]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ﴾: من النبات والحيوان والمعادن ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات، ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: حيث حرَّمتم زينته في الطواف ورزقهُ في الحجّ ﴿قُلْ هِىَ﴾: الطيبات مخلوقة، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أصالة وللكفار تبعًا، ﴿خَالِصَةً﴾: فهي حال والعامل اللَّام، للمؤمنين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أو من له التنغيصات كما في الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التفصيل، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: ما تزايد قبحه كالكبائر، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: جهرها ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: سِرُّها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: كله تعميمٌ بعْدَ تخصيص، ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾: الظلم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: تأكيد للبغي، أو البغي: الكبر، ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: برهانًا ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ تفتروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: مكذبة للرُّسل كأهل مكة، ﴿أَجَلٌ﴾: لنزول عذابهم ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: استئناف؛ لأن «إذا» الشرطية لا يترتب عليها إلا مستقبل ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: بين مرَّة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: الشرك، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: منكم ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بقوله عليه ما لا يعلمه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: أي: أرواحهم، ﴿قَالُوٓاْ﴾: توبيخًا، ﴿أَيْنَ مَا﴾: أي: الآلهة التي ﴿كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾: تعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٤٠٥)، وعبد بن حميد في تفسيره (٣/ ٤٤٣/ الدر المنثور)، والنسائي (١/ ٢٩٢/ ٢٥٦٠)، وابن ماجة (٢/ ١١٩٢/ ٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١)، والحاكم (٤/ ١٣٥).

(٢) الوسيط (٢/ ٣٦٣).

قَالُواْ ضَلُّواْ﴾: غابوا، ﴿عَنَّا﴾: فلا ننتفع بهم، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾، بعد الحشر، ﴿قَالَ﴾: الله لهم يوم[1] القيامة، ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: كائنين، ﴿فِيٓ﴾: زمرة، ﴿أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ﴾: كُفَّار، ﴿ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾: متعلق ادخلوا، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾: في النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾: في الدين التي ضلت بالاقتداء بها، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾: تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾: دخولًا، هي تأنيث آخر بكسر الخاء ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾: لأجلها مخاطبًا مع الله، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: سنُّوا لنا الضلال فافتدينا بهم، ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾: مضاعفًا، ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ﴾: الله، ﴿لِكُلّٖ﴾: منكما عذابٌ ﴿ضِعۡفٞ﴾: إلى غير النهاية، أو للقادة ضعف التابع للكفر والإضلال وعكسه للكفر والتقليد أو لكل ضعف ما يرى للآخر، فإن من العذاب ظاهرًا وباطنًا، وهما يدركان الظاهر فقط، ويؤيده، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ اللام للتبليغ نحو قلت لك[2] ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾: رتَّبوه على قول الله تعالى، أي: فنحن مُتساوون في العذاب والضلال ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾: تتمَّة مقالتهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ﴾: لأرواحهم أو لأدعيتهم وأعمالهم، ﴿أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: بل يهوى بها إلى السجين[3] ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ﴾: ثُقب ﴿ٱلۡخِيَاطِۚ﴾: الإبرة، رتَّب دخولهم على محال[4]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾: فراشٌ ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾: لحاف جمع غاشية، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ذكر الجرم في حرمان الجنة، والظلم في دخول النار تنبيهًا على أنه أعظم الإجرام، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾: مُعترضة[5] أفهم أنه يمكن الوصول إلى تلك

---

(١) في (ن)، و(د): في القيامة.

(٢) أي: مبلغًا أو: أبلغتك.

(٣) سيأتي تفسيره في المطففين.

(٤) يعني: لن يدخلوها أبدًا.

(٥) يعني جملة اعتراضيَّة، وهي: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾.

المرتبة بسهولة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَنَزَعۡنَا﴾: أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾: حقدٍ وحسدٍ كان بينهم في الدنيا ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ﴾ لما رأوا كرامتنا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا﴾: وفقنا ﴿لِهَٰذَا﴾: لتحصيله، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ولنا هذه النعمة بإرشادهم، ﴿وَنُودُوٓاْ﴾: بعد دخول الجنة ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا﴾: من أهل النار ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: أو حصلت لكم بلا تعب[١] كالميراث، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: شماتة[٢] بهم ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾: بلسان رسله، ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾: من العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ﴾: نادى ﴿مُؤَذِّنُۢ﴾: مُنادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾: يطلبون لدينه، ﴿عِوَجٗا﴾: مَيلًا، بنسبتها إليه لئلا يتبعها[٣] أحد أو بإلقاء الشبه[٤] فيه، أو مصدر أي: يطلبونها طلب العوج، أو يريدون غيرها دينًا ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۞ وَبَيۡنَهُمَا﴾: بين الجنة والنار، ﴿حِجَابٞ﴾: يمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾: أعرافُ الحجاب أي: أعاليه، ونؤمن[٥] به وإن كانت الجنة في الكرسي، والنار في أسفل السافلين، ﴿رِجَالٞ﴾: استوت حسناتهم وسيئاتهم، ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾: من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾: بعلامتهم، كبياض الوجه وسواده، ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾: في دخولها، وعن حذيفة: أنهم في الآخرة يدخلونها ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ﴾: نعوذ بالله[٦] ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فيها، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾: من رؤساء الكفرة ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ﴾:

---

(١) يعني: بفضل الله ورحمته.

(٢) تبعَ الكازروني البيضاويَّ- رحمهما الله تعالى- في ذلك، وهذا لا يُقالُ عن أهل الجنّة، بلْ يقولونه تحدُّثًا بنعمَةِ الله وفضلِه عليهم، أمّا الشّماتةُ ونحو ذلك فقد صرفها الله عنهم، بل إنه تعالى نزعَ الغلّ من قلوبهم وصدورهم.

(٣) وهذا كحال الملاحدة وأعوانهم في زماننا.

(٤) في (ن): الشبهَة.

(٥) في (ن): يؤمنُ.

(٦) في (ن): تعوذوا بالله، وفي (س): تعوُّذًا بالله.

لهم ﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنكُمۡ﴾: العذاب، ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾: المال، أو كثرتكم، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: عن الحق، ثم يشيرون إلى ضعفاء المؤمنين، ويقولون للكفرة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾: فيقولون للضعفاء: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ﴾ صبوا ﴿عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: من الأشربة غير الماء أو الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾: الحق، ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾: كما مرَّ، أو عادتهم، ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: فنسوا الآخرة، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نعاملهم معاملة الناسي، فنخليهم في العذاب، ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾: بإنكاره، ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾: «ما» فيهما مصدرية، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾: القرآن، ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾: بينا أحكامه، ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: منا بما فصل فيه حال كونه، ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۞ هَلۡ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ ما يؤول إليه من تبين صدقه ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾: وهو يوم القيامة، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾: تركوا الإيمان والعمل به، ﴿مِن قَبۡلُ﴾: قبل ذلك اليوم، ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾: وكذبناهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾: اليوم، ﴿أَوۡ﴾: هل، ﴿نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا ﴿فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: بصرف عمرهم في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾: بطل ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: من نفع آلهتهم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي﴾: مقدار، ﴿سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: للدنيا إذ لم يكن حينئذ يوم أو ستة أوقات مثل: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾[1]، والمكث للحث على التأني، ولتشاهد الملائكة شيئا بعد شيء فيعتبرون، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: كما يليق بجلاله بلا كيف، أو بمعنى: استولى[2]، والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام، وقيل: الملك، ﴿يُغۡشِي﴾: يلبس ويغطي، ﴿ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾: وحذف عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملهما، ﴿يَطۡلُبُهُۥ﴾: يعقبه، ﴿حَثِيثٗا﴾: سريعا، كالطالب له بلا فصل بينهما، ﴿وَ﴾: خلق ﴿ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: بقضائه، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾: المذكور في خلق

---

(١) سورة الأنفال.

(٢) هذا كلام المتأولة الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فاحذر منهم .اهـ.

السماوات ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ بالتسخير المذكور ﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى وتعظَّم، ﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: ذوي تذلل، ﴿وَخُفْيَةً﴾: والأصح أن الصياح في الدعاء مكروه[1]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين ما أمروا به كطلب ما ليس في رتبتهم، وكإطنابه[2]، يؤيده الحديث، وكالصِّياح فيه، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: بشرع الأحكام أو بعد خلقها على الوجه الأصلح، ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾: في ثوابه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه، أمرٌ ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المطيعين، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾: بالباء، جمع بشير: المطر وبنون مضمومة[3] جمع نُشور بمعنى: ناشر وبفتحها[4] مصدر بمعنى ناشرات للسحاب، ﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾: قُدَّام، ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾: المطر، فإن الصَّبا[5] تثير السحاب، والشمال تجمعه، والجنوب تدره، والدبور تفرقه[6]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حملت الرياح

---

(١) بل هو من سوء الأدب مع الله تعالى، قال ابن المبرد في أدب المرتعى (٢٠٣):
ولا يجهر بالدعاء؛ لقول الله- عز وجل-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (الإسراء/ ١١٠).
قال البخاري عن عائشة: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قالت: أنزل ذلك في الدعاء. رواه البخاري (٥٩٦٨)، ومسلم (٤٤٧).
وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية»: ويكره رفع الصوت بالدعاء مطلقًا.
قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قال: هذا في الدعاء.

(٢) تطويله وتفصيله.

(٣) بنون وشين مضمومتين: (نشرا) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وأبي جعفر.
* السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٢٦).
وبنون مضمومة وشين ساكنة قراءة ابنا عباس ومسعود، والأعمش وابن عامر.
* إتحاف (٢٢٦)، السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤).

(٤) قرأ مسروق: (نشرا) بفتح النون والشين. * الكشاف (٢/ ٦٦)، والبحر المحيط (٤/ ٣١٦).
وقرأ حمزة والكسائي وعبد الله والأعمش وخلف (نشرا) بفتح النون وسكون الشين – السبعة (٢٨٣)
وقرأ عاصم وابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء والشين – الحجة لأبي زرعة (١٥٧)، البحر المحيط (٤/ ٣١٦).

(٥) ضرْبٌ من الرياح، وكذا ما بعده.

(٦) أنوار التنزيل – للبيضاوي (٢٠٩).

﴿سَحَابًا﴾: سحائب، ﴿ثِقَالًا﴾: بالماء ﴿سُقْنَٰهُ﴾: أي: السحاب التفت؛ تنبيهًا على ما فيه من دلالة كمال قدرته وحكمته، وكذا في نظائره ﴿لِبَلَدٍ﴾: لأجل بلد، ﴿مَّيِّتٍ﴾: غير منتفع، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: أي: فيه، ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماءِ أو بالبلد ﴿مِن كُلِّ﴾: أنواع، ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾: الإخراج والإحياء، ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: من قبورهم، أحياء بمطر كالمني[1]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أن القادر عليه قادرٌ على ذلك، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ﴾: بمشيئة، ﴿رَبِّهِۦ﴾: سريعًا حسنًا كثيرًا، وهذا مثل المؤمن في انتفاعه بالوعظ، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: ترابه وهذا مثل الكافر لا ينتفع به، ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلًا عديم النفع والكل بإذن الله، فالتفصيل لتعليم الأدب، ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ﴾: نبين ونكرر، ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمه بالتفكر فيها، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أوَّل نبيّ بعد إدريس بعثه الله وهو ابن خَمسين أو أربعين ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا﴾: وحّـــــدوا ﴿ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة،﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بتركك ملة آبائك ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾: أقل قليل من الضلال فضلًا عن سَنَه[2]، ﴿وَلَٰكِنِّى﴾:

---

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود- ر- موقوفًا: «ثم يرسل الله ماءً من تحت العرش مني كمني الرجال، فتنبت لحمانهم وأجسامهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى» رواه حنبل في كتاب الفتن (١٥٩/ البشائر الإسلامية) وسنده صحيح.

* وفي حديث لقيط بن عامر عن النبي ﷺ: «فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على الأرض من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه». أخرجه أحمد (٤/ ١٣/ ١٦٢٥١)، والطبراني (١٩/ ٢١٢/ ٤٧٧) وسنده ضعيف.

وفي حديث أبي هريرة: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل» رواه البخاري (٤٨١٤، ٤٦٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠، ٢٢٧١/ ١٤١/ ٢٩٥٥).

وفي رواية: «فيمطر الله في تلك الأربعين مطرًا فينبتون من الأرض، كما ينبت البقل» رواه ابن أبي داود في البعث (٥٩، ٦٠، ٦١/ ٤٢) وابن مردويه (٥/ ٣٣٧/ الدر المنثور).

وفي رواية: «ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون منه نبات الخضير» رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٣٢، ٤٣٣/ ٨٩١) وسنده جيد.

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ن)، و(ع)، وفي (س): نفسه.

على الهدى لأني، ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ﴾: جهة ﴿ٱللَّهِ﴾: بالوحي، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من صفات لطفه وقهره، ﴿أَ﴾: كذبتم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾: لسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: عاقبة المعاصي، ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: المعصية، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: من الغرق ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: هم ثمانون[1] أو تسعة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عُميٌ قلوبهم عن فهم الآيات، ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ﴾: قوم، ﴿عَادٍ أَخَاهُمْ﴾: نسبا أو واحدًا منهم ﴿هُودًا﴾: بيانه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: نبه على أن بعضهم آمنوا، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾: راسخًا ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: خفَّة عقلٍ ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾: نعلمك ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى﴾: كامل العقل؛ لأني ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: على الرسالة، ﴿أَ﴾: كذبتم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾: لسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ إنعامًا ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: في الأرض أو مساكنهم، ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قامةً وقوَّة ومالاً ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بذكرها ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا﴾: قصدتنا، ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: نترك، ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: من الأصنام، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب المفهوم من، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فيه، ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب، ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب، ﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾: خالية عن المعاني، ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: آلهة، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: بهذه التسمية أو عبادتها، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: العذاب، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾: الدَّابر: هو الكائن خلف الشيء[2]،

---

(١) هذا هو المشهور- رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٥/ ١٥٠٦/ ٨٦٣٥، ٨٦٣٦).

(٢) والدابر: يقال للمتأخر وللتابع، إما باعتبار المكان أو باعتبار الزمان أو باعتبار المرتبة.

* عمدة الحفاظ (٢/ ٤/ دبر).

أي: أستأصلنا[1] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۞ وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمۡ﴾: نسبًا ﴿صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾: على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ الإضافة تشريفية، خرجت[2] يوم العيد من الصخرة بمحضرهم حين سألوا ذلك ليؤمنوا، ﴿لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: أذى ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ﴾ يوم، ﴿أَلِيمٞ ۞ وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾: نعمه ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾: في مساكنهم، ﴿وَبَوَّأَكُمۡ﴾: أسكنكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ﴾: تبنون، ﴿مِن﴾: في، ﴿سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾: لسكنى الصيف ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ﴾ أي: منها، ﴿بُيُوتٗاۖ﴾: لسكنى الشتاء، ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾: لا تبالغوا في الفساد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: حال كونكم، ﴿مُفۡسِدِينَ﴾: قد مر بيانه، ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان ﴿مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: الرعايا ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ﴾: بدل البعض من الذين، ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: من الذين استضعفوا: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾: استفهام استهزاء، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: عدلوا عن نعم[3]؛ تنبيهًا على أنه[4] أظهر من أن يسأل[5]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَعَقَرُواْ﴾ نحروا ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾: برضا[6] الجميع، ﴿وَعَتَوۡاْ﴾: استكبروا عن امتثال ﴿أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾: هو[7]: ﴿فَذَرُوهَا﴾ إلى آخره ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: أي: بقولك: ولا تمسوها... إلى آخره، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزلزلة أولاً ثم الصيحة، لقوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥١١/ ٨٦٦٢) مقطوعًا.

(٢) يعني النّاقة.

(٣) يعني: لم يجيبوا بـ «نعم».

(٤) يعني: إرساله.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي البيضاوي: يشُكَّ فيه عاقلٌ.

(٦) ولذا أسند الفِعْل إليهم؛ لأنهم رضوا الفعلة من الفاعل.

(٧) يعني أمرُ ربهم هو فذروها إلخ.

دارهم﴾: أرضهم، ﴿جٰثمين﴾: خامدين ميتين ﴿فتولّى﴾: أعرض ﴿عنهم وقال﴾ بعد هلاكهم: ﴿يٰقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولٰكن لا تحبون النٰصحين﴾: كخطاب نبينا عليه الصلاة والسلام[1] أهل قليب بدر[2]، أو قاله تحسرا ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفٰحشة﴾: كنى بها عن اللّواطة، ﴿ما سبقكم بها من أحد من العٰلمين﴾: إذ هم أول من فعلها، ﴿إنكم لتأتون﴾: لتغشون ﴿الرجال شهوة﴾ للشهوة، نبه على أن داعي المباشرة يجب أن يكون طلبًا للولد لا الشهوة[3][4]، ﴿من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾: وإسرافكم دعاكم إليها ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم﴾: لوطًا وأتباعه ﴿من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾: من هذه الفعلة ﴿فأنجينٰه وأهله﴾ ممّن آمن به ﴿إلا امرأته﴾: الكافرة اسمها: واهلة ﴿كانت من الغٰبرين﴾: الباقين في الديار فأهلكت ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾: من الحجارة، ﴿فانظر كيف كان عٰقبة المجرمين﴾: فاعتبروا، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿إلى﴾: آل، ﴿مدين﴾: ابن إبراهيم، ﴿أخاهم﴾: نسبًا، ﴿شعيبا قال يٰقوم اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره قد جاءتكم بينة﴾: معجزة ﴿من ربكم﴾: ما عيّنها[5] في القرآن، وما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين، وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة، وما اسود رأسه وأبيضّ باقي بدنه، وكانت الموعودة له من أولادها، فالأولى

---

(١) في (ن)، و(س)، و(ع): عليه السلام.

(٢) لما قتل صناديد الكفر بـ «بدر» قام النبي ﷺ على شفا الركية التي دفنوا بها فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان ! ويا فلان بن فلان، أيسركم» أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟» فقال عمر: يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».
رواه البخاري (١٥/ ١٦٧، ١٦٨/ ٣٩٧٦/ فتح)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٤/ ٢٨٧٥)، وأحمد (١/ ٢٣٢).

(٣) بل كلاهما؛ لأن المقصود من النكاح قضاء اللذة في الحلال، وطلب الولد كما في حديث: «وفي بضع أحدكم صدقة».

(٤) في (ن)، و(د): طلب الولد لا الشهوة.

(٥) يعني لم يبينها الله في كتابه.

كونها كرامة لموسى لنبوته لكونها بعد تقرر نبوة شعيب(١)، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: ما يكال به، ﴿وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾: لا تنقصوا، ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: حقوقهم، قيل: كانوا مكاسين في كل شيءٍ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: مر بيانه ﴿ذَلِكُمْ﴾: العمل المأمور(٢)، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وأما الكافر فلا خير فيه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ﴾: في كل ﴿صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾: من أتى شعيبًا ليتبعه ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا﴾: تطلبون بها، ﴿عِوَجًا﴾: ميلًا، كما مرَّ ﴿وَاذْكُرُوا﴾: نعمه، ﴿إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾: في العدد وغيره، ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: مالًا وأولادًا، ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: فاعتبروا ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾: بعذاب الكافرين ونصرتنا ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿قَالَ(٣) الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرنَّ، أو من باب التغليب، إذ شعيب ما كان على دينهم قطّ ﴿فِي مِلَّتِنَا قَالَ﴾ شعيب: ﴿أَ﴾ نصبر فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾: لها، ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا﴾: الآن، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾: هممنا بالعود، ﴿فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾: يصح ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾: ارتدادنا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في تأييدنا، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾: اقض، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أي: أنزل على كل منا ما يستحقه ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: الحاكمين، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾: لفوات مالكم من التطفيف، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلةُ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: ميتين بأنواع العذاب، وهي سحابةٌ فيها شرر النار، وصيحة من السماء، ورجفة من الأرض، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: في دارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾: لا كما زعموا ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: كما مر في قصة صالح،

---

(١) أنوار التنزيل (٢١٣).

(٢) في (ن)، و(د): المذكور.

(٣) في هامش (ن): الجزء (٩).

﴿وَقَالَ﴾: تحسرًا، ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾: فكفرتم ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ۞ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾: فكذبه أهلها، ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾: الجوع ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الأمراض ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾: أي: ليتضرعوا ولا يتكبروا[1]، ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: البلاء والشدة، ﴿ٱلۡحَسَنَةَ﴾: السَّلامة والسعة، ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾: كثروا مالًا وعددًا ﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: فنحن مثلهم، ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾: فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: بنزول العذاب، ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾: المرسل إليهم ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾: المعاصي ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: من كل جانب ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾: رسلنا ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتٗا﴾: وقت بيتوتة ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى﴾: في ضحوة النهار ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾: لأن اشتغالهم بدنياهم حينئذ، ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾: هو استعارة[2] لأخذه العبد من حيث لا يشعر ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: فطرتهم، ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾: يتبين، ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: ديارهم ممَّن قبلهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: هلاك، ﴿أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾: بالبلاء، ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾: بسببها كمَن قبلهم ﴿وَ﴾: نحن، ﴿نَطۡبَعُ﴾: نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾: الموعظة قبولًا، ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾: المذكورة ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ﴾: بعض، ﴿أَنۢبَآئِهَاۚ﴾: أخبارها، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الواضحات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾: عند مجيئهم بها ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾: بل استمروا على كفرهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الطبع ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: الوارثين والموروثين، ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم﴾: أكثر الأمم الماضية ﴿مِّنۡ﴾: وفاءِ ﴿عَهۡدٖۖ﴾: كان بينهم وبين الله أو رسله، ﴿وَإِن﴾: إنه، ﴿وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾: خارجين عن طاعتنا، ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم﴾: بعد الرُّسُل ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: معجزاته ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: أشراف قومه، فإنهم إن أسلموا اتبعهم الرعايا، ﴿فَظَلَمُواْ﴾: بالآيات لكفرهم

---

(١) في (ن)، و(د) يستكبروا.

(٢) قوله: استعارة... إلخ هذا كلام الأشاعرة – ونحوهم، فكن منه على حذر .اهـ.

﴿بِهَا﴾ ﴿فَانظُرْ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن﴾: أي: بأن بتشديد الياء[1]، أي: حقيق بالرسالة على أن، ﴿لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ﴾: لا أنسب إليه، ﴿إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾: مُعجزة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: لنروح إلى الأرض المقدسة؛ فإنَّ فرعون كان استخدمهم بالأعمال الشَّاقَّة ﴿قَالَ﴾ فرعونُ: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾: أحضرها، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾: حية عظيمة، ﴿مُّبِينٌ﴾: قيل: كان أشعر[2] فاغرًا فاه، بين لحييه ثمانون ذراعًا، فقصد فرعون فازدحم مع قومه، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا[3]، ﴿وَنَزَعَ﴾: أخرج، ﴿يَدَهُ﴾: من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾: بحيثُ غلب شعاعها نور الشمس ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: أي: لا في جبلَّتها[4]؛ لأنه كان آدم[5]، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: مُوافقين لقوله كما في الشعراء: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾: يا معشر القِبطِ ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون في أمره من المؤامرة، ﴿قَالُوا﴾: بعد اتفاقهم: ﴿أَرْجِهْ﴾: أخِّر أمرهُ، أصله: أرجئه، ﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾: مدائن صعيد مصر[6]، رجالًا ﴿حَاشِرِينَ﴾: جامعين سحرتها، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: بعد طلبهم، ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾: على موسى، ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ إن لكم أجرًا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا﴾: اعتمادًا على غلبتهم أو أدبًا كأهل

---

(١) قرأ نافع والحسن: (حقيق عَلَيَّ) بفتح الياء المشددة.
* السبعة (٢٨٧) إتحاف فضلاء البشر (٢٢٧)، النشر (٢/ ٢٧٠).

(٢) في (ن): أشقر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦٤)، روح المعاني (٩/ ١٩)، الرازي (١٤/ ١٥٩)، الوسيط (٢/ ٣٩٢)، معالم التنزيل (٢/ ١٨٥)، البحر المحيط (٤/ ٣٥٧)، إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٥٨)، تفسير الطبري (١٣/ ١٥، ١٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١) وسنده باطل موضوع؛ لأنه من خرافات الكلبي الوضاع الكذاب.

(٤) طبيعتها.

(٥) أسمر، وهي صفة سيدنا موسى - ﷺ -.

(٦) هذا كلام الحبر ابن عباس - ﵄ - معالم التنزيل (٢/ ١٨٦).

الصنائع[1]: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾: عصاك أولًا، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾: آلات سحرنا، ﴿قَالَ﴾: موسى كرمًا أو ازدراء بهم[2]، ﴿أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: خيَّلوا إلى أعينهم ما لا حقيقة له، ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خوّفوهم، كانوا خمسة عشر ألفًا[3] مع كلِّ واحد عَصا وحبال فجعلوها حيات، وبينًا في البقرة أنه من السحر ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها، ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع، ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يزورونه ﴿فَوَقَعَ﴾: ثبت ﴿ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا۟﴾: فرعون وقومه، ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟﴾: صاروا، ﴿صَٰغِرِينَ﴾: ذليلين مغلوبين، ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾: وهذا لا ينافي سجودهم طوعًا، فإن المراد أن معجزة النبي ألجأتهم إلى السجود طوعًا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: لا رب القبط بزعمهم، واعلم أنه يجوز نبيان[4] في زمان لا إمامان[5]؛ لأن قيامهما بالاجتهاد قد يؤدي إلى اختلاف الكلمة في بعض الأمور ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾: أرخّص ﴿لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ﴾: حيلة ﴿مَّكَرْتُمُوهُ﴾: أنتم وموسى ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: قبل الخروج منها، ﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾: القبط لتختصَّ مصر بكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمْرِكم وهي إني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: مختلفات اليد اليمنى، والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوٓا۟ إِنَّآ﴾: بالموت، ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: فلا نخافُ وعيدكم، ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تنكرُ ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾: ثم توجهوا إلى الله تعالى قائلين، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: لنثبت على دينك ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: إغراء[6] له، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

---

(١) أنوار التنزيل (٢١٧).

(٢) ووثوقًا على شأنه - أنوار التنزيل (٢١٧).

(٣) أقول: في هذه الأعداد التي يذكرها المفسرون المتلقاة عن أهل الكتاب مبالغة كبيرة، ولا معول في ذلك .اهـ.

(٤) بل رسولان كـ «إبراهيم» و«لوط».

(٥) أما إمامان أو رئيسان فلا يجوز قطعًا؛ لحديث: «إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما» رواه مسلم والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٦) تحريضًا.

بدعوتهم إلى عبادة غيرك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾: هي أصنامٌ صنعها لهم ليعبدوها تقربًا إليه وفي التوراة ما يدل على أنه كان له أمراء على كل قبيلة تُسمَّى آلهتهم ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ﴾: نترك أحياءً ﴿نِسَآءَهُمْ﴾: للخدمة كما فعلنا بهم أولاً، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: نغلبهم، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: بعد تضجُّرهم لمقالة فرعون، ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الحسنى، ﴿لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوٓا۟﴾: قومه، ﴿أُوذِينَا﴾: بالقتل والاستحياء، ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾: بالرسالة، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ﴾ موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في ملكهم، ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: من الإصلاح والإفساد، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالجُدُوب[1] والقحط، ﴿وَنَقْصٍ﴾: عظيم ﴿مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: ينتهون، ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: كالسعة، ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: لا من فضل الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاءٌ، عرَّف الحسنة مع أداة التحقيق؛ لكثرتها، وإرادتها بالذات بخلاف السيئة، ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾: شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: من عنده، والطائر اسم للجمع، أي: ما يجري به الطير من شَقاءٍ وسعادة ونفع وضُرٍّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالُوا۟﴾: لموسى، ﴿مَهْمَا﴾: أيُّ شيء ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾: على زعمك، ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾: أي: أعيننا، ﴿بِهَا﴾: ذكَّر اللفظ وأنث المعنى[2]، ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: فدعا عليهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طافَ بهم من سيل، غشيَ بيوتهم وأشجارهم فقط مع سلامة غيرهم سبعة أيام، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾: فأكل مالهم حتى مسامير بابهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: كبار القِرْدان[3]، وأولاد الجراد قبل الجناح[4] أو السوس، أو القَمْل ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: امتلأ منها بيوتهم وقدورهم، فلم يقدروا على الأكل،

---

(١) في نسخة (ن)، و(د): بالجدب.

(٢) ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى. * أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٩).

(٣) حشرة يُقَالُ لها: القراد، وهي مؤذية تمصّ دماء الأنعام.

(٤) يعني قبل إنباته وظهوره.

﴿وَالدَّمَ﴾: فصار حصَّتهم من الماء دمًا، وإن كانوا يشربون مع المسلمين من إناء واحد، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مُبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: كل واحد من الآيات والطاعون فهو سادسها ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾: بحقِّ عهده ﴿عِندَكَ﴾: أي[1]: النبوة وإجابة دعوتك، والله، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾: كائنًا، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: فمعذبون فيه، أو هو موتهم، ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: فأجاؤوا النكث[2]، ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾: أردنا الانتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحر العميق[3]، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾: أي: ذرية القوم، ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: بقتل الأنبياء وغيره ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾: الشام ﴿وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالسعة ﴿وَتَمَّتْ﴾: قُرِنَتْ[4] بالإنجاز، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: بوعد النصر ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾: على شدائد القبط، ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أستأصلنا، ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾: من الجنات، وهذا لا ينافي إيراثها لبني إسرائيل؛ لإمكان التدمير بعده ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: وأغرقنا أعداءهم ﴿فَأَتَوْا۟﴾: مَرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾: يقيمون، ﴿عَلَىٰٓ﴾: عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: هم بقية العمالقة التي[5] أُمِر موسى بقتالهم ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: مثالًا نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ﴾ موسى، ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: عادتكم تجدد طريقة الجهل[6] فيكم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: العابدين، ﴿مُتَبَّرٌ﴾: هالك، ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: دينهم ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾: أطلب لكم، ﴿إِلَٰهًا﴾: معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَ﴾: اذكروا، ﴿إِذْ

---

(١) في (ن): أعني.

(٢) الكشاف (٢/ ١٤٨) ومعنى: أجاؤا: بادروا.

(٣) الذي لا يدرك قعره. * الكشاف (٢/ ١٤٨).

(٤) في (ن): قربَت.

(٥) في البيضاوي (٢٢٠): الذين.

(٦) يعني وصفهم بالجهل المطلق.

أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾: يبغونكم، ﴿سُوٓءَ﴾: شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ للخدمة ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾: الإنجاء، ﴿بَلَآءٌ﴾: نِقمة[1] ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فُسِّر مرة ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾: مُضيَّ ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا القعدة لإرسال التوراة، فصام الشهر، واستاك في آخره فزال[2] خلوفهُ ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾: لذي الحجة[3] ليصومه ويكون لفمه خلوف، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: بالغًا ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: أو الإنزال والتكليم[4] كان في العشر، وذكر ﴿فَتَمَّ﴾، إلى آخره إما للتأكيد أو لرفع وهم كون العشر من الساعات أو كون العشر داخلة في الثلاثين كقوله في حم: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[5]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى﴾: كن خليفتي ﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾: ارفق في حثهم على الطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾: الذي وقتناه له وهو يوم عرفة، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: واشتاق إلى لقائه، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ﴾: نفسك بتمكيني[6] من رؤيتك، ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: فيه دليل جواز رؤيته تعالى، لأن طلب المستحيل مُحالٌ من الأنبياء، لا سيما فيما يقتضي الجهل بالله تعالى، والجواب بأنه قال تبكيتًا لمن قال: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ خطأ إذ حينئذ كان واجبًا عليه أن يجهلهم ولا يسيء الأدب، واعلم أن الرأي[7] رسين[8] العضو المخصوص ولا قوة فيه كما يظهر بأدنى نظر فيمكن أن يجعله الله مستعدًا لرؤيته، فحينئذ فلا نزاع إذ المنكر ينكر رؤيته بهذه العين، فالصلح خير ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾: أي: في الدنيا للحديث، وقد مرَّ بيانه في الأنعام، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾: مع شدته ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: عند رؤيتي ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾: أفهم إمكانها لتعليقها على الاستقرار الممكن، وعلى فرض إحالته؛ لأنه جمع بين الحركة

---

(١) كذا- ولو قال: ابتلاء، أو: امتحان، أو: اختبار؛ لكان أولى.
(٢) رائحة فمه المتغيّره.
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٨٦)، معالم التنزيل (٢/ ١٩٥).
(٤) في (ن): والتكلُّم.
(٥) سورة فصلت.
(٦) في (ن)، و(د): فتمكني.
(٧) النظر.
(٨) لازم، ولصيق.

والسكون، وهو استقرار حال الدرك لا يضرنا[١]؛ إذ لا يدل على التعميم، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر نوره له قدر نصف أنملة الخنصر[٢]، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكًا: مفتتًا، وبالمد[٣] أي: أرضًا مستوية، ﴿وَخَرَّ﴾: سقط ﴿مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أنزهك عمًّا لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: عن المسألة بلا إذن، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من قومي، أو بأنك لا ترى في الدنيا ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: ناس زمانك، وهارون ما كان كليمًا ولا ذا شرع، ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾: وحيي ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ بلا واسطة ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: من الرسالة، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: عليه وأعطاه يوم النحر ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾: ألواح التوراة، ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: احتاجوا إليه في الدين، ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تبيينًا، ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: من الأحكام وغيرها قائلين: ﴿فَخُذْهَا﴾ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾: وعزيمة، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾: ندبًا ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها كالعفو والصبر أو مثل: الصيف أحر من الشتاء، ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: بمصر[٤] لتعتبروا، ﴿سَأَصْرِفُ﴾: أمنعُ عن فهم ﴿عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾: الآفاقية والأنفسية[٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: حال كونهم ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بخلاف تكبر المسلم على الكافر ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾: مُنزَّلة، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾: عنادًا، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾: الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ﴾: الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: ما تدبروا فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ﴾: الدار، ﴿ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾: أي: السامري

---

(١) كذا.

(٢) عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ (الأعراف/ ١٤٣).
قال حماد بن سلمة: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾. * رواه أحمد (١٢٢٦٠)، الترمذي (٥/ ٣١٠/ ٣٣٢٨).

(٣) دكّاء.

(٤) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها، أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم – أنوار التنزيل (٢٢٢).

(٥) المنصوبة في الآفاق والأنفس – أنوار التنزيل (٢٢٢).

بإعانتهم، ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾: المستعار من القبط وكان معهم بعد هلاكهم، ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾: بدنًا ذا لَحم ودم، أو من[1] الذهب، ﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾: صوت البقر أو شبيه صوته لدخول الريح في دبره وخروجها من فمه كذا عن ابن عباس، فحينئذ رمى تراب إثر فرس جبريل للحياة[2]، ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: حين اتخذوه إلهًا ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ﴾ أي: وقع العضُّ ﴿فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾: كناية عن ندامة توجب عضها، أي: ندموا، ﴿وَرَأَوۡاْ﴾: علموا علم الرأي، ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا﴾: بقبول توبتنا، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ﴾: عليهم ﴿أَسِفٗا﴾: حزينًا لمَّا أعلمه الله تعالى كما في طه[3]، ﴿قَالَ﴾: لهم، ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾: فعلتم أو أقمتم مقامي من عبادته ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ﴾: سبقتم، ﴿أَمۡرَ﴾: وَعْدَ ﴿رَبِّكُمۡۖ﴾: وهو الأربعين أو وعد بسخطه، اعلم[4] أن العجلة طلب الشَّيء قبل أوانه، وهي مذمومةٌ، وحيث تحمدُ في الخير، فالمراد بها: السرعة[5]، وهي عمل الشيء في أول أوقاته، ﴿وَأَلۡقَى﴾:

(١) جسدا من الذهب خاليا عن الروح – أنوار التنزيل (٢٢٢).
(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٠١).
(٣) سيأتي.
(٤) في (ن): واعلم.
(٥) يشير إلى حديث: «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة». أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨١٠)، والحاكم (١/ ٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٨٤١١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٧٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠٠٩)، والصحيحة (١٧٩٤).
* وقال ﷺ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة». رواه الطبراني في الأوسط (١٠٢١)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٦٦)، والديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٤٦)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١٠)، والمشكاة (٥٠٥٩).
* قال العلامة المناوي- رحمه الله-: وقال الطيبي: معناه أن الأمور الدنيوية لا يعلم أنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها أو مذمومة حتى يتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية؛ لقوله سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ (البقرة/ ١٤٨)، و﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (الحديد/ ٢١).
* فيض القدير (٣/ ٣٦٥).
* وقال ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٤٣٦٧)، والديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٥٩)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٢٥٦)، والبيهقي في الشعب أيضا

طرح، ﴿ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ﴾: شعر، ﴿أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: لظنه تقصيره في نهيهم ﴿قَالَ﴾ هارون استعطافًا: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾: كانا شقيقين، وهارون أكبر بثلاث سنين، ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾: وجدوني ضعيفًا، ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾: حين نهيتهم، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: بأذيتي[1]، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى﴾: معدودًا ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: في العقوبة، فلمَّا علم براءته، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ ما صنعْتُ بالألواح ﴿وَلِأَخِى﴾: إن قصَّر ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بأمرهم[2] بقتل أنفسهم ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كاستمرار انقطاعهم من ديارهم، وحُرمة أولادهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: أي: فرية فوق قولهم: ﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالشرك والمعاصي، ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾: أخلصوا إيمانهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعد التوبة والإخلاص، ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن وانقطع ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾: منسوخها ومكتوبها، ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾: من قومه، ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا﴾: ليعتذروا عن عبادة العجل أو طلب الرؤية، إذ قالوا: خُذْ منَّا من يشهد بأن الله يكلمك، فلما سمعوه يكلمه قالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصَّاعقةُ ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الصاعقة فماتوا، ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾: ما تصدق[4]، أو قبل أن نرى ما نرى، ﴿وَإِيَّـٰىَ﴾: فلو للتمني، ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: من عبادة العجل، أو طلب الرؤية ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حيث خلقت خُوار العجل، وأسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى﴾ بها ﴿مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: القائم بأمرنا، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ﴾: تبدل السيئة بالحسنة، ﴿وَٱكْتُبْ﴾ أثبت ﴿لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

= (٢/ ١٢٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١١)، والصحيحة (١٧٩٥).

(١) في (ن): بأذى.

(٢) في (ن): من أمرهم.

(٣) سورة طه.

(٤) في (س)، و(ع): تفرق.

﴿حَسَنَةً﴾: عافية، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: حسنة بقربك[1]، ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ رجعنا ﴿إِلَيْكَ﴾: رجعنا إليك، ﴿قَالَ﴾: الله مجيبًا لقوله: ﴿إِنْ هِيَ﴾- إلخ، ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾: تعذيبهُ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الدنيا حتى الجماد ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: أثبت رحمتي في الآخرة، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: خصَّها؛ لأنها كانت أشق عليهم[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾: كلها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ هم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾: بالإضافة إلى الله، ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾: بالإضافة إلينا، ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: لا يقرأ ولا يكتب بخلاف كل الرُّسُل، ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ﴾: باسمه وصفته، ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات المحرمة عليهم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما تستخبثه الطباع السليمة، ﴿وَيَضَعُ﴾: يخفف، ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ثقلهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: التكاليف الشاقة التي كانت كالغل على أعناقهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض[3] موضع النجاسة، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾: عظموه[4]، ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾: القرآن، ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: مع نبوته، أي: القرآن أو مع اتباعه عليه الصلاة والسلام، أي: سنته، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالسعادة، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: جميع كتبه، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾: جماعة من أهل زمانه كابن سلام[5]، ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِۦ﴾: بالحق، ﴿يَعْدِلُونَ﴾: في الحكم، ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: فرقنا بني إسرائيل، ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: فرقة، ﴿أَسْبَاطًا﴾: أو بدل، ﴿أُمَمًا﴾:

---

(١) في (ن): بقربتك.

(٢) لأن اليهود بخلاء ممسكون.

(٣) بالمقراض وهو المقص.

(٤) وقروه – الوسيط – للواحدي (٢/ ٤١٧).

(٥) الوسيط (٢/ ٤١٩)، البحر المحيط (٤/ ٤٠٦)، الرازي (١٥/ ٢٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٠٦)، فتح القدير (٢/ ٢٥٥).

اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا من أولاد يعقوب ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ﴾: في التيه ﴿قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: فضرب ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرت[1]، ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾: لدفع الشمس، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: قائلين، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: فلم يشكروا، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بكفرانه ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾ مسئلتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ مغفرة، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابا، والاستئناف يدل[2] على أنه تفضُّلٌ محضٌ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عذابا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: مضى تفسير الآيات ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾: أي: اليهود توبيخا، ﴿عَنِ﴾: أهل ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: أيلة[3]، ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ﴾: قريبة، ﴿ٱلْبَحْرِ﴾: قُلْزم[4]، ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يتجاوزون حدود الله، ﴿فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ﴾: لا يعظمون

---

(١) الانبجاس: قريب من الانفجار، والحرث والانبجاس والانفجار والانفتاق والتفتق والانشقاق والتشقق متقاربات، إلا أن الانبجاس أكثر ما يقال في الخارج من ضيق، والانفجار أعم، ولذلك جاء اللفظان في الآيتين؛ لأن المكان ضيق. * عمدة الحفاظ – للحلبي (١/ ١٦٠/ بجس).

(٢) في (ن): ليدل، وسقطت من (س)، والمثبت من (ح)، و(د)، و(ع).

(٣) غرر التبيان (٢٦٤)، زاد الميسر (٣/ ٢٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠٥)، الوسيط (٢/ ٤١٩).
وأيلة – بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة التحتية بعدها لام مفتوحة– وتسمى الآن: «إيلات» وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر– مصرية الأصل، وكانت ملتقى الحاج الشامي والمصري وهي الآن تحت سيطرة عصابات اليهود. * معجم بلدان فلسطين (١٣٦)، تقويم البلدان (٨٦)، المسالك والممالك – لابن خرداذبة (٨١)، البلدان – لليعقوبي (٣٢٩)، الأعلاق النفيسة – لابن رستة (١٨٣)، صفة جزيرة العرب – للهمداني (٢٧٣)، صورة العرب – لابن حوقل (١٨)، أحسن التقاسيم – للمقدسي (١١)، معجم البلدان (١/ ٢٩٢).

(٤) هو الأحمر ومعنى «قلزم» الداهية؛ لكثرة ما به من الأهوال .اهـ.

السبت وهو غير يوم السبت[١]، ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ شُرَّعًا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الاختبار، ﴿نَبْلُوهُم﴾: نختبرهم بإظهار السمك يوم حرمة صيده وإخفائه يوم حلِّه ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون عن طاعة الله، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾: جماعة منهم لجماعة نهوهم عن ذلك: ﴿مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لأنهم لا يتعظون، ﴿قَالُوا﴾ الناهون: موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: وبالنَّصب أي: وعظناهم معذرة لئلا يؤاخذنا بترك النهي، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: عن الاصطياد فيه.

فكانوا ثلاث فرق، فاعلًا وناهيًا وساكتًا، ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك الناسي، ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: لنهيهم عن المنكر، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: والأصح أن الفرقة الساكتة نجوا[٢]، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبروا ﴿عَن مَّا﴾: عن ترك، ﴿نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾: بحيث سمعوا مناديا قال: ﴿كُونُوا﴾: أمر تكوين، ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: ذليلين، فصاروا قردةً صورةً ومعنى، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: على اليهود، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾: يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: بأنواع الإذلال[٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: للمصر على المعاصي، أي: إذا جاء وقت عقابه، فلا ينافي حِلْمَهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾: فرَّقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونهم ﴿أُمَمًا﴾: لا تجتمع كلمتهم، ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾: ناسٌ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مُنحطون عن الصلاح، ﴿وَبَلَوْنَاهُم﴾: امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾: النعم، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الطاعة، ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ﴾: بعد هذين القسمين، ﴿خَلْفٌ﴾: بدل سوء[٤]، ﴿وَرِثُوا

---

(١) بل هو إجماعا – انظر: الكشاف (٢/ ١٧٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٩٨/ ٨٤٤٨، ٨٤٤٩)، تفسير الطبري (١٣/ ١٨٣، ١٨٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٢)، الجامع – للقرطبي (٧/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ١٨٨، ١٩٠/ ١٥٢٧٢) عن ابن عباس.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة – الجامع – للقرطبي (٧/ ١٩٥)، معالم التنزيل (٢/ ٢٠٩).

(٣) من اليونان والرومان والنصارى وغيرهم .اهـ.

(٤) بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام -: الردى من كل شيء ومنه قولهم: «سكت ألفًا ونطق خلفًا» أي: رديئًا من الكلام، وفرقوا بين الصالح والطالح بفتحة، فقالوا: خلف خير.

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة، ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا﴾: الشيء، ﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: حطام الدنيا رشوة في تبديل حكم الله، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَ﴾ الحال أنهم، ﴿إِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾: أي: يرجون المغفرة مع الإصرار على الذنوب ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي: في الكتاب، يعني التوراة ﴿أَن﴾ بأن ﴿لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾: فهم ذاكرون الميثاق وتركوه ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: فينزجروا[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾: يعتصمون، ﴿بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: خصَّهما للاهتمام ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾: أي: أجرهم ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا﴾: رفعنا، ﴿ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ هي كل ما أظلَّك ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾: ساقط عليهم قائلين: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: بجد في العمل، ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: فلا تنسوه، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ القبائح ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ[2]﴾: أخرج ذريته بعضهم من ظهور بعض على ترتيب توالدهم ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ﴾: كل واحدٍ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: قائلا، ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾: وإنما أنشأنا ليصح الإخبار وفائدته علم آدم ومسرته بكثرة ذريته، وأكثر المفسرين على أن المراد بإشهادهم واعترافهم تمكُّنهم من معرفته وتمكينهم منها على طريقة التمثيل كما في: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾[3]، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ﴾[4]، لأن إلف العامّة بالمحسوس أتمّ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ﴾: بذلك كراهة ﴿أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا﴾: عن أنّك ربنا ﴿غَٰفِلِينَ﴾: وعلى الثاني، أي: لم ننبه بدليل.

* **تنبيه:** قيل: كلام أكثر المفسرين ينافي ظاهر الحديث، وأجيب بأن التحقيق أن لله تعالى ميثاقين معنى أحدهما: ما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على الاعتراف الحالي، والآية تبين هذا كما قرره أئمة المتأخرين.

= * عمدة الحفاظ (١/ ٥٢٢/ خلف).

(١) على قراءة: «يعقلون» وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر.
* إتحاف فضلاء البشر (٢٣٢)، غيث النفع (٢٣٠)، الكشاف (٢/ ١٠٢).

(٢) في (ن): ذُرِّياتهم، وكتب في الهامش: «ذُرِّيتهم» حفص.

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة فصلت.

وثانيهما: المقالي الذي لا يُهتدى إليه إلا بتوقيف، وهو ما صحَّ أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية فقال: «إنَّ الله تعالى خلَقَ آدمَ ثُمَّ مَسَحَ ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقَالَ: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للنار» - إلى آخر الحديث[١]، فيكون هذا الجواب من أسلُوب الحكيم[٢] إذْ سُئل عن الميثاق الحالي، فأجاب عن المقالي وضَمَّن فيه الحالي على ألطف وجه، فلا إشكال إذ الحديث قرر الآية، وأخبر عمَّا سكتت عنه، ولا يرد أيضًا أنّ الواجب أن لَا يُنسيَهم العهد حتى لا يكون لهم حجَّة[٣]، والله تعالى أعلم، ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾: قبل زماننا، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: فقلدناهم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: تُعذِّبنا ﴿بِمَا فَعَلَ﴾: الآباءُ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: فتأثير الشرك والتقليد مع التمكُّن من تحصيل العلم ليس بعذر ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: لفوائد كثيرة، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن الباطل، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: كتب السماء والاسم الأعظم.

هُو بَلْعَام[٤]، سُئل أن يَدْعو على موسى فأبى، ثم رُشِيَ فدعا عليه، فابتلى موسى في التيه[٥] فلما علم دَعَا عليه فنزع الإيمان[١]، ﴿فَٱنسَلَخَ﴾: بكفره، ﴿مِنْهَا﴾: من

---

(١) عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون.... الحديث». أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨)، الحاكم (١/ ٢٧)، (٢/ ٣٢٤، ٥٤٤)، وأبو داود (٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، الترمذي (٣٠٧٥)، وأحمد (١/ ٤٤، ٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٦، ٢٠١).

(٢) أسلوب الحكيم: ذكر الأهم تعنيفًا للمتكلم على تركه الأهم تعريفات الجرجاني (٢٣)، تعريفات ابن الكمال (١٤)، الكليات (١/ ١٦٨)، التوقيف (٦٢).

(٣) سقطت من (ن).

(٤) ابن باعوراء - غرر التبيان (٢٦٥)، زاد المسير (٣/ ٢٨٧)، الوسيط (٢/ ٤٢٧)، تفسير البغوي (٢/ ٢١٣)، فتح القدير (٢/ ٢٦٥)، تفسير الفخر الرازي (٧/ ٤٥)، روح المعاني (٩/ ١١١، ١١٢).

(٥) ما هذا الهراء !!!! ؟؟؟ هل بلعام هذا أفضل من موسى - ﷺ - وهذه الإسرائيليات وتلك الخرافات =

الآيات ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: جعله تابعًا أو لحقه فأغواه ﴿فَكَانَ﴾: فصار، ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بالآيات ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾: مال أو سكن، ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ زخارفها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في إيثارها على الآخرة فحططناه[٢]، ويدل على ذلك ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ فصفتُهُ في انهماكه في الدنيا سواء وعَظْتَهُ أو تركته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: في أخسِّ أحواله، وهو اللهثُ بالسكون أي: إدلاع[٣] اللسان، وبالفتح[٤]: العطش ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: بالزجر والطرد، ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ﴾: بلا زَجْرٍ ﴿يَلْهَث﴾: روي أنه صار لاهثًا كالكلب ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: المذكورة على الكفرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيعتبروا[٥]، ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾: أي: مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: ما ظلموا إلا أنفسهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: وحّد الأول، وجمع الثاني الوحدة الهداية، وكثرةِ طرق الضلالة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: وعلامتهم أنهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الحقّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: اعتبارًا ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾: المواعظ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: في قصرهم مشاعرهم على الشهوات، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: فإنها تفعل ما خُلقت له طَبْعًا أو تسخيرًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: أشد غفلة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لدلالتها على أحسن المعاني، وهي الألفاظ أو الصفات، وغير منحصرة في عدد[٦]،

= متلقاة عن أهل الكتاب فاحذر منها .اهـ.

(١) في (ن): بنزع الآيات.

(٢) أنقصناه ووضعنا قدره.

(٣) في (ن): أي: إذلاع.

(٤) يعني: بفتح الهاء.

(٥) في (ن): فيعتذروا.

(٦) لحديث: ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو انزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي.. الحديث». أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٣)، وأحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وأبو يعلي (٥٢٩٧) وابن حبا (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ١٠٣٥٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩)، والبيهقي في الأسماء =

﴿فَٱدۡعُوهُ﴾: سموه ﴿بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾: يزيغون، ﴿فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾: بتسميتهم إياه بما لا توقيف[1] فيه أو بلفظ لا يعرف معناه أو بتسمية أصنامهم بها مع تغيير كالعُزّى من العزيز ﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: من الإلحاد، ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ﴾: أشار إلى قلتهم، ﴿أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾: يعملون، في الحديث: «أنهم هذه الأمة»[2]، وفيها دليل صحة الإجماع؛ لأنَّ المُراد في كل قرن كما في حديث: «لا يزال من أمتي» إلى آخره[3]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: سنستدنيهم إلى الهلاك قليلًا قليلًا أو من درج بمعنى: هلك، ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: فكلما جددوا معصية زيدوا نعمة، ونسوا الشكر، وعطف على سنستدرجهم ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾: أمهلهم، ﴿إِنَّ كَيۡدِي﴾: أخذي، ﴿مَتِينٌ﴾: شديد، سماه كَيْدًا؛ لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان، ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾: ليعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾: محمد ﷺ، ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جنون، ﴿إِنۡ﴾: ما، ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: إنذاره ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ﴾: استدلالًا على التوحيد ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾: عظيم ملك، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أو عجائبهما ﴿وَ﴾: في، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَ﴾ في، ﴿أَنۡ﴾: أنه، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ﴾: فيسارعوا إلى ما ينجيهم ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: إن لم يؤمنوا به، ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: القيامة، سميت بها لسرعة حسابها ﴿أَيَّانَ﴾: متى، ﴿مُرۡسَىٰهَا﴾: إتيانها، ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا﴾: يُظهر أمرها ﴿لِوَقۡتِهَآ﴾: في وقتها، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: أي: خفاؤها علينا مستمر إلى قيامها، ﴿ثَقُلَتۡ﴾: عظمت وشَقَّت ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: على أهلهما لهولها، ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾: فجأة حين اشتغالكم بالعمارة والتجارة، ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: شفيق لهم أو عالم بها ﴿عَنۡهَا﴾ متعلق بيسألونك، ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أنه مختص به، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا﴾:

= والصفات (١/ ٢٧، ٢٨)، وفي الدعوات الكبير (١/ ٢٦٩/ ١٨٤)، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٤٩)، وكذا التنوخي (١/ ١٣٧) وسنده صحيح.

(١) دليلٌ نقليٌ.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٨٦/ ١٥٤٦٠).

(٣) رواه مسلم، (١٩٢٤) وله طرق كثيرة.

أي: حيلة، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: أي: دفعه، فُسِّر مرَّةً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: تمليكي منهما ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾: فكنت رابحًا وغالبًا دائمًا ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: لم أكن في بعض الأوقات خاسرًا مغلوبًا، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ﴾: كتب في الأزل أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم المنتفعون، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من ضلعها، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿لِيَسْكُنَ﴾: لتطمئن النفس باعتبار المعنى، ﴿إِلَيْهَا﴾: للجنسية والبعضية، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: عليها أي: النطفة، ﴿فَمَرَّتْ﴾: فاستمرت، ﴿بِهِ﴾: إلى وقت ولادته بلا إذلاق[(١)]، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾: صارت ذات ثقل لكبر الولد، ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾: ولدًا ﴿صَالِحًا﴾: سويًّا صلح بدنه، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾: ذا شرك، ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾: كتسمية ولدهما عبد الحارث بأمر إبليس[(٢)] جاهلًا بأن الحارث اسمه، ولا شكَّ أنه ليس بشرك حقيقة، إذ الأعلام لا تفيد مفهومها اللغوية فأطلقه عليه تغليظًا ولأن الأعلام المضافة تلاحظ فيها المعاني الأصليَّة، وقريء: (شركاء)[(٣)] بالجمع، فإنَّ من جوَّز شريكًا جوز عقد شُركاء ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: جليًّا أو خفيًّا، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ﴾: الأصنام ﴿يُخْلَقُونَ﴾: أتى بضمير العُقَلاء بناء على اعتقادهم، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم، ﴿نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: إن قُصِدُوا بمكروه ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: الشركاء، ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾: إلى أن يهدوكم ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: لا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مملوكون مخلوقون، ﴿فَادْعُوهُمْ﴾: في نفع أو ضر، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنهم آلهة،

---

(١) يعني: إسقاط.

(٢) يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره». أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٣١٣/ ٣٣٣٢) والطبري في جامع البيان (١٥٥٢٦، ١٥٥٢٧، ١٥٥٢٨) وإسناده ضعيف.

(٣) قرأ نافع وعاصم وأبو بكر وأبو جعفر وابن محيصن وابن عباس وشيبة وعكرمة ومجاهد وأبان بن تغلب والأعرج: «شركًا». * إتحاف فضلاء البشر (٢٣٤)، السبعة (٢٩٩)، النشر (٢/ ٢٧٣).

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: فأنتم أكمل منهم ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: في عداوتي، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: بالغوا في مكروهي، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى﴾: يلي أمر ﴿الصَّالِحِينَ﴾: فكيف برسله، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ﴾: ما هو صلاحهم ﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: لأنهم مُصَوَّرون بالعين والأنف والأذن، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: لأنهم جماد، ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ من جملة الأخلاق بأن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: ما يستحسنه الشرع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: فلا تمارهم، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾: ينخسنك مستعار من غرز السائق دابته، ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: نخس أي: وسوسة تحملك على خلاف ذلك، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾: لَمَّة[1] ووسوسة، ﴿مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾: أمرنا ونهينا، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: مواقع الخطأ فيحترزون، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: إخوان الشياطين يعني: الكفرة، ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: يمدهم الشياطين ﴿فِي الْغَيِّ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم لا يُمسكون عن إغوائهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾: من القرآن اقترحوها، ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: اختلقتها من نفسك كسائر ما تقرأه[2]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿بَصَائِرُ﴾: للقلوب، ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فلو لكم بصيرة لكفاكم ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾: نزلت في ترك التكلم في الصلاة[3]، ولا يفهم عدم وجوب القراءة على المأموم إذ لا منافاة

---

(١) يشير المصنف - رحمه الله - إلى حديث: «إن للشيطان لمة وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان». أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والطبري (٣/ ٨٨)، وابن حبان (٣/ ٢٧٨/ ٩٩٧/ إحسان) وسنده مقبول.

(٢) في (ن)، و(د): تقرءوه.

(٣) عن أبي هريرة ﷺ: قال: كانوا يتكلمون في الصلاة؛ فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٨)، وابن المنذر في الأوسط (٣/ ١٠٥/ ١٣١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٤٥/ ٨٧٢٨) والطبري في تفسيره (٩/ ١١٠)، والبيهقي في القراءة (١١٤/ ٢٧٤) وسنده =

بين وجوب الاستماع والإنصات ووجوب القراءة، فإن الإمام مأمور بالسكوت حين قراءة المأموم الفاتحة[١]، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: كل ذكر وقراءة، أي: أسمع نفسك فقط أو أمر للمأموم بالقراءة سرًّا بَعْد فَراغ الإمَام عَن قراءته[٢]، ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: خائفًا، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: بلا صِيَاحٍ ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ جمعُ غَدَاه ﴿وَالْآصَالِ﴾: العَشَايا جمع: أصيل، ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن ذكرنا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: الملائكة المقربون ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: يُنزهونه، ﴿وَلَهُ﴾: فقط، ﴿يَسْجُدُونَ﴾: مع أمنهم من سوء العاقبة، هذا تعريض بمن عداهم من المُكَلَّفين.

۞ ۞ ۞

= صحيح.

(١) تمسك بهذه الآية من منع القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية، وبهذا قال مالك والشافعي في أحد قوليه، وذهب الحنابلة إلى أنه لا قراءة للمأموم فيما يجهر فيه الإمام،وذهب الحنفية إلى المنع من القراءة خلف الإمام مطلقًا. * الاستذكار (١/ ٤٦٢)، الأم (٧/ ٢٠٧)، الحاوي الكبير (٢/ ١٤١)، أحكام القرآن - للجصاص (٤/ ٢١٦)، المغني - لابن قدامة (١/ ٣٢٩).

(٢) معالم التنزيل (٢/ ٢٢٦) الجامع - للقرطبي (٧/ ٢٢٥)، الوسيط (٢/ ٤٤٠).



«سورة الأنفال»: «مدنية[١]»

قيل: إلا آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾.

لمَّا علّمه العفو والأمر بالمعروف والإعراض عَن الجاهلين وطريقة دفع نزغ الشياطين ما يتعلق بها عقَّبه بقصة من جادله جهلا، وأمر لهم بالعرف وعفوه عنهم فقال: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ﴾: حُكْم ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم حين اختلاف الشباب والشيوخ في غنائم بدر، ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾: حُكْمًا ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾: تبيينا لحكمه، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ﴾: أي: مَا في ﴿بَيْنِكُمْ﴾: من الأحوال بالمواساة، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: حقًّا ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: لزيادة المؤمن به.

* **تنبيه**[٢]: قد عرفنا اختلافهم في حقيقة الإيمان، وهم لاختلافهم فيها اختلفوا فى جواز زيادته ونقصانه[٣]، فعند من يُدْخل فيها[٤] العمل يَجُوْز، وعند بعض الأشاعرة: لا يجوز؛ لأن الواجب اليقين، فإن حصل فينا في التفاوت وإلا فلا إيمان، والأصح جوازهما لا باعتبار العمل بل بزيادة المؤمن به ونقصانه[٥]، أو برسوخ اليقين بتظاهر الأدلة وعدمه، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقون، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يديمونها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في البرِّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: بلا شك، ثم رتّب على الأعمال الثلاثة القلبية والبدنية والمالية، ثلاثة فقال: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ

---

(١) في هامش نسخة (د) سورة الأنفال مدنية خمس وسبعون آية وعند البصريين سبع إلا سبع آيات: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ﴾... إلى آخرهن ثم آل عمران كلماتها (١٢٣١) حروفها (٥٢٩٤).

* البيان (١٥٨)، القول الوجيز (١٩٦)، البصائر (١/ ٢٢٢)، عدد سورة القرآن (٢٤٣).

(٢) في هامش (ع): مطلب في بيان زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

(٤) حقيقته.

(٥) عجيب أمر هذا المصنف فالمعنى واحد.

عِندَ رَبِّهِمْ ﴾: في الجنة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: فيها، وما مرَّ من حكم الأنفال ملتبسين بالحق، وإن كانوا كارهين له ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ ﴾: كإخراجك، ﴿رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾: بالمدينة لأخذ عير قريش أقبلت من الشام وتأييدك على المشركين ببدر ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾: بالحكمة والصواب، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾: الخروج، لما أقبلت عير قريش من الشام، خرج ﷺ لنَهْبِهِمْ[١]، وخرج المشركون لتخليصها فأراد عليه الصلاة السلام القتال، وترك العير[٢] ووعد بالظفر، فقيل له: هلَّا ذكرت لنا القتال حين نتأهب ثم تلاقوا ببدر فظفروا، ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ﴾: إظهار ﴿ٱلْحَقِّ ﴾: الجهاد، ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾: ظفرهم بإعلامك، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾: إلى أسبابه لقلة عَددهم وعُدَدهم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾: من العِير وعسكر مكَّة ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾: العير الخالي عن العسكر، ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ﴾: يُثْبِتَ ﴿ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾: بأوامره بقتالهم، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ﴾: يستأصل، ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: وفعل ما فعل، ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾: ولا تكرار، إذِ الأوَّل للفرق بين الإرادتين، والثاني: لبيان الدَّاعي إلى حمله ﷺ[٣] على اختيار ذات الشوكة ونصره ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾: هو دعاؤه ﷺ[٤] حين رآهم في ألف وصَحْبه في ثلاثمائة رجالة، فيهم فارسان[٥] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ

---

(١) هذا فيه سوء أدب مع رسول الله - ﷺ - فاحذر ذلك، والأصح أنه - ﷺ - خرج ليسترد للمسلمين كرامتهم وأموالهم التي سرقها الكفرة اللصوص. اهـ.

(٢) القافلة.

(٣) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

(٤) في (ن): عليه السلام والسلام!!!.

(٥) ثبت دعاء النبي ﷺ في غزوة بدر في عدة أحاديث، منها:

* «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». رواه مسلم (٣/ ١٣٨٤/ ١٧٦٣).

* «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم». رواه البخاري (١٨/ ٢٥٣/ ٤٨٧٥/ فتح)، وأحمد (٥/ ١٨).

* «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، =

﴿أَنِّي﴾: بأني، ﴿مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متتابعين بعضهم على إثر بعضٍ فأنزل «ألفا» فألفين فألفين كما مر آنفا، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: لا الملائكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، اذكر، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾: الله، ﴿النُّعَاسَ﴾: في البدر كما كان في أحد، ﴿أَمَنَةً﴾: لأمنٍ حاصلٍ ﴿مِّنْهُ﴾: تعالى، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾: من الحدثين[1]، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ﴾: وسوسة، ﴿الشَّيْطَانِ﴾: بأنكم لو كنتم على الحقِّ لما كنتم عطاشا محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾: بالوثوق به، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾: بهذا الربط أو المطر ﴿الْأَقْدَامَ﴾: في المحاربة، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾: بالعونِ ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بالبشارة أو محاربة أعدائهم، والأصحُّ أنهم قاتلوا، إذ ورد: أن جبريل نزل في خمسمائة على الميمنة وفيهم الصِّدِّيق وميكائيل في خمسمائة على الميسرة، وفيهم عليٌّ المرتضى وقاتلوا ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: الخوف، ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾: وهي المذابح أو الرءوس، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: أصابع وبها كانوا يعرفون قتيل الملائكة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الضَّربُ ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾: خالفوه، ﴿وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: له الأمر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أيها الكفرة، ﴿فَذُوقُوهُ﴾: أي: العذاب، يعني معظمه بعده، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: لكم، ﴿عَذَابَ النَّارِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾: كثيرين، ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: خُصِّصت بآية: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم اللقاء، ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: بأن هزم ليري أنه خاف فيتبعه العدو فيكر عليه فيقتله، ﴿أَوْ

= اللهم أحنهم الغداة». * سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٤).

(١) معالم التنزيل (٢/ ٣٢٤)، تفسير القرطبي (٧/ ٢٣٧)، تفسير الرازي (١٥/ ١٠٧)، فتح القدير (٢/ ٢٩١)، تفسير الوسيط (٢/ ٤٤٧).

(٢) سورة الأنفال.

مُتَحَيِّزًا ﴾: منضما من فئة، ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾: من المسلمين يعاونونه، وأصله: متحيوز [١]، ﴿فَقَدْ بَآءَ ﴾: رجع، ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾: وحكم الآية مخصوصة ببدر، ولا يضُرّكون ما قبلها وما بعدها صريحين في النزول بعد بدر لإمكان نزولها قبلهما [٢]، ثم قال: إن افتخرتم بقتلاهم ببدرٍ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾: كما مرَّ ﴿وَمَا رَمَيْتَ ﴾: يا محمد أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ ﴾: أي: أتيت بصورة الرمي، لأن كفًّا من الحصا لا يملأ عيون عسكر كثير من كفِّ بشرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾: بإيصاله إليهم ليقهرهم ﴿وَلِيُبْلِىَ ﴾: لينعم، ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ ﴾: من الله، ﴿بَلَآءً ﴾: نعمة، ﴿حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾: لدعائهم، ﴿عَلِيمٌ ﴾: بضمائرهم والمحدثون على أن الرمي كان بحنين فقط، والمفسرون على أنه في الموضعين الأمر، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَ ﴾: والأمر، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾: مبطل ﴿كَيْدِ ﴾: حيلة ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ﴾: أيها المشركون بقولكم: اللهمَّ انصر أعلى [٣] الجندين ونحوه [٤]، ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: هذا تهكمٌ [٥]، ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ ﴾: لقتاله، ﴿نَعُدْ ﴾: لنصرته ﴿وَلَن تُغْنِىَ ﴾: تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾: جماعتكم، ﴿شَيْـًٔا ﴾: من المضار،

---

(١) في (ن): متحيزون. وهو اسم فاعل من الثلاثي المزيد «تحيز» على وزن: «متفعل» أصله «متحيوز»، اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء.
* معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم – أحمد محمد الخراط صـ٨٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ – للنحاس (٤٦١)، تفسير الطبري (٩/ ٢٠٣)، منهاج الطالبين (١٣٧)، مغني المحتاج (٤/ ٢٢٥)، الروضة – للنووي (١٠/ ٢٤٧)، تيسير البيان (٣/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) في ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥/ ٨٩٢٠): أعز الفئتين وأكرم الفرقتين.

(٤) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتى لما لا نعرف، فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾. أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٥٩، ٣٦٠/ ١٨٥٢١)، وأحمد (٥/ ٤٣١)، والطبري في جامعه (٩/ ١٣٨)، والنسائي (٦/ ٣٥٠/ ١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٤٥٤، ٤٥٥/ ٦٣١، ٦٣٢)، والواحدي في أسباب النزول (١٥٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥/ ٨٩١٧) والحاكم (٢/ ٣٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٧٤) وسنده صحيح.
وانظر: أنوار التنزيل (٢٣٧).

(٥) في نسخة (ن)، و(د): هدايتكم.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: كلٍّ منهما، أو الرسول فطاعته طاعة الله، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: القرآن إطاعة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: إطاعة، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: ما يدبُّ في الأرض، ﴿عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾: عن الحق، ﴿الْبُكْمُ﴾: عنه، ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الحقَّ، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهم، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم، ﴿لَتَوَلَّوا﴾: عنه عن القبول، أو هو إسماع قصي بن كلاب الذي طلبوا[1] إحياءه ليشهد على نبوته، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: عادتهم الإعراض، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير لما مر، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: بالعلوم، أو الأعمال التى بها حياةُ القلب، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: أي: نيته بفسخ عَزائمه، أو كنايةً عن غاية قربه، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾: ذنبا، إن أصابتكم، ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ أي: وبالها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾: كظهور البدع والمداهنة[2] في الأمر بالمعروف كما دلَّ عليه الحديث[3]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لا يتقي، ﴿وَاذْكُرُوا﴾: أيها المهاجرون[4] ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: مكة قبل الهجرة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ﴾: يذهب بكم بسرعة، ﴿النَّاسُ﴾: الكفار بالتعذيب، ﴿فَآوَاكُمْ﴾: بالمدينة، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾: على الأعداء ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمتي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: كأبي لبابة[5]، ﴿وَ﴾: لا، ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾: بينكم، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: خيانتكم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: اختبار لكم،

---

(١) أنوار التنزيل (٢٣٧) بلا سند ولا دليل.

(٢) التقصير والملاينة والمداراة.

(٣) سبق بيانه في سورة المائدة.

(٤) في (ن): المجاهدون، وفي (س)، و(ع): المهاجرين.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٤٦)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٥/ ٩٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٤/ ٨٩٧٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٣٧، ٣٤٣٨/ ٧٨٢٨) وسنده حسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: خير منهما، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، ﴿وَيُكَفِّرۡ﴾ يستر ﴿عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: متفضل بذلك، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في دار الندوة ﴿لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾: من مكة فأمرناك بالهجرة ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾: برد مكرهم عليهم، ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: أعلمهم بالمكر، ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ﴾: عنادًا والقائل: نضر بنُ الحارثِ[1]، ﴿قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ﴾: ما، ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: مسطورات أو أكاذيب من القصص، ﴿وَإِذۡ قَالُواْ﴾: والقائل النضر[2] استهزاءً ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾: القرآن، ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيَّده به؛ لإمكان إمطارها من نحو الجبال، والأول أقطعُ ﴿أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾: أي: مقيم بمكة، فلا يرد تعذيبهم ببدر، أو المراد عذاب الاستئصال ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾: أي: وفيهم من يستغفر ممن لم يستطع الهجرة من مكة، ﴿وَمَا لَهُمۡ﴾: (أن) أي: كيف ﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بعد خروجك مع المؤمنين، ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون المؤمنين ﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: كعام الحديبية، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓ﴾: مستحقين ولايته، ﴿إِنۡ﴾: ما، ﴿أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾: الشرك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: عدم ولايتهم، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ﴾: صفيرًا ﴿وَتَصۡدِيَةٗ﴾: تصفيقًا أو ضجا، أي: جعلوهما مكانهما ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾: ببدرٍ، أو مطلقًا ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هو استقراضهم لتجهيز غزوة أحد[3] ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

---

(١) غرر التبيان (٢٦٩)، معالم التنزيل (٣/ ٢٣) جامع البيان (٩/ ١٥١، ١٥٢) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٩/ ٩٠٠١) بسند ضعيف والصحيح أن الآية نزلت في أبي جهل - أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٠٨، ٣٠٩/ ٤٦٤٨، ٤٦٤٩) ومسلم (٤/ ٢١٥٤/ ٢٧٩٦).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٩/ ١٥٩، ١٦٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٩٧/ ٩٠٥٤) وسنده ضعيف.

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾: لذهاب المال، وعدم نيل المراد ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾: آخرًا، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾: ماتوا على الكفر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞ لِيَمِيزَ ﴾: يفصل، ﴿ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾[1]: الشَّقيّ، ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾: السَّعيد، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ ﴾: فرق[2] الأشقياء، ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾: لازدحامهم، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ ﴾: يضمه، ﴿جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾: الخبيثون، ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾: عن الكفر والمعاداة، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾: من الذنوب، ﴿وَإِن يَعُودُواْ ﴾: إلى الكفر والقتال ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: بنصر جُند الله كما في بدر، ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ ﴾: توجد معهم، ﴿فِتْنَةٌ ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾: لا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: فيجازيهم وإياكم[3]، ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾: ناصركم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾: هو، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ[4] أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾: أخذتم قَهْرًا من الكفار كما في بَدْرٍ[5] ﴿مِّن شَىْءٍ ﴾: ولو حقيرا ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾: ذكره تعالى تبرُّكًا، ﴿وَلِلرَّسُولِ ﴾: ويصرف الآن إلى ما كان يصرفه ﷺ[6] فيه، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾: منه وهم بنو هاشم وبنو المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾: الفقراء من المسلمين ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾: منهم الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: المسافر والباقي من الخمس للمحاربين، امتثلوا ذلك، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ ﴾: بما، ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾: محمد ﷺ من الآيات والنَّصر ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾: بَدْر، الفارق بين الحق والباطل، ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾: المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾: ومنه نصر القليل على الكثير، ﴿ إِذْ أَنتُم ﴾: بدل من يوم ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ﴾: وسط الوادي ﴿ٱلدُّنْيَا ﴾: القربى من المدينة ﴿وَهُم ﴾ الكفار، ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾: البعدى

---

(١) كذا، وكان يجب عليه تفسيرها مع ما قبلها لأمن اللَّبْس.

(٢) كذا في (س)، و(ع)، و(ن).

(٣) في نسخة (د): فيجازيكم وإياهم.

(٤) في هامش (ن): الجزء (١٠).

(٥) وغيرها.

(٦) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

منها، ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾: الجائي من الشام بمكانٍ ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾: في ساحل البحر ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾: أنتم والكفار للقتال بلا عون الله، ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾: لقلتكم وكثرتهم، ﴿وَلَٰكِن﴾: تلاقيتم بلا ميعاد، ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: في علمه من نصر حزبه ﴿لِّيَهۡلِكَ﴾: ليكفر، ﴿مَنۡ هَلَكَ﴾: كفر، ﴿عَنۢ﴾: وُضوح ﴿بَيِّنَةٖ﴾: وهي نصر المؤمنين مع قلتهم، فلا يبقى له عذر، ﴿وَيَحۡيَىٰ﴾: يؤمن، ﴿مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ بصيرة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾: بالأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ﴾: مع كثرتهم؛ تشجيعًا للمؤمنين والرؤيا تكون من رؤيا النبي أو من رؤيا الشيطان أو مِنْ غَلَبة الأخلاط ومن الأفكار، وهذه المخالفة لا تقدح في أن رؤياه حق إذ معناه أنها معتبرة لا أضغاث أحلام أو المنام محل النوم، أي: عينيك[1] ﴿وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ﴾: لجبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: أمر القتال معهم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: حزبه من التنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ﴾: قبل الالتحام ﴿فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾: حتى حسبتموهم ما بين سبعين إلى مائة، وكانوا ألفا تثبيتًا لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾: لئلَّا يستعدوا بعد الالتحام أراهم مثليهم، ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾: كما مرَّ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ﴾: بالقتال، ﴿فِئَةٗ﴾: كفارًا ﴿فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾: في الحرب، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تظفرون ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: باختلاف الآراء، ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾: تجبنوا، ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾: دولتكم أو نصركم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: بالعناية، وأما المنازعة[2] بالحجة لإظهار الحق، فجائزٌ بل مأمورٌ بشروط منها: قصد إظهار الحقِّ على لسان أيِّ الخصمين كان ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا﴾: فَخْرًا وطُغيانًا، ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: ليثنوا على شجاعتهم كأبي جهل وأضرابه[3][1] إذ خرجوا إلى بدر، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(١) انظر: الفيوض الإلهية في شرح الألفية الوردية - للإمام المناوي بتحقيقي - ط/ دار الفتح.

(٢) هذه لا تسمَّى منازعة، وإنما مناظرة، أو محاجة - فانتبه.

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١٣) وسنده ضعيف.

﴿يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾: فيجازيهم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: في صورة سراقة بن مالك[2] الكناني مع عسكر وراية ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من معاداة الرسول ببدر ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ﴾: حاصلٌ ﴿لَكُمُ﴾ من بني كنانة الذين يخافونهم ﴿ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ﴾: مُجيرٌ ﴿لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾: التقت ﴿ٱلۡفِئَتَانِ﴾: وكان[3] يده في يد حارث بن هشام، ﴿نَكَصَ﴾: رجع، ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: هاربًا، فقال له الحارث: إلى أين فدفع في صدره ﴿وَقَالَ﴾: لهم، ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾: من الملائكة، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: أن يعذبني بهم، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: فانهزم المشركون، اذكر ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: هم قوم أسلموا بمكة وخرجوا مع قريش إلى بدر، فلمَّا رأوا قلة المسلمين ارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾: حتى تعرضوا كثرتنا[4]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ينصره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ ﴿حَكِيمٞ﴾: في أفعاله، هذا جواب لهم، ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ببدر لرأيت أمرا هائلا، ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾: إذا أقبلوا، ﴿وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾: إذا أدبروا ﴿وَ﴾ يقولون، ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ﴾: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾: من المعاصي ﴿وَأَنَّ﴾: بأنَّ ﴿ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾: ذي ظلم، ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾: بين في آل عمران، دأبهم ﴿كَدَأۡبِ﴾: عادة ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَ﴾: الكفار، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: ودأبهم، أنهم ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بالعذاب، ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾: لا يغلبه أحد، ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ﴾: الأخذ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: إلى حال أسوأ منه كقريش غيروا المجاورة والالتئام مع النبي ﷺ[5] وصحبه بقصد إهلاكهم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾: ثم أكد بقوله، ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ

---

(١) في (ن)، و(د): حزبه. وفي (س): ضربه!! وكذا في (ع).
(٢) الوسيط – للواحدي (٢/ ٤٦٥) ولا يصح.
(٣) كذا في جميع النسخ.
(٤) يعني اغتروا بدينهم حتى تعرضوا لعددنا وعدتنا.
(٥) في (ن): عليه الصلاة والسلام. وسقطت تمامًا من (س)، و(ع).

﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾: معه ﴿وَكُلّٞ﴾: من الأولين والآخرين ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: وأصروا على الكفر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لا يتوقع الإيمان منهم، ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾: أخذت العهد ﴿مِنۡهُمۡ﴾: ألا يُعينوا المشركين، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾: كقريظة[1]، ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾: عاقبة الغدر، ﴿فَإِمَّا﴾ صلة ﴿تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾ إن تظفر بهم ﴿فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ﴾: فرّق ﴿بِهِم﴾: بعقوبتهم، ﴿مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾: من المحاربين، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾: نقض عهد بأمارة[2]، ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾: فاطرح عهدهم، ﴿إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ﴾ طريق ﴿سَوَآءٍ﴾: متوسطٍ بأن تخبرهم بقطع العهد؛ لئلا تنسب إلى الخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾: فاتونا كمن أفلت يوم بدر وبالغيبة[3] فاعله أحد و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ مفعولاه، ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾: لا يفوتونا، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾: لقتالهم، ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾: ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث: «إنها[4] الرمي»[5]، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾: اسم خيل تربط في سبيل الله ﴿تُرۡهِبُونَ﴾: تخوفون ﴿بِهِۦ﴾: بما استطعتم ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾: كفار مكة، ﴿وَ﴾: كفارًا ﴿ءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾: جزاؤه، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾: بتضييع العمل[6] ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾: مالوا ﴿لِلسَّلۡمِ﴾: للصلح ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾: مِلْ ﴿لَهَا﴾: للمسالمة، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فيها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾: بالصلح ﴿أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾: محسبك وكافيك، ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٦٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٥٧)، الجامع للقرطبي (٨/ ٢٠)، تفسير الرازي (١٥/ ١٤٦)، البحر المحيط (٤/ ٥٠٨).

(٢) بدليل.

(٣) يعني كما هنا «يحسبَنّ» أي: لا يحسبن أحدٌ.

(٤) أي: القوة.

(٥) يشير إلى حديث: «ألا إن القوة الرمي» أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٢) (١٦٧/ ١٩١٧)، وأبو داود في سننه (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجة (٢٨١٣).

وانظر: القول التام في الرمي بالسهام- للسخاوي (٤٨/ بتحقيقي).

(٦) في (ن): العلم.

بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾: مع ضغائنهم ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾: على تآلفهم، ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾: مع ضغائنهم، كما كان بين الأوس والخزرج ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿حَكِيمٌ ﴾: في أفعاله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾: بالغ في حثِّ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾: مع الكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾: شرطٌ في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: بمعنى حكم القليل كالكثير، إذ ربما لا تقاوم العشرةُ المائة، وتقاوم المائة الألف وهكذا ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾: جاهلون بالله تعالى يقاتلون للدنيا فلا يثبتون في الشدة، ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾: نسخٌ للأول، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾: بدنيا، ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: بالنصر، لا يقال إنَّ مائة من الكفار قد تغلب مائة بل مائتين منا، لأن الله تعالى شرط فيه الصبر وكذا الموافقة بيننا ظاهرًا وباطنا على أنه يمكن كونه مخصوصا بالصحابة[1] ﴿ مَا كَانَ ﴾: ما صحَّ، ﴿لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾: ولا يقتلهم، ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ ﴾: يكثر القتل، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: وبعد ذلك خيره بينه وبين المنِّ، إذ المقصود إذلال الكفر، ﴿تُرِيدُونَ ﴾: تختارون، ﴿عَرَضَ ﴾: حطام، ﴿ٱلدُّنْيَا ﴾: بأخذ فدائهم، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ﴾: يختار، ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾: أي: ثوابها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿ حَكِيمٌ ﴾: يعلم ما يليق بكل حالٍ ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾: في اللَّوح أنه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أهل بدر ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾: من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾: ومنه الفدية، أكلًا ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾: في مخالفته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لما أسلفتم ﴿رَّحِيمٌ ﴾: برحمته، أباح لكم الفداء، دلَّ على أن الأنبياء يجتهدون وقد يخطئون[2] ولكن لا يقرون عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾: كعباس ومن أُسِرَ معه[3]، ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾: إيمانًا وإخلاصا،

---

(١) وهذا جائز دلالة التخصيص «منكم» لكن كرم الله لا حدّ له.

(٢) هذه مسألة خلافية، والأولى أن يقال فيها: إنه فعل خلاف الأولى؛ احترامًا لمقام النبوّة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٣٧/ ٩١٧٨)، والبيهقي في =

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾: من الفداء، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَإِن يُرِيدُوا﴾: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾: بنقض العهد ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: بخروجهم مع المشركين، ﴿فَأَمْكَنَ﴾: أمكنك، ﴿مِنْهُمْ﴾: يوم بدر، وإن يعودوا نعد، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخيانتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: بتدبيرهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا﴾: أسكنوا المهاجرين منازلهم، ﴿وَّنَصَرُوا﴾: هم ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في الميراث دون أقاربهم ثم نسخ بالمواريث[1]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾: بالفتح في النسب والنصرة، كما أنه بالكسر[2] في الإمارة ولا يرثونكم ولا يشاركونكم في الغنيمة، ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: نصرتهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: فلا تنقضوه بنصرتهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم به، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في الإرث والنصرة ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أي: المأمور المذكور ﴿تَكُن﴾: تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: في الدين بقوة الكفر، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: إيمانًا، ﴿حَقًّا﴾: صدقا، ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنَّة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ﴾: بعد الهجرة الأُولى، وهي ما قبل الحديبية، ﴿وَهَاجَرُوا﴾: بعدها، وقبل فتح مكَّة ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾: القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في التَّوارُث من الأجانبِ، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: القرآن، نسخ به حكمُ الآية السَّابقة والاستدلال به على توريث ذوي الأرحام ضعيف؛ لأنه قيَّده بما في القرآن، وليس فيه إلَّا أهل الفرائض والعصبات، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومنه إناطة[3] الإرث بنسبة الإسلام أولًا، وبالقرابة ثانيا. [والله أعلمُ

= الدلائل (٣/ ١٤٣) وسنده حسن.

(١) المستدرك (٤/ ٣٤٤، ٣٤٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٢، ١٧٤٣/ ٩٢٠٦).

(٢) قرأ حمزة والأعمش وابن وثاب والأخفش: «ولايتهم» بكسر الواو.

* إتحاف الفضلاء (٢٣٩)، السبعة (٣٠٩)، غيث النفع (٢٣٥)، النشر (٢/ ٢٧٧).

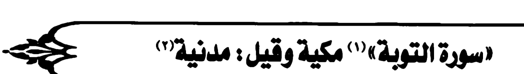
(٣) رَبْط.

بالصّواب][1].

❁❁❁

---

(١) من (ن)، و(ح)، و(د)، وفي (ع): والله سبحانه وتعالى الموفّق.



«سورة التوبة»[١] مكية وقيل: مدنية[٢]

الصواب أن النبي - ﷺ - أمر بوضعها بعد الأنفال وحذف[٣] التسمية وحيا[٤]، صرح به المحققون كالقاضي أبي بكر[٥]، والإمام[٦] وغيرهم، ولما حكم بموالاة المؤمنين عقبه بالأمر بمعاداة المشركين فقال: هذه ﴿بَرَآءَةٌ﴾: انقطاع عصمةٍ، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: واصلة، ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: هما بريئان من عهد عاهدتموه فانبذوه ولا عهد بعده، ﴿فَسِيحُوا۟﴾: سيروا أيها المشركون، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: من يوم النحر من سنة تسع إلى عاشر ربيع الآخر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى﴾: فائتي، ﴿ٱللَّهِ﴾: وإن أمهلكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى﴾: مُذِلُّ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في الدارين ﴿وَأَذَٰنٌ﴾: إعلامٌ، أبلغ - ﷺ - أبا بكر وهو أمير الحاج بعلي ليقرأها على الحاج وقال: «لا يُؤدي عَنِّي إلا رجلٌ منِّي»[٧]؛ لأن عادة العرب ألا يتولى العهد ونقضه إلَّا رجل منهم كما يفهمه بعض الروايات،، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: النحر أو عرفة أو أيام الحج والأصغر العمرة.

* **تنبيه**: قد اشتهر وصف الحج بالأكبر إذا كان الوقفةُ يوم الجمعة[٨]، ولعله

---

(١) في (ن): سورة بَرَاءَة مدنيَّة. وفي باقي النسخ: سورة التوبة: مدنيَّة.

(٢) في نسخة (د): مائة وتسع وعشرون آية، وعند البصريين ثلاثون، وهي آخر سورة نزلت بالمدينة غير آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾.. إلى آخر السورة كلماتها (٢٤٩٧) وحروفها (١٠٨٨٧).

* عدد سور القرآن (٢٤٧)، التبيان (١٦٠)، القول الوجيز (١٩٩) البصائر (١/ ٢٢٧).

(٣) في (ن): حَذف.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/ ٢٥٤/ ٣٠٨٦) وابن حبان (١/ ١٢٥/ إحسان) وأبو داود (١/ ٢٠٨، ٢٠٩/ ٧٨٦) وأحمد (١/ ٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٣٠) وصححه.

(٥) يعني: ابن العربي.

(٦) الفخر الرازي.

(٧) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٧/ ٣٠٩١)، وأحمد (٣/ ٢٨٣)، والطبري في جامع البيان (١٤/ ١٠٧، ١٠٨/ ١٦٣٧٧).

(٨) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة - للعلامة الشبلي (١٤٦/ بتحقيقي).

لحديث: «يوم الجمعة أفضل الأيام إلّا يوم عرفة، وإن وافق يوم جمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة»[١] أخرجه رزين ولحديث: «إذا كان يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف»[٢]، ولأن في يوم الجمعة ساعةَ الاستجابة، ولأن فيها موافقة النبي، فإن وقفة حجة الوداع كانت في الجمعة، وقد يستشكل الحديث الثاني بأنه ورد مثله في مطلق الحج، ويمكنُ حَمْلُ ذلك على مغفرتهم بلا واسطة، وحَمْلُ هذا على أن يهبَ قوما لقوم، والله تعالى أعلم، ﴿أَنَّ﴾: بأنَّ، ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ﴾ فالتوب، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى﴾: فائتي عقاب ﴿ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾: يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من أعدائكم، ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾: تمام ﴿مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في نقض العهد ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: انقضى، ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: هي مدة عهد غير الناقض وأربعة أشهر لغيره، ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كافة، ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: من حلٍّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: وأسروهم[٣]، ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: احبسوهم، ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: ممر؛ لئلا ينبسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: عن الشرك ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾: دعوهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: بعد الانسلاخ، ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك من القتل، ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أمنه، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: ويتدبر فيه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾: أي: هو مستمرُّ الأمان إلى أن يرجع إلى بلاده إن لم يسلم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الأمان، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: ما الإسلام، فأمنوهم ليعرفوا ﴿كَيْفَ﴾: أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: يوم الحديبية، هم المستثنون قبل ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾: بالوفاء ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾: بالوفاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: كما مرّ ﴿كَيْفَ﴾: لهم عهد، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟﴾: يظفروا، ﴿عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾: لا

---

(١) لا يصح.

(٢) فضائل الشهور والأيام (٢٩٠).

(٣) والأخِيذ: الأسِير.

يراعونَ في شأنكم، ﴿إِلًّا﴾: حِلفًا وقرابة، ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدًا، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: ما قالوا، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: متمردون ﴿ٱشْتَرَوْا۟﴾: استبدلوا، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: هو اتباع الشهوات ﴿فَصَدُّوا۟﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دينه، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾: حِلفًا[1]، ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهدًا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون الحدَّ في الظلم ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ﴾: نبين ونكرر، ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فيتأملون فيها ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾: نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾: مواثيقهم، ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: أي: قاتلوهم فإنهم أئمته، ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾: عُهُودا موثوقا عليها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: يرجعون، والاستدلال به على أن يمين الكافر ليس بيمين ضَعفه ظاهرٌ ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾: أهل مكة ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: كما مرَّ، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾: بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يوم بدر بعد ما نجا غيرهم، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: في قتالهم، ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾: بمقاتلتهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن المؤمن لا يخشى غيرهُ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم، ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: الذين كانوا متأذين منهم، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ﴾: كَرْب ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: لما لقوا منهم ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: كأبي سفيان[2] وأضرابِهِ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالكائنات ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَن تُتْرَكُوا۟﴾: مُهملين ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾: بعد، علم ظهورٍ ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بطانة أولياء يفشون إليهم أسرارهم، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ مَا كَانَ﴾: ما صَحَّ، ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟﴾: بالدخولِ والقعودِ ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: فضلًا عن المسجد الحرام، ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: كقولهم في الطواف: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك[3].

---

(١) أنوار التنزيل (٢٤٨) والإل: الحال الظاهرة من عهد وحلف وقرابة. * عمدة الحفاظ (١/ ١٠٣).
(٢) وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تاب الله عليهم وهداهم للإسلام. * الوسيط (٢/ ٤٨٢).
(٣) تلبية العرب - لقطرب (١١٦)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٩)، المحبر (٣١١)، المفصل (٦/ ٢٦٦) وهي =

مع قولهم: نحن نعبد اللات والعزى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ﴾: بطلت ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ۞ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ[1] ٱللَّهِ﴾: بنحو البناء والتزيين بالفرش والسُّرُج والعبادة وترك حديث الدنيا، ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: سكت عن الرسول لأنه لا يتم إلا به، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ﴾: أحدًا ﴿إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: آيسهم وخوف المؤمنين بعسى ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾: أي: أهلهما، ﴿كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: بل المجاهدون[2] أفضل، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بالشرك، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾: رُتبةً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: ممَّن لم يستجمعهما، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: بالنجاة الكلية، ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾: دائم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: يستحقرُ دونه كلُّ نعيم الدنيا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: أصدقاء، ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾: اختاروا ﴿ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾: أقاربكم، ﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها[3]، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾: تستطيبونها، ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾: حُبًّا اختياريًّا لا طبيعيا إذ لا يكلف به ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾: عقابه، قيل هو فتح مكَّة[4]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾: لا يُرشدُ ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: فيه تشديد، قلَّ مَن يتخلص عنه ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾: أوقات الحرب، هذا

= تلبية قريش، وانظر: أديان العرب في الجاهلية- للعلامة محمد نعمان الجارم ص٣٦.
وزاد بعده: أبو بنات في فدك .اهـ.

(١) في هامش (ن): مَساجد: حفص.

(٢) في نسخة (ن)، و(د): المجاهد.

(٣) رواجها.

(٤) الوسيط (٢/ ٤٨٧)، معالم التنزيل (٢/ ٢٧٧)، البحر المحيط (٥/ ٢٣)، تفسير القرطبي (٨/ ٦٢).

كقولك مقتل حسين[١]، ﴿كَثِيرَةٍ﴾: نصركم، ﴿يَوْمَ﴾: قتالكم في، ﴿حُنَيْنٍ﴾: مع هَوازن بعد فتح مكة، وهو[٢] وادٍ بين مكّة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: كانوا اثني عشر ألفا، والكفار أربعةُ آلاف، فقال أحدهم إعجابا: لن نغلب اليوم من قلةٍ ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾: لم تدفع الكثرةُ ﴿عَنكُمْ شَيْئًا﴾: من أمر العدوِّ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: برحبها وسعتها خوفًا ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾: فررتم ﴿مُّدْبِرِينَ﴾: منهزمين ولم يبق مع النبيّ - ﷺ - إلا العباسُ وأبو سفيان بن الحارث[٣]، وقيل: إلا عشرة منهم الشيخان[٤] وعليٌّ والعباسُ، ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: رحمة سكنوا بها، ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: فناداهم عباس بأمر النبي - ﷺ - فكرُّوا عُنقًا[٥] واحدًا قائلين: لبيك لبيك، ﴿وَأَنزَلَ﴾: من المَلك، ﴿جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: لكن سمعوا أصواتًا من السماء ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالقتل والسبي[٦] فأُسر ستةُ آلاف ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾: لمن أسلم منهم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: باطنا ودينًا، أو عينًا ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: أي: امنعوهم من الحرم، وظاهره تكليفهم بالفروع ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾: السنة التاسعة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقرًا بانقطاع المتاجر بمنعهم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: عطائه ﴿إِن شَاءَ﴾: فعوَّضهم بالجزيةِ وأموال البلدان، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: إيمانًا كما ينبغي، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: كالخمر والربا، ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾: يعتقدون، ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾: الثابت الناسخ لغيره، ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾: عن

---

(١) يعني: وقت مقتله.

(٢) يعني حُنين.

(٣) رواه البخاري (٦/ ١٠٥/ ٢٨٦٤)، مسلم (٣/ ١٤٠٠/ ١٧٧٦).

(٤) أبو بكر وعمر.

(٥) طائفةً أو جماعةً.

(٦) الوسيط (٢/ ٤٨٨).

غني أوّلًا بالإرسال أو يدٍ قاهرةٍ عليهم، أي: أذلاء، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: ذليلون، وتؤخذ ممن له شبهة كتاب أيضًا كالمَجُوْس[1] لعمل النبي - ﷺ- كذا عند الشافعي[2]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾: أي: بعضهم مع سكوت الباقين، ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: لأنه بعث بعد موته[3]، وأملى التوراة عليهم بعدما كانت مَنسيَّة لكلهم، ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أي: مهمل لا معقول له أو تأكيد لنفي التجوز، ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون به، ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: أي: قُدماءهم فيقلدونهم، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلكهم الله، تعجب من شناعة قولهم، ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقِّ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾: علماء اليهود، ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: زُهَّاد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بإطاعتهم دونه في التحريم والتحليل، أو كما مر في الأنعام، ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: بأنه هو أو ابنه، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾: في كتبهم، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: هو الله، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيها له، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بتكذيبهم أو شبههم بمن يريد إطفاء نُور عظيم[4] بنفخة، ﴿وَيَأْبَى﴾: لا يرضى، ﴿ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾: يظهر ﴿نُورَهُۥ﴾: دينه بإعلاء كلمته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إتمامه، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾: بالمعجزات، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليُغلِّبهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: بنسخه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: ذلك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يأخذون، ﴿أَمْوَٰلَ

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١١٥١/ ٢٩٨٧) كتاب الجزية والموادعة – باب: ما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم.

(٢) الأم (٤/ ١٧٣)، سنن البيهقي (٩/ ١٨٨)، معرفة السنن والآثار (١٣/ ٣٦٧) الحاوي الكبير (٩/ ٢٢٣)، شرح مسلم (١٢/ ٣٩) وذهب مالك إلى قبول الجزية من كل مشرك واستثنى أبو حنيفة مشركي العرب.

* الكافي لابن عبد البر (٢١٧)، أحكام القرآن – للجصاص (٤/ ٢٨٣)، البحر الرائق (٥/ ١٢٠).

(٣) مائة عام.

(٤) كنور الشمس.

﴿ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرشوة، في تغيير الأحكام، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: كالأحبار والرهبان، والكنز مال لم تؤد زكاته للحديث[1]، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾: الكنوز أو الفضة فالذهب أولى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾: يوقد، ﴿عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾: تُحرقُ ﴿بِهَا﴾: بالكنوز ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: خصَّها بالذكر؛ لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة التى بها أصول الجهات الأربع ولعبوسهم عند السائل وميلهم وتوليتهم، فيوسع جلدهم حتى يسع الكل، يقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: والآية عامة، ﴿إِنَّ عِدَّةَ﴾: مبلغ عدد، ﴿ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: لا بابتداع الناس، ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: كائنٌ[2]، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللوح، ثابت، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: رَجَب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التحريم، ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: القويم، أي: الحساب المستقيم، لا ما يفعله العرب من نساء[3] الشهور ﴿فَلَا تَظْلِمُوا﴾: بالمعاصي، ﴿فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: فإنَّ المعاصي فيها أعظم وزْرًا، فهو مثل: ﴿فَلَا رَفَثَ ... إلى آخره﴾[4]، والجمهور على أن تحريم ابتداء القتال فيها منسوخ[5]، ﴿وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾: تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر بالمحاربة في الأول، وتركها في الثاني، ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: لزيادة ما يكفر به، فإنه تحليل حرام وعكسه،

---

(١) قال ابن عباس: لا يؤدون زكاتها، وما أُدي زكاته فليس بكنز- رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٥٢٠) وعن ابن عمر مرفوعا: «كل مال أدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا تحت الأرض، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا». رواه البيهقي في السنن (٤/ ٨٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٤٩)، والترغيب (١/ ٢٦٤).

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) التأخير.

(٤) سورة البقرة.

(٥) الجامع للقرطبي (٨/ ١٣٥).

﴿يُضَلُّ بِهِ﴾: بالنسيء، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾: أي: النسئ من الأشهر الحرم، ﴿عَامًا﴾: فيقاتلون فيه، ويُحرِّمون شهرا آخر بدله ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: بتركه على حرمته، ﴿لِيُوَاطِئُوا﴾: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وهي أربعة أشهرٍ في كلِّ سنة من أي وقت يكون ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: في علمه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾: والقائل[1] النبي - ﷺ -، ﴿انْفِرُوا﴾: اخرجوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كغزوة تبوك ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾: تباطأتم مائلين ﴿إِلَى﴾ إقامة ﴿الْأَرْضِ﴾، أرضكم، ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بدلًا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ الجنَّة ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: التمتع بها، ﴿فِي﴾: جَنْبِ ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدارين ﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾: منكم، ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: مُطيعينَ ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: بالتثاقل، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه تبديلكم ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾: النبيَّ - ﷺ -، فينصره الله ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من مكة، وإسناد الإخراج إليهم لهمِّهم به، أو لأنه بسببهم، حال كونه، ﴿ثَانِيَ﴾: واحد، ﴿اثْنَيْنِ﴾: هو وأبو بكر[2]، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: من جبل ثورٍ ثلاثة أيام، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: أبي بكر حين طلع عليهم الكفار لطلبهما فأشفق على محمد - ﷺ -، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: أمنته، ﴿عَلَيْهِ﴾: على محمد أو صاحبه؛ لأنه حزن فاحتاج إليها[3]، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾: الملائكة حرسوه في الغار وغيره، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: دعوة الشرك، ﴿السُّفْلَى﴾: المغلوبة، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾: التوحيد، ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾: الغالبة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره، ﴿انْفِرُوا﴾: إلى تبوك ﴿خِفَافًا﴾: من السِّلاح أو ركبانا،

---

(١) الوسيط (٢/ ٤٩٥) وكان ذلك في غزوة تبوك - أنوار التنزيل (٢٥٤)، وتثقيف الألسنة- للشبلي (٧٩/ بتحقيقي).

(٢) على رغم أنف الروافض.

(٣) يعني السكينة.

﴿وَثِقَالًا﴾: مع السِّلاح أو مشاةً ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ﴾ الجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من التَّاقل ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أهل العلم فلا تثاقلوا، ثم لمَّا شقّت عليهم خصّت بقوله ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الآية، ونزل في المنافقين المخلفين: ﴿لَوْ كَانَ﴾: ما دُعُوا إليه، ﴿عَرَضًا﴾: نفعًا دنيويا، ﴿قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: مُتوسِّطًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: المنافقون، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة التي تقطع بمشقَّة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾: بعد الرجوع، ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾: بدنًا ومالًا، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: بالحلفِ الكاذبِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾: في إذنهم للتخلف عفًا قبل بيان الحرم كما هُو دأبُ الحبيب مع حبيبه، ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: في القعود، وما توقفت، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في العُذر، ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: فيه، ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾: بمعنى النهي، كلا رفث، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: في التخلف كراهة ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: فمثيبهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيَّرون ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾: معك ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾: من الزَّاد والمركب، فإنهم متمولون، ﴿وَلَٰكِن﴾: تثبطوا؛ لأنه ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: نهوضهم للخروج وعلى هذا الحمل لا إيراد على الاستدراك، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: حَبَسهم عن الخروج ﴿وَقِيلَ﴾: لهم، والقائل: الشيطان بوسوسته أو بعضهم، ﴿ٱقْعُدُواْ﴾: أمر تهديد ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: من نحو النِّساء ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فسادًا على فساد المنافقين الذين معكم ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾: أسرعوا ركائبهم مجاز عن نمائمهم[1]، ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾: بينكم، ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يريدون لكم، ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: فأمرهم بالخروج لقطع الحجة، وإظهار نفاقهم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ﴾: مُطيعون، ﴿لَهُمْ﴾: لحديثهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فيجازيهم، ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ﴾: بتثبيط[2] أمرك، ﴿مِن قَبْلُ﴾: كيوم أحد، حين[1]

---

(١) جمع نميمة.

(٢) في نسخة (ن)، و(د): بتشتيت.

رجع ابن أبي وصحبه، ﴿وَقَلَّبُوا﴾: دبَّروا ﴿لَكَ الْأُمُورَ﴾: الحيل في كيدك، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾: النصر الإلهيُّ ﴿وَظَهَرَ﴾: غلب ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾: في القعود، وهو الجدُّ[٢] بن قيسٍ، ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ ببنات الأصفر[٣] وهو اسم جنس ملك الروم ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: بتخلفهم[٤]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: الآن لإحاطة أسبابها ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾: كظفر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: كما في أُحُد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾: من الحزم بالتخلف ﴿مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: بما أصابكم ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾: في اللوح ﴿لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: متولي أمرنا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا غير ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾: تنتظرون، ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾: النَّصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: أحد السُّوئيين، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾: من السماء، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: بالإذن في قتالكم، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: عاقبتنا، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: عاقبتكم، ﴿قُلْ﴾: لمن قال: ائذن، ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا﴾: طائعين، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: كارهين، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خارجين عن الدين، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾: أي: قبولها، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ أي: إلَّا كفرهم بهما، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۞ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾: فإنها استدراج، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾: أن يعذبهم، ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالتعب في جمعها وحفظها ثم تلفها بلا تمتعهم، ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج بالصعوبة، ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: سيأتي بيانها في آية ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: لنفاقهم ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ

---

(١) في (ن): يوم.

(٢) في (ن): الحرّ.

(٣) وهو يطلق على أهل أوربا، فيقال لهم: بنو الأصفر.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٠٩/ ٩٦٠٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٨/ ٢١٥٤)، و(١٢/ ١٢٢/ ١٢٩٥٤) والأوسط (٥/ ٣٧٥/ ٥٦٠٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٦٤٤/ ١٧٢٠) وسنده حسن صحيح.

يَفْرَقُونَ ﴾ يخافون الفريقين ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ كحصن ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ ﴾: سراديب، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا ﴾: نفقًا يدخلونه، ﴿لَّوَلَّوْا ﴾: أقبلوا، ﴿إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يُسرعون كالفرس الجموح[1]، فرارا لضيقهم في أيديكم ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾: يعيبك ﴿فِي ﴾: قسم[2]، ﴿الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾: يعيبون ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾: من الغنيمة والصدقة ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ﴾ كافينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ غنيمة أو صدقة أخرى، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾: في إغنائنا لكان خيرًا لهم، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾: الزكوات مصروفة، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ﴾: من لا مال له، ولا كسبٌ يقع موقعا من حاجته كأنه أصيب فقاره، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾: من له مال أو كسب لا يكفيانه كأن العجز أسكنه، ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾: الساعين في تحصيلها كالجابي والقاسم والقيم والكاتب والحاسب، ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾: من يعطى ليحسن إسلامه، أو ليسلم نظراؤه، ﴿وَفِى ﴾: فكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ ﴾: بإعانة المكاتب، دل بفي على أن الاستحقاق للجهة، وتكرير العامل في الكل لتأكيد الحاجة ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ ﴾: المديونين الذين استدانوا لغير معصية، أولها[3] وتابوا، وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين[4]، ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: غُزاة لا حَقَّ لهم في الديوان ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾: المسافر المنقطع عن مال فرض لهم، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بأعمالكم، ﴿حَكِيمٌ ﴾: فيما أمر.

* **تنبيه**: ظاهر الآية تخصيص استحقاقها بالثمانية ووجوب صرفها إلى[5] كل صنفٍ وُجِدَ منهم، والاشتراك يقتضي التسوية، وهو مذهب الشافعي لكن عن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم مِنَ الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد،

---

(١) شديد السرعة.

(٢) بفتح القاف المثناة: تقسيم.

(٣) يعني استدان لمعصية ثم تاب.

(٤) بين متخاصمين.

(٥) في (ن)، و(د): في كل صنف.

وعليه الأئمة الثلاثة وبعض أصحابنا[(١)]، ويؤيدهم وجوب كون الآية هنا لبيان قصر جنسها على الثمانية مثل: «إنما الخلافة لقريش»[(٢)]، أي: لا تتعداهم، لا لتعلق كل فرد من أفراد الصدقة بكل فرد من أفراد المستحقين، وهو ظاهر، وظاهر الآية يؤيد الشافعي، إذ الشائع في المصرف تعلق الحكم بكل فرد من أفراد الواحد لكن دلالتها على وجوب إعطاء ثلاثة من كل صنف غير ظاهر، والله تعالى أعلم.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾: بقولهم ما لا ينبغي في شأنه، ﴿وَيَقُولُونَ ﴾ حين نهوا عنه، ﴿هُوَ أُذُنٌ ﴾: سمَّاعٌ لكل كلام إن أنكرنا وحلفنا يصدقنا سمي بالجارحة مبالغة ﴿قُلْ﴾ نعم وَهُوَ ﴿أُذُنُ﴾ سماع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾: ويقبله، لا أُذن شرٌّ كما بينه، ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ ﴾: يصدق وينقاد، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾: لعلمه بخلوصهم، واللام للفرق بين الإيمان التسليمي والأماني، ﴿وَ﴾: هو ﴿رَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: لمن أظهر الإيمان ﴿مِنكُمْ﴾: حيث لا يكشف عن ستره، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ ﴾: على معاذيرهم ﴿لِيُرْضُوكُمْ ﴾ بيمينهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾: بالطاعة، وحَّد الضمير لوحدة رضاهما، ﴿إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾: صِدقًا ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ﴾: يُخالف ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: بالكفر ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ﴾: الفضيحة، ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿يَحْذَرُ ﴾: يخافُ، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾: فيهم نحو: على مُلْك اليمن، أو مثل قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: فيه، على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم ﴾: تخبرهم إخبارًا مُفضحًا ﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الكفر ﴿قُلِ﴾: تهديدا[(٣)]، ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ ﴾: مُظهرٌ ﴿مَّا تَحْذَرُونَ ﴾: ظهوره ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ عن استهزائهم حيث قالوا في طريق تبوك: هذا رجل يريد فتح قصور الشام:

---

(١) يعني الشافعية.

وانظر: الجامع – للقرطبي (٨/ ١٧٥)، الأم (٢/ ٧٨، ٧٩)، الحاوي الكبير (٨/ ٤٨١).

(٢) لهذا الحديث طرق كثيرة جمعها الحافظ ابن حجر في جزء كبير سماه: «لذة العيش بطرق حديث: الأئمة من قريش» وطبع بدار البشائر الإسلامية – ضمن لقاء العشرة الأواخر بتحقيق المحدث الفهامة تفاحة الكويت أبي ناصر محمد بن ناصر العجمي الصالحي – حفظه الله ووفقه.

(٣) فالأمر هنا في «استهزءوا» للتهديد.

هيهات[1] ! ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾: فيما يخوض فيه الرَّكْبُ، ﴿وَنَلْعَبُ﴾: لقطع الطريق به، ﴿قُلْ﴾ توبيخًا ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾: فإنهم كاذبون فيه ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾: عنه، ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: ظهر كفركم بهذا الطعن ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: لتوبتهم، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾: منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مُصرين على النفاق ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم﴾: مقارب، ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾: مشابهة في الكفر كأبعاض شيء واحد، خصَّهم بمن دون المؤمنين ردًا لحلفهم: ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن البر لشُحِّهم ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾، بترك طاعته، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكاملون في التمرد ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾ الخلص ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ﴾: النار ﴿حَسْبُهُمْ﴾: كافيهم جزاءً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم فلا يعتادون عليه كما زعم بعض، أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: بنصيبهم من لذات الدنيا، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾: لا تكرار، إذ الأول لتمهيد التشبيه وتقبيحهم، والثاني: للتشبيه مع ضميمة قوله، ﴿وَخُضْتُمْ﴾: في أباطيلكم، ﴿كَٱلَّذِى﴾: مخفف الذين، أو كالفوج الذي خاضوا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: بعدم قبولها وخلوها عن أجر معجل من نحو حسن الثناء وإلقاء محبتهم في القلوب، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: فأنتم مثلهم ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾: بالريح، ﴿وَثَمُودَ﴾: بالصيحة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: هلك سلطانهم ومعبودهم[2] ببعوض[1]، ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: بنار الظلمة، ﴿وَ﴾: القريات،

---

(١) النمروذ – لعنه الله –.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١١٩)، وعبد الرزاق (١/ ٢/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٠) وسنده ضعيف.

﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: المنقلبات بقوم لوط، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ما شأنه ظلمكم من العقاب بلا جرم، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالتكذيب، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتناصرون، ومرَّ بيان ترك الأسلوب الأول، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: السين للتأكيد[2]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾: تستطيبها النفس، ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامة، أو أعلى درجاتها، والعطف لتعدد الموعود لكل واحد، أو للجمع على سبيل التوزيع أو لتغاير الصفة، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: من كلها ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾: بالسنان، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾: باللسان[3]، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: بالمقت، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: هي، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾: ما قالوا من سبك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: بتكذيبك، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾: من قتلك في طريق تبوك حيث دفعهم عمَّارٌ ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ حاصله: ما له ذنبٌ عندهم إلا أنَّ الله أغناهم ببركته، ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ﴾: التوب، ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾: روي أن قائله[4] تاب[5]، ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾: عن التَّوب ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ﴾: بهم ﴿فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٣١٠)، الجامع - للقرطبي (٨/ ١٢٨)، البحر المحيط (٥/ ٦٩) تفسير الفخر الرازي (١٦/ ١٠٣)، تفسير ابن كثير (٥/ ١١٤).

(٢) يعني: رحمهم فضلا وتكرما.

(٣) فلم يسل رسول الله - ﷺ - سيفًا على المنافقين حتى لا يقال: إن محمدًا يقتل أصحابه. وانظر: الحكم الجديرة بالإذاعة- للحافظ ابن رجب الحنبلي ص٧٠.

(٤) الجلاس بن سويد.

(٥) أخرجه الطبري (١٤/ ٣٦٢، ٣٦٨) وفيه الكلبي - كذاب ورواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٦، ٤٧/ ١٨٣٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٨٤٦/ ١٠٤٠٣) وسنده ضعيف.

نَصِيرٍ ﴾: ينجيهم فكيف بالآخرة، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾: هو ثعلبة بن حاطب[١]، ﴿لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾: نتصدقن، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾: بدعاء النبي - ﷺ - بحيث ضاقت بغنمهم المدينة، ﴿بَخِلُوا بِهِ ﴾: بمنع الزكاة، ﴿وَتَوَلَّوا ﴾: عن الطاعة، ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾: جعل عاقبتهم، ﴿نِفَاقًا ﴾: متمكنًا، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾: تعالى بالموت، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾: من التصدق والصلاح، ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾: ثم بعد نزولها جاء بزكاته إليه - ﷺ - فلم يقبل منه ثم إلى أبي بكر وعمر فلم يقبلا، ومات في زمن عثمان ﵁[٢]، ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾: من النفاق ﴿وَنَجْوَاهُمْ ﴾: ما يتناجون به من الطعن في الدين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾: يعيبون، ﴿الْمُطَّوِّعِينَ ﴾: المتنفلين، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾: يقولون في من أكثر منها: هو مُرَاءٍ كابن عوف، وفيمن أقل منها لفقره: هو يذكر بنفسه ليعطوه ﴿وَ﴾: يلمزون، ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾: طاقتهم كأبي عقيل الأنصاري جاء بصاع تمرٍ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾: جازاهم على سخريتهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: ونزلت في ابن أُبيّ[٣] إذ مات: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾: فهما سيان في عدم النفع، ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾: أي: كثيرًا من سبَّع إذا كثر.

* **تنبيه**: شاع استعمال السبعة، والسبعين، والسبعمائة ونحوها في التكثير[٤]،

---

(١) كيف يكون ثعلبة وقد شهد ثعلبة - ﵁ - بدرًا - أسد الغابة (١/ ٢٨٣).

والقصة إسنادها باطل باتفاق أئمة الحديث، أخرجها: الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣٠، ١٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٤٧، ١٨٤٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ٢٧١/ ١٣٧٥)، والطبراني (٨/ ٢١٨، ٢١٩/ ٧٨٧٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٢٥٠/ ٢٢٥٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٢٤/ ١٢٧)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٢٤/ ١٢٧)، وفي الشعب (٤/ ٧٩، ٨٠/ ٤٣٥٧) وسندها لا يصح، والصحيح أنها في المنافقين.

(٢) هذه خرافة كبرى، وكم من أناس ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ثم عادوا للإسلام وتاب الله عليهم .اهـ.

(٣) رأس الكفر والنفاق.

(٤) فالعدد لا مفهوم له .اهـ.

لاشتمال السبعة على أكثر أقسام العدد كالزوج والفرد، والأول أي: ما لا بعده إلا الواحد والمركب، أي: ما بعده غيره، والفرد الأول كالثلاثة، والفرد المركب كالخمسة، والزوج الأول والمركب والمجذور وَحاصل المضروب في نفسه والجذر المضروب في الأصم بمعنى غير المجذور مثله كالستة، وبمعنى الأول أيضًا، والمنطق بمعنى مقابلهما كالأربعة، والتام: ما أجزاؤه مثله كالستة، والناقص ما تنقص أجزاؤه كالأربعة، قيل: والزائد ما زادت أجزاؤه عليه لاشتمالها على الثلاثة والأربعة الحاصل من ضربهما اثنا عشر ثم السبعين غاية الغاية، إذ الآحاد غايتها العشرات فكأَنَّ المعنى: لَا تستَغْفِرْ لَهمْ أبدًا، ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ﴾: التأييس، ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لا ببخل منا أو قصور فيك، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: المتمردين بكفرهم إلى النجاة، قيل: لمَّا نزلت حمله ﷺ على العدد فقال: «رَخَّصَ لي ربي فسأزيد على السبعين»[1]، فنزلت: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾.. إلى آخره، فنسخت بها.

* **تنبيه:** اعلم أن جعله من باب أسلوب الحكيم، والمغالطة كقول القَبعثري[2]: مثل الأمير[3] يحمل على الأدهم[4] والأشهب[5]، في جواب: لأحملنك على الأدهم[6]، لا يخلو من سوء أدب[7]؛ لأنه للتنبيه على أن هذا المعنى هو الأولى بالقصد، وهذا مما تأباه آداب الأنبياء معه تعالى، على أن الحديث يأباه.

فإن قيل: كيف خفي عليه وهو أفصح الفصحاء ؟ أجيب بأنها دلت على عدم

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٤) وسنده ضعيف، وفي لفظ: «لو أعلم أني إن استغفرت له إحدى وسبعين مرة غفر له؛ لفعلت». * الدر المنثور (٤/ ٢٥٥).

(٢) هو الغضبان بن القبعثري الشيباني البصري كان فصيحًا- تاريخ دمشق (٥١/ ٤٤/ ٥٦٦٤)، التاريخ الكبير (٧/ ١٠٨)، الجرح والتعديل (٧/ ٥٦) والقبعثري: الجمل العظيم.

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٤) الخيل الأسود.

(٥) الأبيض من الخيل.

(٦) يريد به القيد- والعياذ بالله.

(٧) لأنه غير مُراد والأسلوب الحكيم: إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

المغفرة لا ترك الاستغفار واستغفاره وإن لم يترتب عليه مغفرتهم يترتب عليه مصلحة أخرى، وهو[١] إظهار غاية رحمته بمن بعث إليهم[٢]، وحثنا على التراحم، وقوله: «لو رَخّص لي ربي فسأزيد على السبعين إن لم أُنهَ»[٣] والله أعلم، ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾: أي: عن تبوك، ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم ﴿خِلَٰفَ﴾ خلف ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ للمؤمنين: ﴿لَا تَنفِرُواْ﴾ لغزوة تبوك ﴿فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد اخترتموها بالمخالفة، ﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾: ذلك لما تخلفوا ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ أي: أيام الدنيا ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾: أي: في الآخرة، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من النفاق ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾: من المخلفين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: إلى غزوة تبوك ﴿فَقُل لَّن﴾ لا ﴿تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن﴾: لا ﴿تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: في غزوة تبوك ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ المتأخرين من النساء ونحوهن، أو المفسدين ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ﴾: جنازة، ﴿أَحَدٍ مِّنْهُم﴾: كابن أبي، أو لا تدع له، ﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾: أي: موتًا أبديًا؛ لأن إحياءه للتعذيب كعدمه يعني: مات كافرًا، وقيل: أي: لا تصل أبدًا ﴿وَلَا تَقُمْ﴾: لنحو زيارة، ﴿عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: فسّر مرةً، وكررها للتأكيد، أو هي في غير الأولين، وترك[٤] الفاء لارتباط الأولى بكراهتهم الإنفاق إعجابًا بكثرة أموالهم بخلاف هذا وترك: «لا» في: «ولا أولادهم» دفعًا لما يتوهَّم من تركيب الأولى، وهو أن إعجابهم بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم، وبدّل «أنْ»[٥] باللّام[٦] ليعلم أن فعله تعالى لا يُعلل، وترك الحياة؛ تنبيهًا على أن الحياة الدنيا بلغت مبلغًا لا يذكر حسنه[٧]،

---

(١) كذا في جميع النسخ.
(٢) في (ن): إليه.
(٣) من النهي.
(٤) في (ن): وتركت الفاءُ.
(٥) في (ن): (أن يُعذّبهم).
(٦) في (ن): (ليُعذّبهم).
(٧) في نسخة (ن): خِسَّةً، وفي (س): خمسهُ.

بل يقتصر عنها على ذكر الدنيا، ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾: بعض من القرآن ﴿أَنۡ﴾ بأن ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ﴾ الغنى ﴿مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: بعذر، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ﴾ النساء ﴿ٱلۡخَوَالِفِ﴾: في البيوت، ﴿وَطُبِعَ﴾: ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾: مصالحهم، ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: قارن إيمانهم إيمانه، ﴿جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾: أي: إن تخلفوا فقد توجه إليه خير منهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾: لا يعلمها إلا الله، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾: من عذَّر: قصَّر، أو: أظهر العذر أو اعتذر: مهّد العذر ﴿مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ المسلمين، ﴿لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾: في القعود فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: في ادعاء الإيمان عن المجيء للاعتذار، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: كالمشايخ، ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾: في الجهاد، ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التأخر، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: بالطاعة سرًّا وجهرًا ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: أي: إلى معاتبتهم، ﴿مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾: لتفريطهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾: بهم، ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾: هم سبعةٌ من الفقراء[1]، ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾: دمعها، فيه تجوُّز للمبالغة ﴿حَزَنًا﴾: للحزن، ﴿أَلَّا﴾: لئلَّا، ﴿يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾: في الغزو، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ[2]﴾: بالمعاتبة، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ﴾: النساء، ﴿ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ﴾: ختم، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: لئلا يتعظوا، ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: كالمجانين، ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾: في التخلف ﴿إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾: لن نصدقكم؛ لأنه ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ﴾: بعض ﴿أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾: أتتوبون أم تصرون؟ ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: بمجازاتكم، ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ﴾: على عذر التخلف، ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾: فلا تعاتبوهم، ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾: دعوهم، ﴿إِنَّهُمۡ

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٤٦) وسنده ضعيف.

(٢) في هامش (ن): الجزء (١١).

﴿رِجْسٌ﴾: نجس، لا يتطهرون من النفاق، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾: بتصديقهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: عنهم إذ لا يلبس عليه هؤلاء المنافقون، كانوا ثمانين، منع المسلمون من مجالستهم ومكالمتهم، قاله ابن عباس ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: البدويون، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من الحضريين لقساوتهم وعدم مخالطتهم العلماء، في الحديث: «من سكن البادية جفا»[1]، ﴿وَأَجْدَرُ﴾: وأولى ﴿أَلَّا﴾ بأن، ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بقلوبهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما صنع بهم، ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾: في الجهاد ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامةً لا يرجوا بها ثوابًا ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: انقلاب أمركم ليخلص منكم، ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ﴾ دوران ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ وهي اسم لعقوبة الزمان ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم، ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾: سبب، ﴿قُرُبَٰتٍ[2] عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ﴾: دعوات، ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: فإنه كان يدعوا للمصدِّقين، ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾: السين للتأكيد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: من صلى إلى القبلتين، أو من حضر بدرًا أو أسلم قبل الهجرة أو الصحابة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: بالإيمان والطاعة إلى القيامة أو بالترضي والثناء عليهم ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بما نالوا من نعم الدارين ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: قيل: الفرق بينه وبين المقيد بـ«مِنْ»[3] إفهامه أن منبعها منهُ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾: يا أهل المدينة، ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: قوم، ﴿مَرَدُوا۟﴾: تمهروا، واستمروا، ﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: يا محمدُ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: بفضيحة الدنيا وعذاب

---

(١) كذا وهي رواية فيه: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن» أخرجه أحمد (١/ ٣٥٧)، وأبو داود (٣/ ٢٨٥٩)، والترمذي (٤/ ٢٢٥٦)، والنسائي (٧/ ٤٣٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٢٩٦)، والمشكاة (٣٧٠١) والأشهر منها: «من بدا جفا».

(٢) في هامش (ن): قربات - حفص.

(٣) يعني: لم يقل: من تحتها.

القبر[1] أو مرة بعد مرة، أي: كثيرًا ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: في جهنم ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: منهم ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بتخلفهم عن تبوك بلا عُذر ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: كالندم والاعتراف بالذنب ﴿وَءَاخَرَ﴾: أي: بعمل آخر، ﴿سَيِّئًا﴾: كتخلفهم، فهذا كبعت الشاء شاةً ودرهمًا، أي: بدرهم، أو تدل على أن كلًّا منهما مخلوط بالآخر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: يقبل توبتهم أتى بعسى ليأملوا ولا يتكلوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أي: المخلفين التائبين كأبي لُبابة وأحزابه ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾: عن الذنوب، ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾: تنمي حسناتهم، ﴿بِهَا﴾: فأخذ ثلثها وتصدق به، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادع لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ[2] سَكَنٌ﴾: رحمة أو طمأنينة ﴿لَّهُمْ﴾ بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لدعائك، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأهله، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ استفهام للتحضيض ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾: يقبل، ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: بل تقع في يده قبل يد السائل[3]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾: ما شئتم أيها الحالفون ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: بأن يطلعهم الله عليه ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ۝ ﴿وَءَاخَرُونَ﴾: من المتخلفين، ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: لحكمه في شأنهم، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: هم الثلاثة الذين خلفوا، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل بهم، ﴿وَ﴾: منهم، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ بنوا ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: مُضارة لأهل قباء ﴿وَكُفْرًا﴾: لتقويته، ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من مسجد قباء، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: ترقبًا، ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: في بدر، هو أبو عامر الراهب، وفد بعد البدر إلى الشام؛ ليأتي بجنود قيصر[4] وبنوه له بأمره إرصادًا، لرجوعه، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَآ﴾: ببنائه، ﴿إِلَّا﴾: الخصلة، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: كالصلاة،

---

(١) وهي أحد الآيات الدالة على عذاب القبر – عياذًا بك اللهم.

(٢) في هامش (ن): صلاتك: حفص.

(٣) لحديث أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا إلا كأنما يضعها في يد الرحمن».. الحديث.

* أخرجه البخاري (٣/ ٣٢٦/ ١٤١٠) ومسلم (٢/ ٧٠٢/ ٦٣، ٦٤/ ١٠١٤).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٨، ١٩) وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٨، ١٨٧٩) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٢٦٢، ٢٦٣) وسنده ضعيف.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في حلفهم ﴿لَا تَقُمْ﴾: للصلاة ﴿فِيهِ﴾: في مسجدهم، ﴿أَبَدًا﴾: فأمر بهدمه ثم صار مطرح الجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: هو مسجد قباء كما في البخاري[1]، ويؤيده نسقُ القصة وحديثٌ في ابن ماجة[2]، أو مسجد المدينة كما في مسلم[3] وغيره والتحقيق أن رواية نزولها في مسجد قباء لا يعارض تنصيصه- ﷺ[4]- أنه مسجد المدينة فإنها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾: بالجمع بين الاستجمار والماء في الاستنجاء كأهل قباء كما رواه ابن ماجة[5] وغيره أو من المعاصي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾: ظاهرًا وباطنًا، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾: مبنيَّه ﴿عَلَى﴾ قاعدة ﴿تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: طلب مرضاته، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا﴾: طرف، ﴿جُرُفٍ﴾: جانب وادي من جهنم، ﴿هَارٍ﴾: متصدع مشرفٍ على السقوط، ﴿فَانْهَارَ﴾: طاح، ﴿بِهِ﴾: مع بنائه أو بانيه، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: صحَّ أنهم رأوا الدخان حين حفروه[6]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: إلى ما ينجيهم ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾: شكًا ونفاقًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: إذ بتخريبه ازدادوا حسدًا، ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: في القبر بحيث لا يبقى لها قابلية الإضمار، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بنياتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: في الأمر بهدمه، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: تمثيل لإثابتهم، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: استئناف

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٣٨، ٢٣٩/ ٣٩٠٦).

(٢) (١٤١١).

(٣) (١٣٩٨).

(٤) بل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد الخدري ؓ: «تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على ا لتقوي من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد الرسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا» رواه الترمذي (٢/ ١٤٤/ ٣٢٣) وأصله في الصحيح.

(٥) في عزوه لابن ماجة فقط قصور، والحديث المشار إليه، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! إن الله قد أثنى عليكم خيرًا في الطهور فما طهوركم هذا؟ قالوا: يا رسول الله! نتوضأ ونغتسل من الجنابة... الحديث». رواه الترمذي (٥/ ٢٦٢)، وأبو داود (١/ ١١)، وابن ماجة (١/ ١٢٧) وسنده ضعيف، لكن صح من غير وجه.

(٦) رواه الطبري (١١/ ١٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩١).

لبيان الشري، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره، أي: ثابتا، ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ﴾: لا أحد ﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾: افرحوا غاية، ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: هم، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: بالإخلاص، ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾: لله، ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون، أو طلبة العلم ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: المُصلون ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: والواو بجعلهما مع ما يليهما كخصلة هو وقيل للثمانية؛ لأنَّ التعداد تَمَّ بالسبعة؛ لأنها تمامٌ عند العرب كالعشرة عندنا، والثامن ابتداء، وهذا لا أصل[1] له، ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: شرائعه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بشرهم، ﴿مَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: كآمنة أو أبي طالب[2]، ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: بموتهم على الكفر، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ﴾ إبراهيم ﴿إِيَّاهُ﴾: إن أسلم، بقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[3] ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾: بموته على الكفر ﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾: متضرع كثير التأوُّه ﴿حَلِيمٌ﴾: صبورٌ على الأذى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾: ليأخذهم أخذ الضالين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾: للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: ما يجبُ إتقاوه فلا يؤاخذكم بالاستغفار لهم قبل ذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: فتوجهوا إليه معرضين عنهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: أي: برأهم[4] عن عُلقة الذنوب، مثل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾[5] ﴿فِى سَاعَةِ﴾: وقت، ﴿ٱلْعُسْرَةِ﴾: أي: غزوة تبوك في شدّة الحرّ[6] والضيق، ﴿مِنۢ بَعْدِ

---

(١) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (س): صلة، وسقطت من (ن).

(٢) لو رود النصوص الصحيحة الصريحة فيهما.

(٣) سورة الممتحنة.

(٤) في (د): أبراهم.

(٥) سورة الفتح.

(٦) عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد. * الوسيط (٢/ ٥٢٩).

مَا كَادَ يَزِيغُ ﴾: يميلُ، ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾: عن اتباعه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾: تأكيد لما مر، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: ﴿وَ﴾: تاب، ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾: خلّفَ الله أمرهم عن أمر الذين ربطوا أنفسهم بالسواري[1]، وعمَّن اعتذر بالأكاذيب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾: بسعتها مثلٌ لشدة الحيرةِ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾: لكثرة الهم، ﴿وَظَنُّوٓا ﴾: علموا، ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾: من سخطهِ ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾: بالتضرع ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾: يقبل التوبة برحمته، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في إيمانهم وعهودهم، ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا ﴾ أن ﴿يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ﴾: أي: لا يجعلوا أنفسهم راغبة، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: فليكونوا معه في البأساء والضراء، ﴿ذَٰلِكَ ﴾: النهيُ ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾: عطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾: جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا ﴾: مكانًا، ﴿يَغِيظُ﴾: يغضبُ ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾: من قتل وغيره، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾: بكل ممَّا ذكر ﴿عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾: استوجبوا به ثوابًا جزيلًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ ﴾: في سبيل الله، ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً ﴾: قليلًا ﴿وَلَا كَبِيرَةً ﴾: كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ﴾: بالسير، ﴿إِلَّا كُتِبَ ﴾: ثوابهما، ﴿لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: جزاء، ﴿أَحْسَنَ ﴾: من، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: بمعنى حسن ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾: ما من شأنهم، ﴿لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾: جميعًا لغزوٍ؛ إذ كانوا ينفرون جميعًا حذرًا ممَّا نزل في المتخلفين، وهذا في السرايا وما قبلها فيمن خرج معه- ﷺ- ﴿فَلَوْلَا ﴾: هلَّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾: جماعة كثيرة، ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾: جمع قليل ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا ﴾: القاعدون، ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾: بما نزل وأحكامه، ﴿إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ ﴾: من الغزو، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾: منه، دلَّ على أن خبر الآحاد[2] حُجَّة عنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: الأقرب فالأقرب، ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾: شدَّةً، أي: اغلظوا عليهم، ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾: بالإعانة، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم ﴾: من المنافقين ﴿مَّن

---

(١) الأعمدة.

(٢) وهو مذهب أهل الحديث والأثر – والحمد لله.

يقول ﴾: لبعضهم أو لضعفاء المؤمنين استهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾: تصديقًا، بزيادة المؤمن به، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزولها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: نفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ كُفْرًا ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ كفرهم ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۞ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾: يبتلون بالقحط وغيره، ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾: ليتنبهوا، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾: يعتبرون، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: تدبيرًا للفرار، قائلين: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: من المسلمين، فإن رآهم أقاموا وإلا قاموا، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾: عن النبي - ﷺ - ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾: عن الإيمان، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: لا يتدبرون، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾: شديد، ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾: عنتكم، أو ما أثمتم به ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾: على صلاحكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة، ﴿رَّحِيمٌ ﴾: لهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾: عن الإيمان بك، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ﴾: كافيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾: به فقط وثقتُ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: المُحيطُ على جميع المَخْلوقات.

❁❁❁

«سورة يونس»: مكية(١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الٓر﴾: مرَّ بيانه، ﴿تِلْكَ﴾ السُّورةُ ﴿ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكمة(٢)، أو الغير المنسوخ(٣) بكتابٍ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾: قُريش ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: الكفار، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾: سابقة، ﴿صِدْقٍ﴾: أي: ثواب ما قدّموا، والعرب تقول إذا مدحت شيئًا تضيف إلى صدق كما سيجيء ﴿عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾: القرآن أو الرسول، ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن(٤) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى﴾: قدر، ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: فسّر في الأعراف ﴿يُدَبِّرُ﴾: يقدر، ﴿الْأَمْرَ﴾: كله بحكمته ﴿مَا مِن﴾: صلة ﴿شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ﴾: الموصوف ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: وحّدوهُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بالموت ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ﴾: بعد له، أو بعدالتهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار وتُغْلي قطرة منه بحرًا(٥)، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: غير الأسلوب مبالغة في استحقاقهم له، وخصَّ الأولين بالعدل مع أن الكل عدل؛ لمزيد عنايته ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: ذات ضياء جمع ضوءٍ، وهو ما يبصر به الأشياء ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: ذا نور وهو ما يبصر به ذُو النور.

---

(١) في هامش (د): مائة وتسع آيات بالاتفاق إلا ثلاث آيات: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾.. إلى آخر. ثم نزلت هود كلماتها (١٨٣٢)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.
وعدد سورة القرآن (٢٥٣)، البصائر (١/ ٢٣٨) وفيه (١٤٩٩)، البيان (١٦٣)، القول الوجيز (٢٠٣)، وحروفها (٧٥٦٧)، وعدد سور القرآن (٢٥٣)، البصائر (١/ ٢٠٨)، القول الوجيز (٢٠٣).
(٢) في (ن)، و(د): الحكم.
(٣) أنوار التنزيل (٢٧٢).
(٤) هذا على قراءة: (سِحْر)، وفي هامش (ن): لسَاحِر: حفص.
(٥) أو هو ما يسيل من صديدهم والعياذ بالله.

* **تنبيه**: الضوء يطلق على الشعاع المنبسط والنور على ما للشيء في نفسه فالضوء فرعه، ولكنه أبلغ؛ لأن الإبصار إنما يتأتى به والنور يُبصر به ذُو النور فقط، ولذا جعل الشمس سراجًا فإنه يبصر به الأشياء، وجعل القمر نورًا ليبصر ويهتدى به، ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾: كُلًّا منهما أو القمر؛ لأنَّ المنازل تنسب إليه وحسابُ العامة بالشهور الهلالية ذا ﴿مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾: شهرًا ويومًا لمعاملاتكم، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا﴾: مُلتبسًا ﴿بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: أي: هم ينتفعون بها ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: طُولًا ونورًا وضِدّهما ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾: العَواقب، فإنه يحملهم على التفكر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ﴾: لا يتوقعون ﴿لِقَآءَنَا﴾: لإنكار البعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: من الآخرة[1]، ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾: الكونيَّة والشرعيَّة ﴿غَٰفِلُونَ﴾: بترك النظر فيهما، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: من المعاصي، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾: إلى ما يؤدي إلى الجنة، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: دعاؤهم لما يشتهون[2] ﴿فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: فإذا مطلوبهم عندهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ﴾ بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ إذ ملكهم سالم من الزّوال ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: حين أكلوا ﴿أَنِ﴾: أنه، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: حين دعوا على أنفسهم نحو: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾[3].. إلى آخره، ﴿ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾: حين دعوه، ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾: فيذهب طعامهم لكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: استدراجًا لهم، ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يتحيرون غاية ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾: لدفعه مضطجعًا، ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا﴾: أي: في كل حالاته، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾: مضى على

---

(١) فالباء بمعنى بدل.

(٢) في (ن): يشتهونه.

(٣) سورة الأنفال.

طريقته قبل الضر، ﴿كَأَن﴾: كأنه، ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ﴾: كشف، ﴿ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: من تزيين الحالتين له، ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: بالكفر، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: يا أهل مكة، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: بتكذيب رسلهم ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾: على صدقهم، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: أي: في صددِ أن يؤمنوا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الإهلاك ﴿نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: فاحذروهم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ منهم ﴿فِى الْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: بالبعث ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾: المذكور فيه التوحيد ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: بإزالة ما نكرهه عنه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾ يصحُّ ﴿لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ﴾: قبل ﴿نَفْسِىٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾: بالتبديل، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ﴾: أن لا أتلوه عليكم، ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: أعلمكم الله، ﴿بِهِۦ﴾: على لساني، و«لأدراكم»[1] أي: لأعلمكم على لسان غيري، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾: وكنتُ أُمِّيًا ما شَهِدْتُ عالمًا، ولا أنشأت خطبة، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه من الله، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشراك، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: بالشرك، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: بتركه، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: بعبادته، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الأصنام، ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾: في الدنيا وفي الآخرة، إن كان بعث، ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ﴾: تخبرون، ﴿اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾: وهو أن له شريكًا حالة كونه لا ﴿فِى السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ﴾: وما لا يعلمه لا يثبت، ونبّه بالتخصيص على أن شركائهم إما سماوي أو أرضي وعلى التقديرين مقهورة حادثة مثلهم، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكهم، ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ﴾: بين آدم ونوح[2]، ﴿إِلَّآ

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وقنبل والبزي- غيث النفع (٢٤٠)، البحر المحيط (٥/ ١٣٢).

(٢) وقال الواحدي في الوسيط (٢/ ٥٤٢): يعني من لدن إبراهيم- عليه السلام- إلى أن غَيَّر الدِّين عَمرو بن لحي.

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على الإسلام، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: بالإشراك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بأن لكل أمة أجلًا معينًا، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلًا، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بإهلاك المبطل، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المشركون، ﴿لَوْلَا﴾: هلَّا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: مما اقترحنا، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: فلعله يعلم في إنزاله مفاسد، ﴿فَانتَظِرُوا﴾: إنزاله، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾: ما يفعل الله بكم، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: كالرخاء، ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾: كشدة، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾: بالطَّعن، ﴿فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: فيمكر إذ دبر عقابكم قبل، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: الحفظة، ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: للمجازاة، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يمكنكم من السير، ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: في السفن والغاية كأنه قيل: سيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة في مخرج الرياح وتراكم الأمواج وظنّ الهلاك والدعاء جاءتها ريح.. إلى آخره جميع ما في حيز إذا، فلا يردُ أنَّ الكون فيها ليست غاية التَّسْيير، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: فيه التفاتٌ ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا﴾: السفن، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: ذاتُ عَصفٍ وشدَّةٍ والتذكير؛ لأنه من السبب، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: ظرف، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي: أهلكوا، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾: لله، ﴿الدِّينَ﴾: بترك الشرك قائلين: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾: الشدة، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾: يُفسدونَ ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: احتراز عن نحو تخريب ديار الكفرة[1]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾: يحصلُ وبالهُ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾: هذا ﴿مَّتَاعَ﴾: منفعة بالنصب، أي: تتمتعوا متاعَ ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: في سُرعة تقضيها واغتراركم بها، ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾: اشتبك وتخالط، ﴿بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾: كالزرع، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾: كالحشيشِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زينتها، ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: تزينت بأصناف النبات، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: على منفعتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾: عذابنا، ﴿لَيْلًا أَوْ

---

(١) فإنه بحقٍّ، لا سيما في هذا الزمان فاللهمّ خَرب ديار الكفرة.

﴿نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾: أي: زرعها، ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهًا به في طرحه على الأرض، ﴿كَأَن﴾: كأنها، ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾: لم تلبث، أي: زرعها، ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: أي: قبيل ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ كما مرَّ ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ العمل ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنَّة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: النظرُ إلى وجه الله، كذا صحَّ في الحديث(١)، ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يغشى، ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: غبار، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: هوان، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ﴾ للذين ﴿كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم، ﴿ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عذابه، ﴿مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾: لكمال سوادها، ﴿قِطَعًا﴾: لغة في قطع كضلع ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: ولو كان جمعًا فقوله: ﴿مُظْلِمًا﴾: حالٌ من الليل ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: الزموا ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾: لتجازوا وقفا غير موقف لا يكلمهم الله، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾: فرَّقنا، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: تواصلهم ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾ إنما ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾: لأنا كنَّا جمادا، ﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام، ﴿تَبْلُوا۟﴾: تُخبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: من العمل أضار أم نافع، ﴿وَرُدُّوٓا۟﴾ أمرهم ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾ متولي أمرهم ﴿ٱلْحَقِّ﴾: لا شركائهم الباطل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: أنه إلههم، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: بالمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: بالنبات، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: أي: خلقهما ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالنطفة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾: كالنطفة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر العالم، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾: لوضوحه، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: من الشرك مع هذا الإقرار، ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: الموصوفُ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ﴿فَمَاذَا﴾ ليس ﴿بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿تُصْرَفُونَ﴾: عن عبادته، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما حقت الربوبية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ﴾: حكم، ﴿رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾: تمردوا وخرجوا عن الاستصلاح بدل من كلمة حقت أي: حقت ﴿أَنَّهُمْ﴾: بأنهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾:

---

(١) والأحاديث في ذلك كثيرة، بل أفردها الدارقطني والنحاس، والفريابي.

جعلَ الإعادة كالإبداء وإن أنكروها؛ لظهور برهانها ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ﴾ فإنهم ينكرونه، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: تُصرفون عن الحق، ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾: يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾: هذا حال أشرافهم كالمسيح، فكيف بحجارة؟ أو هدى بمعنى: نقَل أي: يهدي الخلق إلى مراشدهم أحق أو من لا ينتقل من مكان إلا بإمداد الخلق، ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾: بما يبطل بديهة، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾: أي: كلهم، ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾: مستندًا إلى أقيسة فاسدة كقياس الخالق على المخلوق بمشاركة موهومة[1]، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ﴾: العلم، ﴿ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾: من الإغناء، دل على أن علم الأصول[2] بلا تقليد واجب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ﴾ افتراءً ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾: كان، ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَتَفۡصِيلَ﴾: تبيين، ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: ما كتب وأُثبتَ من الشرائع، ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: مُنزّلٌ، ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أَمۡ﴾: بل، أ ﴿يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: محمد ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾: في البلاغة افتراءً ﴿وَٱدۡعُواْ﴾: إلى معاونتكم ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أنه افتراه، فإنكم أشعر منه وأكتبُ ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾: وهو ما في القرآن ممَّا لم يعرفوا حقيقتها، والمرءُ عدو لما جهل، ﴿وَلَمَّا﴾: لم، ﴿يَأۡتِهِمۡ﴾: بعد، ﴿تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾: مآل ما فيه من الوعيد، حاصله: فأحبُّوا إنكاره قبل التدبر فيه ومعرفة صدقه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾: رسلهم ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وقِسْهُم عليهم ﴿وَمِنۡهُم﴾: من المكذبين، ﴿مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾: بعدُ ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: المعاندين، ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾: أصروا على تكذيبك ﴿فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ﴾: أي: تبرأ منهم، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ﴾: من الطاعة، ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: من المعصية، نُسخت

---

(١) لأنّ القياس مُركّبٌ من عدة قضايا إن سلمت أنتجت، وإن فسدت، فسدت نتائجه، فصار قياسًا فاسدًا.

(٢) يعني العقيدة.

بالسَّيف[1]، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾: إذا قرأت القرآن بلا قبول، ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾: أتقدر على إسماعهم؟ ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: مع صممهم، نبَّه على أن حقيقة استماع الكلام فهم معناه ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَ﴾: ويعاين دلائل صدقك ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ﴾: أي: ولو انضم إلى العمى عدم البصيرةِ، فهما تعليل للتبري، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾: بسَلْب حواسِّهم وعقولهم، دلَّ على أنَّ للعبد كسبًا واختيارًا، خلافًا للمجبرة، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: بتضييعها، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن﴾: كأنه ﴿لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: في الدنيا أو القبر لهولِ المحشرِ ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾: يعرف بعضهم بعضًا، كأنهم لم يتعارفوا ﴿إِلَّا سَاعَةٗ﴾: قليلًا ثم ينقطع التعارف، ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: بالبعث، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾: لمصالح هذه التجارة، ﴿وَإِمَّا﴾: صِلة، ﴿نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾: من العقوبة فذاك، ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبلُ ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾: فنعاقبهم، فعقوبتهم مُتعينةٌ على كلِّ حالٍ ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾: أراد نتيجة الشهادة من الجزاء، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞ﴾: يدعوهم إلى الحقّ، ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ مع أنبياءِهمْ ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بإهلاك مكذبيه وإنجاء متبعيه، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرار ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المشركون استبعادًا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾: من العذاب، ﴿إِن كُنتُمۡ﴾: أي: الرسول وأتباعه، ﴿صَٰدِقِينَ ۝ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا﴾: فكيف أملك لكم استعجاله؟ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أنْ أملكهُ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾: فُسِّرَ مرَّةً ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ﴾: أخبروني، ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ وقتُهُ ﴿أَوۡ نَهَارٗا﴾: حاصلهُ وقت غفلتكم بالنوم أو طلب المعاش، ولم يذكر ليلا؛ لأنَّ العذاب إذا فاجأ بلا شعور يكون أشد لأنه لا بيات في كله، ﴿مَّاذَا﴾: أي: شيء، ﴿يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ﴾: من العذاب، ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: إذ كله مكروه ﴿أَ﴾ كفرتم ﴿ثُمَّ إِذَا مَا﴾ أي: إن ﴿وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ وقيل لكم: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ آمنتم به، ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: استهزاءً ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ

---

(١) يعني بآية السيف.

عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾: يستخبرونك، ﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾: ما يقول من البعث وغيره، ﴿ قُلْ إِى ﴾: نعم، ﴿ وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾: ثابت، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾: فائتيه، ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾: غيره أو نفسه بالشرك، ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: من الخزائن، ﴿ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾: من العذاب ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾: أخفوا حذرا من التعيير لو أظهروا لشدة الأمر، ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾: مع أنبيائهم، ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾: بالعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرار ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: فيقدر على الكل، ﴿ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: لغفلتهم، ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾: بالموت، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: تبين محاسن الأعمال ومقابحها، وهو الحكمة العملية، ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾: من الشكوك، وهو الحكمة النظرية، ﴿ وَهُدًى ﴾: إلى الحق ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: بإنجائهم من الضلال، نزل بالعطف تغاير الصفات منزلة تغاير الذات، نحو:

إلى السيِّدِ القرم وابن الهُمَام[1] ....

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾: كالإسلام ﴿ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾: كالقرآن، فليفرحوا، دلّ عليه: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾: والفاء للربط والدلالة على أن مجيء الكتاب الموصوف موجبه وكررها تأكيدًا ﴿ هُوَ ﴾ الفرحُ بهما ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾: من المال، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾: أخبروني، ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾: بأسباب سماوية، ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا ﴾: كالبحائر[2]، ﴿ وَحَلَٰلًا ﴾: كالميتة، ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾: في هذا الجعل، ﴿ أَمْ ﴾: بل، ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾: في نسبته إليه، كفى به زاجرًا لمن أفتى بغير إتقان كبعض فقهاء هذا الزمان[3]، ﴿ وَمَا ﴾: أي: شيء، ﴿ ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: أيحسبون عدم مجازاتهم، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) صدر بيت من المتقارب، وعجزه:

* وليث الكتيبة في المزدحم *

والشاهد فيه عطف الصفات على بعض لما كان الموصوف بها واحدا.

* الإنصاف (٢/ ٤٦٩)، خزانة الأدب (١/ ٤٥١)، (٥/ ١٠٧)، (٦/ ٩١)، شرح قطر الندى (٢٩٥).

ويروى: * إلى الملك القرم وابن الهمام *

(٢) جمعُ بحيْرة، سبق الكلام عليها في سورة النساء.

(٣) هذا يدل على تقوى المؤلف وورعه - رحمه الله - .اهـ.

﴿ٱلنَّاسِ﴾: بإمهالهم وغيره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: نعمته، ﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أمرٍ وقَصْدٍ ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾: أي: لأجل هذا الشأن، ﴿مِن﴾: صلة أو بعض، ﴿قُرْءَانٍ﴾: أي: ما تتلوا من القرآن، بعضه، أضمر قبل الذكر تفخيما، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: أنت مع أمتك، ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: مُطلعين ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تخوضون، ﴿فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ﴾: يبعد ويغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: نملة صغيرة أو هباء، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قدمها؛ لأنّ الكلام في حال أهلها بخلاف ما في سبأ[1]، ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: في الوجود، خصهما بالذكر لعدم تجاوز حسهم عنهما، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾: المثقال، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: أي: اللوح، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾: الذين يتولونه طاعة ويتولاهم كرامة، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لفوات مأمول، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كالرؤيا الصالحة يرونها وترى لهم، أو يرى الملائكة عند النزع، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾: بنحو الجنة، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: مواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾: المبشر به ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: تهديدُ هم، ﴿إِنَّ﴾: استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾، أي: الغلبة والقدرة، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وهو معزك، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] بمعنى القدرة وظهور الدين والنصر على الأعداء ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بقصدهم، ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فله العِزَّةُ، خَصَّ أولي العقل ليعلم غيرهم من باب الأولى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾: حقيقة وإن سَمّوها «شركاء» ﴿أَنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: بأنهم آلهة، ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ﴾: لتستريحوا، ﴿فِيهِ﴾: من تعب النهار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: تبصرون فيه مكاسبكم، ذكر علّة خلق الليل ووصف النهار؛ ليدل كل على محذوف مقابله، وترك: لتبصروا؛ تفرقة بين الظرف المجرد والسبب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: تدبُّرا، ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ

---

(١) حيث قدم السماء، وستأتي.

(٢) سورة المنافقون.

وَلَدًا﴾: كالملائكة، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهًا له عن التبني ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: والتبني للحاجة، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ﴾ ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: دليل، ﴿بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: في الدارين، لهم ﴿مَتَٰعٌ﴾: قليلٌ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: كافترائهم لحفظ رياستهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾: ليعتبروا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم وشقَّ ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾: إقامتي بينكم، ﴿وَتَذْكِيرِى﴾: إيَّاكُمْ ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا عليه، ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾: في قصدي، ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستورًا، بل أظهِروهُ غايةً ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟﴾: أدُّوا ﴿إِلَىَّ﴾ إلى ما تريدون بي، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: تمهلون، فإني لا أبالي بكم ثقة بالله[1]، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: يفوت بتوليكم فينصرني، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أصرُّوا على تكذيبه، ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾: من الغرق ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾: من المغرقين، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: المُكذِّبين، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: ما استقام لهم أن يؤمنوا، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾ مِن الحقِّ ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل بعثة الرسل وهو تعودهم بتكذيب الحقّ ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نختم، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين حدودَ الله، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾: أشراف قومه، إذْ سفلتهم تبع ﴿بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: عادتهم الإجرام، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: معجزاته، ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ[2] مُّبِينٌ﴾: واضحٌ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾: إنه أي: إنَّ هذا إلى آخره لسحر يدل على حذفه ما قبله، أو أتعيبونه من المقالة بمعنى

---

(١) في (د): من الله.

(٢) في هامش (ن): حفص: لساحر.

الطعن ولا يجوز كون المقول، ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾: كلام[١] موسى إلا أن يكون استفهام تقرير، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾: لتصرفنا، ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾: من عبادة الأصنام، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾: العظمة، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾: مصدقين ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: حاذق يعارضه، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾: لعدم مبالاته بهم، ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ﴾: هؤلاء ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾ لا ما جئت به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾: يمحقهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ﴾: لا يقوى ﴿عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ﴾: يثبت، ﴿ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بأمره ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: ذلك، ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ﴾: نحو أولاد شبان، ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ﴾: موسى من قبل الأم أو فرعون من قبل الأب[٢]، ﴿عَلَىٰ﴾: معَ ﴿خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾: أشراف قومه جمع؛ لأنه ذُو صحب يأتمرون له، لا للفظة؛ إذ هو في التكلم فقط، وقيل: مطلقًا، ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡ﴾: يعذبهم، ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ﴾ غالب ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: في الكبر، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾: منقادين لأمره، فالإيمان شرط لوجوبه والإسلام لحصوله فليس من تعليق الحكم بشرطين، كإن دخلتها فأنت طالق إن كلمت، بل مثل: إن دخلتها فأنت طالق إن كنت زوجتي[٣]، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: بتسليطهم فيفتنونا في ديننا فَيظن بنا الضلال، نبَّهَ على أن تقديم التوكل على الدعاء يوجب الإجابة، ﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ﴾: كيد، ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتخذا مباءةً موضع إقامة[٤]، ﴿لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾: مُصلًى، كانوا لا يصلون إلَّا في كنائسهم، وخافوا من فرعون ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فيها، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا موسى ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: بالنصر،

---

(١) في (ن)، و(د): بل هي تتمة كلام موسى.

(٢) أنوار التنزيل (٢٨٦).

(٣) ونحوه: إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

(٤) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٣٩/ بوأ).

ثنى[١] أوّلًا؛ لأنَّ التبوئة للرئيس، ثم جمع[٢]؛ لأن تحصيل مواضع الصلاة يجب على الكل ثم وحَّد؛ لأن البشارة لصاحب الشريعة، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾: ما يتزين به، ﴿وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾: أي: استدرجتهم بإيتائها، ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾: أذهب نورها وبهجتها فصارت معادنهم مطموسة ودراهمهم حجارة منقوشة ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾: أقسها ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾: جواب الدعاء، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾: دعا به غضبًا لله ولدينه بعد يأسه من إيمانهم، كلعنتنا[٣] على إبليس، ثم الرضا بالكفر من حيث إنه كُفرٌ كُفر لا يكفر شخص معين بعقوبته، أو عطف على: ليضلوا، وقيل: بمعنى: فلا آمنوا، ﴿قَالَ ﴾: الله، ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ لأن هارون أمن على دعائه، ﴿فَٱسْتَقِيمَا ﴾: على الدعوة إليَّ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: في الاستعجال، ثم حصل بعد أربعين سنة، ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾: في أرضه، ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾: لحقهم، ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا﴾: باغين، ﴿وَعَدْوًا﴾: ظالمين، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾: بأنه، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾: فدسَّ جبريل في فمه الحَمْأةَ[٤]؛ مخافة قبوله فقال الله أو جبريل: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾: حين يأسك تؤمن: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ ﴾[٥] ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾: مدة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾: المضلين ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾: نبعدك عن قعر البحر فنجعلك طافيا، ولم ير من الغرقاء غير فرعون ﴿بِبَدَنِكَ ﴾: بلا روح أو بدرعك أو نلقيه على نجوةٍ[٦] من الأرض[٧]، قال ابن عباس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: كان له درع من ذهب يعرف به ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾: بعدك من القرون، ﴿ءَايَةً ﴾: عبرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

---

(١) في قوله: «تبوءا».

(٢) في قوله: «واجعلوا»، «وأقيموا».

(٣) في البيضاوي: كلعنة اللهُ إبليس.

(٤) الطين الأسود، الموجود في قاع البحر الأحمر، عند بركة الغرندل.

(٥) سورة غافر.

(٦) مُرتفع.

(٧) في قراءة: (نُنحِّيك) بالحاء المهملة.

ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾: لا يتفكرون فيها ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا ﴾: أنزلنا ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ ﴾: منزل، ﴿ صِدْقٍ ﴾: الشَّام ومصر، وبين في: «قدم صدق»، ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: اللذائذ، ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾: في دينهم، ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾: التوراة، فصار سبب اتفاقهم سبب شقاقهم، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾: بإقامة المحق، ومعاقبة المبطل ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾: هذا لتهييجه، أو على الفرض، أو لتوبيخ[1] الشاكين، كقوله لعيسى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ ﴾[2] إلى آخره ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾: كابن سَلَام؛ فإنه محققٌ عندهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا أَشُكُّ ولا أَسْأَلُ»[3]، ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾: بالتزلزل عن يقينك، ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ ﴾: ثبتت، ﴿ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ ﴾: قضاءُ ﴿ رَبِّكَ ﴾: بموتهم على الكفر ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾: وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم، ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ ﴾: تحضيض[4] يتضمن النفي، أي: ليست، ﴿ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾: أي: أهلها بعد معاينة العذاب، ﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾: أهل نينوى[5] من موصل[6]، ﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾: بعد ما عاينوه ففرقوا بين كلِّ حيوان وولده، ولبسوا المسوح[7]، وتضرعوا إلى الله تائبين، ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾: دخان أسود غشيهم، ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾: وقت موتهم، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾: مجتمعين على

---

(١) في (ن): التوبيخ.

(٢) سورة المائدة.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٢).

(٤) يعني: «لولا» بمعنى: هَلّا.

(٥) شمال العراق حاليا وهي بكسر النون الأولى وسكون الأولى وسكون الياء المثناة التحتية بعدها نون مفتوحة. * معجم البلدان (٥/ ٣٣٩)، تقويم البلدان (٢٨٥)، المسالك والممالك - للبكري (١/ ٢٦٨).

(٦) شمال العراق حاليًا- حرس الله أهل السُّنَّة فيها بعينه التي لا تنام، وكنفه الذي لا يُضَامُ آمينَ.

(٧) الثياب الخشنة.

الإيمان، فيه رد على القدرية ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشأ ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادة الله ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾: الخذلان ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: حُجج الله ﴿قُلِ انظُرُوا﴾: تفكروا ﴿مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الصنائع، ﴿وَمَا﴾: لا، ﴿تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾: الإنذارات، ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا تنفعهم، ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مضوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: فإنهم بارتكاب موجباته كمنتظريه، ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۝ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾: حكاية عن الماضي، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ﴾: الإنجاء، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: أي: بحسب وعدنا، ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن﴾: صحة، ﴿دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾: بقبض أرواحكم، خص التوفي إرهابا لهم عن الإشراك، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله ﴿وَأَنْ﴾ بأن، ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: أي: بالاستقامة فيه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الشرك، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾: إن عبدته، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن تركته، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: ذلك ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يصبك، ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾: ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازمهما؛ ليفهم أنَّ الخير مراد بالذات، والضر[1] ليس بالقصد الأول، وعدل عن الإرادة التي في الأنعام[2]؛ لأن الخير له فلا راد، وإنما الرد فيما يقع، والمَسُّ فيما وقع وما استثني؛ لأن مراده لا يمكن رده ووضع لفضله موضع له[3]؛ ليفهم أنه متفضل بلا استحقاق مِنَّا، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير، ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: فتعرضوا لرحمته[4] بالطاعة، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾: به، ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: نفعه لها، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾:

---

(١) في (س): الضرر.

(٢) في قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣) يعني: ما قال: فلا رادّ له.

(٤) في (د): للرحمة.

بالكفر به ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾: وبَالُ ضلالهِ ﴿عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: موكول إليَّ أمْركم ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: امتثالًا وتبليغًا، ﴿وَاصْبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾: بجهادهم أو الهجرةِ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لا يُخْطئُ[1] في حُكمه؛ لاطلاعه على السرائر كالظواهر جَلّ وعَلَا- سُبحانه وتعالى.

❁❁❁

---

(١) في (ن): لخطأ.

«سورة هود» مكية[١]

لما قال[٢]: ﴿ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ ﴾، أي: القرآن، ثم قال: و﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ أتبعه بمزيد وصفه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الر﴾: هذا، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾: نظمًا بلا إخلالٍ لفظًا ومعنًى، أو ما نُسِخت[٣]، أو الكتاب آيات السورة فليس فيها منسوخ، ﴿ثُمَّ﴾: للتفاوت في الحكم ﴿فُصِّلَتْ﴾: لُخِّص فيها ما يحتاج إليه، مُنزَّلٌ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾: تقرير لأحكامها، ﴿خَبِيرٍ﴾: تقوية لتفصيلها ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾: من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾: للمعاصي، ﴿وَبَشِيرٌ﴾: للمُطيع ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، أو ثم للتفاوت بينهما، أو ثم توصلوا إليه بها أو الأول من السالفة[٤] والثانية من الآنفة[٥]، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾: يُعيشكم في طاعة وقناعة أوسعة، وعلى هذا فلا يردُ تمتيع العاصي المُصِرّ، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: موتكم، ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾: حسنة ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاء فضله في الدارين ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ يتولوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: القيامة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عذاب المعرض ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ﴾: يخفون، ﴿صُدُورَهُمْ﴾ أي: ما فيها من الثني الإخفاء يقال: ثنى يثني أي: أخفى ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: من الله بسرهم، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطون بها في فراشهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: بأفواههم، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿الصُّدُورِ﴾: القلوب، ﴿وَمَا مِن[٦]﴾: صلة، ﴿دَابَّةٍ﴾: خصَّها

---

(١) في (د): مائة وثلاث وعشرون آية غير ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ وعند البصريين: أحد وعشرون، ثم نزلت يوسف، كلماتها (١٩١٥) القول الوجيز (٢٠٥) البيان (١٦٥) البصائر (١/ ٢٤٦)، وحروفها (٧٥٦٦) عدد سور القرآن (٢٥٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٣) يعني آياتهُ.

(٤) الذنوب الماضية.

(٥) المستقبلة.

(٦) في هامش (ن): الجزء (١٢).

بالذكر؛ لأنها أكثر من الطير ﴿فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾: ومن ليس فيها فمستغن عن الرزق، أتي بصيغة الوجوب؛ حثًّا على التوكل، وقيل: بمعنى «من» نحو: ﴿ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1]، ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: في الحياة، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: في الممات، أو كما في الأنعام، ﴿كُلٌّ﴾: منها مع أحوالها، ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: اللوح، فهو عالمٌ بالكلِّ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: مرَّ بيانهُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: أي: لم يكن بينهما خلق حائل، دل على إمكان الخلاء، وأن الماء أوّل حادثٍ بعده ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: بالقلب والجوارح، وإحسانه: الإخلاص فيه، أتى بأفعل مع شموله الكفرة حثًّا على أحاسن المحاسن، وحاصله: ليظهر أفضليتكم لأفضلكم، ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن الناطق بالبعث ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾: مجيء، ﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة من الأوقات والسنين، ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾: قليلة، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾: استهزاءً، ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾: عن الوقوع قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: العذاب ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: أعطيناه نعمة يجد لذَّتها، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾: لا يرجو بعده فَرَجًا ﴿كَفُورٌ﴾: مبالغ في كُفْران نعمهِ السابقة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: المصائبُ ﴿عَنِّىٓ﴾: لا ينالني سوء بعده، نبَّه باختلاف الفعلين على أن النعمة مقصودة بالقصد الأول، بخلاف الضر، على مراعاة الأدب، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾: بَطِرٌ، ﴿فَخُورٌ﴾: على الناس بما أُوتي ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: على الضراء، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: شكرًا، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: فله الجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: لكثرة تخليطهم عليك يتوهَّم أنك ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ﴾: أي: تبليغ بعض، ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: وهو ما فيه سبُّ آلهتهم، وطعن دينهم فتتركه مخافة زيادة كفرهم على ظاهره، ولا يلزم من توقعه لوجود ما يدعو إليه وقوعه؛ لجواز صارف كعصمته منه، ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾: أي: عارضٌ لك أحيانا

---

(١) سورة المطففين.

بتبليغه ضيق صدر مخافة، ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ﴾: هلَّا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾: إنما عليك الإنذار، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ﴾: فتوكَّل عليه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٖ مِّثْلِهِۦ﴾: بلاغة، ﴿مُفْتَرَيَٰتٖ﴾: مُختلقاتٍ، فإنكم أشعرُ وأكتب مني، ثم لما عجزوا تحداهم بسورة كما مَرَّ[1] من كَوْن القرآن غير مُفْترى لا يضر بالمُماثلة إذ[2] الكلام على زعمهم، ﴿وَٱدْعُواْ﴾: إلى معاونتكم، ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أنه مفترى، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾: من دعوتموهم لمعاونتكم هُنا أيها المشركون، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾: ملتبسا ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: بما لا يعلمه إلا الله، أي: لا يعلم بمواقع تأليفه في عُلوِّ طبقته إلا الله- تعالى- فلا يقدر عليه سواه ﴿وَ﴾ اعلموا، ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ لظهور عجز آلهتكم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بإحسانه، ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: فقط، ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا بالرخاء، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ﴾: بطل أو فسد، ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾: لفقدهم ثواب الآخرة، ﴿وَبَٰطِلٌ﴾: في نفسه، ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: لأنه ليس كما ينبغي، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾: برهان، ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: يهديه إلى الحق كالفطرة السليمة والعقل، وخبره محذوف أي: مثل هؤلاء، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبع البرهان، ﴿شَاهِدٞ مِّنْهُ﴾: من الله بصحته وهو القرآن، ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: قبل القرآن، ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: التوراة، ﴿إِمَامٗا وَرَحْمَةً﴾: من الله لهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الذين هم على بينة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: القرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أصناف الكفار، ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٖ مِّنْهُ﴾: من الموعد أو القرآن، ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به، ﴿وَمَنْ﴾: لا، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: كالمشرك ونافي القرآن[3]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: في القيامة، ﴿وَيَقُولُ

---

(١) في سورة يونس.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لأن نافي القرآن كافر.

﴿ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾: جمع شاهد وهم الحفظة أو جوارحهم، أو هُمْ أمةُ محمد- ﷺ-: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يريدونها، ﴿عِوَجًا﴾: معوجة كما هم عليه، وبُيِّن في الأعراف، ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾: فائتين الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا فتأخير عقوبتهم لحكمة، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: يمنعونهم عذابه، ﴿يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: لضلالهم وإضلالهم، أو لأنهم ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: للحق ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾: فهم لفرط كراهتهم للحق كغير المستطيع، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: سعادتهم باشتراء أسباب العذاب، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من الآلهة وشفاعتها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: بمعنى حقّ وفاعله، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: لا أخسر منهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟﴾: اطمأنوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: بلا شك في ربوبيته ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ مَثَلُ﴾: صفة، ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن، ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ﴾: بآيات الله معتبرا، ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾: للحق، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، تمثيلا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتفرقوا بينهما، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى﴾: بأني أو قائلين ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن﴾: مفسرة، ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: وصف اليوم به مبالغة، ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: بُيِّنَ في الأعراف: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: سفلتنا اتبعوك، ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: أوله بلا فكر أو ظاهره بلا تعمق، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾: مطلقا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾: في دعواكم ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِّن رَّبِّى﴾: على صدقي، ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ﴾: فخفيت البينة، ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: الاهتداء بها، ﴿وَأَنتُمْ لَهَا﴾: للبينة، ﴿كَـٰرِهُونَ﴾: نافون، ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ، ﴿مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: فلا تطلبوا مني طردهم، ﴿إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾: فيخاصمون طاردهم، ﴿وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: بمراتبهم، ﴿وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾: بدفع انتقامه،

﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾: ظلما، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: حتى تجحدوا فضلي لفقري، ﴿وَلَا﴾ أقول: ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: حتى تكذّبوني استبعادا، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: حتى تقولوا: ما نراك إلا بشرا، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾: تستصغرهم، ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: لفقرهم، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾: مما أتاكم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: من الكمالات، ﴿إِنِّي إِذًا﴾: إن قلت ﴿لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ﴾: أطلت ﴿جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين عذابه، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: يضلكم، تقريره: إنْ أراد الله أغواءَكم فإن أردت نصحكم لا ينفعكم كقولك: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا، فلو دخلت ثم كلمت لم تطلق؛ لأن وقوع الطلاق مُعلق بدخول الدار عقب تكليم زيد ولكن دخلت أولا ثم كلمت، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: المتصرف فيكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: نوح، أي: ما أخبره عن الله[1]، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ﴾ وبَالُ ﴿إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ بتكذيبي، ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: من تكذيبك، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾: ملتبسا، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا حفظ من يعاين، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: إليك كيفية صنعته، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾: بالدعاء، ﴿فِي﴾: شأن، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: بالطُّوفان، ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾: حكايةً عن الماضي ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: كقولهم: كان نبيًّا فصار نجَّارًا، ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾: عند نزول عذابكم ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يهينه في الدنيا، ﴿وَيَحِلُّ﴾ حلول الدين أو ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة، وكان يصنعه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ﴾: فَارَ الماءُ من مكان النار مُعجزةً وغضبًا ﴿التَّنُّورُ﴾: نبع الماء منه وارتفع كقدر تفور، ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة، ﴿مِن كُلٍّ﴾: من الحيوانات إلا المتولد من الطين كالبق ونحوه، ﴿زَوْجَيْنِ﴾: صنفين ذكر أو أنثى ﴿اثْنَيْنِ﴾: تأكيد وبالإضافة ظاهر ﴿وَ﴾: احمل،

---

(١) أي: الذي أقوله إنما هو عن الله.

﴿أَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: بهلاكه أي: امرأته وأهله وابنه كنعان، ﴿وَ﴾: احمل، ﴿مَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: اثنا عشر أو ثمانون[١]، ﴿وَقَالَ﴾: نوح لهم، ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾: يحتمل المصدر والوقت والمكان، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾: أي: مُسمِّين فيهما ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: برحمته نجانا، ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾: كلُّ موجة كجبلٍ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾: كنعان[٢] قبل جريها، ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾: مكان مُنقطع من السفينة ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾: في السفينة قبل جريها، ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في البُعْد عنَّا، والظاهرُ أن معنى الآية: أسلم لتستحق الركوب معنا ولا تكن معهم في الكُفْر فتغرق، فلا يُشْكل قول نوح: ﴿وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾، وجواب الله بأنه ليس من أهلك بأن الولد قَصَّرَ؛ لأنه ما ركب حين أُمِرَ والله أعلم ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ﴾: عذاب، ﴿ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾: أي: الراحم أو إلَّا مكان من رحمهُ، وهو السفينة أو بمعنى ذي عصمة كما مرّ، أو معصوم كدائن[٣] ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾: نوحٌ وولده ﴿ٱلْمَوْجُ فَكَانَ﴾: صار، ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَ﴾ بعد تناهي الطوفان ﴿قِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾: النابع منك، ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾: أمسكي عن المطر أمر إيجاد، ﴿وَغِيضَ﴾: نقص ﴿ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ﴾: تم الأمر الموعود ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾: جبل شامخ بموصل[٤]، روي أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية «الثمانين»[٥] بناحية موصل[٦] أو الشام، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾: هلاكًا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾: أراد نداءه، ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾: وفي مريم[٧] النداء بمعناه فلا فاء ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ

---

(١) سبق.

(٢) الدر المنثور (٣/ ٣٣٢)، غرر التبيان (٢٨٢)، زاد المسير (٤/ ١٠٩)، الكشاف (٢/ ٢٧٠)، وقيل: اسمه يام.

(٣) بمعنى: مديون.

(٤) جنوب تركيا - غرر التبيان (٢٨٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٣٧/ ١٠٩١٥).

(٥) وهي بالعراق - الوسيط (٢/ ٥٧٥) ومنها الإمام الثمانيني النحوي وهي من بلاد الجزيرة.

* معجم البلدان (٢/ ٨٤)، تقويم البلدان (٢٧٥)، معجم ما استعجم (١/ ٣٤٤)، الروض المعطار (١٥٠).

(٦) صانها اللهُ عن أيدي المجوس والملاحدة- آمين.

(٧) يعني في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: بإنجاءهم المفهوم من الأمر بحملهم ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فلم لم ينج؟ ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ﴾: أعدل ﴿ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: لقطع الموالاة بين المسلم والكافر ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾: ذو عمل، أو هذا سؤال[1] ﴿غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بصوابه ﴿عِلْمٌ﴾ سمَّاهُ سؤالا باعتبار استنجازه الوعيد في شأن ولده ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ أنهاكَ ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: وسمي سؤاله جهلا؛ لأن حب الولد أشغله عن تذكر استثناء من سبق إلى آخره، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾: بعد ذلك، ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾: بصحته ﴿وَإِلَّا﴾: إن لم، ﴿تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: أعمالا، ﴿قِيلَ﴾: بعد استقرارها على الجودي: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾: من السفينة مصحوبا ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: بأمن ﴿مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾: خيرات تامات، ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ﴾: ناشئة، ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾: من المؤمنين إلى يوم[2] القيامة، ﴿وَأُمَمٌ﴾ ممَّن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هم الكافرون، ﴿تِلْكَ﴾: القصة، ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أخبار، ﴿ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمدُ ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ﴾: مثل نوح، ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ الحُسنى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: عن المخالفة ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وَحدهُ ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ﴾: ما، ﴿أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ في إشراكه، ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعرفوا المُحقَّ من المبطل ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عمَّا سلفَ ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدَّرِّ ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد وشدة الأعضاء، عن الحسن رحمه الله[3]: «من كثُرَ استغفاره كثُر نَسلُه» ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مُصرّين على إجرامكم، ﴿قَالُوا۟﴾: عنادا، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة واضحة على صدقك، وما كان محتاجا إلى معجزة، لكونه على شريعة غيره، وكان يأمرهم بالعقليات[4]، وقيل: بل معجزته

---

(١) يعني لا يصلح أن تسألني هذا السُّؤال.

(٢) سقطت من (ن).

(٣) في (ن)، و(د): ﷺ.

(٤) في (س)، و(ع): بالفعليَّات.

تسخير الريح الصرصر، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ﴾: عبادة، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ صادرين ﴿عَن قَوْلِكَ﴾: بقولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدقين[1]، ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: بجنون؛ لأنك تسبهم ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ على نفسي ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِهِۦ﴾: به، ﴿فَكِيدُونِى﴾: أنتم مع كمال قوّتكم وآلهتكم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلون وهذا من معجزاته، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ تمثيل لقدرته عليهم وتصريفهم على ما يريده، ومن لطائفه أنه مادة اسم قائله على قاعدة[2] المُعمى[3]، ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على العدل، فيجازي كُلًّا بعمله أو: يدل عليه[4] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: فتتولوا فلا شيء عليَّ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾: وما عليَّ إلَّا البلاغ، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: بعد استئصالكم، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾: بإعراضكم ﴿شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾: فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بهلاك عاد، ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: من عذاب الدنيا، وهو سموم[5] دخل في أنوفهم وخرج من أدبارهم، وقطعهم عُضوًا عضوًا، ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: عذاب الآخرة ﴿وَتِلْكَ﴾: القبيلة، ﴿عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟﴾: كفروا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ جمع لأن من عصى أحدهم فقد عصى كلهم

---

(١) في (ن)، و(د): مصدقين.

(٢) يعني «الدال» في «دابة» وكذلك قوله: «هو» فيكون «هُود»، وللحافظ مُرتضى الزبيدي كتاب نافع في المعمّى. اهـ.

(٣) «المعمى» فن شبيه بالإلغاز والأحجية، وقد ألف فيه الخليل، وذكره الثعالبي - والحريري أول من اخترع المعمى و استعار له اسم «الأحجية» في مقامته الثانية والثلاثين، وإنما اخترعها؛ لامتحان الألمعية والذكاء، وقال: وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية لطيفة أدبية.

وهو رياضة ذهنية، ولابن الحنبلي كتاب: «كنز من حاجي وعمى»، كقول الوطواط في البرق:

خُذِ القُربَ ثُمّ اقلِبْ جَميعَ حُروفِهِ ... فَذاكَ اسمٌ من أقصى مُنَى القلب قربه

* المعجم المفصل في الأدب (٢/ ٨٠٩، ٨١٠).

وقوله «ومن لطائفِهِ.. إلخ، يعني في قوله: «مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ» فـ «هو» حرفان من «هود».

(٤) يعني أن الله يدُلُّ على الصراط المستقيم.

(٥) يعني الريح العقيم - والعياذ بالله .اهـ.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾: أي: سفلتهم، ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: طاغ أي: كبراءهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: لعنوا على ألسنة كل نبي بعدهم، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾: هلاكا ﴿لِّعَادٍ﴾: هذا بعد هلاكهم للتسجيل على استحقاقهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾: هم الأولى[1]، ميَّزهم عن عاد الإرم وهم الثانية، وأومأ إلى سَبب استحقاقهم ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: واحدًا منهم ﴿صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ أباكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾: أقدركم على عمارتها، دل على أنه -تعالى- يريد عمارتها لا التبتل، أو أطال عمركم ﴿فِيهَا﴾ إذ فيهم من له ألف سنة ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: عمَّا[2] مضى، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: بالرحمة، ﴿مُّجِيبٌ﴾ لداعيه ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: في الرشد والسداد، ﴿قَبْلَ هَٰذَآ﴾: الأمر، ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: حكايةً عن الماضي ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾: من ترك الأصنام، ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة، فيه مبالغة، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعني، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾: في التبليغ، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: إذن باستتباعكم إياي، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: في حسناتي أو أنسبكم إلى الخسارة، ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: فسر في الأعراف ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾: لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: من العقر: الأربعاء، والخميس، والجمعة، ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: فيه أو مصدر كالمخلود، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بطاعتهم، ﴿وَ﴾: نجيناهم، ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: يوم هلاكهم بالصيحة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾: القادر، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾: مع زلزلة فتقطعت قلوبهم كما مرّ ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: خامدين ميتين ﴿كَأَن﴾: كأنهم، ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾: يقيموا، ﴿فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ

---

(١) في هامش (ن): عاد أولى.

(٢) في (ن): ممّا.

كفروا ربهم ألا بعدا﴾: هلاكا، ﴿لثمود﴾: فسر في عاد وصرفه باعتبار أنه اسم جدهم وعدمه باعتبار القبيلة، ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾: اثنا عشر ملكًا، ﴿إبراهيم بالبشرى﴾: بالولد والخلة [1] وإنجاء لوط، ﴿قالوا﴾: سلمنا عليك ﴿سلاما قال﴾: إبراهيم عليكم، ﴿سلام فما لبث﴾ في ﴿أن جاء بعجل حنيذ﴾: مشويٌ على الحجارة المحمَاة أو يقطر ودكـهُ ﴿فلما رأى﴾: إبـراهيم، ﴿أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾: أنكـر ذلـك مـنهم، ﴿وأوجس﴾: أضمر ﴿منهم خيفة﴾: لأن من أتى بشرٌ لا يأكل ﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾: بالعـذاب، ﴿وامرأته﴾: ابنـة عمتـه[2] سـارة، ﴿قائمة﴾: لخـدمتهم، ﴿فضحكت﴾: سرورا بالأمن[3] أو إنجاء لوط، أو حاضت لتوقنَ بالولدِ ﴿فبشرناها﴾: بلسانهم، ﴿بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾: نُصب بحذف الباء ورُفع بالابتداء، والبشارة إما باسمهما كيحى أو بُشِّر بهما. ثم سمَّاها بعدما سمِّيا حكاية، ﴿قالت يا ويلتى﴾: يا عجبا، ﴿أألد وأنا عجوز﴾: ابنـة [تـسعين] أو تِـسعٍ وتـسعين ﴿وهذا بعلي﴾: زوجي، ﴿شيخا﴾: ابن مائة وعشرين، ﴿إن هذا لشيء عجيب ۞ قالوا أتعجبين من أمر﴾: قدرة، ﴿الله رحمت الله وبركاته عليكم﴾: يـا، ﴿أهل البيت﴾ دُعـاءٌ أو تـذكيرٌ فـلا عجـب مـن تخصيـصكم بـه، ﴿إنه حميد﴾: محمـود، ﴿مجيد﴾: كثير الخير، ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾: الخيفـة، ﴿وجاءته البشرى﴾: أخـذ ﴿يجادلنا﴾: أي: رسـلنا ﴿في﴾: تخليص، ﴿قوم لوط﴾: مـن العـذاب، ﴿إن إبراهيم لحليم أواه﴾: كثيـر التَّـأوُّه للـذنوب وللنـاس ﴿منيب﴾: راجعٌ إلى الله، قالت الملائكةُ: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾: الجدال، ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ عذابه ﴿وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾: بشفاعة ﴿ولما جاءت رسلنا﴾: بعد خروجهم من قرية إبراهيم، ﴿لوطا سيء﴾ حزنَ ﴿بهم وضاق بهم﴾: بمكانهم، ﴿ذرعا﴾: ضيقة، مثل في العجز كما أن رحبة مثل في القدرة، لأن[4] الطويل الذراع ينال ما لا يناله

---

(١) يعني أن الله اتخذه خليلا.

(٢) كذا، وقيل: هي سارة بنت هاران بن ناحور بنت عمه. * الوسيط (٢/ ٥٨١).

(٣) يعني في قولهم: «لا تَخفْ».

(٤) سقط من (س).

القصير، وهم جاءوا في أحسن صُور[1] الغلمان، فخاف عليهم من قومه، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾: شَديدٌ وامرأته أخبرت القوم[2] به، ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ﴾: يسرعون ﴿إِلَيۡهِ﴾: لطلب الفاحشة معهم، ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: الفواحش، فصارت عادتهم، ولذا أسرعوا مُجاهرين فأغلق الباب دون ضيفه وقام وراء الباب يدفعهم[3]، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾: تزوَّجوهُنَّ واتركوهم، إذ كانوا يطلبوهن فلم يجبهم لخبثهم، ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ﴾ حالًا ﴿لَكُمۡۖ﴾: من نكاح الرجال أو مثل الميتة أطيب من المَغْصوب، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ﴾: لا تفضحوني، ﴿فِي﴾: شأن، ﴿ضَيۡفِيٓۖ﴾ إذ إخزاء ضيفه إخزاؤه ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾: يعرفُ الحقَّ، ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾: حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: من إتيانهم فلما تسوروا، ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ﴾: بدفعكم لا تتخلف[4]، ﴿قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ﴾ أستند ﴿إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾: أي: قوي أتمنع به عنكم لدفعتكم، قالوا الأضياف: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ إلى إضرارك بإضرارنا ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ﴾: في طائفةٍ ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ﴾ لا يتخلَّفْ ﴿مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ أو: لا يلتفت لما وراءه من متاعه؛ لئلَّا يتأخر[5] عن الخروج ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾: فلا تَسر بها ﴿إِنَّهُۥ﴾: الشأن، ﴿مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾: من العذاب، ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ﴾: موعد عذابهم ﴿ٱلصُّبۡحُۚ﴾: فاستعجل فقالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾: فخرج بابنتيه عند الفجر وطويت له الأرض ونجا ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: بعذابهم، ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾: عالي مدائن[6]، ﴿سَافِلَهَا﴾: أدخل جبريل جناحه تحتها ورفعها حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب ثم قلبها، وكانوا أربعة آلاف ألف[7]، ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ حِينَ الصَّعيد ﴿حِجَارَةٗ مِّن

---

(١) في (ن): صُورة.

(٢) وهذا من خيانتها مع كفرها.

(٣) في نسخة (د): ذكر هذا التفسير بعد قوله «معهم».

(٤) كذا في (ح) فقط.

(٥) في (ن): يأخر.

(٦) كذا- ولعلها: عَالي مدائنهم، أو: عالي المدائن، أو: عَالي مدائن لوط.

(٧) الطبري (١٥/ ٤٤٢)، معالم التنزيل (٢/ ٣٩٦)، الرازي (١٨/ ٣١)، الوسيط (٢/ ٥٨٤).

﴿سِجِّيلٍ﴾: أصله سنكل[1] حجر وطين فعُرِّب، أو هو السماء الدنيا كما أن السجين الأرض السفلى ﴿مَّنضُودٍ﴾: متتابع أو نضد بعضها على بعض ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلمة مكتوبًا فيها اسم من يقتل بها[2]، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه ﴿وَمَا هِيَ﴾: هذه النقمة، ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ظالمي هذه الأمة[3] كما في الحديث[4]، ﴿بِبَعِيدٍ﴾: ﴿وَ﴾ أرسلنا، ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾: من أشرفهم[5] نسبا ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾: كانوا عبدة الأصنام معتادين البخس، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: موسرين فلم تطففون، ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾: لا يفلت منه أحد، وصف اليوم به مجازا، ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، صرح به بعد النهي عن ضده ليبين وجوب الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونه، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾: تنقصوا، ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا﴾: تبالغوا في الفساد[6]، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بقطع الطريق، حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾: في الدين، بُيِّن في البقرة ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: ما أبقاه من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من التطفيف، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إذ لا خير في حلال بلا إيمان، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: بل ناصح، ﴿قَالُوا﴾ تهكمًا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾: بتكليف، ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ﴾: نترك، ﴿أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا﴾: من البخس أو تقطيع الدراهم، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾: تهكموا به ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة وبصيرة، ﴿مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾: بلا كدٍّ مِنّي[7] ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالًا، فهل لي مخالفته، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾: أسبقكم، ﴿إِلَىٰ مَآ﴾: أي: عملكم الذي، ﴿أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ﴾: ما،

---

(١) كذا، وقيل: هو معرب عن «سنك» و«كل». * الوسيط (٢/ ٥٨٤).

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٣/ ٧٢)، الوسيط (٢/ ٥٨٥)، ابن كثير (٤/ ٢٧١).

(٣) يعني في حكم اللائط - ابن كثير (٢/ ٤٥٥).

(٤) يشير إلى حديث: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به» أخرجه أبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٥٢٣)، وابن ماجة (٢٥٦١) وسنده ضعيف.

(٥) في (ن): أشرافهم.

(٦) من العِثَّة التي تلحس الصوف ونحوه فتفسده، والعامة في مصر يسمونها: «عِتَّه» بالتاء المثناة.

(٧) في (ن): كدي.

﴿أُرِيدُ﴾: بنصحكم، ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾: لإصابة الحق، ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بإعانته، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع بعد الموت ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنكم، ﴿شِقَاقِيٓ﴾: مُعاداتي، ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ مهلكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: زمانا[1] ومكانا فتذكروا، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: عمَّا سلف، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾: للتائبين، ﴿وَدُودٌ﴾: بليغُ المودة بهم ﴿قَالُوا۟﴾: استهانة: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لأنك أعمى[2] بلا خدم، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: أي: عزَّتهم؛ لأنهم على ديننا، وهو[3] من ثلاثة إلى عشرة، ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: لقتلناك برمي الأحجار، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: فتمنعنا عزتك عن الرَّجم ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ تعالى ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: ذليلا كشيء ملقى وراء الظهر ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ قارين ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم التي أنتم عليها كالشرك، ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يفضحه ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: انتظروا ما أقول ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صاح بهم جبريل فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: ميتين وأصله[4] لزوم المكان ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يُقيموا ﴿فِيهَآ أَلَا بُعْدًا﴾: هلاكا، ﴿لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: فإنهم أهلكوا بالصيحة أيضًا لكن صيحتهم من تحتهم وصيحة هؤلاء من فوقهم مع رجفة وظلمة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: مُعجزاته ﴿وَسُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿مُّبِينٍ﴾: واضح، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: بتكذيب موسى ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: مُرشد إلى الخير، وإنه، ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدَّمُ ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾: جعلهم واردين،

---

(١) الوسيط (٢/ ٥٨٧)، الرازي (١٨/ ٣٩)، معالم التنزيل (٢/ ٣٩٩)، فتح القدير (٢/ ٥٢٠).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٢٥٦)، الوسيط (٢/ ٥٨٧).

(٣) يعني: الرهط.

(٤) الجثوم.

﴿ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾: الذي وردوه؛ لأنه[1] لتبريد الكبد، والنار بضده، ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾ العطاء ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ﴾: المعطى رفدهم[2] وهو اللَّعْنُ ﴿ذَٰلِكَ﴾: النبأ، ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾: المهلكة، ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ﴾: يا محمد، ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ﴾: آثاره، كحيطانه، ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٞ﴾: عافي الأثر، ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾: بإهلاكهم، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾: فاستحقوه، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ﴾ دفعت ﴿عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾: شيئا من عذابه ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾: عذابه، ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ﴾: أي: الآلهة، إياهم، ﴿غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: هلاك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الأخذ، ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ﴾ أهل ﴿ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾: تعليل لأخذه، ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾: غير مرجو الخلاص ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إهلاكهم ﴿لَأٓيَةٗ﴾: لعبرة، ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ﴾: اليوم الآخر، ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: فيه الخلائق، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾: اليوم، ﴿إِلَّا لِأَجَلٖ﴾: لوقت، ﴿مَّعۡدُودٖ﴾: معلوم متناهٍ، ﴿يَوۡمَ﴾: حين ﴿يَأۡتِ﴾ اليوم أو هو تعالى، ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: هذا في موقف، وفي موقف آخر ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾[3] فتقسيمه لا ينافي الأعراف[4]، ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾: من أهل الموقف، ﴿شَقِيّٞ﴾: باستحقاق النار، ﴿وَ﴾: منهم ﴿سَعِيدٞ﴾: باستحقاق الجنة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾: في ذلك اليوم، ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾: إخراج نفس، أو صوت في الحلق، أو أول نهيق[5] الحمار، ﴿وَشَهِيقٌ﴾: ردها[6] أو صوت في الصدر أو آخر نهيقه[7]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: سموات الآخرة وأرضها، أي: ما يظلهم ويقلهم إذ وجودهما معلوم من الحديث وداوامهما معلوم من دوام الجنة والنار، أو عبر بذلك عن الدوام

---

(١) أي الورْد، وهو مكان الشرب.

(٢) المخصوصُ بالذمِّ.

(٣) سورة المرسلات.

(٤) يعني التقسيمة الثنائية: شقيّ، وسعيد. لا تنافي الثلاثية: شقي، وسعيد، ومن أصحاب الأعراف.

(٥) في (س): شهيق!!.

(٦) يعني: ردّ النفس.

(٧) في (س): شهيقه.

كما هو دأب العرب، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: استثناء من الخلود، فإنَّ الفساق لا يخلدون أو لخروجهم من النار إلى الزمهرير وغيره، أو الله عالم بثنياه وقيل: من قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾.. إلى آخره» وقيل: كقولك: والله لأضربنك إلَّا أن أرى غير ذلك، مع جزم عزمك على ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: بلا اعتراضٍ عليه، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾ مجهولٌ[1] بمعنى أُسعدوا، أو من محذوف الزائد ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: هو مُدة اتصالهم بِجَنَابِ القدس، أو مدة عذاب الفساق ويؤيده: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: مقطوع، أو إلا فيهما بمعنى سوى، نحو: له عليَّ ألف إلا الألفان القديمان، أي: مُدة بقائهما سوى ما شاء ربك، أو هو زمان موقفهم للحساب أو «ما» فيهما بمعنى من وحينئذ ففي الثاني تعليل[2]، بل في الكل تكليف، وهو استثناء لا يفعله تنبيها على أنه إن شاء إلا يخلدهم لما أخلدهم، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك، ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ﴾: من عبادة، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين أي: في أنها كفر مُؤَدٍّ إلى ما حلَّ بسلفهم، ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾: عبادةً ﴿إِلَّا كَمَا﴾: كان ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾: فسيلحقهم ما لحقهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: من الجزاء، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾: للتأكيد، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: آمن به بعض وكفر به بعض، كهؤلاء في القرآن، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بإنظارهم إلى القيامة، ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: لفرغ من جزائهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من كتابك ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾: كل مؤمن وكافر، ﴿لَّمَّا﴾: بالتشديد، أصله لمن ما، أي: لمن الذين، وبالتخفيف ما صلة، أو بمعنى «من» مخففة عاملة أي:والله، ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَاسْتَقِمْ كَمَآ﴾: أي: مثل الاستقامة التي، ﴿أُمِرْتَ﴾: بها بلا إفراط وتفريط، ﴿وَمَن تَابَ﴾: من الكفر وآمن، ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾: لا تتجاوزوا ما[3] أمرتم، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: دل على وجوب اتباع النصوص بلا تصرف بنحو قياس

---

(١) يعني الفعل الماضي مبني للمجهول «سُعِدُوا».

(٢) في (ن): نظر.

(٣) في (ن): عمَّا.

واستحسان، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾: لا تميلوا أدنى ميل ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾: بذلك، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: لا ينصركم الله بشؤم الركون إليهم، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الصبح وبعد الزوال والعصر، ﴿وَ﴾: ساعات، ﴿زُلَفًا﴾: قريبة من النهار، ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء وفي الكل خلاف، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾: كلها، ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ﴾: القرآن ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عظة، ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾: للمتعظين[1]، ﴿وَٱصْبِرْ﴾: على الطاعة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: هلَّا للتعجب والتوبيخ، ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ﴾ ذوو ﴿بَقِيَّةٍ﴾ خير ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لكن، ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: نهوا عنه، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: بترك النهي، ﴿مَآ أُتْرِفُواْ﴾: أنعموا، ﴿فِيهِ﴾: من الشهوات، معرضين عن غيرها، ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾: فيه استؤصلوا، وقيل: معناه اتبعهم آثارهم وديارهم في الهلاك، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: ما صَحَّ له ﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: بشرك، ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم بالاتباع لفرط مسامحته في حقوقه، ولذا تقدم حقوق العباد على حقه عند تزاحم الحقوق، وقيل: أي بظلم تفريع ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مسلمين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: في فواسد العقائد، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: فاجتمعوا على الحق، ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾: الاختلاف، ﴿خَلَقَهُمْ﴾: اللام للعاقبة أو للتمكين نحو: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾[2]، أو بمعنى على، نحو ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[3] أو كذلك الرحمة والضمير لـ «من» ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ﴾ قضاءُ ﴿رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ﴾ مُتمردي ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: منهما لا من أحدهما، ﴿وَكُلًّا﴾: كل نبأ، ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾: هو ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: بزيادة يقينك، ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ﴾: قارين[4] ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم من التجرد ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾: على حالنا،

---

(١) في (ن): المتعظين.

(٢) سورة غافر.

(٣) سورة الصافات.

(٤) في (س): قادرين.

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾: بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: عقابكم ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: لا يخفي عليه ما فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ ﴾ الأمور ﴿كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾: فيجازي كلًّا بما يستحقه جل وعلا سبحانه تعالى- واللهُ أعلمُ.

❁❁❁



«سورة يوسف»(١): مكية(٢)

لما قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾... إلى آخره أتبعه بأحسن القصص فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓر تِلْكَ﴾: الآيات التي في السورة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح إعجازهُ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: الكتاب، ﴿قُرْءَٰنًا﴾: مجموعًا أو مقروءًا، ﴿عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: فصاحةً أو: أحسن المقصوص حكمًا ونكتًا والظاهر: أحسنها في بابه لا من سائرها حتى قصة حبيب الله ﷺ أو: نُبيِّنُ أحسن البيان ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: بإيحائنا، ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: عن هذه القصص، اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ﴾: من الرؤيا وهي انطباع الصورة المنحدرة(٣) عن أفق المتخيلة إلى الحس المشترك وصدقها باتصال النفس عند أدنى فراغه من تدبير البدن إلى الملكوت فيتصور بمعان فيه ثم تحاكيه المتخيلة بصورة تناسبه فيرسلها إلى الحس المشترك فتشاهد، فإن كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير و إلا فتُعبَّر، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: عدل عن: ثلاثة عشر، وعطف لتفضيلهما، ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾: جمع كالعقلاء؛ لأن السجود من خواصهم(٤)، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ﴾: صُغِّر للشفقة ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ﴾ لإهلاكك ﴿كَيْدًا﴾: لحسدهم لو علموا تأويلها وهو النبوة والغلبة عليهم، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَكَذَٰلِكَ﴾: الاجتباء بهذه الرؤيا، ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يصطفيك ﴿رَبُّكَ﴾: بالنبوة والملك، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا؛ لأن صادقها حديث الملك، وكاذبها حديث الشيطان، أو الكتب، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ

---

(١) في (ن): سورة يوسُف- عليه السلام- مكيَّة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة يوسف مكية مائة وإحدى عشر آية بالاتفاق بشير اليسر (١٠٧)، البيان (١٦٧) كلماتها (١٩٩٦) عدد سور القرآن (٢٦٣)، البيان (١٦٧)، القول الوجيز (٢٠٩) وحروفها (٧١٧٦) في عدد سور القرآن (٢٦٣): (٧١٦٦) ثم الحجر.

(٣) انظر: الفيوض الإلهية شرح الألفية الوردية - للإمام المناوي (٩٥/ بتحقيقي- ط دار الفتح).

(٤) بل يسجد لله ما في السماوات وما في الأرض من دابة ا.هـ.

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾: بنيه، استدل بضوء الكواكب على نبوتهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ﴾: الجدّ وأبي الجدّ ﴿مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق، ﴿حَكِيمٞ﴾: في إعطائه، ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي﴾: قصة، ﴿يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ العلات ﴿ءَايَٰتٞ﴾: عظة، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: للمستخبرين، ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: من الأبوين[1] ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾: جماعة أقوياء نرافقه فنحن أحقُّ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾: بترك التعديل، ولا تجب عصمةُ الأنبياء عن مثله[2]، ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾: فتكون بعيدة ﴿يَخۡلُ﴾ يخلص ﴿لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾: عن إقباله إليه، ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد قتله ﴿قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾: بالتوبة عنه، ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾: يهوذا[3]، ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ﴾: قعر ﴿ٱلۡجُبِّ﴾: البئر، ﴿يَلۡتَقِطۡهُ﴾: يأخذه، ﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾: بمشورتي فافعلوا، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا﴾: تخافنا، ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: نشفق عليه، ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا﴾: إلى الصحراء، ﴿غَدٗا يَرۡتَعۡ﴾: يتّسعْ في الملاذّ، ﴿وَيَلۡعَبۡ﴾: بمثل الاستباق، سماه لعبًا لشبهه له، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ قَالَ﴾: يعقوب ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾: لقلة صبري عنه، ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾: لأن أرضهم مذئبه[4]، ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾: بلعبكم، ﴿قَالُواْ﴾: والله، ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾: جماعة أقوياء، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾: لمغبونون، أعرضوا عن جواب العذر الأول؛ لأنه[5] الذي أغضبهم ثم أرسله معهم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ جوابه محذوف يدل عليه: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾: اتفقوا، ﴿أَن يَجۡعَلُوهُ﴾: يلقوه، ﴿فِي غَيَٰبَتِ﴾: قعر ﴿ٱلۡجُبِّ﴾: ببيت المقدس[6] أو غيره، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾: في الجب صغيرًا كعيسى ويحيى، والله ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: لتخبرن إخوتك، ﴿بِأَمۡرِهِمۡ﴾: بصنيعهم، ﴿هَٰذَا﴾: ببشارة بنصرته عليهم، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: أنك يوسف لعلوّك ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ﴾: آخر النهار،

---

(١) في (ن): للأبوين.

(٢) يعني الغيرة والغبطة.

(٣) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/ ١٨٥) الوسيط (٢/ ٦٠١).

(٤) مليئة بالذئاب.

(٥) في (د) لأمر.

(٦) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/ ١٨٥).

﴿يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نتسابق في[1] الرمي والعدو ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾: ثيابنا، ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: مُصدِّق ﴿لَّنَا﴾: فيه ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: لسوء ظنك بنا، ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ﴾: فوقَ ﴿قَمِيصِهِ﴾: حال من، ﴿بِدَمٍ﴾: ذي، ﴿كَذِبٍ قَالَ﴾: ما أكله الذئب، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيمًا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل وهو ما لا شكوى فيه إلى الخلق[2]، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ﴾ تحمُّل ﴿مَا تَصِفُونَ﴾: من هلاكه ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون من مَدين إلى مصر، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَىٰ﴾: أرسل، ﴿دَلْوَهُ﴾: في الجُبِّ، فتدلى يوسف بالحبل فخرج، فلما رآه، ﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ﴾: تعالي فهذا أوانك أو اسم صاحبه، ﴿هَٰذَا غُلَامٌ﴾: وكان ابن سبعة عشر، ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: أخفى الواردون من أصحابهم لئلا يشاركوهم، ﴿بِضَاعَةً﴾: متاعًا للتجارة أو أخفى إخوته أنه أخوهم وباعوه منهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ﴾: باعه الواردون أو الإخوة، ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: مَبخوس زيف أو ظُلْم ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: عشرين، ﴿وَكَانُوا﴾: البائعون، ﴿فِيهِ﴾: في يوسف، ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الراغبين عنه، لاباعوه مخافة الانتزاع عنهم، ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾: قطفير[3] العزيز، ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: زُلَيْخا[4]، ﴿أَكْرِمِي﴾: أحسني ﴿مَثْوَاهُ﴾: بحسن التعهدِ ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: إذ كان عقيمًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر لمصالح، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: لا رادَّ لما أراد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيده، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى اشتداد قوته وهو سن الوقوف من ثلاثين إلى أربعين[5]، وبُيِّن في الأنعام[6]، وقيِّدَ في قصة موسى بقوله ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾، وهو البلوغ إلى أربعين لبعثته بعده، ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: نبوة، ﴿وَعِلْمًا﴾:

---

(١) في (ن): إلى.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٠٤).

(٣) غرر التبيان (٢٨٥).

(٤) غرر التبيان (٢٨٥)، فتح القدير (٣/ ١٥).

(٥) زاد المسير (٤/ ٢٠٠).

(٦) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

بالدين والتعبير[١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَرَاوَدَتْهُ﴾: طلبته بهوى، أو كنى بها عن المخادعة، ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾: زُليخا ﴿عَن نَّفْسِهِ﴾: بطلب موافقتها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: السبعة وتهيأتْ ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ﴾: تهيأت، أو: أقبل ﴿لَكَ﴾: لامه للتبيين، ﴿قَالَ﴾: يوسف، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ به معاذًا للهِ ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى، ﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: منزلتي فكيف أعصيه، أو الضمير للشأن، وربي أي: سيدي، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: بكفران النعمة، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد مخالطتها أي: قصدًا طبعيًا لا يؤاخذ به لا إراديًا، ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: في قبح الزِّنا أو جبريل أو يعقوب عاضًا على أصبعه ضاربًا صدره فخرجت شهوته من أصبعه، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما[٢] - أريناه ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾: الخيانة، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصناه لعبادتنا ﴿وَاسْتَبَقَا﴾: يوسف للهرب وزليخا لمنعه ﴿الْبَابَ﴾: أي: إليه، ﴿وَقَدَّتْ﴾: شقّت، ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾: خلف؛ لأنها اجتذبته ﴿وَأَلْفَيَا﴾: صادفا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها، ﴿لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ﴾: إيهامًا بأنها فرّت منه: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: زنا ﴿إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ﴾: يوسف: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: صبي في المهد، وهو من أربعة تكلموا صغارا[٣]، فقال، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: لأنه تبعها وقدَّته، بدفعها إياه أو نحو ذلك، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فإنها تبعته وجذبتْ ثوبه ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾: أي: قولها: ما جزاء من أراد- إلى آخره، ﴿مِن كَيْدِكُنَّ﴾: يا نسوة، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: إشارةً إلى تلك الفعلة عادة كلهن، ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: اكتمه ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: كان قليل الغيرة بل قال في البحر[٤]: إن تربة مصر تقتضي[٥] هذا، ولذا لا ينشأ منها الأسد[١]، ولو

---

(١) يعني تفسير الأحلام.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٠٨)، معالم التنزيل (٢/ ٤٢٠) وهذا لا يصح.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٥) وسنده ضعيف.

(٤) البحر المحيط (٥/ ٢٩٧).

(٥) أقول: هذا من تحامل أبي حيان - رحمه الله - وكم في تفسيره من مخالفات ورمي الملك بعدم الغيره باطل؛ لأنه ثبت عنده بقرائن حالية وكلامية وشواهد قاطعة أن يوسف - عليه السلام - لم يعمل شيئا =

دخل فيها لا يبقى[٢]، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مِصْر، ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: عبدها، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: تطلب منه الفاحشة، ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾: دخل في شِغاف قلبها، أي: غلافه، ﴿حُبًّا﴾: من جهة الحبِّ، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غيبتهن في الخفية كالمكر، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهنَّ، ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدت، ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾: ما يتكأ عليه أو مجلسًا فيه مفارش أو أطعمة تقطع بالسكين[٣]، ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما يقطع، ﴿وَقَالَتِ﴾: بعد أخذهن السكاكين، ﴿ٱخْرُجْ﴾: يا يوسف، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: والخروج يستعمل بعلى في نحو غلبة أو ريبة أو آية، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: هبن حُسنه لتلألؤ[٤] وجهه على الجدران، أو حِضن[٥] شَبقًا[٦]، ﴿وَقَطَّعْنَ﴾: جرحن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾: حيرة، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ﴾: تنزيهًا، ﴿لِلَّهِ﴾: من العجز، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: في الحسن، إذ ركز في الطباع تناهي حسن الملك كتناهي قبح الشياطين، ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: بالغ في عصمته لما بان عذرها اعترفت، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾: به، ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الأذلَّاء، ولما قلن: أطع مولاتك، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾: آثر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾: من إطاعتها، ﴿وَإِلَّا﴾: لم، ﴿تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أمل ﴿إِلَيْهِنَّ﴾: لأنهن دعونه إلى أنفسهن أيضًا، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: بارتكاب القبائح ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾: فأجاب، ﴿لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: دُعاءه، المفهوم من كلامه، ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: بالعصمة[٧]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للدعوات، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بالحالات، ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم﴾: للعزيز وأصحابه، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟

= مما يعمله البطالون، ولذا كان حريصا على أن يستر الأمر وأن يكتمه؛ لدقة مركزه ا.هـ.

(١) تأثر المصنف هنا بالطبيب علي بن رضوان البغدادي في كتابه «دفع مضار الأغذية».

(٢) لأنَّ الله قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ يعني من نحو سبُع، أو ثعبان.. إلخ ولذا كان النبيُّ صصص حينما ينزل بأرضٍ يستعيذ بالله من شرِّ الأسد، والأسود- الثعبان. ثم كم دخلَ مصر من أسدٍ دافع عن دين الله وكسر رأس الكفر كأحمد بن طولون، وصلاح الدين، وقطز، وبيبرس، وقلاوون... إلخ.

(٣) الوسيط (٢/ ٦١٠).

(٤) في (ن): لتلالي.

(٥) لأن الكابر من أسماء الحيض.

(٦) الشبقُ: شدَّة الشهوة.

(٧) في (ن): بالمعصية.

ٱلْآيَٰتِ ﴾: الدالة على براءته أن يسجنوه يدل عليه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾: إلى زمان، ليحسب الناس أنه المجرم لا امرأته، فسجنوه ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾: ساقي الملك وخبازه[1] لذنب وهو قصدهما إهلاك الملك بالسمّ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾: الساقي، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾: في النوم، ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾: عنبًا، ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ ﴾: الخبّاز، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا ﴾: أخبرنا، ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾: بتأويل[2] ما ذكرتما، أو بتأويل الطعام الذي يأتيكما، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾: بما يؤول إليه مما غاب فهو كمُعجزة عيسى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾[3]- إلى آخره وأصل التأويل الخبر عما مضى أي: بيان هيئته وكيفيته، وأراد به دعوتهما إلى الإسلام، ولذا قال: ﴿ذَٰلِكُمَا ﴾: العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾: لا من نحو كهانة[4]، ﴿إِنِّى ﴾: لأني، ﴿تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾: أي: أهل مصر، وأراد بالترك ترك إعراض لا ترك انتقال وكذا في نظائره، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ ﴾: ما صحّ، ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ ﴾: التوحيد، ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾: بالوحي، ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾: بإرسالنا إليهم لإرشادهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾: ذلك فيعرضون عنه، ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ﴾: ساكني، ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾: متعددة، ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: الغالبُ الذي لا يُعادِلُهُ أحد، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً ﴾: بلا معان، ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾: بعبادتها، ﴿مِن سُلْطَٰنٍ ﴾: حُجَّة، ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة، ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾: أي: وحّدوهُ ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾: المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: فيشركون، ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: الساقي، فيخرج بعد ثلاث، ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾: يعود إلى منصبه[5]، ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ ﴾: الخبّاز، فيخرج بعد ثلاث،

---

(١) غرر التبيان (٢٨٦).

(٢) في (ن): تأويل.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الإخبار بالمستقبل.

(٥) كذا في (ن)، و(د).

﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: فقالا: كذبنا، فقال، ﴿قُضِىَ﴾ قُطِعَ ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝ وَقَالَ﴾: يوسف، ﴿لِلَّذِى ظَنَّ﴾: أيقن؛ لقوله: قُضِي - إلى آخره، ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: أي: الساقي[1]، ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: الملك الأعظم ريَّان بن الوليد[2] ليخلصني من العزيز، ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾: الساقي، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾: أي: ذكره عند، ﴿رَبِّهِۦ﴾: أو أنسى يوسف ذكر الله فاستعان بغيره، ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ﴾: ما بين ثلاث إلى[3] تسع، ﴿سِنِينَ﴾: كان لبثه سبعًا، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: الأعظم، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾: في منامي[4]، ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾: خرجن من نَهرٍ يابس، ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ في غاية الهزال، ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾: انعقد حبها، ﴿خُضْرٍ وَ﴾: سبعًا، ﴿أُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى غَلَبَتْ عليها، اكتفى بذكر أحوال البقرات عن ذكرها، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾: عبروها، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: عالمين بعبارتها، وهي الانتقال من الصورة الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها، ﴿قَالُوٓاْ﴾: هذه، ﴿أَضْغَٰثُ﴾: تخاليط، ﴿أَحْلَٰمٍ﴾: جمع ضِغْثٍ، وأصله ما اختلط من الأمور وما حزم من أخلاط النبات، مستعار للرؤيا الكاذبة، جمع مبالغة في بطلانه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: الساقي، ﴿وَٱدَّكَرَ﴾: تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: جماعة كثيرة من الزمان، ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾: إلى عالم التأويل، فأرسله فجاء، وقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِى﴾: رُؤيا ﴿سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: الملك وأهله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلها، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: دائمين مستمرين على عادتكم، هذا تأويل السبع السمان والسنبلات الخضر، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: لئلَّا يفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾:

---

(١) غرر التبيان ص ٢٨٦.

(٢) غرر التبيان (٢٨٧)، حسن المحاضرة (١/ ١٨).

(٣) في (د): أو.

(٤) في (د): نومي.

تلك السنة وهذا نصح[(١)]، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: السبع، ﴿سَبْعٌ﴾: سنين، ﴿شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾: يؤكل فيها ﴿مَا قَدَّمْتُمْ﴾: أدخرتم ﴿لَهُنَّ﴾: بواسطة القحط، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: تحرزون للبذر، وهذا تأويل العجاف واليابسات، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾: من القحط أو بمطر، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يعصر كالعنب والزيتون أو ينجون أو يمطرون، وهذا إعلام بالغيب ولعله علمه بالوحي، ثم رجع الساقي بالتعبير، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾: من السجن، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾: من الملك ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: ليعلم الملك براءتهُ وسكت عن زليخا احترامًا، فيه أنه ينبغي الاجتهاد في نفي التهم، ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: حيث قلن: أطع مولاتك، ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: شأنكن، ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: هل وجدتن فيه سُوءًا، ﴿قُلْنَ حَٰشَ﴾: تنزيهًا، ﴿لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾: ثم لما أقبلن إلى زليخا ليقررنها، ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ﴾: ظهر أو ثبت ﴿ٱلْحَقُّ﴾: أقرت مخافة شهادتهن، ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فيما نسبه إليَّ، فرجع وأخبر به يوسف فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: رد الرسول قبل، ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: ثم قال له جبريل: ولا حين هممت فقال[(٢)]: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ[(٣)] نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾: بطبعها ﴿لَأَمَّارَةٌۢ﴾: صاحبها، ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ من ﴿رَحِمَ رَبِّيٓ﴾: من النفوس، أو لكن رحمة ربي تصرفه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يتجاوزعن همِّها ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أجعله خالصًا، ﴿لِنَفْسِي﴾: بلا شريك، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾: بعدما أتوا به، ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مُؤتمنٌ ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي﴾: ولِّني ﴿عَلَىٰ﴾: أمر، ﴿خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾: لها، ﴿عَلِيمٌ﴾: بوجوه التصرف فيها، دل على جواز طلب التَّولية وإظهار أنه مستعد لها وتولي المسلم من الكافر حيث لا سبيل إلى إقامة الحق إلا به، وطلبه لا ينافي نهاية

---

(١) وإرشاد وتعليم للمصريين كيفية الزراعة والتخزين؛ لأن مصر دولة زراعية وصناعية وكلاهما مكمل للآخر مساعد له فاللهم أصلح شأن مصر والطف بأهلها واهدهم إلى ما فيه صالحهم آمين.

(٢) الوسيط - للواحدي (٢/ ٦١٧).

(٣) في هامش (ن): الجزء (١٣).

زهد الأنبياء؛ لأنه لإمضاء حدود الله مع علمه بتعيينه لذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر؛ إذ توجه الملكُ بتاجه وعزل العزيز وولاه مكانه فمات العزيز وتزوج يوسف بزوجته فوجدها عذراء[1]، ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: ينزل، ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾: أراد استيلاءه على جميعها، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: عاجلًا وآجلًا، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: كيوسف فحال آخرته خير من دنياه، ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: غير بنيامين بعد أربعين[2] سنة في سنة القحط ليشتروا منه الطعام، ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: لا يعرفونه، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: بعدتهم وأصله ما يعد للسفر ولزفاف المرأة، أي: أوقر حمولاتهم بعد أن قال لهم حين الدخول: لعلكم جواسيس فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبيٍّ صدِّيق، كنَّا اثني عشر فهلك أصغرنا وبقي أخوه عند أبيه بدله، ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: إنْ صدقتم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي﴾ أتمُّ ﴿ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: للضَّيف، ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ ما لكم عندي طعام أكيله لكم بعد ذلك، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ لا تدخلوا بلادي ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ﴾: نُخادعُ ﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلحُّ في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف، ﴿لِفِتْيَٰنِهِ[3]﴾: غلمانه الكيالين ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾: ثمن طعامعهم وكانت ورقًا[4]، ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾: ليعرفوا حق ردها، ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا عرفوا ذلك فخلوا شمعون عنده رهنًا وخرجوا بالطعام ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾: بعد ذلك إن لم نذهب بأخينا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: نحن وهو وإلَّا فلا كيل لنا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾: إذ قلتم فيه كذلك، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا[5]﴾: فاعتمد عليه، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ

---

(١) الوسيط (٢/ ٦١٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٢) ولا يصح.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٢٠)، الجامع للقرطبي (٨/ ٣٤٤٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٤).

(٣) في هامش (ن): لفتيانه- حفص.

(٤) الورق: الفضة. * الجامع (٨/ ٣٤٥٢)، الوسيط (٢/ ٦٢٠).

(٥) في هامش (ن): حافظًا: حفص.

﴿ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أسأله أن يرحمني بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا﴾: أيُّ شيءٍ، ﴿نَبْغِى﴾: نطلب فوق هذه الكرامة، ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نحمل إليهم الميرة أي: الطعام، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المكاره ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾: حمل، ﴿بَعِيرٍ﴾: من الطعام؛ لأنه كان يعطي لكل واحد وقْرًا ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي جئنا به، ﴿كَيْلٌ﴾ مكيل ﴿يَسِيرٌ﴾: قليل، ﴿قَالَ﴾: يعقوب، ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾: تعطوني، ﴿مَوْثِقًا﴾: أثق به، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عنده أي: عهدًا مؤكدًا بذكره، ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾: في كل حال، ﴿إِلَّآ﴾: حال، ﴿أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: من كل جهة، فلا تقدروا[1]، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾: يعقوب، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من الموثق، ﴿وَكِيلٌ﴾: مُطلع ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ﴾: مصر، ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: مخافة العين وما وصَّاهم أولًا؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذٍ، أو بلا بنيامين ﴿وَمَآ أُغْنِى﴾: أدفعُ ﴿عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: مما قضى عليكم، ﴿إِنِ﴾: ما، ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: من أبواب متفرقة، ﴿مَّا كَانَ﴾: دخولهم متفرقين ﴿يُغْنِى﴾: يدفع، ﴿عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قضائه، ﴿مِن شَىْءٍ﴾: فقد أُصيبوا بنسبتهم إلى السرقةِ وأخذ أخيهم، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةً﴾: شفقة[2]، ﴿فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: أظهرها، وهي إرادة دفع العين، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ بالوحي؛ ولذا قال: وما أغني - إلى آخره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: أنه لا ينفع الحذر، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: من أبويه إذ جعل كل اثنين في بيت على حده على مائدة واجلسه على مائدته وعانقه و﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: فينا ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: بعدتهم، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾: مشربة الملك من ذهب[3] أو

---

(١) وقال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم. * تفسير الطبري (١٦/ ١٦٣/ ١٩٤٨٢)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٧)، البحر المحيط (٥/ ٣٢٤)، الوسيط (٢/ ٦٢١).

(٢) عليهم وخوفا من العين.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٧٢/ ١٩٥١٩)، البحر المحيط (٥/ ٣٢٩)، معالم التنزيل (٢/ ٤٣٩).

زبرجد[1] كَالوا بها الطعام، والسقاية، والصُّواع، والصَّاع: إناء يشرب فيه ويُكالُ أيضًا، ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ﴾: نادى، ﴿مُؤَذِّنٌ﴾: مُنادٍ ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: القافلة، ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: لا يقال: كيف أمرهم ببهتان؛ لإمْكَانِ ندائهم بلا إذنه، أو هو من الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى حقوق شرعية، أو أراد سرقتهم يوسف من أبيه ﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم﴾: على طالبي السقاية: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾: أي: شيء ضاع عنكم؟ ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صَاع، ﴿الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطعام، ﴿وَأَنَا بِهِ﴾: بالحمل، ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل، دل على جواز الجعالة[2] وضمان الجُعْلِ قبل العمل[3]، ﴿قَالُوا﴾ تعجُّبًا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم﴾: بأعمالنا الصالحة وسدٌّ[4] أفواه الدواب الصالحة كردِّ بضاعة جُعلَتْ في رحالنا ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۝ قَالُوا﴾: المؤذنون، ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: السارقُ ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾: في البراءة، ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾: أي: استرقاقًا، ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: فقط كما هو شرع يعقوب، فهو لتقرير الحكم، يعني أخذ السارق جزاؤه لا غير نحو: حق زيدٍ أن يُطْعَمَ ويكسى، فهذا حقه لا غير ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: بالسرقة، ﴿فَبَدَأَ﴾: المؤذنون، ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾: بتفتيشها قبل وعاء أخيه من أبويه؛ لنفي التهمة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ﴾: الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾: ما صحَّ أخذ السارق، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: إذ جزاؤه عندهم الضرب والتغريم مثل المسروق، ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلَّا بمشيئته استرقاقه على دين يعقوب على ألسنة إخوته إن جزاؤه الاسترقاق ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالعلم، كرفع يوسف، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: استؤنس به بأن علمه تعالى غير زائل[5]، ورد بأن

---

(١) الوسيط (٢/ ٦٢٣).

(٢) وجيمها مثلثة كما قال ابن مالك - رحمه الله - النجم الوهاج - للعلامة الدميري (٦/ ٨٩)، الإقناع (٢/ ٩٥).

(٣) الوسيط في المذهب - للغزالي (٣/ ٢٣٨)، روضة الطالبين - للنووي (٤/ ٥٥)، (٤/ ٢٥٠)، المغني - لابن قدامة (٤/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٤) في البيضاوي: وكَعْم، وهو بمعنى سدّ.

(٥) في (ن)، و(د): غير زائد، ومعنى: غير زائد، يعني: بذاته - وهذا كلام الأشاعرة ونحوهم.

المراد ذي علم من الخلق، وبأن العليم من له العلم البالغ[١]، وهو الله تعالى، ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾: بنيامين فلا بدع[٢]، ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾: أي: يوسف، فإن عمته لفرط محبته أرادت اختصاصه بها في صغره فعمدت إلى منطقة إبراهيم التي ورثتها فشدتها تحت ثيابه، ثم صاحت على منطقتها وفتشت فوجدتها على يوسف فقالت: هو سارقي فأخذته على دينهم[٣]، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره، وقيل: أخذ عناقًا[٤] أو دجاجة من البيت وأعطى السائل، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره[٥]، ﴿فَأَسَرَّهَا﴾: أي: الكراهة المفهومة من السياق، ﴿يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ﴾ سرًّا: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾: منزلة في السرقة بسرقتكم[٦] أخاكم وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: في شأن أخيه، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾: اسم نائب السلطان بمصر، ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾: سنًّا أو قدرًا يستأنس به، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: إلينا، فأتمم[٧]، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: من ﴿أَن نَّأۡخُذَ﴾: أحدًا، ﴿إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾: لم يقل: من سرق خوف الكذب، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾: إن أخذنا غيره ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾: يئسوا منه ومن إجابته، ﴿خَلَصُواْ﴾: انفردوا ﴿نَجِيّٗاۖ﴾: مُتناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾: سنًّا، روبيل، أو رأيًا يهوذا أو رياسة شمعون[٨] ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عهدًا وثيقًا بذكره، ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا﴾: صلة ﴿فَرَّطتُمۡ﴾ قصرتم ﴿فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ﴾: أفارق، ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ مصر ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الرجوع ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾: بخلاص أخي، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: لأنه إنما يحكم بالحقِّ ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾: إذ خرج

---

(١) في (د): من له المانع.
(٢) ليس غريبًا ولا جديدًا.
(٣) الوسيط (٢/ ٦٢٤)، الجامع - للقرطبي (٨/ ٣٤٦٩)، البحر المحيط (٥/ ٣٣٣).
(٤) بفتح العين المهملة والنون -: أنثى المعز الصغيرة.
(٥) وألقاه أخرجه الطبري (١٦/ ١٩٥/ ١٩٦٠٠)، معالم التنزيل (٢/ ٤٤١).
(٦) في (ن)، و(د): لسرقتكم.
(٧) يعني: أتمم إحسانك علينا وإلينا.
(٨) فتح القدير (٢/ ٤٧)، الوسيط (٢/ ٦٢٥).

الصاع من رحله، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: أنه سرق أو دُسَّتْ في رحلهِ ﴿وَسْـَٔلِ﴾: عن القصةِ ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: أهل مصر[1]، ﴿ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ﴾: القافلة، ﴿ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا﴾: توجهنا، ﴿فِيهَا وَإِنَّا﴾: والله، ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: فلما قالوا: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنتْ ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: عظيما، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ﴾: بيوسف وإخوته، ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بحالي، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ﴾: كراهةً، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾: شدَّة حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: تعالي[2] فهذا أوانك، ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: كناية عن كثرة البكاء من الحزن، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء من الغيظ على أولاده كاتمًا وما استرجع، لأنه مخصوص بهذه الأمة، كما في الحديث: «لم تعط أمة إنا لله وإنا إليه راجعون إلَّا أمة محمَّد - ﷺ - ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع قال: «يا أسفى»[3]، وتأسف عليه دون أخويه مع حدوث رزئهما[4]؛ لأن رِزئه كان قاعدة المصيبات وأعظمها، على أنه كان واثقًا بحياتهما دونه، ﴿قَالُوا۟﴾: أولاده، ﴿تَٱللَّهِ﴾: لا، ﴿تَفْتَؤُا۟﴾: لا تزال، ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشرفًا على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾: هَمِّي الذي لا صبر عليه ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: فخلوني وشكايتي، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من حيَاته لخبَر المَلكِ[5]، ورؤياه سجود الكواكب له، ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟﴾: إلى مصر، ﴿فَتَحَسَّسُوا۟﴾: تفحصوا، ﴿مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟﴾: تقنطوا، ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: رحمته، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: والمؤمن لا يزال يطمع في رحمته، ثم رجعوا إلى مصر، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾: على العزيز، ﴿قَالُوا۟

---

(١) فهو على حذف مضاف تقديره: أهل القرية.

(٢) يعني: يا أسفي تعالى.

(٣) يروي مرفوعا إلى ابن عباس عن النبي - ﷺ - رواه الثعلبي في تفسيره بسند ضعيف، ورواه الطبراني في الدعاء (٦/ ١٣) بسند ضعيف أيضا.

ويروي من كلام سعيد بن جبير - رواه عبد الرزاق (٦٣/ ١٢٩٨) والطبري (١٣/ ٣٩) والبيهقي (٣/ ٢/ ٢٧٨) في الشعب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٥/ ١١٨٨١) وسنده حسن.

(٤) الرزء: المصيبة.

(٥) يعني ملك الموت، كما ورد في الإسرائيليات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: شدة الجوع، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾: مدفوعة يدفعها كل أحد لرداءتها وفي تعيينها خلاف، ﴿فَأَوْفِ﴾: أتم لنا، ﴿ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: بردِّ أخينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فلما رأى عجزهم، ﴿قَالَ﴾ شفقةً وحثًّا لهم على التوبة: ﴿هَلْ عَلِمْتُم﴾: قبح ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: إذ فرَّقتم بينهما وذللتموه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: قبحه للصَّبيِّ، وذرفت عيناهُ رِقَّةً ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾: عرفوه؛ لأنه وضع التاج وكانت في جبهته شامةٌ بيضاءُ، كما كانت ليعقوب وسارة، ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: الله، ﴿وَيَصْبِرْ﴾: على مصائبه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجره ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ﴾: اختارك، ﴿ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالعلم والصبر والملك، ﴿وَإِن﴾: إنه، ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ تغيير ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: فكيف بما بعده، ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: يغفر الصغائر والكبائر ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى﴾ ملبوسي ﴿هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾: يأتني، ﴿بَصِيرًا﴾: كان من نسج الجنة، ألبس إبراهيم حين ألقي في النار، ما وقع على سقيم إلَّا عوفي، وعلقه عليه يعقوب في التعويذِ[1]، ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: نسائكم وذريَّاتكم[2]، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ﴿ٱلْعِيرُ﴾: من مصر[3] إلى جانب يعقوب، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضره: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: وكانت مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفند[4]، حدوث[5] فساد عقل للهرم، ولا يجوز: عجوزة مفندة[6]، وجوابه: لصدقتموني، ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: من حبه، ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾: يهوذا الذي بقميص الدَّم، ﴿أَلْقَىٰهُ﴾: الثوب، ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾: عاد، ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ

---

(١) أنوار التنزيل (٣٢٣).

(٢) في (ن): ذراريكم.

(٣) والعِيْر - بكسر العين -: القافلة، وبفتحها: الحمارُ.

(٤) الفند: الفساد والخبل وضعف الرأي، وقيل: معناه: تلوموني، وقيل: معناه: تخرفون أي: تقولون: قَدْ خَرِفْتَ.

* عمدة الحفاظ (٣/ ٢٥٣).

(٥) في (ن): وحدوث.

(٦) لأن نقصان عقلها ذاتي.

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: بتعليمه، ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۞ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا﴾: من ربنا، ﴿ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾: أخَّرَهُ إلى السَّحَرِ أو سحر الجمعة[1] أو الاستحلال من يوسف، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: حين استقبلهم مع أربعة آلاف من عُظماء مصر[2]، ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ضمَّ، ﴿إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾: أباه وأمه أو خالته، ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: من المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول مع الأمن فجلس على سريره ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: سريره، ﴿وَخَرُّواْ﴾: أبواه وإخوته، ﴿لَهُۥ سُجَّدٗا﴾: للتواضع لجوازها في دينهم، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾: الشمس والقمر لأبويه وأحد عَشَرَ كَوْكَبًا لإخوته، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ صدقًا، كان بينهما أربعون أو ثمانون سنة، وقيل: خمسٌ وأربعون ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾: سكتَ عن الجُبِّ[3] لقوله: لا تثريب ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: إذ كانوا أهل بادية ومواشي، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسدَ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ﴾: تدبيره، ﴿لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾: بالمصالح ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: في الأفعال، فبقي يعقوب عنده أربعًا وعشرين سنة، فمات ونقلوه إلى الشَّام[4]، فبقي يوسف ثلاثًا وعشرين سنةً ثم اشتاق إلى الملك المخلد وقال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ﴾ بعض ﴿ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي: مصر ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن﴾: بعض، ﴿تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا، ﴿فَاطِرَ﴾: مبدع، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: ناصري، ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي﴾: اقبضني، ﴿مُسۡلِمٗا﴾: ودعاؤه هذا لإظهار العبوديَّة وتعليم الأمة هو تمني الموت على الإسلام[5]، لا تمني الموت، ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: من آبائي فمات بعد أسبوع وله مائة وعشرون سنة، فتخاصموا في مدفنه ثم تصالحوا على جعله في صندوقٍ مرمر[6] ودفنه[1] في أعلى

-----

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٦١) مرفوعا- وسنده ضعيف.

(٢) الوسيط (٢/ ٦٣٤)، معالم التنزيل (٢/ ٤٤٩، ٤٥٠)، تفسير الرازي (١٨/ ١٦٧، ١٦٨).

(٣) الوسيط (٢/ ٦٣٥).

(٤) في مدينة الخليل.

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٧٨)، معالم التنزيل (٢/ ٤٥١)، تفسير الرازي (١٨/ ١٧٥)، الوسيط (٢/ ٦٣٦).

(٦) في الوسيط (٢/ ٦٣٦): رخام.

النيل لتعمَّ بركته، ففعلوا ثم نقله موسى- عليه السلام- إلى مدفن آبائه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: نبأ يوسف، ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: إخوة يوسف، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾: فإنما ذلك بالوحي، إذ قال في موضع آخر: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا﴾[٢].. إلى آخره، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم، ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لشقاوتهم الأزلية، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الوحي، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جعلٍ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظةٌ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: عامة ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم ﴿مِّنْ آيَةٍ﴾: دليل على وحدانيته وصفاته الحسنى، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يرونها، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾: حين إقرارهم بأنه خالق الكل، ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: بإشراكهم، فالمراد إيمان المشركين أو بالنظر إلى الأسباب وقيل: منه قول الرجل: لولا الله وفلان لهلكت[٣]، ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾: عقوبة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾: في الدنيا، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: فلا يستعدون لها، ﴿قُلْ هَٰذِهِ﴾: الدعوة، ﴿سَبِيلِي﴾: وهو أني، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: فهم يدعون إلى الله ﴿وَسُبْحَانَ﴾: تنزيه، ﴿اللَّهِ﴾: عن الشرك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد لقولهم: ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾[٤] ﴿نُّوحِي إِلَيْهِم﴾ مثلك ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾: فإنهم أذكى من أهل البدو، ودل على منع نبوة النساء[٥] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من المكذبين فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ﴾: الحيوة، ﴿الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا ذلك، ثم هؤلاء الأمم استمروا على التكذيب، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ﴾: أيس، ﴿الرُّسُلُ﴾: عن إيمانهم أو النصر، ﴿وَظَنُّوا﴾ القوم أنَّ الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾: بالتخفيف، وعلى

---

(١) في (ن): ودفن.

(٢) سورة هود.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٨/ ١٢٠٣٩) عن الباقر.

(٤) سورة فصلت.

(٥) لأن النبوة في الرجال.

التشديد[1] أي: ظن الرسل بمعنى تيقنوا، أو ظنوا الرسل أنهم قد كذبوا بالتخفيف أي: في وعد النصر، ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾: أتباع الرسل ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: الأنبياء وقومهم، أو يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: العقول السليمة ﴿مَا كَانَ﴾: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين، ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: ديني بواسطة أو بغير واسطة، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقونه- واللهُ أعلمُ.

۞۞۞

---

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر، ونافع، وأبو عمرو، والحسن وابن مسعود: «كذبوا».
* إتحاف فضلاء البشر (٢٦٨)، والسبعة (٣٥١)، النشر (٢/ ٢٩٦).



«سورة الرعد»(١): مدنية وقيل: مكية(٢)

إلَّا: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ ﴾ إلى آخر السورة.

لما قال: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾... إلخ، بين أنه الحق وقال:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓر ﴾ فُسِّر مرَّةً ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾: السورة آيات، ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: صريحًا أو ضمنًا فيشمل نحو القياس والإجماع ﴿ٱلْحَقُّ﴾: أو معناه أن له وصف الحقية لا البطلان، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لجهلهم، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جمع عمادٍ ﴿تَرَوْنَهَا﴾: بلا عمد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: كما مر، ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: لما أراد، ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ﴾ مدة ﴿مُّسَمًّى﴾: ينقطع دونها سَيْرُهُ، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أمر ملكه من الإيجاد والإعدام ونحوه، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: القرآنية، ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: قياسًا للإعادة على البدء، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾: بسط، ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا﴾: جبالًا، ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت، ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾: نوعين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: كالحلو والحامض والأسود والأبيض والنافع والضار، ﴿يُغْشِى﴾: يلبس ﴿ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يجعل الجو مظلمًا بعد إضاءتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في أن تخصيصها بوجه دون وجه يدل على الصانع، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بقاع مختلفة، طيبة وسبخة وغيرهما، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متلاصقة، ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: بساتين، ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾: ذوات رأسين أو مجتمعة متشاكلة(٣)، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾: بل قد كثرت من أصل واحد، ﴿وَنُفَضِّلُ

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة الرعد مدنية ثلاث وأربعون آية غير آيتين ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ﴾ فإنها نزلت بمكة ثم الرحمن، كلماتها (٨٠٥٥) عدد سور القرآن (٢٧٠)، البصائر (١/ ٢٦٢)، البيان (١٦٩)، القول الوجيز (٢١٢)، وحروفها (٣٥٠٦)، البصائر (١/ ٢٦٢).

(٣) وهو أن يكون الأصل واحدا وتتفرع منه النخلتان والثلاث فأكثر، وقيل: هو الغصن الخارج من أصل الشجرة، يقال: هما صنوا دوحة، والظاهر اختصاص ذلك بالنخل والبقل.

=

بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾: في الثمر طعمًا وغيره، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾: يستعملون عقولهم بالتفكر فيها، خصه بالعقل والأول بالفكر؛ لأن الاستدلال باختلاف الثمار أسهل ﴿وَإِن تَعْجَبْ ﴾: من إنكارهم البعث، ﴿فَعَجَبٌ ﴾: فحقيق بالتعجب ﴿قَوْلُهُمْ أَ﴾ نحشرُ ﴿إِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾: فإن من قدر على إنشاء ما ذكر فعلى إعادته أقدرُ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: الكاملون في الكفر، ﴿بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ ﴾: يسحبون بها إلى جهنم، ﴿وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾: بالعذاب، ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾: العافية استهزاءً بوعيدك ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾: عقوبات أمثالهم المثلة- بفتح الثَّاء وضمها-: العقوبة؛ لأنها مثل العافية، ومنه: المثال للقصاص ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾ مَعَ ﴿ظُلْمِهِمْ ﴾: فيجوزُ العفو قبل التوبة؛ لأن التائب ليس على ظلمه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: لمن يشاءُ ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ ﴾ هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾: مما نشتهيها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾: لا الآتي بمشتهاهم ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ ﴾: نبيٌّ ﴿هَادٍ﴾: فلست بأوحدي ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾: أي: حقيقته وصفته، ﴿وَمَا تَغِيضُ ﴾: وما تنقص ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾ من نحو جُثة الحَمل[1] ومدته وعدده ولاحَدَّ له[2] عند الشافعي، وكإتمام الحمل وأقصاها أربع سنين عنده، وعن مالك خمس، وعند الحنفية سنتان ﴿وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: تقتضيه الحكمة لا يتجاوزه فهو عالم بكميته، ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن الحس، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾: ما حضر ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾: عما لا يليق بكماله، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم ﴾: في علمه، ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴾: مستتر ﴿بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾: ظاهر ﴿بِٱلنَّهَارِ ﴿لَهُۥ﴾: ضميره لمن ﴿مُعَقِّبَٰتٌ ﴾: ملائكة يعقب بعضهم بعضا[3]، وهم غير الكرام الكاتبين أو يعقبون أحواله فيكتبونها

= * عمدة الحفاظ (٢/ ٣٥٦/ صنو).

(١) يعني: الجنين.

(٢) يعني: الحمل.

(٣) قال الواحدي: وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين.

=

﴿وَمِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾: قدامه، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ﴾: بأس، ﴿ٱللَّهِ﴾ أو بأمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾: نعمة أو نقمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: خيرًا أو شرًّا، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: يلي دفعه عنكم[1]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾: تخويفًا من أذاه، ﴿وَطَمَعٗا﴾: تطميعًا في المطر، ﴿وَيُنشِئُ﴾: يخلق، ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: من كثرة الماء، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ﴾: «ملك معه مخاريق[2] من النار يسوق بها السحاب[3]» ملتبسًا، ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾: تعالى، أو الرعد، ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: نار[4] تنزل من السحاب، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾: فيحرقه، ﴿وَهُمۡ﴾: حالة كونهم ﴿يُجَٰدِلُونَ فِي﴾: صفات، ﴿ٱللَّهِ﴾: ككافر قال: ممَّ ربُّك؟ من ذهب أو من فضَّة[5]، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾:

= * الوسيط (٣/ ٧)، تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩) معالم التنزيل (٣/ ٩) تفسير الرازي (١٨/ ١٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٩)، فتح القدير (٣/ ٧١).

(١) سقطت من: (ن).

(٢) جمعُ مِخْراق وهو آلةٌ معروفة.

(٣) يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»... الحديث. أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٨٠/ ٣٤٨)، والنسائي (٩٠٧٢)، وأحمد (٢٤٨٣).

(٤) في (ن): بان ينزل.

(٥) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله- تبارك وتعالى- فقال المشرك: أيش ربك الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فتعاظم مقالته، فأتي النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله الثالثة، فقال مثل ذلك، فأتي النبي ﷺ فأخبره؛ فأرسله الله - تبارك وتعالى- عليه صاعقة فأحرقته، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله- تبارك وتعالى- قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته»؛ فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٤/ ٦٩٢)، والبزار (٣/ ٥٤/ ٢٢٢١/ كشف) وأبو يعلى (٦/ ٨٧، ٨٨/ ٣٣٤١)، والدينوري في المجالسة (٣/ ١١٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧/ ٦٠٥)، ودلائل النبوة (٦/ ٢٨٣)، والهروي في ذم الكلام (٣/ ٢٠٥، ٢٠٦/ ٦٤٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٥/ ٨٨، ٨٩/ ١٧١٠، ١٧١١) وسنده صحيح.

الحول أو القوة أو المماحلة أي: مكايدة[١]، ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ يحقُّ أنْ يُعبد، أو الدعاء المجاب، فمن دعاه أجاب[٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ﴾: الأصنام، ﴿لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾: كاستجابة باسط، ﴿كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾: يدعوه ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾: بارتفاعه من البئر، ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾؛ لأنَّ الماء جماد لا يشعر به أو كناشر أصابعه ولا يبقى الماء حينئذ في كفه فلا يبلغ فاه، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: عبادتهم لأصنامهم، ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: ضياع لا يجدي نفعًا، ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ﴾: حقيقة، ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا﴾: كالمؤمنين، ﴿وَكَرۡهًا﴾: كالكفرة في الشدة أو ينقادون لإحداث ما أراد فيهم ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ بالعرض أو بتصريفها مدًّا وتقليصها ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾: الغدو: جمع غداة، كفتى وفتاة[٣]: أول النهار، ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾: جمعُ أصيل، وهُوَ بينَ العصْرِ والمغرب، و«الغدوّ» أوّل النهارِ والآصَال آخره[٤] أي: دائمًا. وخَصَّهُمَا؛ لأن المد والتقليص فيهما أظهر ولا ستر فيهما ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: فإنهم معترفون به، ﴿قُلۡ﴾: إلزامًا لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذۡتُم﴾ مع هذا الإقرار، ﴿مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾: فكيف لكم، ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: إلهٌ غافل عنكم، ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾: إلهٌ مطلع عليكم، ﴿أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكفر، ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمان، ﴿أَمۡ﴾: بل أ ﴿جَعَلُواْ﴾: أي: ما جعلوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ﴾: تعالى، ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾: خلقها، ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ بخلقه فيقولوا: خلقوا كخلقه فاستحقوا العبادة مثله، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾: فأي شيء تعبدونه؟ ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾: المتوحد بالألوهية، ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ﴾: الغالب على الكل ﴿أَنزَلَ مِنَ﴾: جانب، ﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾: أنهار كبار، ﴿بِقَدَرِهَا﴾: الذي[٥] علم الله أنه نافع، ﴿فَٱحۡتَمَلَ﴾: حمل، ﴿ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا﴾: رغوة ﴿رَّابِيًا﴾: مرتفعًا على السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: من

---

(١) المكايدة للأعداء.

(٢) قال البيضاوي: ويؤيده ما بعده.

(٣) في أنوار التنزيل (٣٢٩): كقنى جمع قناة.

(٤) جمع أصيل.

(٥) في (ن): أي: علِمَ الله... إلخ.

جواهر الأرض، ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: لطلب، ﴿حِلْيَةٍ﴾: للنساء، ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾: كالأواني يكون ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: مثل زبد الماء في الوسخ وهو خبثها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿يَضْرِبُ﴾: يمثل، ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾: منها، ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: كائنًا[1] بجُفاء السيل أي: رميه، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من صافيهما، ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لينتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المثل ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ للتبيين ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: حين دعاهم للتوبة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾: حين دعاهم، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾: للتخلص من عذابه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: بأن يحاسب ولا يغفر بشيء من ذنبه، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾: مرجعهم، ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: المقر هي، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: فيستجيب كحمزة رضي الله عنه ﴿كَ﴾ صُنع ﴿مَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: قلبًا كأبي جهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: حين قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: مطلقًا، ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: كالرحم، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: وعيده، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: على مخالفة الهوى، أتى بالماضي فيه فقط، وكذا حيث وقع في القرآن إشارة إلى تقدمه على سائر التكاليف ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب مرضاة ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: بلا رياء ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾: يدفعون، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: فتمحوها أو يجازونها بها، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾: ما ينبغي أن يكون ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: هي، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: تبعًا وإن لم يبلغوا مراتبهم، وأفهمَ بـ«صَلُحَ» أن مجرد النسب لا يكفي، وأن الدرجة تعلو بالشفاعة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: لمنازلهم معهم هِدَايَةً من الله تعالى قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: هذا، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: على الطاعة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: جنة العدن[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: بعدما أوثقوه، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ﴾: عاقبة، ﴿ٱلدَّارِ﴾: أي: جهنم، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يُوسع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه، فليسا بالكفر والإيمان كما

---

(١) فهو منصوبٌ على الحال.

(٢) كذا - وهو جائز.

ظنوا ﴿وَفَرِحُواْ﴾: مشركوا مكة، ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى﴾: جنب، ﴿ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾: متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: مما نشتهي، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: كما أضلكم وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾: إلى دينه، ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رجع عن العناد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُم﴾: أنسًا ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أو هو اطمئنانك بحلف أخيك فيما تشك ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾: عن القلق ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: لهم، ﴿طُوبَىٰ﴾: فرحٌ مصدر طاب أو مؤنث أطيب وشجرة في الجنة ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: منقلب، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإرسال الرسل قبلك، ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾[1] ﴿قُلْ هُوَ﴾ الرحمن ﴿رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: مرجعي، ولما سألوه تسيير جبال مكة وتفجير الأنهار فيها والإحياء، نزل[2]: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شققت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فتسمع أو تجيب؛ لكان هذا القرآن أو لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾: من الهداية والإضلال، ﴿جَمِيعًا﴾: ولما طمع الصحابة حصول مقترحهم طمعا في إيمانهم، نزل: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: يعلم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾: أنه، ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: من سوء الأعمال، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: ليتعظوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: الموت، أو القيامة، أو الفتح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أطلت مدتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أَفَمَنْ﴾: أي: فالله الذي هذه أفعاله، ﴿هُوَ قَآئِمٌ﴾: رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: فيجازي، وحذف خبره وهو: لم يوحدوه وعطف عليه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ أي: له ﴿شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: صفوهم

---

(١) سورة الفرقان.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٨٥/ ١٢٦١٧) والضياء المقدسي في المختارة (٩/ ٥٥٦، ٥٥٧/ ٥٥١) وسنده ضعيف.

فانظروا هل يستحقونها وعلى طريق الكناية الإيمانية نبه على أن لا أسماء لهم فضلًا عن المسمى ﴿أَمْ﴾: بل، أ ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا﴾: شركاء، ﴿لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وما لا يعلم لا يكون، ﴿أَم﴾: بل أتسموهم شركاء، ﴿بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بلا اعتبار معنى كتسمية الظلمة نورًا، وقد يقال: هذا إلزام تقسيمي معناه: أتنبئونه بباطن لا يعلم، أم بظاهر يعلم، فإن قالوا بالأول أحالوا، وإن قالوا بالثاني يقول سموهم ليعلموا أن لا سَمِيَّ ولا شريك له، ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: تمويههم هذا ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الحق، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل[1] وغيره، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: لهم ﴿أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه أو رحمته، ﴿مِن وَاقٍ﴾: حافظ، ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف نحو «فيما يتلى» ومِثل: صفة زيد أحمر[2] ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا﴾: ثمرها ومأكولها، ﴿دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾: كذلك، ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: مآل، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: مؤمنوهم، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: لموافقته لكتبهم[3]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: الكفرة منهم ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾: مما يخالف دينهم، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾: وإنكاركم بعضه ترك لعبادته ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: مرجعي[4]، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإنزال على الرسل بلغتهم ﴿أَنزَلْنَـٰهُ﴾ القرآن حال كونه ﴿حُكْمًا﴾: يحكم بما يقتضيه الحكم، ﴿عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: بكتمان ما ينكرونه، ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بحقيقته[5]، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾: ينصرك، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: من عذابه، فيه تهديد لمزالق[6] العلماء، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: فلم يقولون: لو

---

(١) في (ن): القتل وغيره.

(٢) في البيضاوي: أسْمَر.

(٣) في (ن): لموافقة كتبهم.

(٤) على قراءة: «مآبي» وهي قراءة يعقوب- النشر (٢/ ٢٩٨)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧٠).

(٥) في (ن): تحقيقه.

(٦) في (ن): لمذاهب، وفي (س)، و(ع): مَداهِق.

كان نبيًّا لشغلته النبوة عن النساء[١]، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾: تطلب منه، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: وقت، ﴿كِتَابٌ﴾: حكم يكتب على العباد ما يقتضيه إصلاحهم[٢]، ﴿يَمْحُوا﴾: ينسخ، ﴿اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾: يديم ما يشاء، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: الذي لا يغير، وهو اللوح، أو علم الله تعالى، ويؤيده قول ابن عباس: الكتاب اثنان، كتاب يمحو ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله جلَّ وعَلَا والقضاء المبرم[٣]، والجمهور ومنهم ابن عباس على أن السعادة والشقاوة ومدة الحياة لا تغير، وظواهر الأخبار تنازعه ﴿وَإِن مَّا﴾ صلة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ﴾: العذاب، ﴿الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: لا غير ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾: فلا تستعجل بعذابهم والجزاء، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي﴾: نقصد، ﴿الْأَرْضَ﴾: أرض الكفرة، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: ممَّا[٤] يفتح على المسلمين، ويزيد في دارهم وهو الموعود في: وإما نرينك، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ﴾: رادّ ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: سيحاسبهم قريبًا، ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: بأنبيائهم كهؤلاء، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: كُلُّ مَكْرٍ عِنْدَ مَكْرِهِ كَلَا مَكْرٍ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ﴾ بعد جزاءه، ﴿سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ[٥] لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾: أي: العاقبة الحسنى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: السماوي فإنهم يعرفونه كابن سلام[٦] وسلمان وغيرهما - والله أعلمُ بالصّواب.

❁❁❁

---

(١) الوسيط (٣/ ١٩)، أسباب النزول - للواحدي (٢٧٩) من طريق الكلبي - وهو متروك.

(٢) في (س): استصلاحهم.

(٣) الوسيط (٣/ ٢٠) وانظر بالتفصيل: إفادة الخبر بنصه - للجلال الأسيوطي.

(٤) في (ن): ما يفتح.

(٥) في (ن): الكافر، وهي قراءة. وكتب في الهامش: الكفارُ: حفص - يعني قرأها حفص: «الكُفّار».

(٦) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قد أنزل الله في القرآن: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ﴾. أخرجه الطبري في جامع البيان (١٣/ ١١٨) وسنده ضعيف.



«سورة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام[(١)] : مكية[(٢)]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الٓر﴾: هذا، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾: بدعوتهم إلى مضمونه[(٣)] ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الضلالات، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى، ﴿بِإِذْنِ﴾: بتوفيق، ﴿رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: بدل من: إلى النور، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المستحق للحمد، أفهم بتخصيص الوصفين أنه لا يذل سالكه، ولا يخيب سائله، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هم، ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبون لها، ﴿عِوَجًا﴾: ليقدحوا فيه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾: عن الحقّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾ لُغةِ ﴿قَوْمِهِۦ﴾: الذين هو منهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ما أمروا فيفهموا[(٤)] فيترجموا لغيرهم، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: بعد البيان ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: باتباعه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب فيما أراد[(٥)] ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما فعل[(٦)]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الضلالة ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الهدى ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: وقائعه على الأُمَم من النعم والنقم أو عليهم من نحو فلق البحر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: التذكير، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على بلائه، ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمائه ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(١) كذا في (ح)، و(ن)، وفي (س): عليه السلام، وكذا في (ع).

(٢) في هامش (د): سورة إبراهيم- مكية، اثنتان وخمسون آية، غير آيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ - الآية﴾ وعند البصريين أحد وخمسون ثم الأنبياء كلماتها (٨٣١) في عدد سور القرآن (٢٧٥): (٨٨١)، البيان (١٧١)، البصائر (١/ ٢٦٨) وحروفها (٣٤٣٤) عدد السور القرآن (٢٧٥)، البيان (١٧١).

(٣) يعني مضمون الكتاب.

(٤) في (ن): ليفهموا.

(٥) في (ن): أراده.

(٦) في (ن): يفعل.

إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾: يبغونكم، ﴿سُوٓءَ﴾: أفظع[1] ﴿ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: أفاد بالواو أن العذاب هنا غير الذبح، وهو الاستعباد ونحوه، بخلاف البقرة والأعراف، إذ فسره به، وبالتقتيل، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فسر مرة[2] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم، ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾: بطاعتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: نعمتي، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: نعمتي، ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾: لمن كفرها ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فضرر كفركم عليكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾: عن العالمين، ﴿حَمِيدٌ﴾: يستحق الحمد في ذاته وإن لم يحمد ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من الأمم المكذبة، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: لكثرتهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحات، ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: أنفسهم أو أفواه الرسل، على سبيل المثل في عدم إجابتهم أو إسكاتهم أو غضوها غيظًا ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: على زعمكم، ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: فسر مرة، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى﴾: تفرد ﴿ٱللَّهِ﴾: بالعُبودية، ﴿شَكٌّ فَاطِرِ﴾: مُبدع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾: إلى عبادته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن﴾: بعض، ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: وهو ما بينكم وبينه لا المظالم، وإنما جاء بـ﴿مِن﴾ أينما خاطب الكفرة بخلاف المؤمنين إبقاء للبعض على الاحتمال؛ لئلا يتكلوا على مجرد الإيمان؛ لأن المغفرة إنما جاءت في خطابهم مرتبةً على الإيمان، وفي خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة وترك المعاصي، فيتناول المظالم، وجوَّز ابن الحاجب كون معنى مغفرة كل الذنوب من خواص هذه الأمة وحينئذ فلا إشكال، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: فلا يعاجلكم بالعقوبة، ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ﴾: ما، ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾ دليل ﴿مُّبِينٍ﴾: على فضلكم علينا، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾: ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: جنسًا وصورةً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: كما مَنَّ علينا بالنبوة، أفهم أن النبوة

---

(١) في (س)، و(ع): أفضح.

(٢) في سورة البقرة.

عطائية، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ﴾: لا نستطيع، ﴿أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: مشيئته، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فنتوكل عليه في الصبر على [معاندتكم و]معاداتكم، ﴿وَمَا﴾: أيُّ عذر، ﴿لَنَآ﴾: في، ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: أي: ليثبتوا على توكلهم المسبب عن إيمانهم فالأول[١] للاستحداث، والثاني للتثبيت، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتَصيرنَّ[٢]، ﴿فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: إلى رسلهم، ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ﴾: الوعد، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾: موقفه عندي في القيامة، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: تخويفي[٣]، ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾: طلب الرسل الفتح على أعدائهم ﴿وَخَابَ﴾: خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحقِّ ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾: قدامه، ﴿جَهَنَّمُ﴾: يلقى فيها ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم أو من فروج الزناة[٤]، ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: يتكلف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ﴾: لا يقارب، ﴿يُسِيغُهُۥ﴾: يجوز على حلقه بسهولة ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: أسبابه ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جسده، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: قدامه بعد ذلك العذاب، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: آخر، أي: لا نهاية لأنواع عذابه، ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: فيما يتلى عليكم، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: من نحو إعتاق وصلة[٥]، ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد الريح، فلا ينتفعون بأعمالهم كما لا تبقى ذرة من الرماد، وحينئذٍ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ﴾: أي:

---

(١) يعني: الأمر الأول بالتوكل.

(٢) فالعودُ بمعنى الصيرُورة؛ لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط- تفسير البيضاوي ص٣٣٨.

(٣) على قراءة: (وعيدى) وهي قراءة ورش عن نافع وصلا، ويعقوب وصلا ووقفا- النشر (٢/ ٣٠١)، السبعة (٣٦٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧١)، غيث النفع (٢٦٥).

(٤) الوسيط (٣/ ٢٦)، تفسير الطبري (١٦/ ٥٤٨)، معالم التنزيل (٣/ ٢٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١).

(٥) وصدقة وغير ذلك مما ظاهره فعل بر وخير، فلا يقبل منهم أبدا، لكن يخفف عنهم العذاب يوم القيامة في النار ا.هـ.

ضلالهم مع حسبانهم أنهم على شيء، ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: عن الحق ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: يا محمد، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بما يحقُّ أن يخلق عليه ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾: يعدمكم[1] ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ إذ من قدرعلى خلقها قدر على ذلك، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾: بمتعسر ﴿وَبَرَزُواْ﴾: خرجوا من قبورهم، أتى بالماضي للتحقيق، ﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾: عن عبادة الله من رؤسائهم، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾: في الدين، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾: دافعون، ﴿عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ﴾: الرؤساء اعتذارًا، ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: طريق النجاة ﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾: طريقها، لكن سُدَّ علينا طريقها، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾: هما مستويان ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾: مهرب، فلا ينفع جزعكم هذا ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ ودخل كل منزله من الجنة أو النار، يقُولهُ خطيبًا في الأشقياء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ بنفيها ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾: المنجز، من البعث وغيره، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾: تبين خلفه، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾: تسلط، ﴿إِلَّآ﴾: لكن، ﴿أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ جعل الدعوة من جنس التسلط مبالغة فاستثنى منه، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾: بإطاعتي ومخالفته، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾: مغيثكم، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾: بمغيثي، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ﴾: اليوم، ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾: بإشراككم إياي لله بإطاعتي، ﴿مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ تتمة كلامه ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ والمدخل الملائكة ﴿تَحِيَّتُهُمۡ﴾: من الملائكة ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ ۞ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ﴾ وضع ﴿ٱللَّهُ﴾ ﴿مَثَلٗا﴾: بأن جعل، ﴿كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ التوحيد ونحوه ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾: النخلة[2]، ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾: في الأرض، هي قلب المؤمن ﴿وَفَرۡعُهَا﴾: غصنها وهو صوالح أعماله[3]، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إليه يصعد الكلم الطيب ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾: ثمرها وهي ثواب الله في الدارين

---

(١) في (ن)، و(د): يعذبكم.

(٢) الوسيط (٣/ ٢٩).

(٣) في نسخة (ن)، و(د): وهو صوالح الأعمال.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: دائمًا، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادته، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: إذ فيه زيادة الإفهام، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: كالحنظلة، ﴿اجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: لقرب عروقها، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: كالكفر لا أصل له ولا فرعَ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: الإيمان في قلوبهم كالشجرة الطيبة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: يلقنهم في قبرهم جواب المنكر[١] والنكير، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فلا يلقنهم جوابهما، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: من التثبيت والإضلال، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾: هم كفار قريش كبني المغيرة وبني أمية[٢] ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: أي: شكر نعمته كمحمد وما جاء به، ﴿كُفْرًا﴾: فسلبت عنهم وقحطوا وأسروا وقتلوا ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾: تابعيهم، ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: الهلاك ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: داخلين فيها، ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: المقر هي، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أمثالًا، ﴿لِيُضِلُّوا﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دينه، واللام للعاقبة، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾: بدنياكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ * قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا﴾: ليقيموا أو هو جواب لقل[٣] ﴿الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: إنفاقًا، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: والأحب إعلان الفرض[٤] وإخفاء السنة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيشتري المتروك ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: مودة طبيعية، لكن محبة المتقين المصلين المزكين تنفعهم، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ﴾: جانب ﴿السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) كذا.

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: هم كفار أهل مكة رواه البخاري في صحيحه (٣٩٧٧، ٤٧٠٠).

وعن علي رضي الله عنه قال: هم كفار قريش يوم بدر. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢/ ٣٤٢)، والنسائي (١/ ٦٢٢/ ٦٨٧/ تفسيره)، والطبري (١٣/ ١٤٦)، والحاكم (٢/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٦) وسنده صحيح.

وعن عمر رضي الله عنه قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٧٣)، والطبري (١٣/ ١٤٦)، ورواه الواحدي في الوسيط (٣/ ٣١) من كلام علي رضي الله عنه وسنده ضعيف.

(٣) في (ن)، و(د): قل.

(٤) للتأسي والقدوة.

﴿ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: بإرادته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾: لانتفاعكم، ﴿ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: دائمين في السير لمصالحنا بلا اختيار منهما كالمسخر لنا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾: لسباتكم، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: لمعاشكم، ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: أعطاكم، ﴿مِّن﴾: بعض ﴿كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى، ولكنه أصلح، والمراد السؤال الحالي أي: ما شأنه أن تسألوه لاحتياجكم، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تحصروها، فضلًا عن شكرها، دل على أن المفرد بالإضافة يستغرق ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾: بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ﴾: شديد الكفران، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: مكة، ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾: بعدني، ﴿وَبَنِيَّ﴾: من صُلبي، ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾: دعا لنفسه في مقام الخوف أو قصد به الجمع بينه وبين بنيه ليستجاب ببركته، يا ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾: الأصنام، جعل السبب مكان المسبب كسيف قاطع، ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي﴾: دينًا، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: تقدر على مغفرته، دل على إمكان مغفرة كل ذنب حتى الشرك، إلّا أن الوعد فرق، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: إسماعيل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: لعدم الماء فيها، فهذا دعاء بحصول الماء، ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الذي حرمت التهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: عنده، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾: جمع وفد، أو فؤاد ﴿مِّنَ﴾ أفئدة ﴿ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ﴾: تسرع ﴿إِلَيْهِمْ﴾: شوقًا، ولو قال: أفئدة الناس لا زدحم كلهم[1]، ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: نعمتك ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: فدعاؤنا إظهار لعبوديتك، ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾ للاستغراق ﴿شَيْءٍ﴾: كائن ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: لاستواء نسبته تعالى إلى الكل، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾: في تسع وتسعين سنة، ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ في

---

(١) قال مجاهد: لو قال: أفئدة الناس؛ لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند. * الوسيط (٣/ ٣٤)، معالم التنزيل (٣/ ٣٨)، تفسير الرازي (١٩/ ١٠٨).
وقال سعيد بن جبير: لو قال: أفئدة الناس؛ لحجت اليهود والنصاري والمجوس ولكنه قال: أفئدة من الناس، فهم المسلمون. * الوسيط (٣/ ٣٤).

مائة واثني عشرة، دل على أن دعاءه بعد البناء وزمان الدعاء والحمد مختلف، فإن الدعاء في طفولية إسماعيل، ولم يكن إسحاق حينئذ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ﴾: مجيب ﴿الدُّعَآءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ﴾: مواظبًا على، ﴿الصَّلَوٰةِ وَ﴾: اجعل، ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ مقيمًا بعض لعلمه بكفر بعض بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ كله أو عبادتي[1]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾: كانت أمه مؤمنة وأبوه مرجو الإسلام ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: استعارة من توبته، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾: بإمهاله الظالمين، ﴿غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: أراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على عقيدته، أو أراد بالغفلة تركهم سدى ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أي: عقوبتهم، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ﴾: ترتفع، ﴿فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: لا تقر في أماكنها من هوله، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الحشر، ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: إلى السماء، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: يديمون النظر بلا تحريك الأجفان، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾: خالية عن الفهم أو كالهواء في الاضطراب، ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالشرك ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾: أمهلنا وردنا ﴿إِلَىٰٓ﴾: الدنيا إلى، ﴿أَجَلٍ﴾: حد من الزمان، ﴿قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾: فتقول الملائكة لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾: من أحوالهم وإنكم[2] مثلهم فما اعتبرتم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: غاية لإبطال الحق، ﴿وَعِندَ اللَّهِ﴾: مكتوب، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: فيجازيهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾: في الشدة مهيئا، ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ على حقيقته أو مجاز عن الدين الثابت، وبفتح اللام و «إن» مخففة، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾: من نصرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾: لأوليائه، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾: فتكون من فضة، ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ﴾: غير السموات

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم وورش وأبو جعفر وقنبل وحفص «دعائي».

* إتحاف (٢٧٣)، السبعة (٣٦٣)، غيث النفع (٢٦٦)، النشر (٢/ ٣٠١).

(٢) في (ن): فإنكم.

فتكون من ذهب[١] هذا قول علي - رضي الله عنه - وفي مسلم[٢]: «أن الخلق يومئذ على الصراط» قيل: هي تلك الأرض، وإنما تتغير صفتها[٣]، وقيل: تصير خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت قدمه[٤]، ﴿وَبَرَزُوا﴾: من قبورهم، ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾: الغلَّاب الغير المغلوب[٥] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾: مع مشاركيهم في العمل والعقيدة، أو شياطينهم، ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: الأغلال، لمقارنتهم في الضلال ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: قمصهم ﴿مِنْ قَطِرَانٍ﴾ ما يتحلّبُ[٦] منَ الأبهل[٧]، وهو أسود منتن يطلى به الإبل الجربى[٨] فيخرق الجلد بحدته، ﴿وَتَغْشَى﴾: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾: متعلق ببرزوا ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب ﴿هَذَا﴾: القرآن، ﴿بَلَاغٌ﴾: كفاية في الوعظ، أنزل ﴿لِلنَّاسِ﴾: ليتعظوا ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: بالتأمل في الآيات، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/ ٤١)، زاد المسير (٤/ ٣٧٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٩)، الوسيط (٣/ ٣٧).

(٢) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! أرأيت قول الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط. أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠/ ٢٩/ ٢٧٩١)، الترمذي (٥/ ٢٩٦/ ٣١٢١) و (٥/ ٣٧٢/ ٣٢٤٢)، وابن ماجة (٢/ ١٤٣٠/ ٤٢٧٩)، والدارمي (٢/ ٤٢٣، ٤٢٤/ ٢٨٠٩)، وأحمد (٦/ ٤٠/ ٢٤١٢٤)، والحاكم (٢/ ٣٥٢).

(٣) في (ن): صفاتها.

(٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة». أخرجه البخاري (١١/ ٣٧٩/ ٦٥٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٥١/ ٣٠/ ٢٧٩٢).

وعن سعيد بن جبير قال: «تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه». أخرجه الطبري (١٣/ ٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/ ٤١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٩)، زاد المسير (٤/ ٣٧٦).

أقول: ولا مانع من ذلك؛ تخفيفا على المسلمين في هذا الموقف.

(٥) في (ن): مغلوب.

(٦) يسيل.

(٧) شجر الأرز.

(٨) التي أصابها الجرب- والعياذ بالله.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: العقول السليمة فينزجروا.

❁ ❁ ❁



«سورة الحجر»[1]: مكية[2][3]

لما قال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ ﴾ إلى آخره، بيَّن أنه المكتوب في اللوح المحفوظ فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ﴾: السورة، آياتُ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ﴾: اللوح الجامع لجميع الكائنات، ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾: للرشد من الغي، قدَّمَ الكتاب هنا باعتبار الوجود الخارجي، وأخَّر القرآن في النمل[4] باعتبارعلمنا به ﴿ رُّبَمَا ﴾: للكثرة من استعارة أحد الضدين للآخر مبالغة، ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: حين يجتمعون مع العصاة في النار فيقولون لهم: ما أغنى عنكم الإسلام، فيغضب الله عليهم ويخرج العصاة[5]، ﴿لَوْ ﴾: أن، ﴿كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۞ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾: بدنياهم، ﴿وَيُلْهِهِمُ ﴾: يشغلهم ﴿ٱلْأَمَلُ ﴾: عن الاستعداد للمعاد، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: سوء صنيعهم، نسخت بالقتال ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا ﴾: ﴿وَ﴾ هي، ﴿لَهَا كِتَابٌ ﴾: أجل، ﴿مَّعْلُومٌ ﴾: مؤقت لإهلاكها، ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾: عنه، فسر مرة، ذكَّر وجمع للمعنى ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ استهزاءً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾: القرآن، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۞ لَّوْ مَا ﴾:

---

(١) في هامش (ن): الجزء (١٤).

(٢) في قولهم جميعا- عدد سور القرآن (٢٧٧).

(٣) في هامش نسخة (د): سورة الحجر مكية، تسع وتسعون آية بالاتفاق ثم الأنعام، كلماتها (٦٥٤) عدد سور القرآن (٢٧٧)، والبيان (١٧٣)، القول الوجيز (٢١٨)، البصائر (١/ ٢٧٢) وحروفها (٢٧٧١) البيان (١٧٣).

(٤) القرآن وكتاب.

(٥) يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا «فأمر الله من كان في النا من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۞ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾.

* أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢)، والطبري (١٤/ ٣)، والنسائي (٦/ ٣٧٣) وسنده ضعيف.

هلَّا، ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: ليصدقوك، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فأجاب الله عنه ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا﴾: ملتبسا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالحكمة، ولا حكمة فيه[1]؛ لأنكم تستأصلون، وفي أصلابكم من حكم بإيمانه ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: عن التغيير، فجعلناه معجزة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾: رسلًا، ﴿فِى شِيَعِ﴾: فرق، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا﴾: كان، ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: كقومك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كإدخال الاستهزاء في قلوب هؤلاء، ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾: ندخل الاستهزاء، ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالرسول، ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ﴾: الله في، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: بإهلاك المكذبين، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: فينظروا إلى الملائكة طول النهار ﴿لَقَالُوٓاْ﴾: عنادًا، ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سُدّتْ بالسحر ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: سحر محمد عقولنا كما قالوه في غيره من المعجزات ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا﴾: خلقنا، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: اثني عشر، مختلفة الهيئات والخواص[2] مع وحدة حقيقة السماء، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾: بالنجوم، ﴿لِلنَّٰظِرِينَ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: فلا يقدر أن يطلع على أحوالها ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾: اختلس سرًّا منها، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾: لحقه ﴿شِهَابٌ﴾: شعلة نار ساطعة، ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين، وما ورد أنها بولادة[3] محمد- ﷺ[4]- لا يقدح بكونها قبله لجواز كونها بأسباب أُخر، وورد أنهم منعوا بولادة عيسى عن ثلاث، وبولادة نبينا- ﷺ- عن البواقي[5]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسطناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: جبالًا، ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: في

---

(١) يعني في نزول الملائكة عيانًا؛ لأنها لو نزلت ستنزل على صورة بشر مما يزيدكم لبسًا.

(٢) على ما دل عليه الرصد والتجر به مع بساطة السماء. * أنوار التنزيل (٣٤٥).

(٣) أرسلت على الشياطين لما ولد النبي ﷺ.

(٤) الوسيط (٣/ ٤١).

(٥) هذا مروي عن ابن عباس. * الوسيط (٣/ ٤١)، معالم التنزيل (٣/ ٤٥)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٨/ ٩)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٧١) تفسير الرازي (١٩/ ١٣٤) زاد المسير (٤/ ٣٨٩).

الأرض، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مُقدرٌ بمقتضى[1] الحكمة، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: ما تعيشون به، ﴿وَ﴾: جعلنا لكم، ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾: من نحو العيال الذين تظنون أنكم ترزقونهم ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾: تمثيل لكمال قدرته، شبه قدرته على كل شيء بالخزائن المودعة فيها الأشياء المعدة لإخراج كل شيء بحسب المصلحة، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: اقتضته حكمتنا ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾: حوامل بالماء من السحاب، ثم نُجْريها في السحاب حتى تَدُرَّ كَدَرِّ اللِّقْحة[2] أو بمعنى الملاقح، أي: للشجر، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: جعلناه لكم سُقْيًا، ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ﴾ المطر ﴿بِخَازِنِينَ﴾: بل هو في خزائننا، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: الباقون بعد فناء الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾: من لَدُنْ آدم، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: من سيأتي إلى آخر الدنيا، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: للجزاء، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالكلِّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: آدم، ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يُصوِّت إذا نُقر، أو طين منتن كائن ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: مُصوَّر أو مصبوب أو منتن، ﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجن أو أبليس أو الشياطين، ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾: قبل آدم، ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: الحر الشديد، أو نار بلا دخان، وهي بالإضافة إلى نارنا هذه كالجمد إلى الماء، والحجر إلى التراب، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدَّلت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: إضافة تشريف، والنفخ تمثيل لتحصيل[3] ما يحيى به فيه، ﴿فَقَعُوا﴾: اسقطوا ﴿لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾: تأكيد آخر لزيادة تمكين المعنى أو يفيد معنى الاجتماع، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: فسر مرة ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا﴾: أيُّ غرض،

---

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) اللقحة- بكسر اللام وسكون القاف المثناة - الناقة ذات اللبن، والملاقيح: التي في بطونها أولادها، ومعنى لواقح: التي تلقح النخل، أي: تحمل ريح الذكر إلى الأنثى فتطلع، وضدها العقيم. * عمدة الحفاظ (٤/ ٣٥).

(٣) في (ن): ليحصل.

﴿لَكَ﴾ في ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن﴾: ما صحَّ لي، ﴿لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: ولما تكبر ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: من منزلتك، فسر مرة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ﴾: تلك، ﴿ٱللَّعْنَةَ﴾ المتصلة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ حدَّه به؛ لأنه يناسب أيام التكليف، وأما قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ - الآية[١]، فبمعنى آخر ينسى عندها هذه؛ لأنه أبعد غاية يضربُها[٢] الناس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾: أَخِّر أجلِي، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أراد به أن لا يموت، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: فيه أجلك وهو النفحة فيموت أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أُقسمُ ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾: فسر مرة، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾: المعاصي، ﴿لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصْتهمْ لطاعتك، ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي: تخليصهم عنك ﴿صِرَٰطٌ عَلَىَّ﴾: رعايته، ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا انحراف عنه، أو هذا الإخلاص طريق عليَّ بلا عوج، وقُدِّمَ[٣] أن المخاطبة بواسطة الملك أو نحوه، ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾: كلهم، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ تصديق له، والاستثناء يدفعان اشتراط أقلية المستثني من الثاني للزوم التناقض، إلا أن يجعل الثاني منقطعا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾: الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾: لأنها سبعة أطباق[٤] جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية لكل طبقة باب، وسر حصره انحصار المهلكات في الركون إلى المحسوسات والشهوية والغضبية ﴿لِّكُلِّ﴾: طبقة باب لكل، ﴿بَابٍ﴾: منها، ﴿مِّنْهُمْ﴾: من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ له، لأعلاها عصاة الموحدين ثم اليهود ثم النصارى ثم الصابئون ثم المجوس ثم المشركون ثم المنافقون[٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: يقال لهم:

---

(١) سورة الأعراف.
(٢) يُسافر إليها.
(٣) يعني: تقدم قبل ذلك.
(٤) الوسيط (٣/ ٤٦).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٦٥/ ١٢٣٩٥) عن الضحاك.

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾: سالمين أو مُسلَّمًا عليكم ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من الزوال، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾: حقدٍ دنيوي، أو تحاسد على درجات الجنة، ﴿إِخْوَانًا ﴾: في المودة، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾: لا ينظر بعضهم قفا الآخر لدوران الأسِرَّة بهم، ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾: تعب، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ لم يقل: أني أنا المعذب؛ لرجحان رحمته، ونبه بذكر المغفرة أنه لم يرد بالمتقين من يتقي كل ذنب[1] ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴾ نُسلّم عليك ﴿سَلَامًا قَالَ ﴾ إبراهيم بعد رد سلامهم: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾: خائفون، وفسر في هود، ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾: إسحاق، ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾: بالولد، ﴿عَلَىٰ ﴾: مع، ﴿أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴾: وهو محال، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾: فإنه كبشارة بغير شيء، ﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾: بما يكون لا محالة، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴾: الآيسين، ﴿ قَالَ ﴾: إبراهيم، ﴿وَمَن ﴾: لا، ﴿يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾: أي: هذا مني لم يكن قنوطًا بل استبعادًا عاديًا، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾: شأنكم الذي أرسلتم له ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾: علم أن إرسالهم ليس لمجردها[2]؛ إذ يكفيها واحد كما في عيسى ويحيى، ولأنهم ذكروها في أثناء كلامهم لإزالة الوجل، ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾: قوم لوط، ﴿ إِلَّا ﴾: لكن، ﴿ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾: الباقين مع الكفرة لتهلك معهم، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾: أنكركم مخافة شركم، قالوا: ما جئناك بالشر، ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا ﴾: أصحابك، ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾: يشكُّون من العذاب، ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ فَأَسْرِ ﴾ اذهب في الليل[3]، ﴿بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ ﴾: في طائفة، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾: سر خلفهم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ

---

(١) في (ن): كل الذنوب.

(٢) البشارة.

(٣) من السرى وهو السير ليلا.

﴿أَحَدٌ﴾: إلى وراءه إذا سمع الصيحة، ﴿وَامْضُوا﴾: إلى، ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: وهو الشام[١]، ﴿وَقَضَيْنَا﴾: أوحينا، ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾: مُبهمٌ يُبيِّنُهُ: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾: أي: يستأصلون ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ سدوم[٢] قرية لوط، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بأضيافه طمعًا فيهم، ذكر القصة في هود بترتيب الوقوع وهنا أخر ذكرهم عن قول الرُّسل: بل جئناك، مع تقدمه ليستقل الأول ببيان كيفية[٣] نصرة الصابرين، والثاني: بمساوئ الأمم ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: بفضحهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تخجلون ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ﴾: أن تخبر أحدا من ﴿الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: تزوجوهنّ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: قضاء وطركم، فسر مرة، ﴿لَعَمْرُكَ﴾: حياتك يا محمد قسمي ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، المضارع لاستحضار عمههم، أو هذه معترضة في قريش ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: الهائلة من جبريل، ﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلين في وقت شروق الشمس أي: طلوعها، والإشراق: إضاءةٌ فيها فامتد[٤] من طلوع الصبح إليه، ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾: عالي قراهم ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾: فسر مرة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفرسين[٥] ﴿وَإِنَّهَا﴾: تلك المدينة، ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾: طريق، ﴿مُقِيمٍ﴾: تسلكونه وترونه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ﴾: إنه، ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: شَجرةٌ بقرب مدين، وهم قوم شعيب[٦]، أهلك الله أهل الأيكة بالظلة، وأهل مدين بالصيحة، ﴿لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: كما مر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ سدوم والأيكة، ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: طريق، ﴿مُبِينٍ﴾: واضح، تسلكونها، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾:

---

(١) وهو مروي عن ابن عباس. * الوسيط (٣/ ٤٨)، معالم التنزيل (٣/ ٥٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٠)، روح المعاني (١٤/ ٦٩).

(٢) الوسيط (٣/ ٤٨)، غرر التبيان (٢٩٨).

(٣) في (د): ببيانه كبقية.

(٤) كذا في (ح)، و(س)، و(ع). وغير واضحة في (ن).

(٥) سقطت من: (ع).

(٦) غرر التبيان (٢٩٨)، المعارف (٤٢)، معالم التنزيل (٣/ ٥٥)، الجامع القرطبي (١٠/ ٣١)، روح المعاني (١٤/ ٧٥)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٢)، فتح القدير (٣/ ١٤٠).

واد بين المدينة والشام، وهم ثمود، كذبوا صالحا فكأنهم كذبوا المرسلين كما مر، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾: كالناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: فاستدلوا[١] على صدقهم ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾: من عذاب الله، ظانين أنها تمنع، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾: داخلين في الصباح، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾: دفع عنهم العذاب، ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: من البيوت[٢] وغيرها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا ﴾: خلقًا ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ ﴾ فَمَا يَدُوْمُ الشّرور[٣] [والفساد][٤] ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾: فننتقم من المكذبين، ﴿فَاصْفَحِ ﴾: أعرض عنهم، ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾: بلا جزع، نُسخت بالقتال، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ ﴾: لكل شيء، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل حال، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ﴾: الآيات الفاتحة ﴿الْمَثَانِي ﴾: بيان للسبع من التثنية أو الثناء[٥] كما مرَّ في الفاتحة، ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾: عطف الكل على البعض ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾: لا تنظر نظر راغب ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾: أصنافا، ﴿مِّنْهُمْ ﴾: من الكفار واستغن بالقرآن، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾: إن لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾: تواضع، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾: كناية عن حسن التدبير والإشفاق من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها إليه، ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾: البين بعذاب، ﴿ كَمَآ ﴾: كعذاب، ﴿أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾: الإثنا[٦] عشر الذين اقتسموا مداخل مكة في الموسم ينفرون الناس عن محمد- ﷺ- فأهلكوا يوم بدر وفيه نظر[٧]؛ لأن السورة مكية، فالأولى أن يجعل المقتسمين المتقاسمين على إهلاك صالح والمتخالفين[٨] مع الأنبياء بجعل مفعول التدبر: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾

---

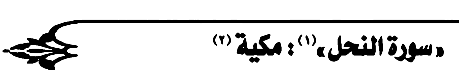
(١) في (ن): ما استدلوا.
(٢) في (ن): الذنوب.
(٣) في (ن)، و(س)، و(ع): فما يديم الشرور.
(٤) ما بين المعكوفتين من تفسير البيضاوي.
(٥) في (د): والثني.
(٦) في (د): الإثني.
(٧) بل لا يصح؛ لأنه من تفسير مقاتل وهو متروك - الوسيط (٣/ ٥٢).
(٨) كذا.

أجزاء كهانة وسحر أو نحوه والله تعالى أعلم، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: ومنه اقتسامهم، وأما قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ ﴾ إلى آخره، ففي موقفٍ آخر، وهو الاستعلام، وهذا للتوبيخ، ﴿ فَٱصْدَعْ ﴾: اجهر ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾: به من الشرائع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾: خمسة[1] كانوا يُؤذون النبي - ﷺ- فأهلكوا سريعًا، ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: عاقبتهم ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: من الطعن في دينك، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾: قُلْ: سبحان الله وبحمده، أي: نزِّهه عن مقالتهم حامدا على ما أعطاك، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾: المُصلين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ ﴾: دائمـا، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾: المـوت المتـيقن اللُّحـوق لكـل. واللهُ أعلـمُ بالصّواب، وإليْه المرجعُ والمآب.

۞۞۞

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن المستهزئين « الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة- وهو الأسود بن عبد المطلب-، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، قال: كلهم قتل ببدر بموت أو بمرض، والحارث بن قيس وهو من العياطل. » أخرجه الطبري (١٤/ ٥١)، والطبراني (١١/ ٩٣، ٩٤/ ١١٢١٥).

«سورة النحل»[١]: مكية[٢]

لمَّا منعهُ عن ضيق الصدر، استعجالًا للنصر وعذابهم الموعود قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَتَىٰ﴾: تحقَّق وقوعًا ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: وعده من القيامة وغيرها، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: أيها المشركون، فإنه واقع، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْ﴾ مشاركة ﴿مَا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾: جبريل، ﴿بِالرُّوحِ﴾: بالوحي المحي للقلوب، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: بأمره، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَنذِرُوا﴾: اعلموا، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة، ﴿تَعَالَىٰ عَن﴾ مشاركة ﴿مَا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ﴾: حين استقلّ، ﴿خَصِيمٌ﴾ لربه ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر الخصومة، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما يُدْفِئُ ويقي من البرد، ﴿وَمَنَافِعُ﴾: بالنسل وغيره، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أفاد بالتقديم أن الأكل من الصيد والطير كالتَّفكُّهِ مع مراعاة الفاصلة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردونها إلى مراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها إلى المرعى، قدَّم الإراحة؛ لأن الجمال فيها أظهر لملء بطنها، وَدَرِّ ضَرْعِهَا، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالكم، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: بلا أنعام، ﴿إِلَّا بِشِقِّ﴾: بمشقة ﴿الْأَنفُسِ﴾: فضلًا عن أن تحملوها على ظهوركم إليه، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: برحمته خلقها لكم، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾: اللام للتمكين نحو: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾[٣] ﴿وَزِينَةً﴾: للزينة، غير الأسلوب لسعتها.

* **تنبيه**: الاستدلال على حرمتها[٤] بترك ذكر أكلها في معرض الامتنان مع ذكر

---

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة النحل - مكية، مائة وثمان وعشرون آية بالاتفاق غير أربع آيات ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ﴾، و﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر السورة كلماتها (١٨٤١) البيان (١٧٥)، والقول الوجيز (٢٢٠) وحرفهما (٧٧٠٧) البصائر (١/ ٢٧٨).

(٣) سورة يونس.

(٤) يعني الخيل.

أدنى النعمتين مدفوع بأنها معظم منافعها عُرفًا لا أكلها بخلاف النعم، وذكر أغلب المنافع دَأب[١] اختصارات القرآن، على أنه صَحَّ في الصحيحين حل الخيل وأن الآية مكية، وحرمة الحمير الأهلية عام خيبر[٢]، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ﴾: بيان المستقيم من جنس، ﴿السَّبِيلِ وَمِنْهَا﴾: بعض السبيل ﴿جَائِرٌ﴾: مائلٌ عن الحق، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: إلى قصد السبيل، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾: إذ العيون منه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: قيل: هو كل نباتٍ ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعون أنعامكم، قدمه على الزيتون وما بعده؛ لصيرورته غذاء حيوانيًا، وهو أشرف الأغذية، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾: بالماء، ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ﴾: بعض، ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: إذ كلها إنما توجد في الجنة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: على كمال قدرته، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾: هيَّأ لمنافعكم ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ﴾: أي: نفعكم بها حال[٣] كونها ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ أو تسخيرات أو أنواعا من التسخير، ﴿بِأَمْرِهِ﴾: بتقديره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الحيوان والجماد، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أشكاله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: أن اختلاف طباعه وأشكاله مع اتحاد مواده إنما هو بصنع حكيم عليم، أفرد آية هنا ليطابق ما ذرأ وإن كثر ما صدقه، وكذا في الأول؛ لأن الاستدلال بإنبات الماء واحد، وجمع في الثاني؛ لأن الاستدلال فيه متعدد، وجعل العقل فيه والفكر في الأول؛ لأن دلالات العلويات ظاهرة، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السَّمك، خصه به؛ لأنه أرطب[٤] اللحوم، واستدل به مالك على حنث من حلف لا يأكل اللحم فأكله[٥]، ورد بأن مبنى

---

(١) عادة.

(٢) عن جابر ﵁ أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل» أخرجه البخاري (٥٥٢٠) ومسلم، (١٩٤١)، وأبو داود (٣٧٨٨) وللعلائي: «توفية الكيل لمن حرم لحوم الخيل» ا.هـ.

(٣) في (ن)، و(د): حين.

(٤) في (ن): رطب.

(٥) الجامع - للقرطبي (١٠/ ٥٧).

اليمين على العرف، وإطلاقه لا يفهمه فيه كركوب الكافر فيمن يحلف لا يركب دابة مع تسمية الله إياه بها، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ تلبسها[١] نساؤكم لكُمْ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء أي: تشقه بصدرها أو المخر صوت جريها[٢] أو مواقر ﴿فِيهِ﴾ أي: مثقلات فيه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: سعة رزقه، حيث تركبونها للتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جبالًا ﴿رَوَٰسِىَ﴾: ثوابت كراهة، ﴿أَن تَمِيدَ﴾ تميل ﴿بِكُمْ﴾ ﴿وَ﴾: جعل فيها، ﴿أَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾: طُرُقًا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: تستدل[٣] بها السابلة[٤] كالجبال والتلال، ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بجنسه ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: في البر والبحر، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: من شركائكم، وأصله عكسه لكن شنع به على أن[٥] جعلوه تعالى كمخلوق عاجز ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعرفون فساده، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: فكيف بشكرها؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يعاقبكم بتقصيركم في شكرها ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، ﴿وَ﴾: الآلهة، ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: دفع بالوصف وهم المجاز والمآل إليه كالنطفة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: وقت بعثهم، والإله حيٌّ علام الغيوب ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: تنتجه[٦] الحُجج[٧]، ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: لا تتأمل في الحجج ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن اتباع الرسل، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: مُطلقًا فضلاً عنهم، ونزل في نضر بن الحارث[٨]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾

---

(١) في (ن): يلبسها.

(٢) عمدة الحفاظ (٤/ ٧٧).

(٣) في (ن): يستدل.

(٤) المسافرون في السبل وهي الطرق.

(٥) في (ن): أنهم.

(٦) في (ن): نتيجة.

(٧) الأدلة العقلية والنقلية ا.هـ.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٨١/ ١٢٥٠٤) عن قتادة قال: إن أناسا من مشركي العرب =

سألهم الحجاج الواردون: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾: على محمدٍ ﴿قَالُوٓاْ﴾: ما زعم نزوله، ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: لا مُنزلٌ من اللهِ ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ﴾: اللام العاقبة، ﴿أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ﴾: بعض، ﴿أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ حال من المفعول أي: جاهلين بأنه ضلال، نبّه بالقيد على وجوب البحث والتمييز بين المحق والمبطل ثم الاقتداء به، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: فعلهم ﴿قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: لهدم بناء دين الله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: أي: أمره[1] ﴿بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ﴾ جِهَةِ ﴿ٱلۡقَوَاعِدِ﴾: التي بنوا عليها، ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: هذا مثل لتدميرهم أو في صرح نمروذ وانهدامه عليهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنَّ نمرُوذ إذ بنى الصرح ليصعد إلى السماء[2] طولها[3] خمسة آلاف ذراع، فألقت الريح رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته[4] ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾: بالنار، ﴿وَيَقُولُ﴾: توبيخًا، ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ﴾: تخالفون المؤمنين، ﴿فِيهِمۡ﴾: في سبيلهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ ممن كان يدعوهم إلى الهدى شماتة، ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾: العقاب ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾: انقادوا بملائكة العذاب قائلين، ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾: كفر، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰٓ﴾: عملتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: كل صنف لبابه، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ منزل ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن عبادته جهنم، ﴿وَقِيلَ﴾: القائل الحُجَّاج[5] ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ﴾: أنزل، ﴿خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾: حياة طيبة، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾: لهم، ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾

= كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله ﷺ فإذا مروا سألوهم فأخبروهم بما سمعوا من النبي ﷺ فقالوا: إنما هو أساطير الأولين.

(١) تأويل، والمعنى ظاهرٌ.

(٢) ويحارب أهلها بزعمه.

(٣) يعني المسافة.

(٤) الوسيط (٣/ ٦٠)، معالم التنزيل (٣/ ٦٦)، تفسير القرطبي (١٠/ ٦٥)، روح المعاني (١٤/ ١٢٥).

(٥) جمع حاج - تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٢/ ١٢٥١٠)، تفسير الرازي (٢٠/ ٢٠)، الوسيط (٣/ ٦١)، تفسير القرطبي (١٠/ ٦٦).

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾: ويشتهون، ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: الجزاء، ﴿يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾: طاهرين من الظلم أو فرحين، ﴿يَقُولُونَ ﴾: الملائكة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾: لا يلحقكم بعد مكروه، ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾: حين تبعثون أو الآن، كذا صح في الحديث[1]، ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾: ما ينتظر الكفار، ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾: القيامة أو العذاب المستأصل ﴿كَذَٰلِكَ ﴾: الفعل من التكذيب، ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾: بتعذيبهم، ﴿وَلَٰكِن ﴾: جزاء ما، ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ بعملهم ما استحقوه به ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ أي: وبالها ﴿وَحَاقَ ﴾ أحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾: استهزاءً؛ لأنهم لم يعتقدوا قبح أعمالهم ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾: أن لا نعبد غيره، ﴿مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾: من نحو البحائر، ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾: فُسِّر مرة في الأنعام، ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾: الظاهر لاهتدائهم ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ﴾: بأن، ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾: الأوثان[2]، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾: إن لم يوفقهم، ﴿فَسِيرُواْ ﴾: يا قريش، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ممَّن قبلكم ﴿ إِن تَحۡرِصۡ﴾: يا محمد، ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ ﴾: فلا نفع فيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ﴾: يريد ضلاله، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾: بإنجائهم، ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ ﴾: أغلظ، ﴿أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ ﴾: يبعثهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ ﴾: إنجازه، ﴿حَقّٗا ﴾: مصدر إن مؤكد لنفسه ولغيره، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: أنهم يبعثون ببعثهم، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾: لمن يبعث، ﴿ٱلَّذِي

---

(١) يعني أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وقد سبق بيان هذا.

(٢) بل كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت قال المسلمين: وليس هذا تفسير لموضوع اللفظ، بل أطلق عليه مبالغة، وأصل الطاغوت مصدر بني على «فعلوت» مبالغة كالملكوت والرغبوت، وأصله: طغووت أو طغيوت، فقلبت الكلمة بأن أخرت عينها إلى موضع لامها، ولا مها إلى موضع عينها فصارت طغيوتا أو طيغوتا فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت الفاء، فوزنه بعد القلب: «فلعوت» وقيل: هو فعلوت. * عمدة الحفاظ (٢/ ٤٠٧/ طغو).

﴿يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: وهو الحق، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾: في حلفهم: «لا يبعث الله»، ثم بين وضوح إمكانه بقوله، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾: أي: إيجاده، ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن﴾: احدُثْ ﴿فَيَكُونُ﴾: فيحدث بلا حاجة إلى مادة ومدة، فكيف وله مادّة؟ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: لوجهه، ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾: بالإيذاء وغيره، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لننزلنهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: تبوئة، ﴿حَسَنَةً﴾: بتمكينهم في البلاد حاكمين على العباد ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: منه لهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: الكفار لوافقوهم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الأذى ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: فكيف يقولون: الله أكبر من أن يكون رسوله بشرًا، وأفهم أنه لم يُبْعَثْ امرأة ولا ملك يوحى إليهم، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: الكتابين، ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: دَلَّ على وجوب مراجعة العلماء فيما لا يعلم، أرسلناهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات، ﴿وَالزُّبُرِ﴾: الكتب، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القُرآنَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: فيه برسالتك ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيه فيهتدوا، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: في صد الصحابة عن الإيمان ﴿أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ﴾: جهة، ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: بمجيئه منه، كقتلهم في بدر[1]، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: في المعاش ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: الله، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: تَنقُّص، بأن ينقصهم شيئًا فشيئًا حتى يستأصلوا، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يعاجلهم بعقوبته، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: بيان ما ﴿يَتَفَيَّأُ﴾: يتميل ويدور ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ﴾: يمين الفلك، أي: شرقيه كما في أول النهار والتوحيد[2] للفظ ما، والجمع لمعناه كتوحيد ضمير ظلاله والجمع في ﴿وَالشَّمَائِلِ﴾: وما بعده غربيه ويعني بها كما في آخر النهار، أو هما جانبا كل شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله، ﴿سُجَّدًا﴾: منقادين، ﴿لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: ذليلون تحت قدرته ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: ينقاد ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾: والدبيب: الحركة الجسمانية فيشملهما وغلب بما ما لا يعقل لكثرته،

---

(١) في (ن)، و(د): ببدر.

(٢) يعني قوله: «ظلاله»، فقد قرئ: «ظِلُّهُ».

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أسند بعطفه من يجعلهم مُجرَّدين[١]، وردَّ بأنه خصهم تعظيمًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادته ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾: أن ينزل عليهم عذابًا[٢] (من فوقهم)، أو وهو فوقهم بالقهر، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: به، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: وصفه به تنبيهًا على أن مساق النهي إليه أو أن الإثنينية تنافي الإلهية كما نبَّه بقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: على أن المقصود إثبات وحدته أو أنَّ الوحدة من لوازمها وإنما الله الإله الواحد، ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: لا غير، ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطاعة[٣]، ﴿وَاصِبًا﴾: دائما؛ فإنه المستحق للعبادة، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا﴾: أيّ شيء اتَّصلَ ﴿بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالدعاء، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا۟﴾: واللام للعاقبه أو أمر تهديد، ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من النِّعم ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبتكم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا﴾: لآلهتهم الذين، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنهم جماد، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: فيقولون: هذا لله بزعمهم- إلى آخره كما مر، ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ توبيخًا ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من إشراكها، ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: يثبتون يعني: كنانة وخزاعة، ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾: أي: الملائكة مع كراهتهم البنات، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهه منها، ﴿وَلَهُم﴾: خير، ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: البنون أو تقديره: ويجعلون لهم ولا يلزم ذكر النفس إذ الفعل ما وقع على الجاعلين نحو: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ﴾، و: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ﴾: صار، ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: كنايةً عن شدَّة الغمِّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مَمْلُوءٌ من الغيظ على المرأة ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يختفي، ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: مُحدثًا نفسه ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾: يخفيه، ﴿فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: في هذه النسبة إليه تعالى، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلسَّوْءِ﴾: النقص ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: فهو المتعالي عن كل نقصٍ ﴿وَهُوَ

---

(١) يعني: أرواح مجردة، وهذا من فاسد الكلام.

(٢) هذا تأويل غير سديد، والصحيح علو الله على خلقه.

(٣) قال السمين: والدين: الشريعة، والدين: الملة، لكن الدين يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة، وقوله: «وله الدين واصبا» أي: الطاعة. * عمدة الحفاظ (٢/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٣).

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: المنفرد بكمال الحكمة والقدرة[١] ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا﴾: على الأرض بقرينة ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾: بشؤمهم، أضاف الظلم إليهم باعتبار الأكثر، فلا يلزم دخول الأنبياء ولا بُعْدَ في إهلاك البرئ مع الظالم بشؤمه كما وقع في كثيرٍ من الأمم، أو المراد: دابة ظالمة أو لأنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وقت موتهم ليتوالدوا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾: فسر مرة، ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ﴾: لأنفسهم، كالبنات وشركاء الرئاسة[٢]، ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾: وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: الجنة هو قولهم: و«لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى»[٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾: مقدمون إليها، ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: فأصرُّوا عليها، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: ناصرهم، ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: في الدنيا، أو يوم القيامة، لا ناصر لهم، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: في الآخرة، ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس، ﴿ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: فترشدهم إلى الحق، ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾: فسر مرَّةً، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾: سماع تدبر، ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ﴾: اعتبارًا، ﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾: ذكره وأفرده للفظه، فإنه اسمُ جمع وأنثه[٤] في المؤمنين[٥] للمعنى أي: جمع لصحة وقوع الجنس مقام الجمع، ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾ ثفلٌ في الكرش ﴿وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا﴾: من لون الدم ورائحة الفرث، ﴿سَآئِغٗا﴾: سهل المرور في الحلق، ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: والبينيَّة مجازيَّة؛ لأنَّ ما في المعدةِ: ثفل الفرث وصفوه يَهْضِمهُ الكبد ثانيًا فيحدث أخلاطًا أربعة معها: مَائِيَّة، فالقوة[٦] المميزة تدفعها بما زاد من المرتين إلى الكُلْيَةِ والمرارة والطحال، ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسب حِصَصها وفي الأنثى تزيد أخلاطها على قدر غذائها لغلبة

---

(١) في (ن)، و(د): القدرة والحكمة.
(٢) في (ن): الرياسة.
(٣) سورة فصلت.
(٤) بطونها.
(٥) سورة المؤمنون.
(٦) في (ن): بالقوة.

برودتها ورطوبتها فيندفع الزائد أولًا إلى الرحم للجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع، فيبيضُّ بمجاورة لحومها الغددية البيض فتصير لبنًا[(١)]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ ﴿وَمِن﴾ أي: بعض، ﴿ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ﴾: من ذلك البعض أو من جنسها كما مر ﴿سَكَرٗا﴾: خَمرًا، وهذا نزل قبل تحريمها[(٢)]، ﴿وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾: كالدبس[(٣)]، وقيل: السكر ما شربت، والرزق: ما أكلت، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في النظر فيهما ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ إلهامًا ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾: التأنيث لمعنى الجمع أو بلغة الحجاز، ﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾: عجز عنها حُذّاقُ المهندسين إلا بآلات وأنظار دقيقة[(٤)]، ﴿وَمِنَ﴾: بعض، ﴿ٱلشَّجَرِ﴾: بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾: يبنون لها، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: التي تشتهيها، ﴿فَٱسۡلُكِي﴾: ادخلي، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: التي ألهمك في عَمَل العَسَل، أو الرعي حَال كون السبل أو كونك، ﴿ذُلُلٗا﴾: مُنقادةً لك أو لأمره، جمع ذَلُول، ولذا يُقسِّمُ يعسوبها[(٥)] أعمالها بينها، فبعض يعمل الشَّمع، وبعض يعمل العسل، وبعض يبني البيوت، وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت، فسبحان من أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾: على[(٦)] هذا يؤيد القول بأنه قيئه، وأما من قال إنه أجزاء طلية تلتقطها بالفم وتدخرها فيؤول[(٧)] البطنُ بالفمِ ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: بياضًا[(٨)] وغيره، ﴿فِيهِ شِفَآءٞ﴾: عظيم، ﴿لِّلنَّاسِ﴾ في البلغمي بنفسه وفي غيره مع ضمِّه أو تنكيره للبعضية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صُنْع الله[(٩)]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ﴾ آخِر ﴿ٱلۡعُمُرِ﴾: الهرم والخَرَف،

---

(١) أنوار التنزيل (٣٦٠).

(٢) أحد مراحل تحريمها.

(٣) عسل التمر.

(٤) في (ن)، و(د): وأنظارها.

(٥) الذكر من النحل - وانظر: نحل عبر النحل - للعلامة المقريزي صـ١٢ فهو من أمتع الكتب في ذلك ا.هـ.

(٦) في (ح) عسل.

(٧) وهو الصحيح - والله أعلم.

(٨) فللعسل أنواع وألوان مختلفة.

(٩) انظر: البرهان في دلالة خلق الإنسان والحيوان على وجود الصانع الرحمن - للعلامة المناوي =

روي أنّ قاريء القرآن لا يرد إليه[١]، وقيل: هو في الكافر ويؤيده آخر التين[٢]، ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: فيصير كالطفل في الفهم، أفهم أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير [قادرٍ حكيم] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بصنعِه، ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يشاء، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: لحكمة[٣] ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾: في الرزق، ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي: لا يعطون رزقهم مماليكهم، ﴿فَهُمْ﴾: المماليك والموالي، ﴿فِيهِ﴾: في الرزق، ﴿سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: بإنكار أمثال هذه الحجج بعدما أنعم بإيضاحها، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ﴾: جنس، ﴿أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ﴾: تَركَ البنات؛ لكراهتهم[٤] لها والمقام للامتنان، ﴿وَحَفَدَةً﴾ أولاد أولاد، أو البنات، وقيل: الربائب؛ لسرعة خدمتهن، إذ الحافد المسرع في الخدمة، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلذات، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾: الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: بإضافتها إلى غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: تملكه، أفرد[٥] ثم جمع[٦] للفظ والمعنى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا﴾: لا تجعلوا، ﴿لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فتقيسوه عليها؛ فإنّ ضرب المثل تشبيه حال بحال أو: لا تضربوا له المثل بحالٍ[٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾: فساد ضربكم أو ضربها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، وعلى الثاني: فيه إشارة إلى أن الأسماء توقيفية[٨] فضرب مثلاً لمن عبد دونه ومثلا لنفسه فقال، ﴿ضَرَبَ﴾: جعل، ﴿اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾: لآخر[٩] ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ

= (٤٨/ بتحقيقي).

(١) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا.

* الوسيط (٣/ ٧٣) روح المعاني (١٤/ ١٨٨)، زاد المسير (٤/ ٤٦٨)، فتح القدير (٣/ ١٧٩).

(٢) ثم رددناه أسفل سافلين.

(٣) في (ن): والحكم، وفي (د): والحكمة.

(٤) الأولى أن يقال: قدّم البنين؛ لأنهم الأصلُ.

(٥) يملك لهم.

(٦) يستطيعون.

(٧) يعني: مطلقًا.

(٨) أسماء الله وصفاته توقيفية على الصحيح، فلا يشتق لله أسماء وصفات إلا ما أخبر هو عن نفسه سبحانه ا.هـ.

(٩) في (س): كالأجير!!!.

﴿شَيۡءٖ﴾: من التصرف، لا كالمأذون، هذا مثل الأصنام، وقيل: مثل كافر لم يقدم[1] خيرًا، ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًا﴾: مثلٌ له تعالى، وقيل: للمؤمن[2] فإنه كالحر يعمل بنفسه لله تعالى، ﴿هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾: جنسهما، أي: العبيد والأحرار، ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ كلُّه ﴿لِلَّهِ﴾: فقط ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: ذلك، فيعبدون غيره، ﴿وَضَرَبَ﴾: جعل، ﴿ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾: وُلِدَ أخرس، ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾: من الصنائع، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل، ﴿عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾: أفهم أنه مملوك، ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: سيده، ﴿لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾: هذا مثل الأصنام أو الكفار، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن﴾ هو منطيقٌ رشيد، ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ﴾ نفسهُ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: أينما توجه بلغَهُ، هذا مثله تعالى أو للمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ﴾: عِلْمُ ما غاب في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ﴾: قيام، ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: سرعة وسهولة، ﴿إِلَّا﴾: كما يقولون فيه هو[3]، ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفله، ثم قال تعالى: ﴿أَوۡ﴾ بل ﴿هُوَ أَقۡرَبُ﴾ في السرعة، وعلى هذا لا يردُ أنَّ (أو) للشك، و«بل» للرجوع عن الإخبار وهما محال على الله تعالى، وكذا نظائره، نحو «مائة ألف أو يزيدون[4]»، «أو أشد قسوة[5]» أي: كونوا فيها على هذا الظن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: ومنه بعثهم ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ﴾: أنشأ، ﴿لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾: أي: أدوات معارفكم الجزئية والكلية، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: بصرفها في المعارف كما بيَّنه بقوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾: مُذلَّلات للطيران بما خُلق له من الأجنحة، ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: هذا العلو، ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾: فيه، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: فإن ثقلها بلا علاقة ودعامة يقتضى سقوطها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: الخلق والتسخير والإمساك، ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾: مسكونًا موضعًا تسكنونه

---

(1) في نسخة (د): يقدر.

(2) في (ن)، و(د): للمؤمنين.

(3) في (ن): حزرًا.

(4) سورة الصافات.

(5) سورة البقرة.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وما عليها من الشعر، ﴿بُيُوتًا﴾: كما لأكثر العرب، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجدونها خفيفة، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: ترحالكم[1]، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: حَضَركم، أو وقت نزولكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ للضأن، ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: للإبل ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾: للمعز ﴿أَثَٰثًا﴾: أمتعة لبيوتكم كالفرش ﴿وَمَتَٰعًا﴾: ما يتجر به، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: مُدَّةً مديدةً ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الشجر ونحوه ﴿ظِلَٰلًا﴾: تستظلون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمع كِنٍّ[2]، ما يستكنُّ فيه كالغار ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: ثيابًا[3]، ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: اكتفى بأحد الضِّدين[4]؛ لأهميته عندهم ﴿وَسَرَٰبِيلَ﴾: للحرب كالدروع، ﴿تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: حربكم من الطَّعْنِ ونحوه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الخلق، ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: بخلق ما تحتاجون إليه، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تنظرون فيها و﴿تُسْلِمُونَ﴾: تنقادون لحكمه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الإسلام (فـ) أنت معذورٌ، ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: بأنها منه، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بالإشراك، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: وأقلهم الجاهلون بأنها منه، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: رَسُولها الشاهد عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في الاعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطْلَبُ منهم إرضاء الله؛ لأنه ليس يوم عمل ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ﴾: في جهنم، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلونَ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا﴾: غَيظًا على آلهتهم ودُنْياهُم ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ بل عبدتم أهواءكم، ﴿وَأَلْقَوْا﴾: الكُفَّار ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: استسلموا لحكمه، ﴿وَضَلَّ﴾: ضاع، ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من نصرة آلهتهم، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) سفركم، وفي (س): مرحًا لكم.

(٢) بكسر الكاف وتشديد النون الموحدة.

(٣) في (د): تقايا.

(٤) إذ كان معلوما أي: والبرد.

﴿ٱلْعَذَابِ﴾: الذي استحقوه بكفرهم، وهو عقاربُ أنيابها كالنخل الطوال[1]، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾: بضلالهم وإضلالهم، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: نبيهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾: يا محمدُ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أمتك، ﴿وَ﴾: قَدْ ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾: بيانًا بليغًا، ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: يحتاجون إليه في الدين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: للجميع، وإنما يُحرم من فرّطَ ﴿وَبُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: فقط هذه الآية كبيان لكون القرآن تبيانًا تفصيلًا أو إجمالًا بالإحالة إلى السُّنَّة أو القياس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: بالتوسط في الاعتقاد، كالتوحيد لا التعطيل والتشريك وفي العمل كالتعبد لا البطالة والترهب وفي الخلق كالجود لا البخل والتبذير، ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: في العمل، أو إلى كلِّ الخلق، ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: صلة الرَّحم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: ما غلظ من المعاصي كالزنا والمنكر شرعًا، ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: الظلم، خصه اهتمامًا، أو الأول الإفراط في متابعة القوة الشهوية، والثاني: إثارة القوة الغضبية، والثالث: الاستعلاء على الناس، وهو مقتضى الوهمية ولا شرّ فيها[2] إلَّا بواسطة أحد منها[3]، ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تنتبهون، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: ببيعة[4] الإسلام أو مطلقًا، ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: بذكر الله، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهدًا حيث حلفتم به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من النقض، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾: في نقضها، ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾: ما غزلته، ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: إحكامها له وقيل: حال كون غزلها، ﴿أَنكَٰثًا﴾: جمع نِكْث[5] أي: طاقات من نكث[6] أي: حل فتلها، وهي مكية حمقاء قيل: اسمها ريطة بنت سعد القرشية كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه[7]،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥٥) موقوفا على عبد الله بن مسعود وسنده ضعيف.

(٢) في النفس.

(٣) أي: لا يوجدُ من الإنسان شرٌّ إلَّا وهو مندرج في هذه الأقسام. * البيضاوي (٣٦٤).

(٤) في (ن)، و(د): بيعة الإسلام.

(٥) بكسر النون الفوقية الموحدة وسكون الكاف، كـ«حِمْل»، و«أحمال».

(٦) كذا في جميع النسخ.

(٧) غرر التبيان (٣٠٤)، مقحمات الأقران (٢٨)، تفسير الطبري (١٤/ ١٦٦)، المحرر الوجيز =

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا﴾ دَغَلًا[1] وغرورًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾: وأصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه بسبب، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾: أكثر عددًا، ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: أخرى كانوا إذا حالفوا قبيلة أو وجدوا قبيلة أخرى أقوى حالفوها وغدروا الأضعف، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يختبركم، ﴿اللَّهُ بِهِ﴾: بالأمر بالإيفاء أو بكونهم أربى لينظر: أتفُون أم لا، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا بالمجازاة، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: متفقة في الدين، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: لحكمة، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: للمُجازاة، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾: مكرًا، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: في كل حال ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾: أي: أقدامكم عن محجة الإسلام، ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: عليها، وَحَّدَ القدم ليدل على الأقدام من باب أولى، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: عذاب الدنيا، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾: غيركم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فإنَّ من نقضَ البيعَة وارتدّ جَعَلَ ذلكَ سُنّةً لغيرِهِ ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ كله ﴿ثَمَنًا﴾: عرضًا[2] من أعراض الدنيا ﴿قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾: من الأجر، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: منه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِندَكُمْ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَنفَدُ﴾: ينقضي، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على طاعته، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ﴾ بجزاء أحسن مِن ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أو أرجى كالواجبات أو بمعنى حسن، ﴿مَنْ عَمِلَ﴾: عملًا ﴿صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: برزقٍ حلالٍ، أو قناعة، أو الجنة، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: لنعطينهم، ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كما مرّ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أَرَدْتَ قِرَاءَتَه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ﴾ وسوسة ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أمْر ندْبٍ، يدل على استحباب تكرارها في الركعات، أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بهذه الصيغة، رَوَى رسول الله ﷺ عن جبريل - عليه السلام

= (١٠/ ٢٢٦)، ترويح أولي الدماثة (١/ ٢٧٦)، الكشاف (٢/ ٤٢٦) زاد المسير (٤/ ٤٨٥)، القرطبي (١٠/ ١٧١).

(١) فسادا.

(٢) في (س)، و(ن): عوضًا.

عن القلم عن اللوح[1] والمراد: قلم نسخ به من اللوح ونزل به جبريل إلى السماء الدنيا، فإنّ القلم الأعلى مقدم الرتبة على اللوح ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾: تسلط، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾: يطيعونه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: بالله، ﴿مُشۡرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: بالنسخ ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: من الصَّالح ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾: على الله، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: حُكْمَ الأحكام ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريل، ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالحكمة[2]، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: على إيمانهم، فإنهم يعلمون أن في النسخ مصالحُ ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ وَلَقَدۡ﴾: للتحقيق، ﴿نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾: أى جَبْرٌ الرومي[3] غُلامُ عامر بن الحضرمي، ﴿لِّسَانُ﴾: لغة، ﴿ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ﴾: يميلون[4]، ﴿إِلَيۡهِ﴾: أنه يعلمه، ﴿أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: في علمه ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: فيتفوهون بأمثاله، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾: حقيقة أكد بالتكرار وإن وغيره مقابلة لـ «إنما أنت» ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾: على كلمة الكفر ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: خبر من محذوف دلّ عليه ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾: نفسًا، ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ذَٰلِكَ﴾: الكفر أو[5] الغضب،

---

(١) رواه مسلسلا بقراءة البسملة بالاستعاذة:
السخاوي في الجواهر المكللة (٣٦/ ١٩٩/ الكتانية)، و (٣٦/ ٣٠٠، ٣٠١/ الفتح)، والواحدي في الوسيط (٣/ ٨٣، ٨٤)، واللنكاتي في الآيات المفضلات (٤١/ ١٤٩)، والأيوبي في المناهل السلسلة (٥٤/ ١٤٣) والسندى في حصر الشارد (٢/ ٥٦٩/ ١٢١٥) ولا يصح مسلسلا.

(٢) في (ن): بالحكم.

(٣) أخرجه الطبرى في جامع البيان (١٤/ ١٢٠)، وبحشل في تاريخ واسط (٤٩، ٥٠، ٩٩)، والواحدى في أسباب النزول (١٩٠)، وفي الوسيط (٣/ ٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٩، ١٦٠/ ١٣٨)، وسنده صحيح.

(٤) في (ن): تميلون، وهو مبنيٌّ على قراءة: «تلحدون».

(٥) في (ن)، و(د): و.

﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا﴾: اختاروا، ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: في علمه تعالى، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ﴾: ختم، ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾: عن فهم الحق وسماعه وإبصاره، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾: حقيقة، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾: لتضييعهم[1] فطرتهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: أي: لَهُم لا عليهم، أو خبره محذوف دلّ عليه خبر إنّ الثانية، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾: عُذّبوا ليرتدوا كعمَّار[2]، ﴿ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا﴾: على المشاق لله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعد الثلاثة، ﴿لَغَفُورٌ﴾: ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: ذاتها لخلاصها، فالنفس الأولى لمجموع الذات وصاحبها، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: في أجرهم، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾: جعلها مثلاً لمن أنعم عليه فكفر بنعمته[3] فنزل[4] به نقمة، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾: كمكّة، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعج أهلها الخوف[5] ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: قوتها، ﴿رَغَدًا﴾: واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: بترك طاعته، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾: فقحطوا سبع سنين بدعاء النبي[6] ﷺ، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾: من سطوة سرايا المسلمين، فالذوق مستعار لإدراك أثر الضرر[7] واللباس لما غشيهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾: نسبًا، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: المذكور، ﴿وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون، ﴿إِنَّمَا

---

(١) في (ن)، و(د): بتضييعهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٨) من طريق الواقدي والواقدي متروك، وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/ ١٢٤) وسنده ضعيف.

(٣) في (د): نعمته.

(٤) في (ن): فبدل.

(٥) في (د): خوف.

(٦) قال فيهم النبي ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» وفي رواية: «اللهم اشدد وطأتك على مضر».

(٧) في (د): الضرورة.

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: الآن ﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: وبواقي المُحَرَّمات حرمت بعدها بالسنة[(١)]، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:[(٢)] بُيِّن مرَّةً، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾: أي: لا تقولوا، ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: بقولكم: «ما في بطون هذه الأنعام[(٣)].... إلخ»، لوصف ألسنتكم الكذب، وهذا مبالغة في كذبهم، كأن حقيقة الكذب مجهولة توصف وتعرف بكلامهم، ﴿لِّتَفْتَرُوا﴾: اللام للعاقبة، ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا ينجون، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: في الدنيا، ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: في الأنعام، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بالتضييق بتحريمه، ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: فاستحقوه مَرَّ بيانه، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: حالهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: بعد التوبة، ﴿لَغَفُورٌ﴾: لذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: مأمومًا[(٤)] مقصودًا للناس بالتحية مؤتمًّا أو لكثرة فضائله، كأنه أمة، ﴿قَانِتًا﴾: مطيعًا، ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾: وإنما جاز اتباع الأفضل المفضُول لسبقه القول بالحق والعمل به مائلًا عن الباطل، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعمت قريش[(٥)]، ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: القلائل[(٦)] فكيف بكثيرها، ﴿اجْتَبَاهُ﴾: بالنبوة، ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: في الدعوة إليه، ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: بنحو نبوة أولاده وتحبيبه إلى الخلق، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الكاملين في الصَّلاح؛ اعتناءً به في الصَّلاح ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ﴾: بأن، ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: في المناسك والعقائد، وأكثر الفروع كما هو حال كونه ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) بل وبالقرآن أيضًا ا.هـ.

(٢) في (د): فسر مرة.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) في (ن): مأمونًا.

(٥) وكذا اليهود والنصاري وكانت قريش تزعم أن إبراهيم - عليه السلام - يستقسم بالأزلام ولما دخل النبيُّ ﷺ الكعبة عام الفتح فوجد المشركين قد رسموا إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام فقال ﷺ: «كذبوا، والله ما استقسما بالأزلام قط».

(٦) فـ«أنعُم» جمع قلّة لـ«نعمة».

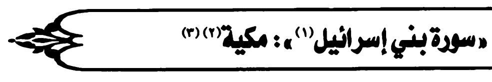
﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعمت[1] قريش، ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فرض تعظيمه، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: أي: اليهود، إذ أمروا بتعظيم الجمعة كما هو ملة إبراهيم فقال أكثرهم: نريد السبت؛ إذ فرغ الله فيه من الخلق وأطاع شرذمة منهم فلمَّا أمروا بالسبت ما أطاع إلّا تلك الشّرذمة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بالمجازاة، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالدليل الموضح للحق أو القرآن، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: القول اللين، أو مواعظ القرآن، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ بالطريقة[2] التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: رفقًا، فالأول لخواص الأمة والثاني لعوامها، والثالث للمعاندين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: فما عليك إلا البلاغ، وهذا قبل أمر القتال، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: فإنه من الحكمة والمجادلة الحسنة، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: وعفوتم، ﴿لَهُوَ﴾: للصبر، ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾: من الانتقام، ﴿وَٱصْبِرْ﴾: يا محمد على المشاق، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بتوفيقه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على الكفرة، أو على المؤمنين بما فعل بهم، ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾: ضيق صدر، ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ ٱللَّهَ﴾: بالمعونة، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾: المعاصي، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: في أعمالهم معك- والله أعلَمُ بالصّوابِ وإليه المرجعُ.

❁❁❁

---

(١) في (ن): زعَمَ.

(٢) في (ن): بالطريق.



«سورة بني إسرائيل[1]»: مكية[2][3]

قيل إلّا قوله: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾... إلى ثمان آيات.

لَمَّا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾... إلى آخره» بَيَّنَ قرب سيد المتقين والمحسنين فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: أُسبِّحُ ﴿سُبْحَٰنَ﴾: أي: تسبيحًا وهو التقديس والتنزيه والتبعيد من السوء في الذات والصفات والأفعال والأسماء والأحكام من سَبَّحَ في الماء وقَدَّس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد، يصدر به لتنزيه فاعل ما بعده عن النقائص وحاصله: ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص ولذا لا يستعمل إلا فيه[4] -تعالى- ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: الباء للتعدية لأنه بمعنى سرى، وذكّر، ﴿لَيْلًا﴾: المفهوم من أسرى ليفهم بتنكيره تقليله، أي: في بعضه، ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: في الحِجْر ببدنه[5] في اليقظة بعد البعثة، وكان قبلها في المنام كما أنه رأى فتح مكة في سنة ست[6]، وتحقّق سنة ثمان، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾: بيت المقدس، إذ لم يكن يومئذ وراءه مسجد، وهو مسافة ثلاثين يوما عادة، ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾:

---

(١) كذا في جميع النسخ عدًا (ع) ففيها: سورة الإسراء، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة، ثم: الجزء (١٥).

(٢) وقال الحسن: إنها مكية إلا خمس آيات: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ﴾، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، وعن ابن عباس وقتادة: غير ثمان آيات نزلن بالمدينة في خبر وفد ثقيف وفي اليهود حيث جاءت إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى آخر الآيات الثمان. * روح المعاني (١٥/ ٢)، النكت والعيون (٣/ ٢٢٣)، زاد المسير (٥/ ٣)، عدد سور القرآن (٢٨٧).

(٣) في هامش (د): سورة الإسراء مكية- مائة وإحدى عشر آية، وعشر عند البصريين إلا ثمان آيات ﴿ وَإِن كَادُوا۟ ﴾... الخ- ثم يونس كلماتها (١٥٣٥) في عدد سور القرآن (٢٨٩): ١٥٣٣، البصائر (١/ ٢٨٨): ١٥٦٣، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣) وحروفها (٦٤٦٠) عدد سور القرآن (٢٨٩)، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣)، البصائر (١/ ٢٨٨).

(٤) يعني في حقّه تعالى.

(٥) أما الإسراء فوقع مرة واحدة بروحه وجسده ﷺ وأما المعراج فمرة بروحه وجسده، وما لا يحصى بروحه كما يدل عليه مجموع الأحاديث.

(٦) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

ببركات الدين والدنيا، ثم منه إلى سِدْرة المُنتهى كما صح في الحديث[١]، وإنما نقله إليه أولًا ليخبر الناس من صفاته فيصدقوه في الباقي، ولأنه مجمع أرواح الأنبياء ومحشرُ الخلائق فيحصل[٢] لهم وله بركتهُ، وإنَّما قالَ: حوله؛ لأنَّ الأشجار والأنهار ليس إلَّا حوله أو؛ لأنه الأصل ففيه أولى وعكسه لا يفيد بركات ما حوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: عَجائب السَّماوات والأرض، قال ﷺ[٣]: «رأيت ربي عز وجَلَّ»[٤] رواه الحاكم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال المصدِّقين والمكذبين، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بهم فيجازيهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ﴾: الكتاب، ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا﴾ بأنْ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: تكلون أُموركم إليه[٥]، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الحَمْد فاقتدوا به، ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا، ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الشَّام بالمعاصي، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أولهما[٦] قتل زكريا، أو شِعْيا، وآخرهما حبس أرميا، أو قتل زكريا ويحيى، ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾: لتستكبرنَّ أو لتظلمن ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: عقاب، ﴿أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾: بختنصر بتشديد الصاد[٧] عامل لهراسف[٨] على بابل مع جنوده أو جالوت وجنوده، ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ﴾: قُوَّة ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟﴾: ترددوا لطلبكم، ﴿خِلَٰلَ﴾: وسط ﴿ٱلدِّيَارِ﴾: للقتل والسَّبي ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾: لأنه قضاء مبرم، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدولة والغلبة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: بعد مائة سنة، بتسليط دانيال على جنود بَخْت نَصْر، أوْ دَاودُ على جالوت،

---

(١) انظر: الابتهاج - للنجم الغيطي (٤٥) ففيه معظم الروايات.

(٢) في (ن): فيصلُ.

(٣) في (ن): عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨٥)، و (١/ ٢٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٣/ ٢٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٩٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٤٦٦)، والسنة (٤٣٣).

(٥) في (ن)، و(د): يكلون أمورهم إليه.

(٦) كذا في (ن)، و(د).

(٧) بخت نصر: بسكون الصاد وفتح النون الموحدة، وأما تشديد الصاد فخطأ، ويُدعى: نابوخذنصر - لعنه الله -.

(٨) في (د): لهراسم، وفي (ن): لفراسف، وفي (س): لهم آسف!!!.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: حتى عدتم كما كنتم، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: جمع نفر، أو: هو من ينفر معك من قومك، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾: بالطاعة، ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ ﴿فَلَهَا﴾: عليها، ذكر اللام ازدواجا أو مثل ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، و ﴿لِلْجَبِينِ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ عُقُوبة المرَّة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾: بعثناهم، ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: ليهينوكم بالقَتْل والسَّبْي، أو سادتكم، ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾: الأقصى[1] ويخربوه[2]، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وخربوه، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: يهلكوا، ﴿مَا عَلَوْا۟﴾: ما استولوا عليه، أو مُدة عُلوهم ﴿تَتْبِيرًا﴾: فسلط عليهم جوْذر[3] ملكٌ من ملوك الفرس، أو بخت نصر، فعملوا بهم كالأول، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾: يا بني إسرائيل، ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: بردُّ الدولة إليكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى المعصية، ﴿عُدْنَا﴾: إلى العقوبة، فعادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسُلِّطَ عليهم بالقتل وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحْبسًا أو بساطًا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾: للطريقة التي، ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾: أسدُّ الطرق ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَيَدْعُ﴾: الله، ﴿ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾: عليه وعلى أهله في غضبه، أو يدعوهُ بما يحسبه خيرًا وهو شرّ ﴿دُعَآءَهُۥ﴾: كدعائه، ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾: بالدعاء بلا ملاحظة ما له، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: تدُلّان[4] على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: هو المحو[5] الذي على القمر أو انتقاص نوره إلى المحاق ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: مضيئة أو بينة، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾: فيه، ﴿فَضْلًا﴾: أسباب مَعَاشكم، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بهما، أو بآية الليل، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: ولا تكرار إذ العَددُ موضوع الحساب، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: تحتاجون إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بيناه بلا التباس ﴿تَفْصِيلًا ۞ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عمله، أو ما قُدِّر له ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾: كلزوم الطوق لا ينفك

---

(١) انظر: نور المسرى في شرح آية الإسراء - لأبي شامة (٨٠)، وزوال العُسْرى من تأليفي (١/ ١٢٣).

(٢) في (ن): ويخربونه.

(٣) وقيل: حردوش أو خردوس - أنوار التنزيل (٣٧١). وفي (ن): جوذر.

(٤) في (د): يدلان.

(٥) في (د): المحق.

عنه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ ذكر بتأويله شَخْصك ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ، مُحاسبًا، وهذا في غير موقف يحاسبهم بنفسه[1]، حيث قال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: نفعه، وضره لا يتعديانه، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾: حاملة، ﴿وِزْرَ﴾: نفس، ﴿أُخْرَىٰ﴾: بُيِّنَ في الأنعام، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: فلا يؤمن به، فمن نشأ حيثُ لم يسمع برسول فمعذور ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا﴾: أَمْرًا قدريًا، ﴿مُتْرَفِيهَا﴾: مُنعَّميها[3] بالفسق أو كثرناهم، أو جعلناهم أُمَراء[4]، أو أمرناهم بالطاعة، فلا ينافي إنّ الله لا يأمر بالفحشاء وتخصيصهم على الأول؛ لأنهم أسرع إلى الحماقة والفجور وغيرهم يتبعهم ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾: كلمة العذابِ ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا﴾: استأصلناها، ﴿تَدْمِيرًا﴾: ومضى حكم الساكتين عن نهيهم في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾...[5] الخ، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾: هو أوَّل من كذبوه، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾: ببواطنها، ﴿بَصِيرًا﴾: بظواهرها، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾: بطاعته، ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا فقط كالمنافقين، فلا يفهم أن من لم يزهد فيها يكون من أهل النار، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾: تعجيله له، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا﴾: مهانا، ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطرودا، ﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾: اختار ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾ على الدنيا، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: حق سعيها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الجامعون للثلاثة ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾: مُثابا عليه ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾: بنحو الرزق والعافية، أعني، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المريدين للدنيا، ﴿وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: المريدين للآخرة، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: في الدنيا، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: مَمنوعًا عن الكلِّ في الدنيا، أي: قدرالرزق لا مقادير الأملاك، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ

---

(١) في (د): لنفسه.

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) في (ن)، و(د): متنعميها.

(٤) بتشديد الميم المفتوحة «أمَّرنا» وهي قراءة عاصم وأبي عمرو والسدي، وابن عباس وأبي عثمان النهدي وغيرهم. * الحجة لأبي زرعة (٢١٤)، الكشاف (٢/ ٤٤٢).

(٥) سورة الأنفال.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: غنًى وصحّةً وغيرهما، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: فاعتنوا بها، ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أراد به أمته ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾: فتصير، ﴿مَذْمُومًا﴾: من الخلق، ﴿مَخْذُولًا﴾: من الله تعالى، أفهم أنَّ المُوَحِّدَ مَمْدُوحٌ منصور[١] ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمر ﴿رَبُّكَ﴾: أمرًا قطعيًا ﴿أَلَّا﴾ بأن، ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾: أن تحسنوا، ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا﴾: صلة، ﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾: قُيِّدَ[٢] به؛ لأنه الغالب، ولأن الكلية فيه أظهر، ﴿الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾: مَصدر للتضجُّر بمعنى: قبحًا، أي: فكيف بما فوقه ولذا نهى النبيُّ ﷺ حذيفة عن قتل أبيه وهو في صف المشركين[٣] ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ لا تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلًا ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: تذلل لهما وضمهما إليك ضم الطير فرخه بجناحه، والإضافة بيانية، أي: جناحك الذليل، ﴿مِنَ﴾: فرط ﴿الرَّحْمَةِ﴾: عليهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾: رحماني، حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: من قصد البرّ، ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين الصَّلاح ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ التوابين أو الرجّاعين إلى طاعته، ﴿غَفُورًا﴾: ما فرط عنهم، ﴿وَآتِ﴾: أعْطِ منَ الصِّلةِ والبرّ ﴿ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: هو[٤] تفريق المال في غير حقٍّ شرعيّ، والفرق بينه وبين الإسراف أنه تجاوز في الكمية، وهذه تجاوز في موقع الحق والمراد هنا المعنيان ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ﴾: أمثال أو أتباع، ﴿الشَّيَاطِينِ﴾[٥]: شرارةً ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: كثير الكفر فلا تتبعوه، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: أي: أن تعرض عن المستحقين المذكورين، ﴿ابْتِغَاءَ﴾:

---

(١) والكافر والمشرك مخذول مهزوم مذموم ملعون فاللهم انصرنا على المشركين وأتباعهم في مصر وخارجها دفعا وطلبا آمين.

(٢) في (ن): قيده.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد - باب: الوفاء بالعهد، وأحمد (٥/ ٣٩٥) والمستدرك (٣/ ٣٧٩) وقُتِل اليمان والد حذيفة شهيدا في أحد، قتله بعض الصحابة غلطا - رواه البخاري (٧/ ٢٧٩) وابن سعد (٢/ ٤٥).

(٤) التبذير: التفريق، ومنه بَذَرْتُ الحب في الأرض، أي: فرقته فيها، وأصله من إلقاء البذر في الأرض وطرحه فيها فاستعير لكل مضيع ماله، والتبذير في العرف: السفه، وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ النهي في الحقيقة لأمته، وإنما خاطبه؛ لأنه هو سيد خلقه. * عمدة الحفاظ (١/ ١٧١/ بذر).

(٥) أي: أمثالهم في الشرّ.

لانتظار، ﴿رَحْمَةٍ﴾: رزق، ﴿مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أن يأتيك فتعطيهم ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: لينا بالدعاء أو[1] الوعد لهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: عن[2] غاية الإمساك، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: بالبذل، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ﴾: تصير، ﴿مَلُومًا﴾: بالبخل في الأول، ﴿مَّحْسُورًا﴾: مكسورًا نادمًا في الثاني، ويستثنى المتوكل حق التوكل كما يدل عليه سَوْقُ الكلام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: يعلم سرهم وعلنهم واستحقاقهم وعدمه[3]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾: فاقة، قد مرَّ بسطهُ في الأنعام ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾: مطلقًا، ﴿كَانَ خِطْئًا﴾: ذنبًا ﴿كَبِيرًا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ قيده بالقرب؛ ليدخل مقدماته ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: سبيله، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتله، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو أحد ثلاث كما في الحديث[4]، والمراد ما يقصد به القتل فلا يرد دفع الصائل[5]؛ لأنه يقصد به الدفع ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: غير مستوجب للقتل، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: وارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطًا على القاتل بالقتل والدية والعفو، ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: الوليُّ ﴿فِّي الْقَتْلِ﴾: بارتكاب مالا يجوز في المكافأة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾: نصره الله تعالى حيث[6] أمر بإعانته، أو[7] المقتول منصور بقصاص قاتله والثواب، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾: فضلاً عن التصرف فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالطريقة[8] التي، ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: بلوغه وبُيِّنَ في الأنعام، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: مطلقًا، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: عنه فيعاقب ناكثه، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾: بلا بخس، أفهم أن الكيل على البائع، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾:

---

(١) في (ن)، و(د): و.

(٢) في (ن): مِنْ.

(٣) ليست في (ن).

(٤) يشير إلى حديث: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، و التارك لدينه المفارق للجماعة». أخرجه البخاري (٩/ ٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٢).

(٥) المتعدي على الأموال والأعراض.

(٦) في (ن)، و(د): حين.

(٧) في (د): و.

(٨) في (د) بالطريق.

الميزان، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: العدل، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: لا تتبع بنحو التقليد والرجم بالغيب ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: اعتقاد راجح من سند قطعي أو ظني فلا يدل على منع اتباع الظني[1] ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ كل هذه الأعضاء ﴿كَانَ عَنْهُ﴾: عن نفسه أي: عما فعل به، ﴿مَسْـُٔولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: اختيالًا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لشدة وطأتك، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: بتطاولك ورفع رأسك ونَصْب عُنقكَ، فكيف تختال وهذا تهكُّمٌ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ﴾: وهم خمس وعشرون خصلة أمرًا ونهيًا (كَانَ سَيِّئَةً) من سيئاته[2]، وقرئ ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ خبر كان، بإرادة منهياته ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مبغوضًا غير مرضيّ وإن كان مراده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأحكام ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ أراد أمته، ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾: من الحقّ والخَلق، ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطرودا، ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: خصَّكم، يا مَنْ تصفونه تعالى باتخاذ البنات، ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بناتا ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيَّنَّا مكرَّرًا هذا المعنى، ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التصريف[3] ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: عن الحق، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾: لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: بالمغالبة كما للملوك، أو بطاعته لعلمهم بقدرته، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهًا له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ وصف العلو بالكبر مبالغة في النزاهة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾ مضت نكتة إفرادها ﴿وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ﴾: ملتبسا، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: فيقول: سبحان الله وبحمده، فلا يسمعها إلا الكُمَّلُ كالنبيِّ وبعض الصحابة، وجمهور السلف على أنه على ظاهره[4] وقيل: الظاهر جعل التسبيح أعَمّ

---

(١) الظن: الاعتقاد الراجح مع استعمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك.

* التوقيف (٤٩٢)، المفردات (٤٧٢)، تعريفات ابن الكمال (١١١).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: «سَيِّئَةً».

* إتحاف فضلاء البشر (٢٨٣)، السبعة (٣٨٠)، غيث النفع (٢٧٣)، النشر (٢/ ٣٠٧).

(٣) في (ن)، و(د): التصرف.

(٤) وهو الصحيح وانظر: تحفة الأحباب في منطق الطير والدواب- لابن طولون (٥/ ٢٩٠/ بتحقيقى- ضمن مجموعة).

من الحالي والمقالي؛ لإسنادِهِ إلى مَا يتصوّرُ منهُ وإلى مَا لا يتصوّر، وعند المتأخرين: لكُلِّ شيء تَسبيح بلسان الحال وهو دلالته على صانع واحد، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾: أيها المشركون، ﴿تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾: لا يعاجل بعقوبتكم، ﴿غَفُورًا﴾: لمن تاب، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: مطلقًا أو ثلاث آيات مشهورات من النَّحْل والكهف والجاثية، ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا﴾: لا يرونك[1] ﴿مَّسْتُورًا﴾: عن الحس وبعد نزولها كان المُؤذون يمرُّون عليه ولا يرونه عند القراءة، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموهُ ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: يمنعهم عن استماعه، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾: بلا ذكر آلهتهم، ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: نفرة من التوحيد، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾: إليك، ﴿بِهِۦٓ﴾: بسببه، وهو الهزؤ والتكذيب، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ﴾: ذوو ﴿نَجْوَىٰٓ﴾: يتناجون بالتكذيب، ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: يقولون، ﴿إِن﴾: مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: سُحِرَ فجُنّ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: مَثلوك بمسْحُور ومجنون وغير ذلك ﴿فَضَلُّوا۟﴾: عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: إلى طعن بوجه، ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: دليلا على جنونك، ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾: بعد الموت، ﴿عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: كما تزعم[2]، ﴿قُلْ كُونُوا۟﴾: أمر استهانة أو تسخير، ﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾: في الصَّلابة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾: يعظم، ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: إحياؤه فإنه يُحْييكُمْ بقدرته، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إذا كنَّا حجارة أو حديدا ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وهو أعظم، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: تكذيبا، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾: فإن ما هو آت قريب، اذْكُر ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: ربكم من قبوركم، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: دعوته أي: تُبعثون[3]، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بأمره أو حامدين ولا ينفعكم بل ينفع المؤمنين، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾: للهول، ﴿إِن﴾ مَا ﴿لَّبِثْتُمْ﴾: في الدنيا أو البرزخ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَقُل لِّعِبَادِى﴾: المؤمنين، ﴿يَقُولُوا۟﴾: ليقولوا في محاوراتهم الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بلا غلظةٍ، كقولهم للكفار: أنتم أهل النار ﴿إِنَّ

---

(١) في (د): يرونكم.
(٢) كذا في (ن)، و(د).
(٣) كذا في (ن)، و(د).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يُفسدُ ﴿بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾: ظاهر العداوة ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ﴾: بإنجائكم من أذى الكفار، ﴿أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾: بتسليطهم، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾: مَوْكولًا إليك أمرهم، ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: فيختار من يشاءُ لما يشاءُ فلا تستبعدوا من اصطفاء يتيم أبي طالب ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: بالفضائل النفسانية فقط كمحمد عليه- ﷺ- كما أشار إليه بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾: المكتوب فيه: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1]، أي: أمة محمد ﷺ، ونهي التفضيل محمول على مجرد العصبية، فإن محمدًا أفضل، ثم إبراهيم ثم موسى عليهم الصلاة والسلام- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾: لكشف، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾: ألوهيتهم، كعيسى والملائكة، ﴿مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾: لا يستطيعون، ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾: بالكلية، ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: تبديلا من حَوَّلْتُ القميص قباء؛ فإن كشف الضر تبديله بالعافية، فلا يرد أن تحويلا مستدرك، فإن من لا يملك كشفه لا يملك تحويله عنه إلى غيره، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ﴾: أي: يبتغي الذي هو، ﴿أَقۡرَبُ﴾: منهم إليه الوسيلة بالطاعة فكيف بغيره، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾: فكيف يستحقون الألوهية، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾: حقيقًا بأنْ يُحذر عنه، ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: بالموت ﴿أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾: إن بقيت إلى يوم القيامة[2] الأول في قُرى المؤمنين، والثاني في قُرى الكافرين، كذا عن بعض السَّلف[3] ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اللَّوح ﴿مَسۡطُورٗا﴾ في الأزل ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ﴾: مجازٌ عن ترك إرسال الرسول، ﴿بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ المقترحة لهم بجعل الصَّفا ذهبًا[4]، ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا﴾:

---

(١) سورة الأنبياء.

(٢) في (ن)، و(د): إلى القيامة.

(٣) هو مقاتل - الوسيط (٣/ ١١٣)، معالم التنزيل (٣/ ١٢٠)، تفسير الرازي (٢٠/ ١٨٦) ومقاتل متروك.

(٤) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، قال الله عز وجل: «إن شئت آتيناهم ما سألوا، فإن كفروا؛ أهلكوا كما أهلك من قبلك، وإن شئت نستأني بهم لعلنا ننتج منهم» فقال: لا، بل استأني بهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا =

بالآيات المقترحة لا هذه ﴿ٱلْأَوَّلُونَ﴾: وقومك مثلهم طبعا، فلو أرسلنا لاستُؤصلوا بتكذيبها لما مر بيانه وفي أصلابهم من يؤمن ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾: بسؤالهم آية، ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، ﴿فَظَلَمُوا۟﴾: كفروا، ﴿بِهَا﴾: فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿وَمَا نُرْسِلُ﴾: الرسول، ﴿بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ القرآنية و[1] المعجزات، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: من عذابنا، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: فهم تحت تصرفه فَخوِّفهم ولا تخف منهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾: في المعراج وعلى اليقظة فهي بمعنى الرؤية، ﴿ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾: اختبارا، ﴿لِّلنَّاسِ﴾: إذ ارْتدَّ كثير بإنكاره وزاد إيمان آخرين، ﴿وَ﴾: ما جعلنا ﴿ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾: المؤذية أو المبعدة عن مكان الرحمة أو المذمومة، وهي شجرة الزقوم[2]، ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: إلَّا فتنة للناس، فقال بعضهم: نار وقودها الناس والحجارة كيف تنبت فيها شجرة رطبة[3]؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التخويف، ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾: عتوًّا، ﴿كَبِيرًا﴾: ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: فسر مرة، ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: من طين ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أخبرني عن ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾: فضَّلتهُ ﴿عَلَىَّ﴾: والله، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: أخرت مماتي، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: بإغوائهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ علم سهولته من قول الملائكة[4]: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إلى آخره[5]، أو من خلقه ذاوهم في شهوةٍ وغضب ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾: امض لما قصدت، ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: أنت معهم حال كونه ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: مكملا، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استخفّ ﴿مَنِ

= مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾. أخرجه أحمد (١/ ٢٥٨)، والنسائي (١/ ٦٥٥/ ٣١٠)، والبزار (٣/ ٥٦/ ٢٢٥/ كشف) والطبرى (١٥/ ٧٤)، والحاكم (٢/ ٣٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١)، والضياء في المختارة (١٠/ ٧٨، ٨٠/ ٧١، ٧٢) وسنده صحيح.

(١) سقطت الواو من (ن).

(٢) الوسيط (٣/ ١١٤)، غرر التبيان (٣١٠).

(٣) الوسيط (٣/ ١١٤)، معالم التنزيل (٣/ ١٢٢)، تفسير القرطبي (١٠/ ١٨٤)، روح المعاني (١٥/ ١٠٦)، البحر المحيط (٦/ ٥٥).

(٤) في (ن)، و(د): الملك.

(٥) سورة البقرة.

﴿ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾: أن تستفزه، ﴿بِصَوۡتِكَ﴾: بدعائك بنحو الغناء وكل داع إلى المعصية، ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم﴾: صِحْ[1] عليهم لسوقهم ﴿بِخَيۡلِكَ﴾: فرسانك في المعاصي، ﴿وَرَجِلِكَ﴾: ورجالك فيها، حاصله: تصرف فيهم بكل ما تقدر، والأمر تهديدي أو قدري، ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾: بجمع الحرام والإنفاق فيه، ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾: ببعثهم على الزنا وقبائحهم وإضلالهم ونحوه، ﴿وَعِدۡهُمۡ﴾: الأباطيل كالاتكال على كرامة الآباء، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو تزيين الخطأ بما يوهم الصواب، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: المخلصين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞ﴾: تسلط، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾: يُجْري ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: من الرزق وغيره، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾: برحمته سخَّرها لكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: خوف الغرق، ﴿ضَلَّ﴾: عن خاطركم كل ﴿مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: تعالى، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾: من الغرق، ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾: عنه، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ بالسجية ﴿كَفُورًا﴾: للنعم[2]، ﴿أَ﴾: نجوتم من البحر ﴿فَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾: أي: تقلبه وأنتم عليه، إذ البحر والبر عند قدرته سواء ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾: مطرا فيه الحجارة، أو ريحا ترمي بالحصباء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾ ينجيكم ﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ﴾: في البحر، ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا﴾ كاسِرًا ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: يكسر كل ما يمر عليه، ﴿فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾: بكفركم، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾: تابعا[3] يطالبنا بانتصار أو صرف ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: بحسن الصورة والعقل والنطق وغيره ﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ﴾: على الدَّواب ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾: على الفلك، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات، ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾: كثيرا، والمستثنى خواصُّ المَلَك[4]، ولا يلزم من عدم تفضيل جنس الإنسان عليهم عدم تفضيل خواصهم كتفضيل امرأة على رجل مع تفضيل جِنْسه على جِنْسها.

---

(١) من الصياح وهو الصوت العالي.

(٢) في (ن): للنعمة.

(٣) في البيضاوي: مُطالبًا بانتصارٍ أو صرفٍ.

(٤) الملائكة.

* **تنبيه**: اختلف أهْلُ السُّنّة في تفضيلهم، فابن عباس يفضل الملائكة، وعن أصحاب أبي حنيفة وكثير من الشافعية والأشعرية تفضيل رسل البشر مُطْلقًا ثم رسل الملائكة على من سواهم من البشر والملك، ثم عموم الملك على عموم البشر، وقيل: كُمَّلُ الإنسان أفضلُ[١].

وقال الإمام الرازي: الكَرُوبيُّون أفضل مطلقًا، ثم رسل البشر ثم الكُمَّل منهم، ثم عموم الملائكة على عموم البشر، وبه يشعر كلامُ الغزالى في مواضع.

اذكر، ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾: مقتداهم أو كتاب أعمالهم، وكونه جمع[٢] أم فيه تعظيم عيسى وغيره، ودفع فضيحة أولاد الزنا ليس بشيء، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ ﴾: كتاب عمله، ﴿بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ ﴾: مسرورين، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾: لا ينقصون أجرهم، ﴿فَتِيلًا ﴾: قَدر خطٍّ شق النواة، أي: أدني شيء، أفهم أن من أوتي كتابه بشماله لا يقرأ خجلًا وحيرةً وعمى يدل عليه: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾: عمى القلب لم ير رُشْدهُ ﴿فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾: لا يرى طريق النجاة أو أكثر عمى بمعنَى فقْد البَصيرة، ولذا لا يميله أبو عمرو فإن ألفه[٣] كمتوسط بينه[٤] وبين من ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: منه في الدنيا، لفقد الآلة والمهلة والاستعداد، ﴿ وَإِن﴾: إنه، ﴿كَادُواْ﴾: قاربوا لمبالغتهم، ﴿لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: يوقعونك في الفتنة وهم ثقيف وقريش[٥]، ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: من الأحكام، ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا ﴾: إن اتبعتهم، ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ﴾: قاربت، ﴿تَرْكَنُ ﴾: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ

---

(١) الأولى السكوت عن ذلك فهذا لا يتوقف عليه اعتقاد ولا ينبني عليه شئ، وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

(٢) وعليه يكون «بأمهاتهم» أنوار التنزيل (٣٨٠).

(٣) فإن أفعل التفضيل تمامه بـ «من».

(٤) أمال أبو عمرو «أعمى» الأولى. * إتحاف (٢٨٥)، السبعة (٣٨٣)،غيث النفع (٢٧٥)، النشر (٢/ ٥٤).

ولم يمل «أعمى» الثانية، وإنما أمالها عاصم وحمزة والكسائي وشعبة وخلف وورش. * السبعة (٣٨٣)، غيث النفع (٢٧٥)، إتحاف (٢٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ١٣٠)، والواحدي (٢٩٧) بسند ضعيف.

﴿ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ لكن عصمناكَ عَن مقاربَته ﴿ إِذًا ﴾ لو قاربت ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ ﴾ لنذيقك عذابا ﴿ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ عذاب الآخرة، أي: ضعف ما يعذب به غيرك فيهما أن خطر الخطير أخطر ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ يدفع عنك عذابنا ولمّا نزلت قال: «اللهم لا تكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفةَ عين»[1].

﴿ وَإِن ﴾ إنه ﴿ كَادُوا۟ ﴾ الكفار ﴿ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ يستخفونك إزعاجًا ﴿ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض العرب، إذ قالت اليهود: الحق إلى الشام فإنها أرض الأنبياء[2] ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا ﴾ لو خرجت ﴿ لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ ﴾ خلف إخراجك ﴿ إِلَّا ﴾ زمانا ﴿ قَلِيلًا ﴾ من الله، ذلك ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾: وهي إهلاك كل أُمَّة أخرجوا رسولهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تغييرًا، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ﴾: اللام للتأقيت، أي في زوال، ﴿ٱلشَّمْسِ﴾ وأصله الانتقال، وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلح ودلج ودلع ودلف﴿إِلَىٰ غَسَقِ﴾: ظُلْمة، ﴿ٱلَّيْلِ﴾: دخل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ودلّ ذلك على أنَّ الوقت يمتدُّ إلى غروب الشفق ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاته سَمّى الشيء باسم ركنه، لا يدل على وجوب القراءة فيها لجواز كون التجوز لندبها فيها ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: يشهده ملائكة الليل والنهار، ﴿ وَمِنَ ﴾: بعض، ﴿ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: اترك الهجود أي: النوم، أو صَلِّ ﴿بِهِۦ﴾، بالقرآن فريضةً ﴿نَافِلَةً﴾: زائدة، ﴿لَّكَ﴾: دون أُمتك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: أي: في مقام الشفاعة العامة، فيحمدك الأولون والآخرون ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالًا مرضيًا، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾: منه، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجًا مرضيًا، ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّة أو قوة ﴿نَّصِيرًا﴾: لي على من خالفني، ﴿ وَقُلْ﴾: بشارة، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام، ﴿وَزَهَقَ﴾ ذهب ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مضمحلًا ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ للبيان، ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾: من العلل الدِّينية والبدنية، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: فيحصل لهم المعارف والحكم، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾:

---

(١) لا يصح، لكن الدعاء صحيح.

(٢) سورة النبأ.

لكفرهم به، ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ﴾: جنس، ﴿ ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ ﴾: عن الشكر، ﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾: لوى عطفه وولّى ظهره عن منعمه، أو كناية عن الاستكبار ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾: كمرض وفقر، ﴿ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾: شديد اليأس عنَّا، وأما قوله: فَذُو دُعاءٍ عريض، ففي فرقة أخرى، فهنا لصنف وهناك لآخر، ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾: طريقته التي تُشاكِلُ مَا جُبِلَ عليه، وهي الطبيعة العادة أو الدين، ﴿ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾: فيثيبه، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾: قريش[1] بتعليم اليهود، ﴿ عَنِ ﴾: هيئة، ﴿ ٱلرُّوحِ ﴾: الذي به حياة البدن، ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾: مما استأثر بعلمه أو معناه أنه موجود محدث بأمره بلا مادة، فهو مثل: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ إلى آخره » في جواب: وَمَا رَبُّ العالمين، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم ﴾: كلكم، ﴿ مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: تستفيدونه بحواسكم، ولعل أكثر الأشياء مما لا يدركه الحسُّ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: بمحو القُرآن عن مصاحفكم وصدوركم، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ ﴾: باسترداده، ﴿ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: تتوكَّل عليه ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: فلعلها[2] تسترده عليك، ﴿ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾: ومنه إنزاله وإبقاؤه، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾: بلاغةً وغيرها ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾: لعجزهم، ﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾: معينا، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾: كرَّرنا وبيَّنَّا ﴿ لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾: كل معني هو كالمثل غرابة وحسنا، ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾: جحودا، فعجزوا عن الإتيان، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾: أرض مكة، ﴿ يَنۢبُوعًا ﴾: عينا لا تنقطع يفعول من: ينبع، أي: يفور ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾: بستان، ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا ﴾: وسطها، ﴿ تَفْجِيرًا أَوْ

---

(١) عن عبد الله بن عباس ﵄ قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ... الآية ﴾ أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥) والترمذي في جامعه (٥/ ٣٠٤/ ٣١٤٠) والنسائي (٦/ ٣٩٢، ٣٩٣/ ١١٣١٤)، ابن حبان (١/ ٣٠١/ ٩٩/ إحسان) والحاكم (٢/ ٥٣١) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٤٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦٣/ ٤٠٣) وأبو يعلي (٤/ ٣٨٠، ٣٨١/ ٢٥٠١) وسنده صحيح.

(٢) أي: الرحمة.

تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾: قطعًا أرادوا قوله تعالى: «أو نسقط عليهم كسفا... إلى آخره، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾: مقابلا معاينا، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾: ذهب، ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾: بسُلَّمٍ ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾: وحده ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا ﴾: واحدا واحدا، ﴿كِتَٰبًا ﴾: باسمه فيه تصديقك، ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾: تعجُّبًا من اقتراحهم، ﴿هَلْ﴾: ما، ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾: فالرسول إنما يأتي بإذن الله، ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾: بعد، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾: القرآن المعجز ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾: أي: ما لهم شبهة إلّا في إرسال بشرٍ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ ﴾: كما تمشون، ﴿مُطْمَئِنِّينَ ﴾: ساكنين فيها، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾: لتمكنهم من التلقي منه للتجانس بخلاف البشر، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾: على صدقي، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ﴾: يهدونهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: يمشون أو يسحبون، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾: إلى النار، ﴿عُمْيًا﴾: عمَّا يقرُّ أعينهم ﴿وَبُكْمًا﴾: عن العذر، ﴿وَصُمًّا ﴾: عما يلذ مسامعهم، ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها بأن أكلت أجسادهم، ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾: تلهبا بتبديل لحومهم وجلودهم، ﴿ذَٰلِكَ ﴾: العذاب، ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: مطلقا، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾: ترابا ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ جُوزوا بكثرة الإعادة بعد الإفناء؛ لإنكارهم الإعادة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾: يعلموا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾: بدءًا وإعادة ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ ﴾: لإعادتهم ﴿أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾: بعد قيام الحجة، ﴿إِلَّا كُفُورًا ﴾: جحودًا ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ ﴾: نعمة، ﴿رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾: لبخلتم، ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾: النفاد به فلا ينفعكم تفجُّرُ[1] الأنهار ونحوه، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾: جنسه بالطبع، ﴿قَتُورًا ﴾: بخيلًا ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾: السنين، ونقصٍ من الثمرات، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، واليد، والعصا، وقال

---

(١) في (ن)، و(د): تفجير.

رسول الله ﷺ حين سأله يهوديان عن الآيات: «إنَّما النَّهي عن الشرك والسرقة[1] والزنا والقتل بغير الحق والسحر وأكل الربا والمشي بالبرئ إلى سلطان ليقتله وقذف المحصنات، والفرار من الزحف» ثم قال: «وعليكم خاصة اليهود: أن لا تعتدوا في السبت»[2].

فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل، وقيل: لعلهما سألاه عن العشر كلمات فاشتبه على الراوي بالتسع وهو ابن سلام رضي الله عنه ﴿فَسْـَٔلْ﴾: يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: عنها، تقريرًا للمشركين على صدقك، ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: متخبط العقل بالسحر، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: بالحجج ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ عبرًا، فكيف تعاندني، وبضمير المتكلم[3] ظاهر ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾: أعلمك، أتى بالظنِّ ازدواجًا[4]، ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: مصروفا[5] من «ثبر» أي: صرف عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون، ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: موسى وقومه، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد إغراقه، ﴿لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ مصر ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: الدار، ﴿ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: إلى الموقف، واللَّفيفُ: الجماعات من قبائل شتى، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾: القرآن، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي: ما أنزلناه، وما نزل إلا بالحق، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: للمطيع، ﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصي، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: نزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: مهل، لتيسير حفظه، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾: نجما[6] نجما على الوقائع، ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾: فإنَّ ذلك لا يرفع القرآن ولا يضعه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: قبل نزول القرآن هم مؤمنوا أهل

---

(١) في (ن): السرق.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٨٦/ ٣١٤٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٩) وصححه ووافقه الذهبي وأحمد (٤/ ٢٣٩).

(٣) يعني بفتح تاء «علمتَ».

(٤) الازدواج: انضمام الشيء إلى نظيره.

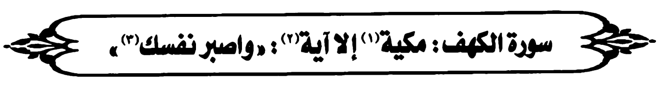
(٥) بل: هالكا من الثبور وهو الهلاك، وهو أيضا: اللعن والطرد.

(٦) يعني: منجما، منجما - يعني: مفرقا.




الكتاب، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: القرآن، ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون، ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: أي: على وجوههم بحيث تتعفرُ لحاهم ﴿سُجَّدًا﴾: شُكرا لإنجاز وعده، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: عن خلف الوعد، ﴿إِن﴾ إنَّه ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾: في كتبه بنزوله ﴿لَمَفْعُولًا﴾: كائنًا ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: لتأثرهم عن مواعظة، فالخُرور الأول للسجود، والثاني لشدة البكاء ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: سماعه، ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعا، ﴿قُلِ﴾: لهم حين يقولون أتنهانا عن دعوة إلهين وأنت تدعوا الله والرحمن، ﴿ادْعُوا﴾: اسمعوا، معبودكم، ﴿اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا﴾: منهما، فهو حسن يدل عليه، ﴿فَلَهُ﴾: فلمُسمَّاهما، ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: وهما منها، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: بقراءتها أو الدعاء بحيثُ يسمع المشركون فيسبون إلَهك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾: لا تخفها عمَّنْ خلْفك من صحبك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: من الجهر والمخافته، ﴿سَبِيلًا﴾ وسطا ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: رَدًّا لليهود والمشركين، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: الألوهية، رد للنصارى والمشركين ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ناصِر ﴿مِّنَ﴾ أجلِ ﴿الذُّلِّ﴾: رد للنصارى والمجوس ﴿وَكَبِّرْهُ﴾: عَظِّمه عن كل مَا لَا يليقُ به ﴿تَكْبِيرًا﴾: تعظيما تاما. والله أعْلَمُ

❁❁❁



سورة الكهف: مكية[١] إلا آية[٢]: «واصبر نفسك[٣]»

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾: القرآن، رتّب الحمد عليه إشارةً إلى إنزاله من أعظم نعمائه، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ﴾: لعبده، ﴿عِوَجًا﴾: شيئا من العوج عن الحق ﴿قَيِّمًا﴾: مستقيمًا فيما أمر ظاهرا، ﴿لِّيُنذِرَ﴾: الكافرين، ﴿بَأْسًا﴾: عذابا، ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾: من عنده، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾: في الأجر[٤]، ﴿أَبَدًا وَيُنذِرَ﴾: كرره لعظم ذنب، ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: خصهم استعظاما لكفرهم، ﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: لأنه محال بل يُقلدون فيه آبائهم، ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: الذين قالوه، ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم هذهِ ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: نبه[٥] به على أن[٦] شأنها ألا تتصف بقصد قلبي والخارج: حقيقة الهواء الحامل لها؛ لأن الحروف كيفيات تعرض للصوت، فالإسناد مجازي ﴿إِن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾: قاتل، ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾: إذا ولوا عن الإيمان، ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾: لفرط الحزن، ثم علّل النهي بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: من الأموال ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: بالزهد فيها من غيره، ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتا ﴿جُرُزًا﴾: يابسا لا ينبت ولما تعجبت قريش من قصة أهل الكهف

---

(١) في هامش (د): سورة الكهف مكية مائة وعشر آيات، وإحدى عشر عند البصريين، غير آية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ثم النحل كلماتها (١٥٧٧) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/ ٢٩٧)، البيان (١٧٩)، القول الوجيز (٢٢٥) وحروفها (٦٣٦٠) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/ ٢٩٧).

(٢) سقطت من (ع).

(٣) عدد سور القرآن (٢٩٢)، تفسير الطبري (١٥/ ١٥٦)، شعب الإيمان (٧/ ٣٣٦).

(٤) في (ن): في الآخِرَة.

(٥) في (ن)، و(د): تنبيه.

(٦) ليست في (د).

وسألوا النبيَّ ﷺ امتحانا نزل(١): ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿حَسِبْتَ﴾: يا إنسان، ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغار في حياتهم نياما مُدةً مديدةً ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: جبَل كهفهم أو لوح على بابه كتب فيه أنسابهم، أو هم ثلاثة دخلوا(٢) كهفا؛ حذرًا من المطر فانحطت صخرةٌ على بابه(٣) فتوسل كلٌّ منهم(٤) بحسنه عملها، ففرج عنهم، وحديثهم(٥) مشهور ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ آيةً ﴿عَجَبًا إِذْ أَوَى﴾: سكن، ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: الشبانُ السبعة والمختلفون فيها: إما أنفسهم كما ذكر في: «قال قائل منهم... إلى آخره» وإما أصل قريتهم حين هربوا من دِقيانوس إذ أكرههم بالشرك، ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: تسترنا عنهم، ﴿وَهَيِّئْ﴾: يسر ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه، ﴿رَشَدًا﴾: هداية، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: حجابًا يمنع السَّماع، أي: أنمناهم شديدا من ضربت على يده إذا منعته عن التصرف ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودةً ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم، ﴿لِنَعْلَمَ﴾: مشاهدة، ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: من المختلفين في مدة لبثهم، ﴿أَحْصَىٰ﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ غاية حاصله ضبطُ أمد زمان لبثهم ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: شبانٌ ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ﴾: بالتثبيت، ﴿هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيناهم(٦) بالصبر على المخوفات ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾: عند دقيانوس إذ أوعدهم(٧) بسبب ترك الأصنام، ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا﴾: لو دعونا غيره قولا ﴿شَطَطًا﴾: ذا شططٍ، أي: إفراطٍ في الكفر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٣٧٦).
(٢) في (ن)، و(د): أدخلوا.
(٣) يعني: باب الكهف.
(٤) في (د): منهما.
(٥) في (ن): وحديثه.
والحديث صحيح، والاستدلال واه جدا، فالثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار غير هؤلاء قطعا ويقينا.
(٦) في (ن): قويناها.
(٧) هددهم.

﴿قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: على عبادتهم، ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: بُرهان، ﴿بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشراك ﴿وَ﴾: قال بعضهم لبعض: ﴿إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: إذ كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى، ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ﴾: يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾: في الدارين، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾: الذي أنتم فيه، ﴿مِّرْفَقًا﴾ ترتفقون أي: تنتفعون به من الغذاء ونحوه، ﴿فَأْوُوا﴾ إليه وناموا، وأجيب دُعاؤهم ﴿وَتَرَى﴾: لو رأيتهم[1]، ﴿الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ﴾: تميل، ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتجاوز عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ جهة شماله فلا يقع عليهم شعاعها لئلا يحترقوا، والكهف جنوبي، أعني بابه إلى بنات نعش[2]، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾: متسع، ﴿مِّنْهُ﴾: من الكهف ليتروحوا بالهواء ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: منتبهين لانفتاح أعينهم لِرُوح الهواءِ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيامٌ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي: جهتهما كل سنة مرة لحفظ جسدهم من الأرض[3]، ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يديه نائم مثلهم، ﴿بِالْوَصِيدِ﴾: بفناء الكهف، وهو كلب صيد لأحدهم طردوه فقال: أنا

---

(١) في (ن): لو رأيتم.

(٢) مجموعة من الكواكب معروفة عند العرب يقال: بنات نعش الكبرى، وبنات نعش الصغري.

وأصحاب النجوم يسمون الكبرى: الدب الأكبر، والصغري: الدب الأصغر.

* فالكبرى سبعةُ كواكب: أربعة منها النعش، وثلاثة منها البنات، فالأول منها يسمى القائد، والأوسط يسمى عناق بوزن قطام، وإلى جانبه كوكب صغير هو السها، والثالث يسمى: الحور - بحاء مهملة مفتوحة، بعدها واو مفتوحة، بعدها راء مهملة.

* وأما الصغرى فعلى تأليف الكبرى، ثلاثة بناتها: أحدها الجدي الذي تعرف به القبلة، وأربعة نعشها، واثنان منها الفرقدان.

ويقال للواحد من بنات نعش: ابن نعش؛ لأن النجم مذكر، فإذا جمع قيل: بنات نعش، كما يقال: ابن عرس، وبنات عرس، وابن آوي وبنات آوي.

* ما يعول عليه - للإمام المحبى (١/ ٤٢٤/ ٢٣٥٦)، المرصع (٣٣٠)، المزهر (١/ ٥٢٥).

(٣) حتى لا يصابوا بقرحة الفراش أو النوم اهـ.

أحبُّ أحباء(١) الله، ناموا وأنا أحرسكم(٢)، ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ﴾: رؤيةً، ﴿عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: خوفا منع الله بهذا دخول الناس عليهم وأمر معاوية حين غزا الروم(٣) ففتحوا(٤) ليراهم فمنعه ابن عباس(٥) مستدلًّا بهذه الآية، فأرسل جماعةً فلما دخلوا جاءتهم ريح فأحرقتهم(٦) ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: مدة لبثهم فيزداد يقينهم، واللَّام للصيرورة والعاقبة ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ﴾: يوما، ﴿لَبِثْتُمْ﴾: نائمين، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: فإنه غالب مدة النوم، أو لدخولهم صُبحًا وتنبههم مغربا، فلما ترددوا في طول المدة لطول أظفارهم ونحوه، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: فضَّتكم ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: التي خرجتم منه اسمها طَرسُوس وفي الجاهلية: أُفسوس(٧)، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾: أي: أهل القرية، ﴿أَزْكَى﴾: أحل، ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾: دل على أن التزود دأبُ المتوكلين، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: في المعاملة أو(٨) الاختفاء، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: لا يفعلن ما يؤدي إلى أن

---

(١) أولياء.

(٢) الوسيط (٣/ ١٣٩) معالم التنزيل (٣/ ١٥٤)، الجامع - للقرطبي (١٠/ ٢٤١).

(٣) غزوة المضيق.

(٤) في (ن): ففتحوها.

(٥) قال له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالا فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف.

(٦) أخرجه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٠) وفيه: فأخرجتهم، بدل فأحرقتهم وسنده صحيح.

(٧) الوسيط (٣/ ١٤١)، ترويح أولى الدمائة (٢/ ٥)، غرر التبيان (٣١٧).

وطرسوس- بفتح الطاء المهملة والراء المهملة وضم السين المهملة-: بين سوريا وتركيا.

* تقويم البلدان (٢٤٨)، المسالك والممالك (٩٩)، معجم ما استعجم (٢/ ٨٩٠)، نزهة المشتاق (١/ ٦٥٢، ٨٠٨)، معجم البلدان (٤/ ٢٨)، آثار البلاد (٢١٩)، الجغرافيا - لابن سعيد (١٥٠)، مراصد الاطلاع (٢/ ٨٨٣) الروض المعطار (٣٨٨)، اللباب (٢/ ٢٧٩).

و«أفسوس» بضم الهمزة وسكون الفاء وضم السين: بلد بثغر طرسوس. * مراصد الاطلاع (١/ ١٠١)، معجم البلدان (١/ ٢٣١)، آثار البلاد (٤٩٨، ٥٠١)، الروض المعطار (٤٩).

(٨) في (ن)، و(د): و.

يشعر ﴿بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِن يَظْهَرُوا﴾: يظفروا، ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: يصيروكم، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا﴾: إن كفرتم، ﴿أَبَدًا وَكَذَٰلِكَ﴾: البعث ﴿أَعْثَرْنَا﴾: اطلعنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أهل المدينة، ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: أهلها، ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث، ﴿حَقٌّ﴾: كما في تلك[1] الرقدة ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ﴾ أعثرنا حين ﴿يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم في بعث الروح فقط أو مع الجسد، ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: ملكهم ومؤمنوهم، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: نُصلي[2] فيه، ثم لما دخل المبعوث بالدرهم الدقيانوسي اتهموه بالعثور على الكنز، فأخبر بأن عهدي بهذه المدينة عشية أمس، فتعجبوا منه وأخذه[3] الملك النصراني وصدقه جمع سمعوا بتواريخهم فجاءهم الملك مع أهل البلدة وكلموهم بما جرى، ثم ودع الفتية الملك وماتوا ودفنهم الملك وبنى عليهم[4]، ﴿سَيَقُولُونَ﴾: اليهود في زمانكم، هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والكلب ما كان لهم بل لراع تبعهم في الطريق ﴿وَيَقُولُونَ﴾: النصارى ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يرمون في القولين ﴿رَجْمًا﴾ رميًا ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بالخبر الخفي عنهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المسلمون ﴿سَبْعَةٌ وَ﴾ يقولون: ﴿ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: فكأنهم[5] أخبروا به مرتين لعلمهم به، وهذا القول مرضيٌّ بقرينة وصف الأولين بالرجم بالغيب «قالوا» وليست للثمانية، والمشهور أنها التي تدخل على جملة صفة للنكرة[6] كدخولها على الواقعة حالا من المعرفة، فهى لتأكيد لُصوق الصِّفة بالموصوف، وقيل

---

(١) ليست في (ن)، و(د).

(٢) في (ن)، و(د): يُصلّى فيه.

(٣) في (س): فأخذه.

(٤) وقد نهي الإسلام عن هذا الصنيع الوثني اليهودي النصراني، فلا بناء على القبور لا مساجد ولا متاحف ولا غيرها ا.هـ.

(٥) في (س): فكانوا، وفي (ن): فكأنه.

(٦) في (ن)، ،(د): النكرة.

غير ذلك وهم يمليخا[١] مكثلينيا[٢]، ومرنوش وبرنوش وشاذنوقش وكفشطيطوش، و[٣]هم أصحاب يمين الملك وأصحاب يساره راعيهم وقطمير كلبهم، ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾: قال ابن عباس: أنا من القليل، هم سبعة[٤] وكذا عن علي ﷺ[٥] ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تجادل ﴿فِيهِمۡ﴾: في شأنهم ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾: غير مُتعمق فيه[٦] فأخبرهم بذلك ولا تجهلهم، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾: في قصتهم ﴿مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾: لا تعنتًا ولا استرشادًا ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾: لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ﴾: الشيء ﴿غَدًا﴾: أي: فيما يستقبل (إلا أن) أي: ملتبسا بأن، ﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: بأن تقول: إن شاء الله، إذ لما سألوه عنهم قال: أخبركم غدًا بلا استثناء فأبطأ الوحي بضعة عشر يوما وكذبوه، والاستثناء من النهي لا من ﴿فَاعِلٞ﴾؛ لعدم مناسبة المقصود ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾: أي: مشيئته، ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: الاستثناء ثم تذكرت، فلما نزلت قال ﷺ: « إن شاء

---

(١) ويقال: إمليخا، أو تمليخا.

(٢) ويقال: مكسلمينا، أو: مكشلمينا وبالجملة ففي اللفظ بأسمائهم خلاف كبير.

* تاريخ الطبري (٢/ ٦)، المحرر الوجيز (١٠/ ٣٦٨)، الجامع - للقرطبي (١٠/ ٣٦٠)، عرائس المجالس (٤٢٦).

وقد نظم أسماءهم العلامة محمد مرتضى الزبيدي- رحمه الله- على الخلاف الوارد فيهم، فقال:

بتمليخ مكسلمين مشلين بعده ... بدبرنوش مرنوش أشداء للكهف

وخذ شادنوشا سادس الصحب ذاكرا ... كفشططيوش في رواية ذي العرف

نوانس سانينوس مع بطنيوشهم ... مكرطونش تلك الروايات فاستوف

وكشفوطط كند سلططنوس هكذا ... روينا وأرنوس على حسب الخلف

وبنيونس كشفيطط أربطانس ... ومركوكش عند الأجلة في الصحف

وكلبهم قطمير سابع سبعة ... فخذ وتمهل يا أخا الكرب والرجف

عجائب الآثار - للجبرتي (٢/ ٣١٠) بتصرف.

(٣) الواو ليست في (ن).

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٣)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٤٩).

(٥) وكذا ابن مسعود - رواه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٤/ ١٢٧٥٤).

(٦) وهو من العلم الذي لا ينفعُ والجهل الذي لا يضُرُّ.

الله»[1]، واستدل به ابن عباس على أنَّ للحالف الاستثناء ولو بعد سنة، وخالفه الجمهور؛ لظهور فساده، وأوله ابن خزيمة بأنه لأداء السنة، ورُوي[2] عن ابن عباس أن عدم الحنث بعد نحو سنة مخصوص بالنبيّ ﷺ[3] ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: الإخبار عن أصحاب الكهف، ﴿رَشَدًا﴾: هداية تدل على نبوتي، وقد هداه، وقيل: اذكر ربك إذا نسيت شيئا ثم تذكرته، وإن لم تذكره، فقل عسى أن... إلى آخره[4] ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾: من رقادهم إلى بعثهم، ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾: شمسية بحساب اليهود، ﴿وَٱزْدَادُوا۟﴾: بعضهم، ﴿تِسْعًا﴾: بحسابها قمرية إذا الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وكسرا، والقمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسرا تفاوتهما في كل مائة سنة ثلاث سنين، و﴿سِنِينَ﴾ بدل لا عطف بيان كما مرَّ ﴿قُلِ﴾ حيث ينازعونك في هذا العدد ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ﴾ عِلْمُ غيب ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ﴾: ما أبصره، ﴿وَأَسْمِعْ﴾: به بما يعجب للعجب، فإن ادراكه خارج عن الإدراك، ﴿مَا لَهُم﴾: ما لأهل السَّماوات والأرض، ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾: يتولى أمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: الله ﴿فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾: منهم ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: غيره، أو لا مغير لحكمه، فلا ينافي: وإذا بدلنا... الخ، ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾: غيره، ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه إن لم تقل[5] ﴿وَٱصْبِرْ﴾: احبس، ﴿نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: أي: كل أوقاتهم، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: رضاه وهم فقراء الصحابة؛ إذ طلب أشراف قريش أن يفرد لهم مجلسا دونهم، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لا تصرف ﴿عَيْنَاكَ﴾ نظرك ﴿عَنْهُمْ﴾: إلى الأغنياء كعتيبة وصحبه، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ﴾: في إبعادهم ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: إسرافا، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ﴾: كائنٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: لا هواكم، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ

---

(١) الدر المنثور (٥/ ٣٧٦).
(٢) في (ن): ويروى.
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨، ٧٩).
(٤) في (ن): إلخ.
(٥) يعني: إذا هممتَ به.

﴿فَلْيَكْفُرْ﴾: أمر تهديد، ولا يفهم استقلالنا إذ مشيئتنا ليست بمشيئة، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاط بها مجاز عن الفسطاط ودخانها ولهبها، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾: من العطش ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: مُذاب النحاس أو دردي الزيت[1]، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: المهل ﴿وَسَآءَتْ﴾: النار، ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأ، ذكره لمقابلة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: منهم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ﴾: يزينون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمع أسورة أو جمع سوار، ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: كدأب ملوك العجم في الدنيا، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: رقيق الديباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظه، أفهم بجمعهما أن فيها ما تشتهي الأنفس، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: مضطجعين أو متربعين في الجلوس ﴿فِيهَا﴾ في الجنَّاتِ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر في الحجلة وهي بيت يزين للعروس، ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: ذلك، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: متكأ، ﴿وَٱضْرِبْ﴾: اجعل، ﴿لَهُم﴾: للكافر والمؤمن، ﴿مَّثَلًا﴾: حال، ﴿رَّجُلَيْنِ﴾: أخوين، مُؤمنٌ اسمه يهوذا، وكافر اسمه قطروس[2][3] ورثا مالًا فأحدهما اشترى به النخل وأمتعةَ الدنيا، والآخر صرفه في الخير، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: الكافر، ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعلنا النخل محيطًا[4] بهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: بين الكرم والنخل ﴿زَرْعًا كِلْتَا﴾: مفرد يدل على التثنية ﴿ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها[5]، ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تنقص ﴿مِّنْهُ﴾: من أكلها، ﴿شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُۥ﴾: لصاحبها، ﴿ثَمَرٌ﴾: أموال مثمرة غير الجنتين، ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يراجعه في الكلام، في التفاخر، ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: حشما وعشيرة، ﴿وَدَخَلَ

---

(١) اللون الذي يكون عليه من التعكير ونحوه.

(٢) ترويح أولي الدماثة (١/ ١٣)، غرر التبيان (٣١٩)، معالم التنزيل (٥/ ١٧١)، زاد المسير (٥/ ١٣٨، ١٣٩).

(٣) في (د): بطروس.

(٤) في (ن): محيطًا.

(٥) في (ن)، و(د): ثمرها.

﴿جَنَّتَهُۥ﴾: أخذ بيد صاحبه، أفردها؛ لأن المراد بها ما متع به تنبيها على أن ماله جنة غيرها مما[١] وعد المتقون، أو لاتصالهما أو لدخوله في إحداهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: بكفره وعجبه، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تفنى ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: الجنة، ﴿أَبَدًا﴾: لاغتراره وآماله، ولا شك أن أحوال أغنياء زماننا[٢] كحاله، ولكن خوف سيف الشرع[٣] أخرسهم عن مقاله، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ﴾: القيامة، ﴿قَآئِمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾: فرضا، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾: من جنتي، ﴿مُنقَلَبًا﴾: مرجعا، لأنه إنما أعطاني لاستئهالي[٤] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾: المؤمنُ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾: أي: أصل مادتك أو مادة أصلك، ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عدلك ﴿رَجُلًا لَّٰكِنَّا۠﴾: لكن أنا، ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾: تعريض بإشراكه ﴿وَلَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: كائن، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: اعترافًا بالعجز ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾: صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ﴾: الجنة، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: ملساء يزلق عليها ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾: غائرًا في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ﴾: للماء، ﴿طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: مجاز عن الإهلاك، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: يضرب إحداهما على الأخرى يتحسرُ ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: في عمارتها، ﴿وَهِيَ﴾: الأشجار، ﴿خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: دعائمها في الأرض ﴿وَيَقُولُ﴾: تأسفًا عليها: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾: فلم يهلك بستاني، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جماعة، ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ﴾: أي: غير ﴿ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: بنفسه ﴿هُنَالِكَ﴾: أي: مقام نزول عذابه، ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: بفتح الواو والنصرة وبكسرها[٥]: الملكُ

---

(١) في (ن)، ،(د): كما.

(٢) يعني في زمن الكازروني- رحمه الله-.

(٣) اللهم أعده فينا هذا الزمان- آمين.

(٤) في (ن): لاسمهالي.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب وشيبة وطلحة.

* إتحاف فضلاء البشر (٢٩٠) السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، النشر (٢/ ٢٧٧).

﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ صفة الله، وبالضم صفة للولاية[(١)] ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: لمطيعيه، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: عاقبة لهم ﴿وَاضْرِبْ﴾: اجعل، ﴿لَهُمْ مَثَلَ﴾: شبيه زينة ﴿الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: في زهرتها وسيلانها وسرعة زوالها ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾: التفَّ وتكاثف ﴿بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: يابسا مكسورا، ﴿تَذْرُوهُ﴾: تفرقه، ﴿الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادرا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: فزوالها سريع، ﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ﴾: الأعمال الصالحة الباقي أثرها، ومنه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[(٢)]»، والصلوات[(٣)] ونحوها أي: كالحج وصيام رمضان والكلمة الطيبة[(٤)] وقد فسرت بكل واحدة منها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: لأن صاحبها ينال ما يُؤمِّل بها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: في الجو بعد قلعها، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة مستوية بلا تلال ووهاد[(٥)] ويبرز ما فيها من الأموات والكنوز ﴿وَ﴾: قد ﴿حَشَرْنَٰهُمْ﴾ دل بالماضي على أن الحشر قبل تسييرها ليعاينوه، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نترك، ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ عرض الجند على السلطان ليقضي بينهم، ﴿صَفًّا﴾: مصطفين قائلين لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾: عراة بلا شيء أو أحياء ﴿بَلْ﴾: للخروج من قصة إلى أخرى، ﴿زَعَمْتُمْ أَلَّن﴾ أنه، ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: للبعث، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ﴾: صحف الأعمال في الأيدي أو في الميزان، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾: يا هلكتنا تعالي وتعجبي[(٦)] ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي واليزيدي وحميد والأعمش.
* إتحاف (٢٩٠، ٢٩١)، السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، والنشر (٢/ ٣١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٤١)، والطبراني في الصغير (١/ ١٤٥)، والخطيب في التاريخ (٩/ ٣٣٦)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٠٨٥) والنسائي (٦/ ١٠٦٨٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢١٩)، وآداب الزفاف (١٦٩)، والصحيحة (١٨٢٩) ولفظه: «خذوا جنتكم من النار قولوا: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

(٣) وهو تفسير ابن عباس - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٣٦٥/ ١٢٨٣٤) وسنده صحيح.

(٤) في ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٤/ ١٢٨٣٢): الكلام الطيب.

(٥) جمع وهذه وهي المنخفض في الأرض.

(٦) في (ع): للتعجبي!!!.

صَغِيرَةً ﴾ من أعمالنا ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾: عدها[١]، وهذا لا ينافي إن تجتنبوا كبائر... الآية[٢]، إذ لا يلزمُ من العد عدم التكفير ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾: في الصحف ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾: فيكتب عليه ما لم يفعل، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾: فسر مرة، أفهم أن الملك[٣] لا يعصى، وإنما[٤] هو عصى؛ لأنه كان جنيا، لكن عن ابن عباس أنه كان من أشراف الملائكة خزَّان الجنان[٥]، ﴿فَفَسَقَ ﴾: خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ ﴾: طاعة، ﴿رَبِّهِۦٓ ﴾: بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ ﴾: يا بني آدم، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾: أولاده، قيل: سُمي بها أتباعه مجازا، وقيل: يتوالدون كبني آدم[٦] وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض[٧] فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي ﴾: بإطاعتهم ومخالفتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾: من الله تعالى إبليس وذريته، ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾: أي: الشياطين، ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾: بإحضار بعضهم خلق بعض، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ ﴾: أي: متخذهم ﴿عَضُدًا ﴾: أعوانا والمشاركة في الألوهية فرع[٨] المشاركة في الخالقية ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾: الله، ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾: أنهم شركائي لإعانتكم[٩] ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾: مهلكا يشتركون فيه وهو النارُ، أو بمنع تواصلهم ﴿ وَرَءَا ﴾: عاين ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ ﴾: تيقنوا، ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾: مخالطوها واقعون

---

(١) في (ن): عدلًا.

(٢) سورة النساء.

(٣) وإبليس لم يكُنْ من الملائكة قطّ.

(٤) في (ن): فأمّا.

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٥٩) ولا يصح وإبليس من الجن ليس من الملائكة أبدا.

(٦) وهذا هو الصحيح.

(٧) من الشياطين نوع يبيض لحديث: «باض فيها الشيطان وفرخ»، لكن كون إدخال الشيطان لذنبه في دبره... الخ من الخرافات والواهيات.

(٨) في (ن): نوع.

(٩) في (ن): لأعاقبهم!!. ويعني: أروني شُركائي وادعوهُم بجهدكم؛ ليخلصوكم ويعينُوكُم على خلاصِكُمْ من العذاب.

فيها من مسيرة أربعين سنة تعجيلا لغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: معدلا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينًا مُكررًا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾: أي: الكتاب، ﴿لِلنَّاسِ﴾: مثلا، ﴿مِن﴾: جنس، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾: ليتعظوا، ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتي منهُ الجدل[1] ﴿جَدَلًا﴾: بالباطل إلَّا من عُصم ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾: قريش من، ﴿أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: الرسول والقرآن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا﴾: انتظار[2] ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: من العذاب، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عذاب الآخرة، ﴿قُبُلًا﴾: عيانا أو أنواعا ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للكافرين، ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾: نحو: «أبعث الله بشرا رسولا[3]» ﴿لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا، ﴿بِهِ﴾ بالباطل، ﴿الْحَقَّ﴾: القرآن، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾: القرآن، ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾: به، ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ولم يتدبرها، ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من المعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلا عن استماع الحق قبولا، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ حقيقةً ولا تقليدًا ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ﴾ تعالى في ذلك الموعد، ﴿مَوْئِلًا﴾: منجا وملجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾: المجاورة لمكة كعادٍ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: أي: أصحابهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾: لهلاكهم[4] ﴿مَّوْعِدًا﴾ أو لزمان هلاكهم موعدًا[5] فاعتبروا، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾: يوشع بن نون بن إفرايم بن يوسف[6]- عليه الصلاة والسلام- ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير، ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى

---

(١) في (ن): الجدال.

(٢) في (س): الانتظار.

(٣) سورة الإسراء.

(٤) في (د): هلاكهم.

(٥) في (ن): وَعْدًا.

(٦) غرر التبيان (٣٢١)، مفحمات الأقران (٣٠) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٠/ ١٢٨٧٥).

بحري فارس والروم[١] موعد لقائه مع خضر وفسر بهما فإن موسى كان بحر علم الظاهر، وخضر للباطن[٢] ﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾: أسير، ﴿حُقُبًا﴾: دهرًا طويلًا، أو سنةً، وقصَّته: أنه[٣] خطب بعد هلاك القِبْطِ[٤]، فسئل: هل أحد أعلم منك: فقال: لا، فأوحى إليه: بلى عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين[٥]، وهو الذي كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي لقي إبراهيم وبنى السد وطاف الدنيا لا الأصغر اليوناني[٦] الذي طلب ماء الحياة وما وجد، فسار موسى وفتاه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: بين البحرين رقد موسى عند صخرةٍ فوثب الحوت المشويُّ في البحر من مكتلهما وهما لموسى أو الخضر، وقيل: كان حوتا مملحًا وصل إليه قطرة من ماء الحياة مما توضأ به يوشع فحيي منه ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نسي موسى طلبه، ونسي يوشعُ ذكر ما رأى من حياته ﴿فَاتَّخَذَ﴾: جعل الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: سعيا[٧] طويلا لا منفذ له ككوة فجمد الماء حوله ولم يلتئم، وفي الآية تقديم وتأخير فلا عجب في نسيانه هذه المعجزة القرآنية؛ لأنه كان معتادا بمشاهدة معجزاته الغريبة، وصار إلفها سببا لقلة اهتمامه بها، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الصخرة وسارا الليلة والغداة إلى الظهر، ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾: يوشعُ ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: مأكول أول النهار، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تعبا بعد المجاوزة منها، ولم يع موسى في سفره غيره كما أشار إليه هذا، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: ما جرى عليَّ ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: التي رقدت عندها ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: أي: ذكر قصته، ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ﴾: أي: ذكره، ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَاتَّخَذَ﴾: الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾: سبيلًا ﴿عَجَبًا﴾: كما مرّ ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَٰلِكَ﴾: فقد

---

(١) غرر التبيان (٣٢١)، فتح الباري (٨/ ٤١٠)، معالم التنزيل (٥/ ١٨٠).
(٢) الخضر نبي أيضًا، ولا دليل على ما ذكر المؤلف.
(٣) يعني سيِّدنا موسَى.
(٤) آل فرعون.
(٥) رواه البخاري (٨/ ٢٦٢/ ٤٧٢٥)، ومسلم (٤/ ٨٤٧/ ١٧٠/ ٢٣٨٠).
(٦) وهو المقدوني الكافر المشرك المسمى الكساندر.
(٧) كذا، وفي (ن) غير واضحة.

الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه، لأنه أمارة[١] المطلوب، ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: يقصان، أي: يتبعان آثارهما ﴿قَصَصًا فَوَجَدَا﴾: عند الصخرة، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: خضر بثوب مستلقيا على الأرض واسمه بليا بن ملكان[٢] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾: نبوة أو ولاية وهو الأرجح[٣]، وهو باق إلى الآن[٤] ﴿مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾: من قبلنا ممَّا لا يعلم إلَّا بتوفيقنا ﴿عِلْمًا﴾: بالمغيبات، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: أصحبك على شرط ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: للرُّشد ويجب كون الرسول أعلم من المرسل إليه في أصول دينه وفروعه، فلا نقص لموسى في ذلك إذا[٥] لم يكن الخضر نبيا[٦]، ثم قال: كفاك بالتوراة علما، فقال موسى: أمرني به ربي ﴿قَالَ﴾: الخضر ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾: لما ترى مني مخالفة شرعك ظاهرا ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: ببواطنه، ﴿خُبْرًا﴾: أي: لم تخبر به وظاهره منكر، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾: معك ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾: ما استثني في المعصية[٧] فعصى ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾: أنكرته، ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: أي: ابتديء ببيانه، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾: يطلبان سفينة ومعهما يوشع تبعًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾: فأخذ قدومًا[٨] وقطع لوحين منها حتى، ﴿خَرَقَهَا﴾: قيل: إن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: عظيما، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا قَالَ﴾ موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا

---

(١) علامة.

(٢) غرر التبيان (٣٢٢)، زاد المسير (٥/ ١٦٧)، التعريف والإعلام (٧٣، ٧٤)، المعارف (٤٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٤).

(٣) بل النبُوّة الأرجَح- وهو الذي عليه الجمهور. وانظر: الروض النضر في حال الخضر للإمام قُطب الدين الخيضريّ الشافعيّ، (ص١٠٤، ١٦٢ - بتحقيقي/ ط دار الفتح).

(٤) هذه خُرافةٌ صُوفية لا دليل عليها، والخَضرُ مات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾.

(٥) في (د): إذ.

(٦) بل هو نبي؛ لقوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ وهذا هو الصحيح.

(٧) يعني لم يقُل: ولَا أعصي لك إن شاء الله أمرًا.

(٨) هو الفأس الصغير.

نَسِيتُ﴾: بنسياني وصيتك، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: لا تكلفني، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: بالمؤاخذة على المشي، ﴿فَانطَلَقَا﴾: بعد خُروجهما من السفينة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾: صبيا غضًّا[١] يلعب مع الغلمان اسمه حيسون[٢]، ﴿فَقَتَلَهُ﴾: قلع رأسه، دل بالفاء على عدَمِ التراخي والتروي، بخلافِ أمر السفينة ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: طاهرةً قال أبو عمرو: الزاكية: التى لم تذنب قطُّ، والزكيةُ: التي أذنبت ثم غُفِرت[٣]، قال بعض أئمة التفسير: لعله اختار الأول كذلك فإنه كان صغيرا، ويردُّ عليه ما مرَّ اختيار الملك[٤] ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾: منكرا[٥]، قال في الأول: «إِمْرا»، أي: منكرًا عظيما؛ لأن قتل جماعة أعظمُ من قتل واحد، رُوي أنه لما سمعَ[٦] غضب واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشَّرهُ، وإذا مكتوب فيه: كافر لا يؤمن بالله أبدا[٧] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ زاد لك عقابا[٨] على نقضه العهد مرتين، ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: اعتراضًا ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ﴾: وجدت، ﴿مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: لما خالفتك مرارا، ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: أنطاكية[٩]، ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: في الحديث: «**كان يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم**»، وفيه تنبيه على هوان الدنيا على الله تعالى، ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ قائما ارتفاعه مائة ذراع[١٠] ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يسقط، استعار

---

(١) طريًّا يانعًا.

(٢) كذا- والصواب: جيسور- غرر التبيان (٣٢٣)، فتح الباري (٨/ ٤٢٠) وهو في الصحيح (٤/ ١٧٥٦/ ٤٤٤٩)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٦).

(٣) يعني: غُفِر ذَنبها.

(٤) في (س)، و(ع): ما مرّ في اختيار- أخبار- الملك.

(٥) في هامش (ع): ونصف القرآن بعد الحروف انتهى إلى النون من قوله: «نكْرا»- ابن عطية.

(٦) يعني لما سمعَ الخضرُ كلام موسى- عليهما السلامُ.

(٧) معالم التنزيل (٣/ ١٧٦)، روح المعاني (١٦/ ١١)، تفسير الرازي (٢١/ ١٣٧).

(٨) كذا.

(٩) غرر التبيان (٣٢٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٤).

قلت: وهو بعيدٌ جدًّا، لأنَّ أنطاكية في بلادِ الروم «تركيا حاليًا» وموسى والخضر- عليهما السلام- التقيا بمجمع البحرين.

(١٠) هذه من مبالغات المفسِّرين والإخباريين.

الإرادة لمداناة سقوطها، فمسحه بيده كذا عن ابن عباس ﴿فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾: أخذ شيء، ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ افتعال من «اتخذ» وكذا قرئ: (لتخذت)[1] أي: أخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: إذ نحن جياع، ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: السؤال، ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: أضاف المصدر إلى الظرف اتساعا، وإنما فارقه في الثالث دون لا الأولين؛ لأنه كان لشهوة بطنه، وهما لفرط صلابته في الدين، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: مالا أو عجزا[2] عن دفع الظلم، ودلَّ الأول على أن المسكين من يملك مالا يكفيه، ﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلها ذات عيبٍ ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿غَصْبًا﴾: خالف الظاهر يعني الظاهر تأخير قوله: فأردت أن أعيبها عن قوله: «وكان وراءهم ملك» تقديما بالنسبة في تقديم: فأردت للعناية ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾: يكلفهما[3] ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: أي: يحملهما حبه على متابعته في الكفر، وفي الحديث: «إنه طُبِع كافرا»[4] وقد مرَّ[5] قصة كتفه ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: يرزقهما، بدله ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾: طهارة من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: رحمةً على والديه، فأعطيا جارية تزوجها نبيٌّ، فولدت نبيًا هدى الله - تعالى - به أمة من الأمم ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي﴾: تلك، ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾: اسمهما أصرم وصريم[6]، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾: لوح من ذهب[7]، كتب فيه نصائح[1]، ﴿وَكَانَ

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وابن محيصن. * إتحاف (٢٩٤)، السبعة (٣٩٦)، النشر (٢/ ٣١٤).

(٢) في (ن): وعجزًا.

(٣) في (ن)، و(د): أي: يغشيهما.

(٤) عن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا» أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٠)، وأبو داود (٤٧٠٥).

(٥) يعني: مرَّ بكَ.

(٦) غرر التبيان (٣٢٣)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٨٨)، (١٦/ ٥)، المحرر الوجيز (١٠/ ٤٣٨).

(٧) عن أم الدرداء، عن النبي ﷺ في قوله: «وكان تحته كنزلهما وكان» قال: «ذهب وفضة». أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٢٠/ ٣٧٦)، والحاكم (٢/ ٣٦٩)، والواحدي في الوسط (٣/ ١٦٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٣٦٩)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٧٢٣) بسند ضعيف وقال ابن عباس: «كان لوحا من =

﴿أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: نسَّاجًا أو سباحا اسمه: كاشح، بينهما وبينه سبعة آباء[٢]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ حلمهما وكمال رأيهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾: ولو سقط الجدار لضاع ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾: بل بأمر الله تعالى وحيًا أو إلهامًا ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: ومن فوائد القصة أن لا نعجب[٣] بعلمنا ولا نبادر إلى إنكار ما لا نستحسنه ونداوم على التعلم ونتذلل للمعلم، وننبه المجرم على جرمه حتى يتحقق إجرامه ثم نعفو[٤]: ونهاجر عنه.

أسند الأول إلى نفسه؛ لأنه بمباشرته، والثاني؛ إلى الإثنين؛ لأن التبديل بإهلاكه وإيجاد الله بدله، والثالث إلى الله، إذ لا دخل له في بلوغه.

وأيضا: الأول في نفسه شر، والثالث خير، والثاني خير، والثاني ممتزج وأيضا: العارف في أوله ينظر إلى نفسه وأعماله، ثم إلى نفسه وخالقه، ثم لا يرى إلا الخالق ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: الأصح أنه إسكندر اليوناني[٥] الذي طافَ بالبيت مع إبراهيم وكان وزيره الخضر[٦]، وصفحتا رأسه من النحاس[٧]، وبلغ قرني الدنيا[٨]، أي: طرفيها، وقيل: هو الرومي الذي قبل المسيح بثلاثمائة[٩] سنة، ووزيره

= ذهب» أخرجه الطبري (١٦/ ٦).

(١) قيل: مكتوب فيه: عجبا لمن أيقن بالقدر ثم ينصب، عجبا لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجبا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟. * الوسيط (٣/ ١٦٢) وسنده ضعيف جدا.

(٢) غرر التبيان (٣٢٣)، المحرر الوجيز (١٠/ ٤٣٨)، الكشاف (٢/ ٤٩٦)، زاد المسير (٦/ ١٨١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٨).

(٣) في (ن): أن لا تعجب بعلمك، ولا تبادر... إلخ وفيها تقديم وتأخير.

(٤) إلا إذا كان حدا فيجب القصاص منه.

(٥) بل ذو القرنين نبي عربي من اليمن من الأذواء، وكان ملكا عادلا مسلما وإنما ينسبه مؤرخو الإفرنج إلى أنفسهم كذبا وزورا وبهتانا وحسدا للعرب، والسعي لتجريدهم من أي: فضل ا.هـ.

(٦) تاريخ القضاعي (١٥٨، ١٥٩) ولا أظن ذلك صحيحا فبين إبراهيم وذي القرنين قرون كثيرة.

(٧) تاريخ القضاعي (١٦٠)، وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٠٣).

(٨) فتوح مصر (٥٩)، مروج الذهب (١/ ٢٨٨).

(٩) هذا باطل؛ لأن ذا القرنين مسلم مُوحِّدٌ، والمقدوني مشركٌ مُلحد- لعنه الله-.

أرسطو[١]، ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾: من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾: أمره ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: بالتصرف[٢] فيها كيف شاء، ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: أراده، ﴿سَبَبًا﴾: وصلة إليه من العلم والقدرة والآلة، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة إلى المغرب أو طريقا ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي﴾: مطمح نظره لا حقيقة؛ فإنَّ الشمس في السماء الرابعة[٣]، وهي مثل الأرض مائة وستين مرة[٤]، ولذا ما قال: كانت تغرب، ﴿فِي عَيْنٍ﴾: ذات، ﴿حَمِئَةٍ﴾: طين أسود، وحامية أي: حارة، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عندَ العين ﴿قَوْمًا﴾: كفارًا ﴿قُلْنَا﴾: له وحيا إليه أو إلى بني زمانه أو إلهاما: ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾: بالقتل ونحوه ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: بإرشادهم، فاختار الحسن حيث قال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾: بإصراره على الكفر، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة والإضافة بيانية[٥]، ونصبًا[٦] حال، أي: فله الحسنى مجزيًا بها ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾: ما نأمر به أمرا، ﴿يُسْرًا﴾: عملًا لا شاقًا[٧] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة إلى الشرق ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: أول مكان طلوعها من المعمورات ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: هم الزنج، ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾: دون الشمس، ﴿سِتْرًا﴾: من اللباس، أو من نحو الأبنية والأشجار، والمراد

---

(١) هو أرسطو أو أرسطا طاليس، أحد الفلاسفة الضالين، وهذا يوافق الكساندر المقدوني- لعنه الله- أما ذو القرنين- عليه السلام- فبعيد كل البعد عن نجاسات هؤلاء.

(٢) في (ن)، و(د): يتصرف.

(٣) الأنواء (٨٤).

(٤) الشمس أحد الأجرام السماوية، وتبعد عن الأرض بنحو ٩٢.٥ مليون ميل، وهي جسم ناري يتكون من غازات مضغوطة تحتوي على ما لا يقل عن (٦٠) عنصرا من العناصر المعروفة ويقدر قطرها بنحو (٨٦٤) ألف ميل، وتبلغ درجة الحرارة على سطحها نحو (٧٠٠٠) درجة وتقدر درجة حرارتها الباطنة بنحو (٤٠.٠٠٠٠٠٠) أربعين مليون درجة، نصيب الأرض من هذه الحرارة لا يزيد على ١/ ٣٢٥ مليون من مجموع حرارتها. *دائرة المعارف- ص٣٥٠ وانظر: الإعجاز العلمي (١/ ٣٨٠).

(٥) على قراءة: «جَزَاءُ الحُسْنَى».

(٦) على قراءة: «جَزَاءً الحسنَى».

(٧) في (د): شقاقا.

دوام طلوعها عليهم في الصيف فوق الأرض، هذا وراء بربرة[١] من تلقاء بلغار[٢] تدور الشمس فيه بالصيف ظاهرة فوق الأرض لكن لا تسامته[٣] رؤسهم أسس ذي القرنين، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور في الملك، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من كثرة الأسباب، ﴿خُبْرًا﴾: علما، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: وصلة بين المشرق والمغرب، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: جبلا أرمينية[٤] من أذربيجان[٥] المبنيّ بينهما السد، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لقلة فطانتهم ﴿قَالُوا۟﴾: القوم ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: قبيلتين من ولد يافث، أو يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضنا، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: يمنعهم عنَّا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى﴾: من المال والملك، ﴿خَيْرٌ﴾: من خرجكم ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾: ما اتقوى به من الآلات، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجزا حصينا، وهو أكبر من السدِّ ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ﴾ قطع ﴿ٱلْحَدِيدِ﴾: أي: ناولونى، فلا ينافي ردَّ الخرج فأتوا به، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾: امتلأ، ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: جانبي الجبلين وازي رُؤسهما بجعل الفحم والحطب في خلال[٦] الزُّبر ﴿قَالَ﴾: للعملة: ﴿ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: كالنار بالإحماءِ ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: نحاسا مُذابا ليشتدَّ ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لملاسته، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾: لشدته وثخنه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا﴾: السد، ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾: على عباده، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾: أي: وقت وَعْدِ ﴿رَبِّى﴾: بخروجهم أو قرب الآخرة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدًّا: أرضًا مستوية،

---

(١) بربرا: قاعدا بلاد الحبشة. * تقويم البلدان (١٥٨)، معجم ما استعجم (١/ ٢٣٩)، معجم البلدان (١/ ٣٦٩).

(٢) ويقال لها: بلاد بُلّار، وهي بلغاريا حاليا. * تقويم البلدان (٢١٦)، معجم البلدان (١/ ٤٨٥، ٤٨٨)، مراصد الاطلاع (١/ ٢١٩).

(٣) توافقه وتساويه.

(٤) إرمينية: دولة معروفة بجانب أذربيجان. * تقويم البلدان (٣٨٦)، صورة الأرض (٣٣١).

(٥) أذربيجان: إقليم معروف وراء العراق. * معجم البلدان (١/ ١٢٨)، آثار البلاد - للقزويني (٢٨٤)، الروض المعطار (٢٠)، أحسن التقاسيم (٣٧٥).

(٦) فوارق.

وقصرًا[1]: مدكوكًا، مستوٍ بالأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: كائنا، تمت قصة ذي القرنين.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض يأجوج ومأجوج، ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: كموج الماء لكثرتهم، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن كما مرّ ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للمجازاة، ﴿وَعَرَضْنَا﴾: أظهرنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوةٍ ﴿عَن﴾ رؤية، ﴿ذِكْرِي﴾ آياتي اعتبارا، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لكلامي لصممهم عن الحق، ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا﴾: أي: اتخاذهم، ﴿عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: لا يغضبني؟! ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: ما يُهيأُ للضيف أوّلَ نُزُوله[2]، فكيف بالضيافة؟ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾: جمع التمييز لتنوع الأعمال هم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾: بطل ﴿سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: لعجبهم وجهلهم، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: لكفرهم، ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾ نجعل ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: قدرًا، أو: لا نزن أعمالهم لا نحباطها، وأما قوله: «وأما من خفت موازينه[3]» ففي العصاة، الأمر ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: لم يعتبروها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾: أعلى الجنة ﴿نُزُلًا﴾: كما مرَّ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾: تحوُّلًا ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه، ﴿مِدَادًا﴾: ما يستمد به الكاتب الكلمات وهي الدالة على حكمه، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه؛ لأنه متناه، ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾: لأنها غير متناهية، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود، ﴿مَدَدًا﴾: معونةً ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: خُصصتُ بالوحي، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: يطمعُ في حُسْن لقائهِ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: موافقا للشرع، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها ﴿أَحَدًا﴾: بالرياء، أو طلب أجرٍ، كمن يسره أن يطلع على عمله والمراد: الشرك الخفي، ودل

---

(١) وهي قراءة ابن عامر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويعقوب وحفص.

* إتحاف فضلاء البشر (٢٩٦)، السبعة (٤٠٢)، غيث النفع (٢٨٣)، النشر (٢/ ٢٧١).

(٢) في (د): نزوله.

(٣) سورة القارعة.

عليه الحديث[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) يشير إلى حديث: «الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل». أخرجه الحاكم في مستدركه (٤/ ٣٢٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٧٣٠)، وصحيح الترغيب (٢٧).



«سورة مريم(١)»: مكية(٢) إلا آية السجدة(٣)

لما نهى عن الشِّرك الخفيّ أعقبه بقصَّة من كان يُخفي مناجاته؛ حذَرًا من ذلك، وذكر ما أنعم الله عليه بسبب ذلك فقال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ كهيعص﴾: كما مرَّ، هذا المتلوُّ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: مفعول رحمة، ﴿زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا ﴿رَبَّهُ نِدَاءً﴾: دُعاءً ﴿خَفِيًّا﴾: للإخلاص ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾: وهو دعامةُ(٤) البدن فغيره أولى ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾: منِّي ﴿شَيْبًا﴾: شبهه بالنار في بياضه وإنارته ثم باشتعالها(٥) في انتشاره(٦) في الشَّعر، وأسند إلى مكان الشعر مبالغة، ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾: قبل، ﴿بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: خائبًا، بل كنت مجابًا، وهذا الذي أطمعني فيه، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: عصبتي، أن لا يحسنوا الخلافة، ﴿مِن وَرَائِي﴾: بعد موتي، إذْ كانوا من الشرار، ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تلدُ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: مخترعا منك بلا سبب، ﴿وَلِيًّا﴾: من صُلْبي ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بن إسحاق، أو أخي زكريا، أو عمران، يرث العلم والنبوة، إذ النبيُّ لا يُورثُ، وأتى بـ«من» في الثاني لنبوة بعضهم ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: مرضيا عند الكلِّ فأجابه وقال: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

---

(١) ترك ناسخ نسخة (د) بيان عدد الكلمات والحروف في كل سورة من هنا إلى آخر القرآن، وسأثبتها- إن شاء الله- من الكتب التي تعنى بذلك - فكلماتها: (٩٦٢) كلمة، وحروفها (٣٨٠٢) حرف.
* عدد سور القرآن (٣٠٠)، البصائر (١/ ٣٠٥) البيان (١٨١)، القول الوجيز (٢٢٩).
(٢) في (د): سورة مريم- عليها الصلاة والسلام- مكية.
(٣) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.
(٤) بكسر الدال المهملة: عماد البيت الذي يقوم عليه، وقد أدعمت إذا اتكأت عليها.
* لسان العرب (٧/ ١٨٤/ دعم).
(٥) في (ن): باشتعالهما.
(٦) في (س): انتشاوره.

﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾: شبيها إذ ما هم بمعصية أو لم يُسَمَّ به أحد، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾: يبسا في المفاصل، يعني: أتهبني مع الشيخوخة والفقر، أو تردنا إلى حالة أخرى ﴿قَالَ﴾ المبشر: نهبك ﴿كَذَٰلِكَ﴾: بلا تغيير، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾: يسير، ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾: أفهم أن المعدوم ليس بشيء، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ﴾: علامةً لوقوعه ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ﴾: مع أيامها، ﴿سَوِيّٗا﴾: في الخلق بلا نحو خَرس أوْ: كاملاتٍ، فلمَّا حملت أصبح لا يقدر على التكلم مع قدرته على قراءة التوراة، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾: مصلاه أو غرفته، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾: أشار إليهم، ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾: صلُّوا ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾: طرفي النهار، ولما وهب وبلغ الفهم قال الله تعالى له: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة، ﴿بِقُوَّةٖ﴾: بجد، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾: النبوة أو الحكمة وفهم التوراة، ﴿صَبِيّٗا﴾: له سبع سنين أو ثلاث، ﴿وَ﴾: آتيناه، ﴿حَنَانٗا﴾: رحمة، ﴿مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗ﴾: طهارة من المعاصي، ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾: ما أذنب وما همَّ بذنْبٍ ﴿وَ﴾: كان ﴿بَرَّۢا﴾: كثير البر، ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾: متكبراً ﴿عَصِيّٗا﴾: عاصيا، ﴿وَسَلَٰمٌ﴾: من الله، ﴿عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾: من مس الشيطان، ﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾: من عذاب القبر، ﴿وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ﴾: من أهوال القيامة، ﴿حَيّٗا﴾: خصها لأنها أوْحَش أحوالنا ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القرآن، قصَّة ﴿مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾: اعتزلت، ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾: من المسجد الأقصى للعبادة، ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ﴾: دون القوم ﴿حِجَابٗا﴾: استترت منهم لتغتسل من الحيض، ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾: جبريلُ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾: بعد لبسها ثيابها، ﴿بَشَرٗا﴾: إنسانا، ﴿سَوِيّٗا﴾: تامًا تمثل شابًا أمرد لتستأنس به ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾: فكيف إذا لم تتق، ﴿قَالَ﴾: جبريل، ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ﴾: لأتسبب في هبة الله لك، ﴿غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾: طاهرا ولا يلزم منه نبوتها، فإنه ليس وحي رسالة فيمكن في غير النبي وكذا قال مقاتل في أم موسى إنها أوحى إليها جبريل ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ﴾: كيف، ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي﴾: يباشرني،

﴿بَشَرٌ﴾: نكاحا، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: زانية ولا تاءَ فيه؛ لأنه مبالغة أو نسبة، وفيه ما في قصة زكريا، ﴿قَالَ﴾: يهبك[1] الولد ﴿كَذَلِكِ﴾: بلا مس بشر، ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾: وهب[2] غلام بلا أبٍ ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: يسير، ﴿وَ﴾: نهبك ﴿لِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: على كمال قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: على العباد بهدايته، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: في علم الله تعالى، فنفخ في جيبها بحيث وَصلتْ[3] فرجها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: ثمانية أشهر إرهاصًا[4] لعيسى؛ إذ لا يعيشُ مولود ثمانية أشهر ﴿فَانتَبَذَتْ﴾: اعتزلت به ملتبسةً بالحمل، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بعيدا، مخافة أن لا يعيش ﴿فَأَجَاءَهَا﴾: جاء لها أو ألجأها، ﴿الْمَخَاضُ﴾: وجع الولادة ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه في الولادة، ﴿قَالَتْ﴾: استحياءً ومخافةً ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾: الأمر، ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: شيئا شأنه أن يُنسى، أو ما يرمى بِهِ ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾: عيسى أو جبريل إذ كان كالقابلة[5] لها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: سلاها بظهور معجزتين يدلان على عصمتها ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهرًا أو سيدا، ﴿وَهُزِّي﴾: أميلي، ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ﴾: جذع[6] ﴿النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ﴾: تتساقط النخلة، ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾: غضًّا، كانت نخلة يابسة بلا رأسٍ فلمَّا هزتها أثمرت في غير أوانه، ﴿فَكُلِي﴾: من الرطب، ﴿وَاشْرَبِي﴾: من النهر أو عصيره، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: طيبي نفسك من القر البرد، فإن دَمعة السرور باردة[7] ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾: إن ترى ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: يسألك عن ولدك، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: وكان يجب الصَّمت فيه[8]، أو صمتا[9]

---

(١) في (د): نهبك.

(٢) يعني: هبة.

(٣) يعني النفْخَةُ.

(٤) علامةً على نبوَّته.

(٥) يعني يسليها ويقوم بأمرها.

(٦) يعني: الباءُ في «بجذع» صلة.

(٧) عذبة، ودمعة الحزن حارة ملحة.

(٨) في صيامهم.

(٩) وقرئ به.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾: أي: بعد ذلك، أو قولي بالإشارة، فإن ولدك يكفيهم جوابا، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: فلما رأوه، ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: بديعًا[١] منكرًا ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: جدّها[٢] فهو مثل: يا أخا تميم[٣]، أو صالح من بني إسرائيل تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يُسمى هارون سوى سائر[٤] الناس، أي: يا أخته صلاحا، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: زانيا، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: زانية، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى أن كلموهُ ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾: وجد، ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ﴾: عيسى، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: الإنجيل، قيل: درسه في بطن أمه[٥] أو التوراة، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: نفّاعا ﴿أَيْنَ﴾: حيث ﴿مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي﴾: أمرني، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: إن ملكت شيئا أو تطهير النفس، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: وتأخير التكليف في غيره إلى البلوغ لترقب عقله، وهو ولد تام العقل، بل قيل: استنبئ حينئذ (وَ) جعلني (برا) بارا (بوالدتى ولم يجعلنى جبارا) متكبرا (شقيا) عاصيًا (والسلام) عرَّفه للعهد، ولا يضر كونُ الأول من الله؛ لاتحادهما ماهيَّةً (عليَّ يوم ولدت) من مسِّ الشيطان (ويوم أموت) من سوء الخاتمة (ويوم أبعث حيًّا) من أهوال القيامة ﴿ذَٰلِكَ﴾: الموصوف، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: لا كما يصفه النصارى[٦] ﴿قَوْلَ﴾: كلمة، ﴿الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: عند اليهود ساحر، وعند النصارى ابن الله، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهه عن ذلك، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: فلا يحتاج في اتخاذ ولد إلى إحبال أنثى، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الطريق ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: فسر مرة ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾:

---

(١) جديدًا مُبتدعًا.

(٢) ليس صحيحا والصحيح ما رواه مسلم في صحيحه (١٦٨٥) عن المغيرة بن شعبة أن أهل نجران سألوه: ألستم تقرءون: يا أخت هارون، وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟! فلم أدرما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم.

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٥٩)، الوسيط (٣/ ١٨٢).

(٤) باقي.

(٥) هذا لا يصحُّ.

(٦) في (ن): كما لا تصف النصارى.

اليهود والنصارى، أو فرق النصارى كما مرَّ ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾: بين الناس، ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ﴾: شهود هول، ﴿يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ ولا ينفعهم حينئذ ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي﴾: الدنيا، ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: لا يسمعون الحق ولا يبصرونه، ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾: للمسيء على الإساءة، والمحسن على الإحسان، ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أمر القيامة، ﴿وَهُمۡ﴾: الآن، ﴿فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۞ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾: بفناء كلهم وبقائنا، ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القرآن قصَّة ﴿إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا﴾: ملازما للصدق كثير التصديق ﴿نَّبِيًّا إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾: ما سماه استعطافًا ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي﴾ يدفع ﴿عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾: من المكاره أو لا ينفعك، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾: لم يصف نفسه بالعلم وأباه بالجهل رفقا ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾: مستقيما، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ﴾: لا تطع، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾: وتابعُ العاصي عاص ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: مع كثرة رحمته، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾: قرينًا في اللعن أو العذاب، ﴿قَالَ﴾ أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾: عن مقالتك فيها ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾: بالحجارة، أو لأشتمنك فاحذرني، ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾: زمانًا طويلًا ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾: سلامُ متاركة[1]، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾: ليوفقك لموجب المغفرة، ﴿إِنَّهُۥ﴾: تعالى ﴿كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾: بليغ البر، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾: تعبدون (من دون الله وأدعوا): أعبد، ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾: خائبا كخيبتكم بدعاء آلهتكم ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: وهاجروا إلى الشام ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾: ابنه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾: ابن ابنه، خصهما بالذكر ليذكر

---

(١) قال ابن العماد الإقفهسي: والسلام أنواع: سلام المودة، وهو سلام المؤانسة، وسلام المسالمة معناه: أنت سالم مني وأنا سالم منك، وسلام المفارقة: عند القيام من المجلس وهو سنة، وسلام المتاركة: مثل له العلماء بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ الفرقان (٦٣)، المعنى: تركوهم ومضوا سالمين. * تسهيل المقاصد (٢٩٧).

إسماعيل بفضله منفردا، ﴿وَكُلًّا﴾: منهما، ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: النبوة وغيرها، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: ثناء حسنا في كل الملل عني باللسان ما يوجد به، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: قصة ﴿مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: اخلصناه لعبادتنا، وبالكسر ظاهر[1]، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: هو من يأتيه الملكُ بوحي الرِّسالة ﴿نَّبِيًّا﴾: هو من أوحي إليه ولو في النوم، أخّره مع أنه أعم؛ لإفادة إنباءه بكل مَا أمر ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: الذي على يمين موسى أو من اليمن ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾: تقريب تشريف ﴿نَجِيًّا﴾: مُناجيًا بتكليمه[2] أو مرتفعا، إذ رفع فوق السموات فسمع صرير الأقلام[3] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾: أي: مؤازرته إجابة لدعائه، ﴿نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: قصَّة ﴿إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ قال: ستجدني[4] الخ فوفى به ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرْهُم ﴿نَّبِيًّا﴾: مرَّ بيانهما[5] وعلى القول الأصحّ لا إنكار ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: اشتغالًا بالأهم فالأهم أو قومه، ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: قصةَ ﴿إِدْرِيسَ﴾: أوّل من خطَّ وعلم النجوم والحساب، وخاط ولبس المخيط وأخذ السلاح وغزا[6] ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: النبوة أو السماء أو الجنة بعد أن أذيق الموت وأُحْيِيَ ﴿أُولَٰئِكَ﴾: المذكورون، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾: يعني إدريس[7] ﴿وَمِمَّنْ﴾ ذُرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في سفينته، يعني إبراهيم، فإنه من سام، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: يعني إسماعيل وإسحاق، ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب، يعني موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِمَّنْ﴾: جملة، ﴿مَنْ هَدَيْنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾: للنبوة، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ

---

(١) يعني «مُخْلِصًا» وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع وعاصم وشعبة وأبي جعفر ويعقوب. * إتحاف (٢٩٩)، السبعة (٤١٠)، غيث النفع (٢٨٥)،النشر (٢/ ٢٩٥).

(٢) في (ن): بتكليم.

(٣) قال ابن عباس أدني حتى سمع صريف القلم. * تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٤).

(٤) سورة الصافات.

(٥) في (ن): بيانها.

(٦) انظر: فردوس الجنان. * للمناوي (١٧/ بتحقيقي).

(٧) هذا خطأ وإدريس غير آدم.

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟﴾: سقطوا ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: باكين، في الحديث: «اقرءوا[1] القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا[2]»، ﴿فَخَلَفَ﴾: عقب وجاء، ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: يعني العقب السوء وبفتح اللام[3] ضده ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: تركًا وتأخيرا ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: شرًّا أو واديا في جهنم تستعيذ منه أوديتها، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون ﴿شَيْـًٔا﴾: من ثوابهم، ﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل من الجنة ﴿عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: جمع عابد، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: غائبين عنه أو عنها ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ﴾: موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾: مفعولا، أو آتيا، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فضول الكلام، ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾: دُعاءً بالسلامة من الملائكة فإنَّ ظاهره لغو، وحقيقته إكرام أو مثل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم[4] .... إلى آخره.

أو بمعنى لكن، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: على التمثيل بعادة[5] الدنيا أو دائما، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾: من الشرك يرثونها من الكفار، ولما أبطأ جبريل بعدها سئل ﷺ عن الروح وغيره كما مرَّ، اشتكى إليه فقرأ، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ

---

(١) في (ن)، و(د): اتلوا.

(٢) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل (٤٠٨) بلفظ: «اتلوا القرآن»، والصواب: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا». أخرجه ابن ماجة (١٣٣٧)، وأبو يعلي (٦٨٩) والآجري في أخلاق أهل القرآن (٨٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٣١) وفي الشعب (١/ ٢/ ٣٢٣) وسنده ضعيف.

(٣) خلف.

(٤) صدر بيت من الطويل وعجزه:

* بهن فلول من قراع الكتائب *

وقائله النابغة الذبياني- والشاهد فيه نصب «سلاما» على الاستثناء المنقطع، والشاهدُ هنا: تأكيد المدح. * ديوان النابغة (٤٤)، الأزهية (١٨٠)، إصلاح المنطق (٢٤)، خزانة الأدب (٣/ ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤)، الدرر (٣/ ١٧٣)، شرح شواهد المغني (٣٤٩)، الكتاب (٢/ ٣٢٦)، معاهد التنصيص (٣/ ١٠٧)، همع الهوامع (١/ ٢٣٢).

(٥) في (د): لعادة.

رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾:(١) أمر الدنيا أو الأرض ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أمر الآخرة أو السماء، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين النفختين أو الهواء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركا لك، هو ﴿رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ﴾: اصبر، ﴿لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾: ولا تتضيق(٢) من بطء الوحي، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: مثلاً أو أحدا سُمِّي بالله فإنهم لم يسموا به(٣) أصنامهم قط، ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ﴾: إنكارا كأُبيِّ بن خلف ﴿أَءِذَا مَا﴾: صلة، ﴿مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: من الأرض، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾: يتفكر، ﴿الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: فإعادته أهون، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ﴾: كل مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: قعودا على الركب، و الظاهر أنهم يساقون جثيا في(٤) الموقف إليه؛ لقوله: «وترى كل أمة جاثية... الخ»(٥)، ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ﴾: لنخرجن، ﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: أمة شاعت دينا، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: جرأة ومعصية، أي: ينزع الأعصى فالأعصى فيطرح فيها، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: احتراقا فلا نظلمهم، ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾: جهنم وُرُوْد مرور ويكون(٦) على المؤمن بَرْدًا وسلَامًا ويمر بها دون الكافر، وفسر بالصراط(٧)، ﴿كَانَ﴾: ورودهم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا﴾: واجبا، ﴿مَّقْضِيًّا﴾: عليكم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾: الكفر ﴿وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين، ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾: كما كانوا كيف لا، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات الإعجاز ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: منا ومنكم، ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مكانا،

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. أخرجه البخاري في صحيحه (٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥، ٣١٥٨).

(٢) في (ن): تضيق.

(٣) في (ن)، و(د): فإنهم ما سموا.

(٤) في (ن): من.

(٥) سورة الجاثية.

(٦) الورود.

(٧) أخرجه البخاري (٨/ ١٤٦)، ومسلم (١/ ١٨٧).

﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾: مَجلسا تفاخروا بحظوظ الدنيا، ﴿وَكَمۡ﴾: كثيرا، ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا﴾: متاع البيت، ﴿وَرِءۡيٗا﴾: هيئة فلم ينفعهم، ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: الكفر ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ﴾: ليمهله بالتمتعات، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾: لقطع معاذيره، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾: في الدنيا ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾: فيه، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾: وهو خير مما أعطى الكفرة كما دل عليه، ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: فُسّرت مرة[1]، ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾: مرجعا، هذا مثل: الصيف أحر من الشتاء، ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾: أخبر بقصة، ﴿ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: عاص[2] بن وائل إذ طلب خباب[3] حقه منه فاستهزأ[4]، ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾: حين أبعث، ﴿مَالٗا وَوَلَدًا﴾: فأعطيكه، وبضم الواو[5] جمع أو لغة فيه، ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فعلم أنه يؤتى ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ أن يؤتيه حينئذ ﴿كَلَّاۚ﴾: ليس كما تصور، ﴿سَنَكۡتُبُ﴾: سننتقم منه انتقام من يكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ﴾: نُطوّل ﴿لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾: أو مضاعفة ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾: بموته، ﴿مَا يَقُولُ﴾: من المال والولد ﴿وَيَأۡتِينَا﴾ ﴿فَرۡدٗا﴾: في القيامة بلا شيء، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا﴾: يتعززون بشفاعتهم، ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ﴾: آلهتهم، ﴿بِعِبَادَتِهِمۡ﴾: يجحدونها، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾: أعداء يقولون ربنا عذب من عبدنا ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: للتعجب، ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾: سلطنا، ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: خليناهم وإياهم، ﴿تَؤُزُّهُمۡ﴾: تحركهم إلى المعاصي ﴿أَزّٗا ۞ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: بطلب عقوبتهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ﴾: أيام آجالهم، ﴿عَدّٗا﴾: أعمالهم للجزاء أو أنفاسهم للفناء، اذكر، ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾: راكبين، ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

---

(١) في سورة الكهف.

(٢) كذا- وهو العاص بن وائل السهمي.

(٣) يعني ابن الأرت.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥) ومسلم (٢٧٩٥).

(٥) يعني: وُلدا.

سوق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشا ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾: أطلق[١] المدلول للقسمين، ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: هو كلمة التوحيد ﴿وَقَالُوا﴾: المجرمون، ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾: عظيما منكرا ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن، ﴿مِنْهُ﴾: من هذا القول المجلب لغضب الله تعالى بتخريبهما[٢] لولا حِلْمهُ ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾: تهد، أي: تكسر مهدودة أي: مكسورة لأجل، ﴿أَن دَعَوْا﴾: نسبوا، ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أفادَ بالرحمن أن كل ما عداه نعمة أو مُنعم عليه فلا تجانس فيتخذ منهم ولد ﴿إِن﴾: ما ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: يأوي إليه بالعبودية والانقياد، وبُيِّنَ في الفاتحة (لَقَدْ أَحْصَاهُم) أحاطَ بهم علمًا (وَعَدَّهُم) شخصًا ونفسًا وغيرهما ﴿عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾: عن الاتباع، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾: في القلوب بلا سعيهم والسين[٣] لنزولها بمكة حين كانوا ممقوتين أوفي القيامة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِلِسَانِكَ﴾: لغتك، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: أشد الخصومة، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: أمة، ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾: تجد، ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾: صوتا خفيا فليعتبروا، وتركيب ركز للخفاء[٤]- والله أعْلَمُ بالصواب وإليه المرجعُ والمآب.

۞۞۞

---

(١) في (ن): الخلق.

(٢) في (ن): ثم لتخريبهما.

(٣) في «سيجعل».

(٤) تركيب مادة «ركز» ولدلالته على الخفاء قيل: للمعدن: ركاز، ولدفين الجاهلية أيضا: ركاز.
* عمدة الحفاظ (٢/ ١٠٩/ ركز).